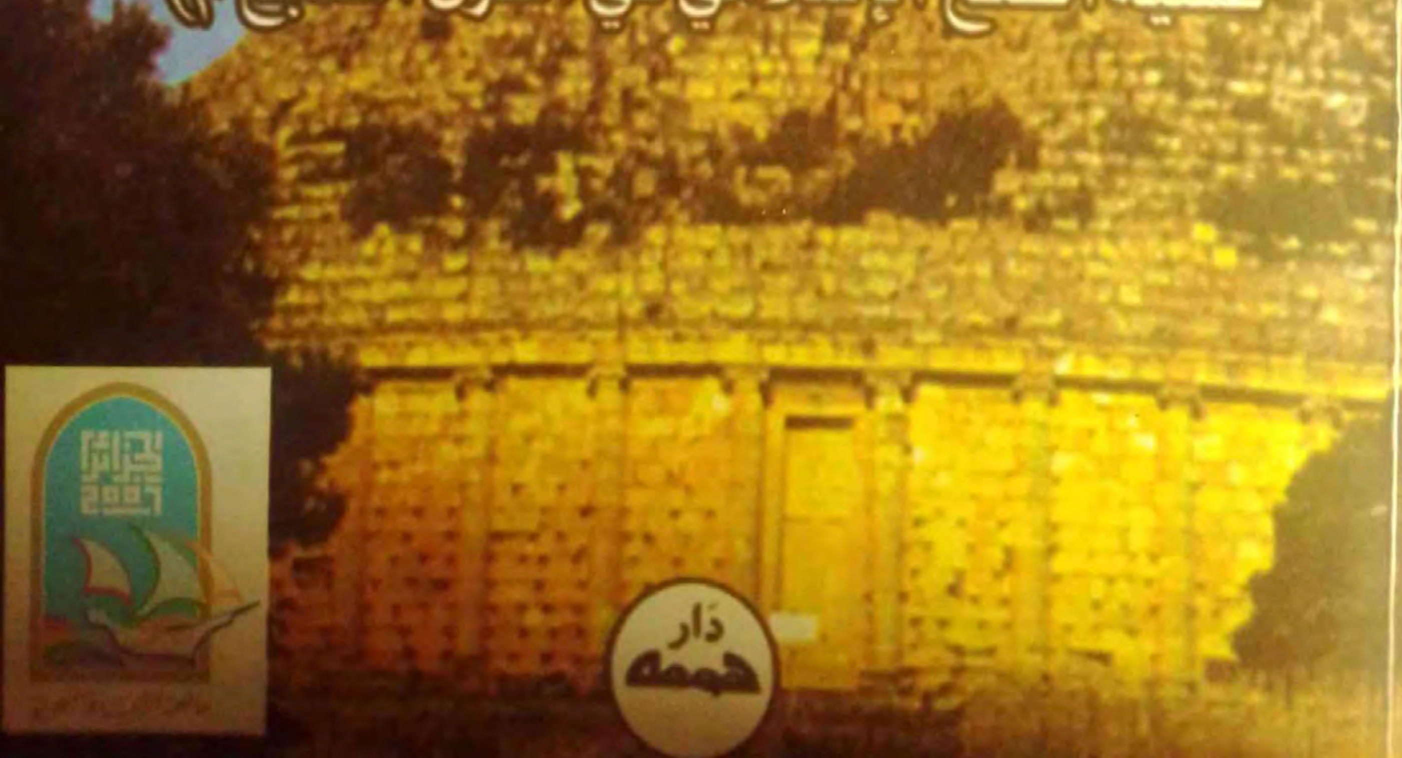
رابح لحسن

أضرحة الملوك

النوميد و المور

Les Mausolées des Rois Numides et Maures

(دراسة آثرية و تاريخية مقارنة لأهم
الأضرحة الملكية النوميدية و المورية
المشيدة منذ القرن الرابع ق.م إلى غاية
عشية الفتح الإسلامي في القرن السابع م)



دار هومه

رابــــح لحســــن

أضــرحــة الـمـــلـــوك

النوميد و المور

Les Mausolées des Rois Numides et Maures

(دراسة آثرية وتاريخية مقارنة لأهم الأضرحة الملكية النوميدية والمورية
المشيدة منذ القرن الرابع ق. م إلى غاية عشية الفتح الإسلامي في القرن السابع م.)

دَار هومه

صنف: 4/142
– الإيداع القانوني: 2002/1791
– ردمك : 7–660–66–9961

www.editionshouma.com
email : Info@editionshouma.com

إهداء

أهدي هذه الثمرة العلمية إلى:

والدي الكريمين الذين سهروا على تعليمي جزاهم الله
كل خير ورحمة
الى اساتذتي الأجلاء الذين نهلت من علمهم وفي
مقدمتهم الدكتور محمد البشير شنيتي
الى زوجتي العزيزة وأبنائي الأعزاء ، يسمينة و يونس
وأبو بكر الصديق
الى كافة افراد عائلتي وأقاربي وكل اصدقائي الأوفياء
أهدي هذا المجهود...

مقـــدمـة

بإستثناء الأطلال الرومانية الكثيرة ببلاد المغرب ، يمكن القول ان المعالم الجنائزية القديمة سواء أكانت قبور عادية ام أضرحة ، هي ما تبقى اليوم من آثار تشهد على تاريخ الشعوب الأمازيغية اوالبربرية في الفترة القديمة ، كما تعتبر من ابرز الشواهد المادية التي يرتكز عليها الباحث اليوم لدراسة الحياة الدينية في المغرب القديم .

لقد كشفت دراسة هذه المدافن خلال الوجود الفرنسي والعشريات الأولى من الإستقلال ، عن حقائق علمية هامة تتعلق اساسا بالجانب الديني والفن المعماري ، حيث سمحت بالتعرف على كثير من الممارسات والعادات الجنائزية ، وكذا الفنون الهندسية المختلفة الشائعة عند البربر القدامى في تلك الفترة . لكن يظهر ان البحث في مجال البنايات الجنائزية ، لم يستمر طويلا في الجزائر اذ سرعان ما بدأ يتراجع في نهاية الثمانينات من هذا القرن ، ليتوقف بشكل شبه نهائي في مطلع التسعينات بسبب عوامل عديدة ، شأنه في ذلك شأن بقية المعالم والنصب التاريخية الأخرى .

ومما لاشك فيه ان هذا الركود ، انعكست آثاره سلبا على مسار البحث التاريخي عموماً ، واصبح بالتالي الباحث الجزائري يعتمد كلية على ما انجزه الباحثون السابقون ؛ وفي هذه الظروف المميزة جاء اختياري لموضوع " **أضرحة الملوك النوميديين والموريين** " ، بإعتباره من بين احد الأبحاث التي لها علاقة وطيدة بميدان البحث الآثري ، و من شأنه ان يساهم في رد الإعتبار له .

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يشمل فترة تاريخية حاسمة ، شكل كل من المور والنوميد الإطار البشري لها ويمكن تقسيمها الى مرحلتين اساسيتين :

الأولى : تمتد مابين القرنين الرابع والنصف الأول من القرن الأول ميلادي ، وتسمى أيضا ماقبل الحقبة الرومانية ؛ وقد شهدت هذه الفترة بروز أولى الممالك النوميدية والمورية القديمة التي آشارت اليها النصوص القديمة ، كما عرفت تطورات هامة في مجال البناء الجنائزي ميزها على الخصوص تبني المهندسون البربر للفنون الهندسية السائدة عند الشعوب المعاصرة لهم كالإغريق ، الفنيقيين والمصريين من جهة ، وتطوير العمارة المحلية ودمجها في قالب منسجم مع الأشكال المستوردة من جهة أخرى .

والثانية : تمتد مابين القرنين الخامس والسابع ميلادي ، أي إبان نهاية السيطرة الرومانية وبداية الهيمنة الوندالية ثم البيزنطية ؛ وتميزت هذه الفترة كذلك بظهور إمارات أو كيانات سياسية مستقلة ، وبروز ظاهرة إحياء التقاليد المعمارية المحلية القديمة في مجال البنايات الجنائزية .

لقد شمل هذا البحث إطاراً مكانيا مميزا ، يمكن القول عنه أنه ينحصر في المناطق التي عاشت في كنف التأثيرات الفنيقية والقرطاجية من جهة ، مثل الغرب التونسي والشرق الجزائري و السواحل الليبية والجزائرية الغربية ، وبعيداً نوعاً ما عن نطاق الهيمنة الرومانية ، الوندالية والبيزنطية كمنطقة الهضاب العليا الغربية وبلاد المغرب الأقصى .

لقد دفعتني الى الخوض في هذا الموضوع رغبة حثيثة في :

- التعريف بالمدافن والأضرحة القديمة على إختلاف أنواعها ، بإعتبارها معالم تاريخية تشكل جزء لايتجزء من تراثنا الثقافي القديم ، وتحسيس المجتمع على اختلاف شرائحه بأهميتها ووجوب الحفاظ عليها ؛ وهنا

ينبغي الإشارة الى ان شرائح كثيرة من المجتمع المغربي ، يجهلون الى يومنا هذا آصولها . فإذا كانت نصوص القرن 19 ، تشير الى ان آهالي تلك الفترة كانوا ينسبون هذه القبور الى مخلوقات اسطورية (1) ، فإن قسما هاما من مجتمع اليوم أصبح لايع شيئا عنها ، بل وبعضهم لايستطيع حتى التمييز بين كونها مدافن ام بناءات اخرى ، فكيف بمعرفة زمن بناءها ، مشيدوها ، واشكالها الهندسية ومسائل اخرى مرتبطة بوجودها . يبدو ان السائد عند الكثير منهم لايعدو كونه خرافات واساطير توارثت على مر الأجيال .

- محاولة التعرف على الحياة الدينية عند البربر القدامى ، سواء معتقدات وشعائر دينية أوعبادة جنائزية ، خاصة خلال العهود التاريخية .
- البحث عن آصولها ، انواعها ، اشكالها الهندسية الأصلية ، تقنيات ومواد البناء وتطور عناصرها المعمارية ؛ فبإستثناء بعض المعالم الجانئزية القديمة ، التي تفيدنا بعض الشيئ عن الهندسة البربرية القديمة ، فإننا نكاد لاندرك شيئاً عن العمارة المحلية في الفترة ماقبل الإحتلال الروماني ، بسبب الهيمنة الرومانية واتساع نطاق إستغلالها وعمرانها على انقاض البنايات الأصيلة (2) . اذا كانت الأضرحة الكبرى العديدة المنتشرة في كامل بلاد المغرب ، تشهد على تطور العمران عند البربر خلال العهد القرطاجي ، أواخر الإحتلال الروماني والفترة الوندالية والبيزنطية ، فإنه من دون شك كانت توجد الى جانب ذلك ، مدن وحواضر نوميدية ومورية سادت فيها الهندسة المعمارية الشائعة في العالم القديم والمتأخر ، لكن للأسف اندثرت نتيجة التوسع العمراني للأمم الدخيلة : كالرومان البيزنطيين ، الوندال والفاتحين العرب.

- محاولة تأريخها والتعرف على مشيدوها، والإطلاع على الظروف التاريخية والأوضاع السياسية للفترة التي شيدت فيها.

في ظل غياب دراسات آثرية تعتمد آساسا على التنقيب الآثري ، إتبعت لأنجاز هذا البحث منهجا يعتمد على :

- عنصري الوصف والملاحظة لمختلف جوانب بناء المدفن الخارجية والداخلية ، ومقارنة آشكاله الهندسية سواء بين الأضرحة نفسها أو بينها وبين المدافن البدائية لاسيما الجثوات والبازينات ، وهذا قصد إستخراج أوجه التشابه والإختلاف بينهما من جهة ، ومحاولة التعرف على مظاهر ومراحل تطورها ، ظروف بناءها ومن هم مشيدوها .
- تحليل مختلف النصوص التاريخية والأدبية التي اشارت اليها و كذا المعطيات الآثرية ، لاسيما الإعتماد على نتائج الأبحاث والتنقيبات المتآخرة المنجزة سواء خلال الوجود الفرنسي او بعد الإستقلال .

1. النصوص التاريخية

بإستثناء ماذكره الجغرافي اللاتيني بومبونيوس ميلا عن الضريح المشترك للعائلة الملكية المسمى قبر الرومية ، لم نسجل وجود نصوص قديمة تشير الى المدافن البربرية القديمة على إختلاف أنواعها وتعددها . وكان لابد من الإنتظار حتى حلول القرون الوسطى لنجد بعض الإشارات الوجيزة عند بعض الرحالة والمؤرخين العرب أمثال : البكري ، (3) إبن الرقيق وإبن خلدون (4) . الى جانب هذا برز في القرنين السادس والثامن عشر بعض الرحالة الأوروبيين كا مرمول (5) ، بايسونال Peysonnel ، بروس Bruce و شو Shaw (6) ، الذين آشاروا في مؤلفاتهم الى قبر الرومية والمدغاسن .

وبعد إنقطاع دام أزيد من قرن ، يظهر الإهتمام الخاص بذكر المدافن القديمة اثناء الوجود الفرنسي ، نشطه العديد من الباحثين العسكريين والأكاديميين .

2. الأبحاث الآثرية :

لقد قطع البحث الآثري في مجال البنايات الجنائزية أشواطا هامة خلال الفترة الإستعمارية ومابعد الإستقلال ؛ فقد تميز هذا القرن ببروز فئة واسعة من الباحثين الأروبيين ، اهتموا بدراسة المباني الجنائزية ، اذ لم تقتصرحفرياتهم وابحاثهم على الاضرحة الكبرى فحسب ، بل شملت معظم المدافن القديمة على اختلاف انواعها واشكالها ، وفي هذا الشأن قاموا باحصاء عدد هام منها ، تحديد مواقعها ، تصنيفها ووصفها وصفا دقيقا ، وترميم بعض الاضرحة (7) . إلى جانب هذا إستطاعوا من خلال دراسة الأثاث المدفني والأشكال الهندسية للقبر ، التعرف على جانب هام من المعتقدات والشعائر الجنائزية السائدة في الفترة القديمة .

لم تتوقف الدراسات الاثرية بمجرد نهاية الوجود الفرنسي ، بل تواصلت طيلة العشريات الثلاثة بعد الإستقلال ، حيث شكلت سنوات السبعينات في الجزائر ، مرحلة حاسمة خطت فيها التنقيبات الاثرية في مجال المباني الجنائزية خطوات هامة . ففي خلال فترة وجيزة استطاعت المصالح الاثرية المحلية وبالتعاون مع بعثات اوربية مختصة (8) ، ان تدرس ميدانيا عدد هام من القبور والاضرحة مثل : ضريح ماسينيسا بالخروب ، ضريح عائلة صيفاقس بسيغا وضريح المدغاسن ، هذا الأخير إستفاد من اشغال هامة استهدفت ترميمه وصيانته .

لقد سمحت هذه الأعمال من كشف الأضواء عن بعض المسائل المتعلقة بالشعائر الدينية والعبادة الجنائزية ، والتعرف اكثر على الآصول الهندسبية و الفنون المعمارية الشائعة عند البربر القدامى بفضل إعادة تشكيل مرافقها الداخلية والخارجية ومباشرة آشغال الترميم والصيانة فيها .

الى جانب هذا مكن تنقيبها من العثور على بعض الشواهد المادية التي ساهمت بشكل جاد في محاولة تأريخها بالطرق العلمية الحديثة ، مثل ماهو الحال في المدغاسن ضريح الخروب واضرحة لجدار . هذا وتعتبرحفريات فاطمة قادرة في موقع لجدار مابين 1968 ــــ 1970 ، خطوة هامة في هذا المجال ، حيث كشفت الى الوجود لأول مرة عن ملحقات وبنايات ظلت مجهولة من قبل ، مكنت من التعرف على بعض مظاهر العبادة الجنائزية الممارسة في هذه المعالم (9) . يبدوان هذا النشاط الميداني ، وبسبب عوامل عديدة لم يُكتب له الإستمرار، فقد تميزت فترة الثمانيات وعشرية التسعينات بالركود في مجال التنقيب والبحث الاثري ، وهو ما انعكس نتائجه سلبا على البحث العلمي بصفة عامة .

لقد اثبتت التجربة في ميدان البحث في الأنصاب الجنائزية ، ان فقط الحفريات الدقيقة المنظمة هي وحدها الكفيلة بايجاد حلول لمسائل عدة لازالت عالقة حول آصولها ، تأريخها ومظاهر الحياة الدينية في المغرب القديم . ولن يتأتى في نظري ، معرفة هذا التراث القديم على العموم والجنائزي على الخصوص ، إلا برد الإعتبار الى البحث الأثري الجاد ، ومواصلة التنقيب بكل اجتهاد وحزم .

لقد شمل هذا البحث خمسة فصول رئيسية نعرضها على النحو الآتي : **في الفصل الأول** تناولت ال**مدافن البربرية البدائية** ، حيث تعرضت الى نشأتها

، وقدمت محاولة لتصنيفها ، ثم اشرت الى الصعوبات الحقيقية التي تقف حاجزا حقيقيا امام الباحث لتأريخها . الى جانب هذا ذكرت أهم أنواع هذه المدافن ، مع التركيز على بعض الجثوات والبازينات التي تعتبر نماذج أصلية للأضرحة البربرية المستديرة والهرمية ، وهي : ذات القاعدة الأسطوانية ، ذات المدرجات ، وذات القاعدة المربعة والتاج الهرمي المدرج وفي **الفصل الثاني** ، تعرضت الى ذكر **الممالك النوميدية والمورية القديمة** التي تأسست قبل الفترة الرومانية وخلال الإحتلالين الوندالي والبيزنطي ، لكونها شكلت الإطار الزماني والمكاني الذي شيدت فيه معظم الأضرحة ، كما ان اغلبها بني من أجل عائلات حاكمة . وفي هذا الصدد أشرت الى ثلاثة ممالك رئيسية حكمت خلال فترتين زمنيتين مختلفتين وهي :

ـــ مملكة نوميديا بقسميها : ماصيليا وماصيصيليا .

ـــ مملكة موريطانيا .

ـــ الممالك المورية المتأخرة في العهد الوندالي والبيزنطي .

• اما في **الفصل الثالث** ، فقد درست اهم **الأضرحة الملكية المستديرة والهرمية** : مثل ضريح المدغاسن الملكي ، الضريح الملكي الموريطاني واضرحة لجدار الملكية ، وهي التي استوحت شكلها الهندسي العام من البازينات القديمة ، حيث شملت هذه الدراسة العناصر التالية : موقعها ، أصل التسمية ، المصادر القديمة والحديثة التي أشارت اليها ، تاريخ الدراسات والحفريات التي شملتها ، الوصف الخارجي والداخلي ، اعادة تشكيلها ، أعمال الترميم ، تأريخها .

• وخصصت **الفصل الرابع للأضرحة الملكية البرجية** ، بإعتبارها معالم مستوردة استمدت أصولها الهندسية من الفن المعماري الإغريقي ـــ **الفنيقي** و المصري ، و قسمتها الى نوعين : الأول ذو تصميم مربع ، **يعلوه ثلاثة**

طوابق ، وينتهي بهرم ، يمثله ضريح ماسينيسا بالخروب وضريح دوقة بتونس، والثاني ذو قاعدة مسدسة الزوايا مع جوانب منحنية ومستقيمة ، يمثله كل من : ضريح صبراتة بليبيا ، ضريح هونشير بورغو بتونس وضريح عائلة صيفاقس الملكية بسيغا . وقد اقتصرت على ذكر نموذجين فقط من هذين النوعين ، هما : ضريحي الخروب وسيغا ، ثم قارنتهما بالمعالم الأخرى المشابهة لهما . و شملت هذه الدراسة العناصر الآتية : الموقع وأهميته ، الدراسات والحفريات السابقة ، الوصف الداخلي والخارجي ، الأثاث الجنائزي ، اعادة تشكيلها وتأريخها .

- أما في **الفصل الخامس** ، فقد تطرقت **لأهم المعتقدات والشعائر الدينية والعبادة الجنائزية السائدة عند البربر القدامى** ؛ وبعد ان قدمت لمحة عن المعتقدات الدينية ، أشرت اولا الى اهم الشعائر الجنائزية القديمة الممارسة ، لكونها تشكل الأصول الحقيقية لمعظم العادات والطقوس التي مورست في الأضرحة البربرية الكبرى ، وثانيا الى مظاهر العبادة الجانئزية التي تطورت بشكل ملموس في العهود التاريخية لاسيما في الأضرحة ، نتيجة ظهور مخططات داخلية وملحقات خارجية مناسبة .

في الحقيقة تقتضي طبيعة الموضوع ، ان تشمل هذه الدراسة كل المدافن القديمة سواء المشيدة في فجر التاريخ اوفي الحقبة التاريخية ، وهذا لإرتباط الفترتين ارتباطا وثيقا سواء من حيث اشكالها الهندسية ، او الشعائر والمعتقدات الدينية ، غير ان غزارة وتشعب عناصر البحث ، وطول هذه الفترة ، تلزمني ان اركز على اهم انواع هذه المدافن والشعائر الجنائزية المرافقة لها .

يبدو متعذرا على بحث كهذا ، ان يستوفي كل مراحل هذه الفترة بالتفصيل ، ولهذا آثرت ان اعرض العناصر الأساسية التي من شأنها ان تعينني

مستقبلا على متابعة الموضوع بعمق وشمول ، اعتمادا إن أمكن ذلك على حفريات منظمة .

من واجبي ان أشير كذلك ، ان هذه الدراسة ليست أثرية بأتم معنى الكلمة ، ذلك لأنها تفتقر الى مواصفات البحث الآثري الكامل ، الذي يعتمد بالدرجة الأولى على حفريات منظمة في المواقع الأثرية ؛ ولما كان هذا متعذرا بسبب الظروف الصعبة التي تعيشها البلاد ، اُلزمت على الإكتفاء بزيارة الأضرحة الهامة فقط ووصفها من الخارج . لكني آثرت لسد هذه الثغرة ، الإعتماد على تقارير مختلف الحفريات ، واعمال الترميم والإخلاء المنجزة من طرف الجهات التالية :

◊ الباحثون الفرنسيون ، مابين منتصف القرن 19 ، ومطلع الستينات من القرن 20 .

◊ البعثة الألمانية في نهاية السبعينات بالتعاون مع آثريين جزائريين .

◊ البعثة الإيطالية بالتعاون مع مصالح حماية الآثار بالجزائر في مطلع السبعينات .

◊ الباحثون الجزائريون وفي مقدمتهم الآنسة فاطمة قادرة ومنير بوشناقي .

◊ نشاط الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية .

يجدر بي ان اشير هنا ، الى الصعوبات التي اعترضت سبيلي لأنجاز هذا البحث ، وفي مقدمتها الوضع الأمني ؛ تقريبا جل الأضرحة التي زرتها وهي : **المدغاسن بباتنة** ، **قبر الرومية بتيبازة** ، **لجدار بتيارت**، **صومعة الخروب بقسنطينة** ، **وضريح سيغا ببني صاف** ، خلال شهري ديسمبر وجانفي من سنتي 1997 ـــــ 1998 ، تقع في مناطق جبلية مرتفعة خطيرة وبعيدة عن المراكز السكانية ، وكان يتطلب الوصول اليها في كل مرة المخاطرة وتجنيد أفراد من قوات الأمن المحلية لإنجاز مهمتي بنجاح ، والمتمثلة في : التصوير و الملاحظة والوصف .

لقد لاحظت من خلال هذه الزيارة ، ان هذه المعالم الأثرية اصبحت تعيش اليوم حالة عزلة تامة ، حيث انقطع عنها السياح من الداخل ومن الخارج ، وهجرها حتى السكان المجاورين الذين آثروا الإقامة في مناطق اكثر امنا . فإذا كان بعضها لازال يصارع قساوة الطبيعة ، فالبعص الآخر لحقه الضرر بشكل كبير لاسيما في لجدار وسيغا . الى جانب هذا وجدت تقريبا كل المداخل الرئيسية لهذه الأضرحة مغلقة ، فالضريح الموريطاني و المدغاسن ،سُدت مداخلهما من قبل المصالح المعنية ، تفاديا لنهب الأول وحرصا على سلامة المواطنين من سقوط الرواق الداخلي في الثاني ، اما مداخل الأضرحة الأخرى ، فبعضها انسد بسبب الإنهيارات الطبيعية والبعض الآخر بفعل تهديم الإنسان . وفي كل الحالات حال ذلك دون الولوج الى الداخل ، مما اضطرني الى وصف وتصوير فقط الشكل الخارجي ، بينما اعتمدت في وصف اجزائها الداخلية على مالاحظه الباحثون السابقون . كما انبه من جهة اخرى ، انه تعذر علي زيارة اضرحة لجدار الواقعة بجبل العروي ، نظرا لخطورة المكان حسب تصريحات رئيس فرقة الدرك الوطني ورئيس البلدية بمدينة مدغوسة ، وكان نتيجة ذلك ان اظطررت لدراسة هذه المجموعة ، الى الإعتماد بشكل كبير على دراسات الباحثين السابقين الذبن زاروها ، وبالمقابل اقتصرت فقط على زيارة لجدار جبل لخضر القريبة .

أرجو ان ان يساهم هذا البحث المتواضع ، في رد الإعتبار لتاريخ المغرب القديم في مختلف جوانبه ، وان تتاح لي الفرصة مستقبلا لدراسة المدافن المحلية القديمة ومظاهر الحياة الدينية عند البربر القدامى بتفصيل وعمق .

سيدي بعباس يوم 2001/11/24

هوامش المقدمة

(1) انظر : Gsell,(St). **Monuments antiques de l'Algérie**. t. I, Fontemoing, Paris, 1901, p. 5 ; Camps, G. **Aux origines de la Bèrbèrie rites et monuments funéraires protohistorique de l'Afrique du Nord**, Arts et metiers graphiques, Paris, 1961, p. 66 ; Kadra,F. **Les Djedars, monuments funéraires Berbères de la région de Frenda**, O. P. U., 1983, p. 13 .

(2) Gsell, St. op. cit. p. 55 .

(3) البكري (أبو عبيد) (1040 ـــ 1094) : مؤرخ وجغرافي أندلسي . له " معجم ما أستعجم " و " المالك والمسالك " ، وقد ورد في مؤلفه الأخير نص عن قبر المدغاسن .

(4) نصوص عن لجدار ومادغيس ، الجد الاسطوري لمجموعة البتر ، ابن خلدون ، **كتاب العبر**... المجلد ، 4 و 6 ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1968 ، ص. 93-94 و 237 .

(5) احد ظباط جيش شارل الخامس ، زار شمال افريقيا بعد ان اسره الاتراك سنة 1541 بتونس لمدة ثماني سنوات ، والف كتاب تحت عنوان " **وصف عام**

لأفريقيا " ، نشره سنة 1573 بغرناطة و 1579 بملقا ، ورد فيه مقالا عن الضريح الموريطاني .

(6) كان خبيرا في الآلهيات ، شغل منذ سنة 1738 منصبا دينيا مدة 12 سنة بالبعثة الانجليزية بالجزائر ، كتب مقالتان عن ضريح المدغاسن و الضريح الموريطاني :

Dr. Shaw, **Voyage en Barbarie et au levant** . Trad. Franc. La Haye , T. I, 1743, p. 56.

Id, **Voyages ou observations relatives à plusieurs parties de la barbarie et du levant** . la Haye, 1734, p. 136.

(7) كقبر الرومية ، الخروب ، دوقة و المدغاسن .

(8) أمثـــال ســـارج لانســـال (serge lancel) و كـــامبـــس وغيرهم ، البعثة الإيطالية 1972، البعثـــة الألمـــانيـــة سنـــة 1977 .

(9) Kadra. F. k. **Les Djeddars , Monuments Funeraires de la region de Frenda** , O.P.U., Alger, 1983.

الفصل الأول

﴿ المدافن البربرية البدائية ﴾

I ــــ نشأة المدافن .

II ــــ تصنيفها .

III ــــ صعوبة تأريخها .

IV ــــ أنواعها :

1 ــــ المدافن البدائية .

أ) ــــ المغارات الطبيعية والمهيئة Grottes .

ب) ــــ الحوانت .

2 ــــ مدافن الفترة المبكرة .

أ) ــــ الجثوة الجنائزية Tumulus :

✧ الجثوة العادية Tumulus en pières sèches.

✫ البازينــــــــة Bazina .

• المصــــاطــــب Dolmens

ج) ــــ الدوائر الحجرية Cromlechs .

د) ــــ القبور القلاعية (الشوشات) .

V ــــ خلاصــــة .

﴿ المـدافـن البربرية البدائية ﴾

I ــــ نشأة المدافن :

كان الإنسان البربري البدائي على غرار الشعوب الأخرى ، يسكن الأكواخ والخيام المتنقلة (1) في الهواء الطلق ، حيث فرضت عليه العوامل البيئية القاسية ان يعيش خلال العصور الحجرية الأولى ، حياة تعتمد اساسا علي الجمع والقنص و الترحال . وكان يلجأ عند الشدة الي المغارات الطبيعية والملاجئ تحت الصخور ، التي استخدمها الي جانب الإيواء كمراكز لدفن امواته من اسرته او بني عشيرته . وفي هذا الصدد اكتشف الأثريون الكثير من المغارات البدائية ، اين عُثر بداخلها على بقايا عظمية آدمية ، ممزوجة بأدوات ، حلي ، اسلحة ، و اواني استعملها الإنسان في حياته اليومية (2) .

استطاع النيوليتي (العصر الحجري الحديث) ان يحقق تحولا جذريا في نمط حياة الإنسان البربري ، فعقب اكتشافه الزراعة واستأناسه للحيوانات ، والتأقلم مع حياة الأستقرار ، اهتدي ايضا الي ضرورة تخصيص اماكن معينة مستقلة ، خارج مسكنه لموارات امواته ، فشكل بذلك اللبنة الأولي لظهور المقبرة .

لقد اولي البربر القدامى عناية فائقة بدفن الميت ، مردها دون شك الي شدة إهتمامهم بظاهرة الموت و ايمانهم القوى بمعتقداتهم الدينية ، كما قد يكون خوفهم من ان يعبث الإنسان و الحيوان ونوائب الدهر بقبر ميتهم ،

دفعهم الي وضع ركام من الحجر على شكل تلال او صفائح ضخمة ، فوق حفرة الميت ، التي وضعت بداخلها جثة الميت او رفاته المحروقة .

لقد تنوعت مدافن البربر على مر العصور ، فمنها ما هو اصيل المنشأ ومنها ما خضعت الي مؤثرات خارجية ، نتيجة الإنفتاح على حضارات الأمم المعاصرة ، كالإغريق والمصريين و الفنيقيين .

فبعد خروجهم من المغارات الطبيعية والمهيأة ، شرع البربر منذ نهاية النيوليتي في تشييد اولي القبور على المنحدارات والهضاب الصخرية ، وهي الحوانت ، وفي المراحل اللاحقة عرفوا انواع اخرى من المدافن ، اتخذت عدة اشكال : مخروطي ، اسطواني ، مربع ، هرمي وبرجي ؛ ولشدة تنوعها اطلق عليها الباحثين عدة اصطلاحات ، نذكر منها : جثوة TUMULUS او تلة جنائزية ، شوشات CHOUCHET ، دوائر حجرية CROMLECHS ، مصاطب DOLMENS ، بازينات BAZINAS .

يجدر بنا ان نشير الى ان معظم هذه المدافن ، ظل مستعملا طوال الفترة التاريخية ، ولم تختف الا بإعتناق المور والنوميد للمسيحية ثم الإسلام في مطلع القرون الوسطى . لقد كان دخول الإسلام الى بلاد البربر منذ منتصف القرن 7 م ، اثره البالغ على عقيدة السكان الوثنية ، فلم يكتفو بالتخلي عن تشييد مثل هذه المدافن فحسب ، بل سعوا الى استبدالها بقبور المسلمين التي ظلت تستعمل الى يومنا هذا ، وتبنى شعا ئرهم الدينية ايضا .

ان استقرار الإسلام الابدي في هذه البلاد والتحول الجذري الذي طرأ على معتقدات الآهالي ، جعل هؤلاء ينسون تدريجبا اصول وبناة المعالم الجنائزية القديمة . ويعزز هذا الرأي ما أشارت اليه المصادر الفرنسية في القرن 19م ، ان

سكان شمال افريقيا كانوا غالبا ما ينسبون هذه المباني الى عناصر وثنية وروحية مثل : الجهلاء ، الجن ، بني سفاو (3) ، وكانوا يرددون ايضا في

شأنها اساطير وخرافات لازالت متداولة الى يومنا هذا ، وتدور معظمها حول مسألة الكنوز المدفونة والكائنات الأسطورية المزعومة .

على كل لم تبق مدافن الفترة المبكرة على ما كانت عليه سابقا ، حيث طرأت عليها عدة تغيرات ، ستبرز بشكل جلي خلال العصور التاريخية ، حيث تجسدت في عدة مظاهر، كإستخدام الحجارة المنحوتة وتطوير تقنيات البناء ، ضخامة حجمها وإ ستعمال الزخارف الهندسية المتنوعة .

II ــــ تصنيفها :

إضافة الى التصنيفات التي وضعها بعض الباحثين الفرنسيين يمكننا ان نقترح تصنيفا آخر لهذه المدافن يأخد بعين الإعتبار شكلها الهندسي العام ومبدأ التشابه :

1. **المدافن الباكرة** : وهي التي شيدت خلال العصر الحجرى القديم و الحديث ، وتشمل المغارات الطبيعية والمهيئة والملاجئ تحت الصخور (الصورة رقم 1 و2) ، وهي انواع بدائية كانت تؤدى وظيفة مزدوجة تمثلت في الإيواء والدفن معا . وفيما بعد ظهرت الحوانت كشكل متطور عن المغارات المهيأة ، غير انها تتميز عنها من حيث توجيهها لدفن الأموات فقط (الصورة 3و4) .
2. **مدافن فجر التاريخ** : وهي التي شيدت في فترة مبكرة يسميها بعض الباحثين بمرحلة فجر التاريخ ، لكنها ظلت تستعمل طوال الفترة التاريخية ، مع حدوث بعض التغيرات على شكلها الخارجي والداخلي ، وتشمل كل من الجثوة ، البازينة ، المصاطب ، الشوشات ، والدوائر الحجرية . تكمن اهمية هذه المجموعة في ان بعضها ، لاسيما البازينات شكل النموذج الأصلي للأضرحة الأسطوانية ـــ المخروطية ، كالمدغاسن ، الضريح الموريطاني ، والأضرحة ذات التصميم المربع والتاج الهرمي المدرج ، كالجدار .

3. **مدافن العصر التاريخي القديم والمتأخر** : بالإضافة الى المدافن المبكرة التي ظلت تستعمل خلال المرحلة التاريخية ، هناك الأضرحة الكبرى ؛ ويمكن تقسيمها الى نوعين رئيسين احدهما محلي والآخر مستورد ، وهما :

- **الأضرحة الملكية المستديرة والهرمية** (4) ، وتشمل : ضريح المدغاسن ، الضريح الملكي الموريطاني ، اضرحة لجدار، ضريح بلاد قيطون ، وضريح تين هينان بآباليسة (جنوب الصحراء) و ضريح سوق الغور بالمغرب الأقصى.
- **الأضرحة الملكية البرجية** : وهي التي استوحت اشكالها الهندسية وتصميمها ، من نماذج مستوردة معروفة في الشرق ، لاسيما عند الفنيقيين والمصريين والإغريق ، اهمها اضرحة : الخروب و سيغا بالجزائر ، هونشيربورغو و دوقة ومكثر بتونس ، صبراتة بليبيا .

الجدول رقم (1) :

انواع المدافن البربرية القديمة

الفترة	المدافن	الأنواع التي شكلت نماذج للأضرحة
المرحلة البدائية	ـــ المغارات الطبيعية والمهيئة. ـــ الملاجئ تحت الصخور . ـــ الحوانت .	
الفترة المبكرة	ـــ الجثوة العادية . ـــ البازينة . ـــ المصاطب . ـــ الدوائر الحجرية . ـــ الشوشات .	ـــ الجثوات ذات الحفرة . ـــ الجثوات ذات المحاريب . ـــ الجثوة ذات المطاف . ـــ البازينة ذات قاعدة اسطوانية وجذع مخروطي . ـــ بازينة ذات مدرجات . ـــ بازينة ذات قاعدة مربعة وتاج مدرج . ـــ بازينة ذات غرف متعددة . ـــ بازينة أو جثوة ذات قاعدة مربعة وتاج هرمي مدرج .
	ـــ **الأضرحة المستديرة والهرمية** ـ المدغاسن ـ قبر الرومية	

العصر التارخي القديم والمتأخر	ـ لجدار ـ سوق الغور ـ بلاد قيطون ـ قبر تين هينان ــ **الأضرحة البرجية :** ـ صومعة الخروب ـ دوقة ـ مكثر ـ ضريح سيغا ـ هونشير بورغو ـ صبراتة (A- B) .	

III ــــ صعوبة تأريخها :

على الرغم من الأشواط الهامة التي قطعها ميدان الأثار في بلدان المغرب ، الا ان صعوبات جمة لازالت تعترض الباحث في مجال المدافن القديمة ، وفي مقدمتها صعوبة تأريخها ، و يمكن ان نرجع اسباب ذلك الى عدة عوامل ، منها :

- ان العديد من المدافن القديمة كانت محل انتهاك من طرف الإنسان منذ زمن بعيد ، مما جعلها عرضة لنهب الحيوانات الضارية و نكبات الدهر .
- ان قسما هاما منها تم فتحه عدة مرات لموارات اموات جدد ، مما ادى الى تعدد طبقات الدفن ، وبالتالي صعوبة التمييز بين القديمة منها و المتأخرة .
- فقرها من حيث الأثاث المدفني .
- ان فخار البربر القدامى ، قلما يتغير شكله (5) ، هذا الي جانب فظاظته و بساطته ، مما يصعب على الباحث تحديد زمن صناعته .

- ان تشبث البربري منذ القدم بعاداته و تقاليده المرتبطة ببناء القبور و الطقوس الجنائزية ، جعلته يتدرج ببطء في تطوير مدافنه ، وهو ما صعب ايضا على الباحث في التميز بين اشكالها المبكرة و المتاخرة .

هذه العوامل جعلت بعض الباحثين الفرنسيين ، يخلصون الى استنتاجات اولية ، مفادها ان جل القبور التي تم دراستها حتى مطلع القرن 20 ، لا يتجاوز عمرها القرن الثالث ق.م (6) ، وعلى هذا الأساس ينبغي مواصلة البحث والتنقيب لإثبات قدمها ، حيث يتفق اغلب المؤرخين انها تعود الى فترات ابعد بكثير من ذلك .

وامام هذه الصعوبات اصبحت دراسة المدافن تعتمد غالبا على افتراضات و تواريخ تقريبية ، فإلى جانب طريقة التحليل بالكربون 14 المشع ، عادة ما يلجأ الباحثون كمحاولة لتأريخها ، الى استخدام طرق اخرى كالوصف والمقارنة ، التي تشمل بالإضافة الى اشكال القبور وعناصرها الهندسية ، الأثاث المدفني و الطقوس الجنائزية ايضا . وحتى الأضرحة الكبرى لم تسلم هي الأخرى من انعدام عناصر التأريخ ، فقد ادى تضررها وفقر معظمها من حيث الأثاث الجنائزي و الرسوم الجدارية والنقوش ، الى لجوء اغلب الباحثين الى سبيل الملاحظة والمقارنة ، حيث شملت هذه الطريقة على الخصوص ، الأشكال الهندسية المحلية ، والعناصر الزخرفية المستوردة .

IV ـــ انواعـــــها :

1 ـــ المدافن الباكرة :

أ) ـــ المغارات الطبيعية والمهيأة :

توجد بكثرة في الجزائر ، بنواحي وهران ، سعيدة ، بلاد القبائل ، وقرب تبسة ، اهمها تلك التي اكتشفها الأثريون (7) منذ مطلع القرن 20م ، وهي مغارة الصخرة الكبيرة شمال العاصمة ، مغارة اصحاب الكهوف قرب وهران ، ومغارات

سيلا بجوار عين مليلة . اذا كان بعضها طبيعي ، فالبعض الآخر قد نُحت في الصخور بيد الإنسان ، ومن خصائصها العمق والطول وسعة المساحة (8) . غالبا ما يُعثر بداخلها على عظام بشرية او رمادها ، تكون ممزوجة عادة بالقطع الفخارية ، اواني ، أسلحة ، حلي وادوات الزينة . كما وُجدت الى جانب هذا عظام انواع عديدة من الحيوانات (9) ، التي كان يصطادها الإنسان البدائي .

من ابرز شعائر الدفن المستعملة في هذه المدافن ، نجد تجريد الجثة من اللحم Décharnement (10) استعمال المغرة الحمراء ، و حرق الميت Incinération (11)

.ب) ـــ الحوانت :

جمع حانوت ـــ دكان ـــ ، هي كلمة عربية اطلقها الأهالي على لقبور المحفورة في الصخور الذي يشبه شكلها الخارجي الدكاكين . أستعملت لأول مرة كمصطلح اثري سنة 1864 من طرف بربروجير (12) ، ثم عمم استعمالها فيما بعد . هي عبارة عن قبور تُنحت في الصخور ، نصادفها في غالب الأحيان في المنحدرات الصخرية و النتوءات الحثية و الكلسية

(صورة 3 و 4) ، فتحاتها العمودية عادة ما تكون مربعة وضيقة ، تتعدى في اقصى طولها المتر الواحد وعلوها نادراً ما يتجاوز 0.80م ، اما عرضها فيتراوح مابين 0.50م و 0.70م (13) ، وتغلق بواسطة بلاطات تنزلق في حزات محفورة على جانبي اطار الباب . احيانا تكون الحوانت منحوتة في صخور معزولة ، لكن في الغالب نجدها مجتمعة على شكل صفوف و بأعداد كبيرة .

تنتشر الحوانت بشكل واسع النطاق في الشرق الجزائرى والتل التونسي ، على شكل قبور هامة في مناطق : رأس الطيب ، موغادوس ، وكروميرى بتونس ، وفي عين البيضاء ، تبسة وقسنطينة (14) ، بينما تندر في الغرب الجزائرى لتقتصر على بعض المقابر المحفورة في التلال الكلسية بمنطقتي وادي رهيو و جديوية (15) ، اما في الصحراء فلا يوجد اي اثر لها .

تبدو عملية تأريخ هذه القبور مهمة صعبة للغاية ، نظراً لندرة الأثاث الجنائزي و البقايا العظمية ، فجل الحوانت المكتشفة وجدت بدون ابواب ، لاشك انها ذهبت ضحية الإنتهاك و التخريب او ربما زالت بسبب عمليات الدفن المتتالية (16) . ويعتقد بعض الباحثين (17) في الأصل الفنيقي لهذه القبور ، و يحتج على ذلك بالتشابه الموجود بينها وبين القبور الفنيقية ، وتركزها في المناطق التي خضعت طويلا للهيمنة الفنيقية ـــ القرطاجية . بينما يعارض آخرون (18) هذه الفرضية ، ويؤكدون وجود فوارق كبيرة بينهما ، فالقبور الفنيقية مدافن ارضية عميقة ، فتحاتها تشبه فوهة البئر ، اماالحوانت البربرية فقد حفرت في الصخور وتتميز بفتحة ضيقة عمودية تشبه الباب (19) .

2 ـــ مدافن فجر التاريخ :

أ) ـــ الجثوة الجنائزية Tumulus :

هي عبارة عن ركام او كومة من الأحجار على شكل مخروط مبتور ، تغطي غرفة الميت ، وتأخذ قاعدتها احيانا اشكالا اهليليجية ومربعة ، لكن في الغالب نجدها دائرية . علوها يختلف من جثوة لأخرى ، اما قطرها فيتراوح متوسطه مابين 5 و6 امتار (20) واحيانا يصل حتى 20م ، كما تحاط في اغلب الأوقات بسياج من الأحجار او البلاطات ، تسند الرجم و تقيه من الإنهيار .

هناك نوعان رئسيان من الجثوة هما : **العادية والمتطورة** ، وتسمى هذه الأخيرة ايضا **البازينة** .

❖ **الجثوة العادية :**

تطلق هذه التسمية عادة ، على القبور المبنية بحجارة فضة ، مكدسة فوق بعضها البعض دون ملاط ، ويعد هذا النوع اولى الأشكال المبكرة التي ستعرف فيما بعد تحورات هامة . من مميزات الجثوات انها تنتشر عبر كامل المغرب ، ففي الجزائر تمتد على نطاق واسع في : القطا ع الوهراني ، الوسط ، جبال الحضنة ، جنوب الأطلس الصحراوي ووسط الصحراء . وتضم حسب كامبس وغزال ستة انواع (21)، بعضها موجه للدفن الجماعي المتتالي ، والبعض الآخر للدفن الوحيد سواء فردي او جماعي .

من ابرز خصائص الجثوات العادية ، انها شيدت في زمن مبكر وتعد النموذج الأصلي للجثوات الأخرى المتطورة ، ويشهد على هذا تقنيات بنائها البدائية ، كثرة عددها وانتشارها الواسع في شمال افريقيا . الى جانب هذا

عرفت تطورا تدريجيا شمل اولا : تهيئة القبر ، فمن وضع الركام الحجري فوق الجثة الى بناء الصندوق الجنائزي فوق التراب ، ثم حفر غرفة الميت تحت سطح الأرض. وثانيا : طرق الدفن ، فبعدما اقتصرت الأنواع الأولى على الدفن الوحيد فردي او جماعي ، برزت الى الوجود أصناف أخرى من الجثوات ، هيئت للدفن الجماعي المتتالي .

ب) الجثوة المتطورة او البازينة Bazinas :

بازينة Bazina ، كلمة اصلها امازيغي ، وتعني قبور الجهلاء او الوثنيين ، استعملت بكثرة في الشرق الجزائري وتونس ، وكان يطلقها الأهالي على القبور التلية السابقة للعهد الإسلامي (22) . اندرجت هذه التسمية فيما بعد كمصطلح أثري ، وأطلقها لأول مرة فيرود L.Feraud (23) على التلال الجنائزية الترابية لسهل مسكيانة ، ثم استعملها لوتورنو سنة 1867 وبعده بورغينة Bourguinat سنة 1868 (24) ، وكان يقصد بها التلال الجنائزية ذات الد رجات .

اذا كان قزال وغيره لم يميزو بين الجثوة العادية والبازينة ، فإن بعض الباحثين وفي مقدمتهم بلاري (25) وكامبس ، قد حددوا بوضوح مفهوم هذا المصطلح ، واصبح بالتالي يطلق على كل الجثوات التي تحمل كساء خارجي ، ذو اشكال هندسية متنوعة ومبني بإحكام . فالبازينة اذن لاتتميز عن الجثوة العادية ، الا بمظهرها الخارجي المتطور .

على غرار الجثوات العادية ، تنتشر البازينات على نطاق واسع ببلاد البربر، وتتركز بشكل ملحوظ في الشرق الجزائري والمغرب الأقصى اهمها (أنظر خريط رقم 01)

1. **بازينة اسطوانية ذات درجات** : هي الأكثر انتشارا في بلاد المغرب ، غالبا ما تتكون من درجتين او ثلاثة ، ومجهزة بمدخل يقع على مستوى المدرجات ، اشهرها تلك المتواجدة في مقبرة بونوارة و جبل مستيري في الجزائر ، الغور في المغرب الأقصى ، وبرج فج فدي شمال تونس . (أنظر الصورة رقم 07)

2. **بازينة ذات قاعدة مربعة او مستطيلة وتاج مدرج اوهرمي مدرج** : اهمها بازينات فزان بليبيا ، قرسيف ، تيطوان وتافيلالت بالمغرب الأقصى .

بازينات ذات قاعدة اسطوانية مرتفعة وجذع مخروطي : توجد بكثرة في الشرق الجزائري ، في تبسة ، وفي الأطلس الصحراوي والمناطق السهبية في كل من : عين الصفراء ، اولاد جلال ، وواد تامدة .(أنظر الصورة رقم 05 و06)

تكمن اهمية البازينات ، في كونها تعد اشكال متطورة عن الجثوة العادية ، كما تعتبر من جهة اخرى النموذج الأصلي الذي تفرعت منه نماذج اخرى ، اتخذت مقاييس ضخمة و اشكال هندسية متنوعة ، تمثلت في الأضرحة الكبرى . لقد استوحت هذه الأخيرة قاعدتها الأسطوانية اوالمربعة ، ومخروطها او تاجها الهرمي المدرجين ، من الأنواع الثلاثة السالفة الذكر .

ج) ــــ المصاطب الحجرية Dolmens :

الدلمن كلمة بروتانية (26) ، ظهرت سنة 1805 وتعني طاولة حجرية (27) . وردت هذه التسمية كمصطلح آثري في المغرب ، على يد الفرنسي د. روبو (28) الذي استعملها لأول مرة للدلالة على قبور الجلفة ، ثم صارت شائعة الإستعمال من طرف الباحثين الفرنسيين ابتداء من منتصف القرن 19م

تتشكل المصاطب عادة من قسمين رئيسين هما : الغرفة الجنائزية والسور الدائري ؛ اما الغرفة فتتشكل في غالب الأحيان من خمس صفائح حجرية ، اربعة منها منصوبة فوق سطح الأرض تكون الجدران ، وواحدة على شكل طاولة تستعمل كغطاء أفقي (أنظر الصورة رقم 08 و 09) . و احيانا تكون صفائح هذه الجدران موضوعة عموديا ، واحيانا أخرى عبارة عن صفوف من الحجر المنحوت ، او الحجر الفظ او قليل التقصيب (29) . و في بعض الحالات تكون احدى الجدران الواقعة في الشرق ، مهيئة بشكل يجعل الحجارة او البلاطة سهلة الفتح عند موارات اموات جدد ، بحيث يكفي فقط تحويلها الى إحدى الجهات دون ان يشكل ذلك خطرا على النصب (30) .

يغلب على الغرف الشكل المستطيل ، اما المقاييس فتختلف من جهة لأخرى ، فطولها يتروح عادة مابين 1,20م و 1,50م ، وعرضها مابين 0,80 م و 1م ، اما علوها فيتراوح مابين 0,80 الي 1,20م (31) . اما عن سورالمصطبة ، فهو عبارة عن سياج يحيط بالغرفة غالبا ما يكون دائري ، لكن احيانا يتخذ اشكالا اخرى ، بحيث يكون مربع مشكل من صف واحد من الأحجار ، اوعلى شكل حائط ذو درجات يبلغ مستوى ارتفاع الحجرة ، و هنا يملأ الفضاء الموجود بينهما بالحصى و الأتربة ثم يغطى بطبقة مبلطة تمتد حول الطاولة (32) .

تتوزع مصاطب بلاد البربر بشكل غير منتظم ، فهي تتركز على شكل مقابر هامة في نطاق جغرافي واسع ، يشمل كل من الشرق الجزائري والغرب التونسي . ففي الجزائر تنتشر في نواحي كل من قسنطينة ، خنشلة ، قالمة ، تبسة ، سوق اهراس وعين مليلة ، كما توجد ايضا في المناطق الساحلية الشرقية في كل من : القل ، بجاية وآيت روانة ببلاد القبائل ، بينما تقل في

الوسط، حيث تقتصر على مقبرة بني مسوس او باينام قرب الجزائر العاصمة (33) ، ثم تختفي كلما اتجهنا غربا ، لتظهر في نقاط منعزلة في كل من : مشرع الصفا ، الجلفة وسعيدة ، اما في الجنوب فهي نادرة جدا ، اذ لاتتجاوز سلسلة الأطلس الصحراوي ، اين يشار اليها في جنوب النمامشة (34) .

اشهر مقابر المصاطب ، توجد في مناطق عين الباي ، رأس العين بومرزوق ، ركنية ، بونوارة سيقوس ، عين البيضاء وسيلا ، اما في تونس فأهمها مقابر مكثر ودوقة .

د) ـــ الدوائر الحجرية Cromleches :

هي عبارة عن قبور محاطة بسياج دائري من الأحجار ، وتأخذ احيانا اشكالا مستطيلة واهليليجية (35). تتشكل الدائرة من مجموعة من الأحجار الفظة او قليلة التربيع ، توضع احيانا فوق سطح الأرض واحيانا اخرى تغرس عموديا في التراب. تختلف الدوائر عن الكروملاش الأوربية من حيث ، صغر حجمها وضيق مساحتها وفي اغلب الحالات نجدها تحيط بالجثوة او المصطبة (36) .

قد نجد في بعض الأحيان دوائر خالية من القبور ، لعلها استخدمت لأغراض دينية ، ربما كمذابح لحرق الأموات او كمكان لعرض جثة الميت قبل دفنها (37) . الى جانب الدوائر العادية ، هناك الدائرة ذات المركز المشترك ؛ و تتشكل من اثنان او ثلاثة دوائر تدور حول مركز واحد (38) ، اما الغرفة المركزية فهي عبارة عن حفرة عميقة نوعا ما ، تقع في مركز الدائرة توضع فيها جثة الميت او رمادها ثم تغطى بعدة بلاطات .

تنتشر الدوائر بكثرة في الهضاب العليا للجزائر الوسطى (39) ، شمال الحضنة ، في الأوراس ، كما توجد ايضا في كل من : بلاد القبائل ، سطيف ، قرب قسطينة وفي القطاع الوهراني لاسيما في الشلالة و ما بين معسكر وسعيدة (40) .

هـ) ـــ القبور القلاعية (الشوشات) :

غالبا ما تسمى بالشوشات (41) ، لأنها تشبه الطاقية او الشاشية التي يضعها الأهالي فوق رؤسهم . هي عبارة عن قبور دائرية تشبه الأبراج او القلاع ، يبلغ علوها مابين 2 الى 3 امتار وقطرها يتراوح مابين 3 و5 امتار (42) . يتشكل سورها الخارجي من عدة مداميك ، مبنية بالحجر المنحوت و مرصوفة بإحكام . و في العمق توجد الغرفة الجنائزية ، مساحتها ضيقة وغالبا ما توضع فيها الجثة في وضعية منطوية (43) ، اما الفضاء الموجود بين الغرفة والسور ، فيملأ من جميع الجوانب بركام من الحصى والتراب ثم يعلو القبر بلاطة بارزة تستعمل كغطاء افقي . اذا كانت اغلبية الشوشات تشمل بداخلها غرفة واحدة ، فهناك انواع اخرى تضم عدة غرف موجهة للدفن الجماعي .

لقد كشفت التنقيبات الأثرية التي اجريت على قسم هام منها ،عن وجود ممارسات دينية متعددة كوضعية الميت المنطوية و المنكمشة ، تجريد العظام من اللحم وخلط الرفات بعضها البعض ، والأهم من هذا هو مظاهر الإعتقاد في الخلود والحياة الأخرى بعد الموت (44) .

غالبا ما نصادف هذه القبور مجتمعة على شكل مقابر هامة ، حيث تتركز بكثرة في الشرق الجزائري ، وبالخصوص في شمال الحضنة ومرتفعات الأوراس ، كما توجد في وسط الصحراء ايضا (45) .

V ـــ خلاصة :

على غرار الحضارات الأخرى ، احدث العصر الحجري الحديث في بلاد البربر ، تحولا جذريا مس ميادين الحياة كلها ، فقد تجسدت مظاهر هذا التغيير اساسا في ، تطوير الصناعة العظمية والفخارية ، اكتشاف الزراعة و استئناس الحيوانات وإقامة المجتمعات المستقرة . ومما لاشك فيه ان آثار هذا التحول انعكست بشكل ملموس على الحياة الدينية في الفترة المبكرة ، فبعدما كان الإنسان البربري يدفن موتاه داخل مسكنه البدائي كالمغارات ، اهتدى الى إقامة مقابر في اماكن

خصصها لهذا الغرض ، فظهرت بذلك النواة الأولى للمقبرة وهي الحوانت . يبدو ان شكلها المربع ووجودها في المنحدارات الصخرية ، جاء استجابة لرغبته في ان تكون مقابره على شاكلة مساكنه البدائية .

لقد تعرف البربر في فترات لاحقة ، على نوع آخر من المدافن وهو الجثوة العادية ؛ هذه الأخيرة شكلت نماذج اصلية لمدافن اخرى اكثر تطورا ، كالبازينات ، المصاطب و الأضرحة الكبرى . كما تعتبر الجثوة العادية اولى المدافن الدائرية واكثرها انتشارا في بلاد المغرب ، حيث لم يقتصر وجودها على المناطق التلية فحسب ، بل اتسع نطاقها حتى الصحراء ، كما ظلت تستعمل طوال الفترة التاريخية القديمة . الى جانب هذا تفرع عن الجثوة نوع اصطلح الباحثون على تسميته بالبازينة ، وهي شكل متطور يختلف عن النموذج الأصلي من حيث التقصيب الخارجي والمخروط المدرج . اتسع نطاق البازينة في بلاد المغرب شأنها في ذلك شأن الجثوة ، كما طرأ عليها تحورات هامة مست :

- **الملحقات الخارجية :** حيث برزت بناءات جديدة مثل : المنصات الشرقية ، الأروقة ، المشكاة ، الأذرع ، الممرات ، المحاريب ، المنافذ وطاولة القرابين .

المظهر الهندسي العام : المتمثل في القاعدة الأسطوانية اومربعة الزاويا والتاج المدرج ، وقد شكلت هذه الأنواع في اعتقادي المرحلة النهائية من تطورها بإتخاذها اشكال اكبر حجما ، تمثلت في بناء الأضرحة المستديرة والهرمية الكبرى ، كالمدغاسن ، الضريح الموريطاني ، بلاد قيطون ، لجدار والغور .

هوامش الفصل الأول

(1) **Mopalia** كما يسميها المؤلفين القدامي.

(2) Gsell, St. **Les monuments antiques de l'Algérie**. Paris,1901, p.2-3.

(3) شعب وثني إ ندثر. Gsell, St. **Les monuments antiques**....,p.5

(4) وهي التي استوحت شكلها الخارجي من بازينات وجثوات فجر التاريخ .

(5) نفس المصدر ، ص. 444 ؛ Gsell, St. **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**. t. 6, Paris,1928 ,p. 225.

(6) Ibid, p.332 .

(7) وهم: Logeart, F. A. Vel, Tomassini ,et Pallary P..

(8) ففي مغارة الصخرة الكبيرة ، يرى غزال ان بإمكانها ان تحمل اكثر من عشرين شخصا. Gsell, St. **Les monuments antiques**...,p.1.

(9) Ibid, p. 2

(10) Camps , G. op.cit, p.65.

(11) Ibid, p.63.

(12) Berbrugger, A.**Chronique archéologique**.Rev.afric.,t.VII,1864, xv, p.391.

(13) Camps, G.op. cit. p 92.

(14) Ibid, p.92-93.

(15) Estaunie, D. **Découvertes de stations préhistoriques à Ami-Moussa**, B.S.P.F.,t. IX, 1912, pp. 383-385 .

(16) Gsell, St.**Histoire ancienne**.., p.173.

(17) و علي رأسهم : Gobert , E.G. et Cintas, P. **Les tombes du Jbel Mleza**, Rev, tunis., t.XXXVI, 1939, pp.135-198.

(18) ابرزهم ، غزال وكامبس .

(19) Gsell, St. op.cit.,p.171.

(20) Reygasse, M. **Monuments funéraires préislamiques de l' Afrique du Nord** , Paris, 1950, p. 06 .

(21) Gsell, monuments....p.7.

(22) Camps, G. op.cit, p. 158, St. Gsell, Histoire ancienne.... p.185

(23) Féraud, L. **Recherches sur monuments dits celtiques dans la province de Constantine**, Rec. des Not. et Mem. de la Soc.archéol. de Const, T. XIII , 1864 , pp. 108-132.

(24) Bourgyinat, J, R.**Histoire des monuments mégalithiques de Roknia** . Paris,1868, p.16.

(25) Pallary, P. **Note sur la classification et la terminologie du préhistorique algerien** .C.r de la XXIII session de l.A.. F. A. S., Bensancon ,1893, pp. 679-682, (p. 680)

(26) بروتانيا"**Bretagne**"، مقاطعة في شمال غرب فرنسا ، تفصلها عن مملكة بريطانيا مضيق كالي .

(27) Hachette. **Dictionnaire de la langue française** 1993. Nlle edit..Paris,1992,p.397.

(28) Dr. Reboud, **Chronique**. Rev.afric.,t.I.1856,pp.25-31.

(29) Gsell, St.Histoire... p.191-192.

(30) Ibid, p. 191 .

(31) Ibid, p. 191 .

(32) Ibid, p. 197.

(33) Camps, G op. cit.,pp. 125-129 ; Gsell, St. Histoire... t. VI, pp. 190-201 ; Id., Monuments... t. I, pp. 13-36 .

(34) Camps, G. op. cit. , p. 119.

(35) Reygasse, M. op. cit. p. 13.

(36) Ibid, p.13.

(37) Camps, G. op. cit. p. 86.

(38) Ibid, p.87.

(39) في مقبرة الكراشم. Gsell, St. **Atlas archéologique de l'Algérie** . Alger, 1911, feuille n°24, Boghar, n°160-165.

(40) في واد تاريا. Pallary, P. **Monuments mégalithiques de l'arondissment**... p.451-459.

(41) نسبة الى مكان يدعى شاشية الرميل ، يقع جنوب قسنطينة اين اكتشف الرقيب الفرنسي بايان سنة 1859 حوالي ستون من هذه القبور التشبيهة بشاشية الأهالي . Payen, C. **Lettre sur les tombeaux circulaires de la province de constantine**. Rec. des Notes, et Mem. de la Soc.archéol. de const. t.VIII, 1863 ,pp. 159-169.

(42) Reygasse, M. op. cit. p. 8.

(43) Ibid, p. 8.

(44)عثر في عدد من الشوشات ، على فخاريات فارغة واخرى مملوءة بالغذاء ، اسلحة ، حلي ، خواتم اساور و غيرها من الألشياء التي توحي بايمان الأهالي بهذه العقيدة .

(45) حتي صحراء تبستي بليبيا . Gautier, F.**Etude d'Ethnographie saharienne** .L'Antrop. t.XVIII,1907 ,pp.36-68. Camps, G. op. cit. p.173 . Dalloni, M.**Mission au Tebesti**. y. II, paris, 1935, pp. 207-223.

الـفـصـــل الثاني

« الممالك النوميدية و المورية القديمة »

تمـــهـيـــــــــد .

1 ــــ آصـــولـــهـــا .

2 ــــ مملكة نـــومـــيــــديـــا .

أ) ــــ مــاصــيلــيــا .

ب) ــــ ماصيصــيلــيــا .

3 ــــ مملكة مــوريــطـــا نـــيـــــا .

4 ــــ ممالك العهد الــونـــدالـــي والــــبيزنـــطـــي .

﴿ الممالك النوميدية والمورية القديمة ﴾

تمهيد .

يبدو ان نزول الفنيقيين بسواحل بلاد البربر ، وإقامتهم لمحطات تجارية منذ نهاية الألف الثانية ق. م ، لم يلق معارضة من طرف السكان المحليين ، كما جاء تأسيس مدينة قرطاجة سنة 814 ق. م ليؤكد مظاهر التعايش السلمي التي طبعت العلاقات بين الأمتين ردحا من الزمن ، حيث تشير المصادر التاريخية القديمة الى اتفاق قد ابرم بين القرطاجيين والبربر (1) ، يسمح بتأسيس المدينة مقابل دفع جزية .

لم تشر النصوص القديمة الى طبيعة النظام السياسي الذي كان سائدا عند البربر ، قبل الإشارة الى الممالك النوميدية والمورية في القرن الثالث ق. م ، الا ان المؤكد ان ثمة ثلاثة عناصر كانت تميز المجتمع البربري آنذاك وهي : القبيلة ، الرئيس واتحاد القبائل . يظهر ان الجزية التي ظلت قرطاجة تدفعها للبربر الى غاية مطلع القرن الخامس ق. م (2) ، خير ما يمكن ان نستدل به على احتمال وجود كيان سياسي سابق للقرن الثالث ق. م (3) ، لم يتعرض الى ذكره المؤلفين القدامى.

اننا نتساءل عن سبب سكوت الكتاب الإغريق واللاتين عن ذكر تاريخ البربر في تلك الفترة ، ربما قد يُفسر ذلك بعدم معرفة بعضهم لهذه البلاد ، او رغبتهم في التركيز على اهم الأحداث التي كانت لها صلة بأوطانهم . ويدل على ذلك اشاراتهم الوجيزة لأوضاع البلاد إبان عصر الحروب : القرطاجية ــــ الإغريقية (من القرن السابع الى النصف الأول من القرن الثالث ق. م) والبونيقية (264 ــــ 146 ق. م) ؛ وفي اعتقادي ان

هؤلاء صبوا كل اهتماماهم لتغطية وقائع هذه الأحداث التي ميزت العلاقات الدولية آنذاك في حوض البحر المتوسط ، وبالمقابل لم تكن اشارتهم لتاريخ البربر الا داخل هذا الإطار .

1 ـــ أصولها :

اذا كانت اولى اشارات النصوص القديمة الى وجود مالك أو إمارات مستقلة في الثلث الأخير من القرن الثالث ق. م ، فهل يمكن الحديث عن قيام كيانات سياسية سابقة لهذه الفترة ؟

يصعب جدا الخوض في هذه المسألة ، بسبب كما هو واضح سكوت المصادر التاريخية ، غير انه بإمكاننا ان نستدل على وجود كيانات سياسية من خلال بعض الإشارات القديمة الى ملوك بربر عاصروا فترات الصراع القرطاجي ـــ الإغريقي . لكن على الرغم من هذا ، فهي لاتفيدنا بشيئ فيما يتعلق بمركز حكمها وحدودها الجغرافية ولا حتى بطبيعة نظامها وهوية ملوكها .

الى جانب الملك هيرباص الذي ذكرته اسطورة عليسا ــ ديدون ــ ، وردت اشارات اخرى لبعض الملوك القدامى ، و في هذا الصدد يذكر جوستان ان حانون القرطاجي Hanon اراد الإستيلاء على الحكم في قرطاجة في القرن الرابع ق. م ، فتحالف مع ملك موري نجهل اسمه و اسم مملكته (4) ، و يخبرنا ديدور الصقلي من جهة اخرى ، ان ملكا يدعى ايليماس Ailymas كان يحكم في نهاية القرن الرابع ، مملكة تتخام اراضي القرطاجيين ، وان آغاتوكل حاكم سراقوسة واثناء حملته على افريقيا (310 –309 ق. م) ، تحالف مع هذا الملك ضد قرطاجة (5) . و على هذا الأساس يعتبر بعض المؤرخين المعاصرين ، إيليماس من اقدم ملوك سلالة الماصيل

التي حكمت نوميديا الشرقية في القرنين الثالث والثاني ق. م (6) ، كما لايستبعد حسب رأيهم ان تقوم علاقة قرابة بين هذا الملك وماسينيسا .

يجب الإنتظار حتى القرن الثالث ق. م ، اين تتضح الصورة عن هذه الدويلات وتسلط النصوص القديمة بعض الأضواء على اوضاعها ، اذ يمكن التعرف في هذه الفترة على موقعها ، تحرك حدودها ، اهم ملوكها وخيارهم السياسي ، وجوانب اخرى ايضا مرتبطة بها .

لاشك ان ظهور ممالك مستقلة فجأة في القرن الثالث ق. م ، لايعني بالضرورة انها وليدة تلك الفترة ، (7) إنما جذورها قد تمتد حسب بعض الباحثين الى ابعد من ذلك (8) ، ويدعم هذا الرأي بعض الشواهد التاريخية ؛ فقبر المدغاسن (الصورة 10) الذي يُحتمل انه شيد في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق. م ، لايعدو إلا ان يكون ضريح مشترك لسلالة حاكمة تنحدر من قبائل الماصيل ، كما ان جثوة سيدي سليمان الضخمة برحارب ـــ المغرب الأقصى ـ (الصورة 11) ، لا يُستبعد ان تمثل هي الأخرى قبر عاهل موريطاني كان على رأس مملكة أو إمارة غير معروفة في نهاية القرن الرابع و بداية القرن الثالث ق. م (9) .

و تشير النصوص القديمة في نهاية القرن الثالث ، الى وجود ثلاثة ممالك بربرية مستقلة هي : مملكة **نوميديا** ، بشطريها **الماصيل** و **الماصيصيل** ، و مملكة **موريطانيا** (الخريطة 2) .

2 ـــ مملكة نوميديا :

تتشكل من قبائل الماصيل والماصيصيل ، التي كانت تمثل في الماضي قوة واحدة ثم انقسمت حسب بعض المؤرخين الى مجموعتين : الماصيل في الشرق والماصيصيل في الغرب ، لكننا لانعرف شيئا عن فترة وظروف انقسامها .

أ) ـــــ مملكة نوميديا الشرقية (ماصيليا) :

يصعب علينا تحديد موقعها الجغرافي بالنظر الى شح المصادر التاريخية ، لكن اغلب الظن ان موطنها كان يشغل شرق الجزائر وغرب تونس الحالية (10) . خلال القرن الثالث ق. م كانت هذه المملكة تنحصر مابين آراضي القرطاجيين شرقا وموطن الماصيصيل غربا وقبائل الجيتول جنوبا (11) . من بين اشهر واقدم مدنها نجد سيرتا ، دوقة ، مكثر وتبسة (12) .

في نهاية القرن الثالث تتحدث النصوص التاريخية عن اول ملك ماصيلي هو غايا والد ماسينيسا ، الا انها لاتفيدنا بشيئ عن نسبه وفترة حكمه ، ولاعن سابيقيه ايضا . لقد لعب ابنه ماسينيسا دورا هاما اثناء الحرب البونية الثانية ، حيث مكن تحالفه مع سيبيون الإفريقي من كسر شوكة قرطاجة ، وفتح المجال للتدخل الروماني ببلاد البربر ، وفي عهده اتسعت حدود مملكته لتشمل رقعة واسعة تمتد من وادى ملوية غربا الى الحدود القرطاجية شرقا (الخريطة 3) ، مشكلا بذلك نطاق نوميديا الموحدة .

وتتفق اغلب آراء المؤرخين ، على اعتبار هذا الملك عاهلا كبيرا ، جلب الرخاء والإزدهار لمملكته في شتى الميادين ، كما كان متفتحا على حضارات عصره فتأثر بالقرطاجيين والإغريق واللاتين ، ويقول عنه اندري جوليان انه : << سرعان ما اصبح سيدا على جميع البلدان الواقعة بين موريطانيا والمقاطعة البونيقية ، من ملوية الى توسكة قرب طبرقة ... كان إغليدا عظيما ... وحاول ان يجعل من بلاد البربر دولة موحدة مستقلة >> (13) . يبدو ان هذا الملك اتخذ سيرتا عاصمة له ، ويؤيد هذه الفرضية وقوع ضريح الخروب بالقرب منها ، حيث يعتبره العديد من المؤرخين قبر ماسينيسا (14) او ابنه مكيبسا (15) (الصورة 12) .

هل يمكن الحديث عن عاصمة قديمة للماصيل ؟

يرى بعض الباحثين المعاصرين ان اصول الماصيل قد تنحدر من المناطق القريبة من الأوراس ، ويعزز هذا الرأي بعض المعطيات التاريخية والأثرية ، اذ يخبرنا ديدور الصقلي ان تبسة او Hecatompylos ، كانت منطقة غنية بثرواتها الطبيعية والبشرية خلال الحرب البونية الأولى (264-241 ق. م) (16) . واذا صدقنا ما اورده هذا المؤرخ ، فإن هذه المدينة كانت تغطي اراضي شاسعة تبلغ مساحتها حوالي 60 هكتارا ، وتتميز بكثافة سكانية معتبرة حيث كانت ممولا هاما لقرطاجة بالجنود لاسيما بعدما غزاها حانون القرطاجي سنة 247 ق. م (17) . لاشك ان غزو القرطاجيين لهذه المدينة يفسر حتما اهميتها الإقتصادية والبشرية ، كما يعد تجسيدا لسياسة قرطاجة التوسعية على حساب آراضي الماصيل المجاورة لها . الى جانب هذا فوقوع ضريح المدغاسن المؤرخ مابين نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق. م بالقرب من الأوراس ، وفي وسط مقبرة واسعة قديمة ، قد يحعلنا نفترض وجود مدينة هامة في هذه الرقعة ، اتخذها ملوك الماصيل الأوائل عاصمة لهم ولم يبق للأسف من آثارها الا معالمها الجنائزية .

وفي إعتقادي ان هذا الموقع المميز هو الذي دفع ببعض الباحثين ، الى اعتبار المدغاسن ضريح سلالة حاكمة ، او احد الملوك الماصيلين القدامى الذين جعلوا من منطقة الأوراس موطنا لهم (18) . واعتمادا على هذه المعطيات آلا يمكن اعتبار تبسة ومنطقة المدغاسن ، احدى المدن القديمة الهامة التي شكلت اللبنة الأولى لمملكة ماصيليا خلال فترة الهيمنة الرومانية ببلاد البربر ، فقدت مملكة نوميديا مرتين جزءا من آراضيها ومنحت الى مملكة موريطانيا ، الأولى بعد انتهاء حرب يوغرطة (112-105 ق. م) ، حيث منح ثلثها الغربي الى موريطانيا فأصبحت على اثره حدودها الغربية

لاتتجاوز وادي الصومام (19) ، والثانية عقب انهزام يوبا الأول سنة 46 ق. م اين حصل بوكوس الثاني على الجزء الشرقي ، لتصل بذلك حدود موريطانيا شرقا حتى الوادي الكبير (20) .

وهكذا زال تدريجيا نفوذ نوميديا ، ليصبح تحت قبضة الملوك الموريطانيين حلفاء روما منذ منتصف القرن الأول ق.م. ، وقد حدث هذا بسبب نوابا الملوك النوميديين في التخلص من الإحتلال الروماني من جهة ، والسياسة التوسعية التي انتهجها الرومان في البلاد منذ النصف الثاني من القرن الأول ق. م (21) من جهة اخرى .

ب) ـــ نوميديا الغربية (ماصيصيليا) :

تبرز المصادر القديمة قبائل الماصيصيل ، خلال النصف الثاني من القرن الثالث ق.م كقوة هامة في بلاد البربر (22) ، لعب ملكها صيفاقس دورا هاما خلال الحرب البونية الثانية ، غير اننا لانعرف شيئ على غرار مملكة ماصيليا عن اصولها

وملوكها الأوائل ومراحل حكمها . يصعب بالنظر الى نقص المستندات تحديد موطن الماصيصيل بدقة ، الا ان سترابون الذي عاش في النصف الثاني من القرن الأول ق. م يخبرنا ان آراضي هذه المملكة ، كانت تمتد على رقعة واسعة من ملوشة ـــ وادي ملوية ـــ غربا الى رأس تريتون شرقا (23) ، الذي يتوافق حسب غزال مع رأس بوقرعون في القل (24) .

و اغلب الظن ان اتساع حدود هذه المملكة جاء نتيجة الغزوات التى شنها صيفاقس في نهاية القرن الثالث على آراضي الماصيل (25) .

وتذكر النصوص القديمة من جهة اخرى ، ان الملك صيفاقس بسط نفوذه على عاصمتين هما سيغا في الغرب وسيرتا في الشرق (26) ، لكن يبدو حسب

عدة معطيات آثرية وتاريخية ان نواة قوة الماصيصيل كانت في الغرب ، في القطاع الوهراني وبالظبط في سيغا العاصمة الحقيقية للمملكة (27) .

لقد ترتب عن وقوف الملك صيفاقس الى جانب قرطاجة ، آثار سلبية على مملكته ، حيث استطاع الملك ماسينيسا حليف الرومان بعد معركة زاما سنة 202 ق. م استرجاع مملكة أبيه وغزو آراضي الماصيصيل ، الا اننا نتسآل هل استولى على كامل آراضي هذه المملكة ام اكتفى برقعة هامة فقط ؟

يرى بعض الباحثين ان فرمينيا Vermina قد وقع الصلح مع الرومان بعد هزيمة أبيه صيفاقس ، وبالتالي من المحتمل ان هذا الإتفاق جعله يواصل الإشراف في الفترة الممتدة مابين 201 و 191 ق. م على ما تبقى من ممتلكات ابيه ، نظنها تقع في اقصى غرب الجزائر الحالية عند مصب وادي تافنة . ويعزز هذا الإفتراض نقود فرمينيا المكتشفة في موقع سيغا الأثري ، التي ضُربت دون شك اثناء حكمه ، ووجود ضريح فوق مرتفع يشرف على العاصمة سيغا وميناءها ، حيث يعتبره اغلب الباحثين قبر اسرة فرمينيا الملكية (الصورة 13) .

⌘ سيغا :

تقع هذه العاصمة على بعد 4 كلم جنوب مصب واد تافنة ، على ضفته اليسرى (28) ، وبهذا فهي تحتل موقعا استراتيجيا هاما جعلها تشرف على خليج رشقون وجزيرته التي اقام فيها الفنيقيين محطة تجارية منذ القرن السابع ق. م (29) . لقد سمحت الحفريات التي اجريت في موقع سيغا من طرف الفرنسيان غريمال Grimal سنة 1936 و فيومو Vuiellemot في 1961 والبعثة الألمانية سنوات 1977 ــ 1979 (30) ، من الكشف عن مواقع اثرية عديدة ومتنوعة ، بعضها يرجع الى العهد الفنيقي ـــ الليبي

والبعض الآخر الى الفترة الرومانية ، منها اسوار ، خزان مائي ، مجاري حجرية لنقل المياه والكثير من الأعمدة و الحجارة المنحوتة(الخريطة رقم 5) . كما عثر آهالي المنطقة في العشريات الأخيرة من عهد الإستقلال ، و بشكل عفوي على العديد من القطع الفخارية والخزفية و النقود معظمها صُك في عهد صيفاقس وإبنه فرمينيا ، اواني وشواهد قبرية هي الآن بحوزتهم (31) . الى جانب هذا اكتشفت بجزيرة رشقون مقبرة فنيقية تؤرخ الى القرن السابع ق. م ، وهو ما يؤكد اتخاذ الفنيقيين لهذه الجزيرة وخليجها المقابل ، ليس كمحطة تجارية فحسب بل كمستعمرة ايضا .

ليست لدينا معلومات كافية عن تاريخ نشأة سيغا ، غيران وقوعها في الجهة المقابلة لجزيرة رشقون يدفعنا الى الإعتقاد انها تأسست منذ فترة طويلة ، من المحتمل جدا في القرن الرابع ق. م ، وانها كانت عاصمة قديمة للماصيصيليين (32). ويدعم هذا الرأي ما ذكره البحار الإغريقي سكيلاس ، بأنه توغل في هذه الفترة الى ميناء المدينة على ظهر سفينة ، مرورا بخليج رشقون ووادي تافنة الذي كان قديما يصلح للملاحة البحرية (33) .

يظهر ان شهرة سيغا كعاصمة منذ القرن الرابع ، جعلت بعض المؤرخين والجغرافيين القدامى (34) ، يتعرضون الى ذكرها ، كما دفعت صيفاقس الى اتخاذها عاصمة له منذ النصف الثاني من القرن الثالث ق. م . الى جانب هذا لعبت هذه المدينة دورا هاما خلال الحرب البونية الثانية ، حيث إحتضنت سنة 206 ق. م لقاء قمة بين الأطراف المتنازعة ، يمثلها القادة السامون : صدربعل القرطاجي وسيبيون الروماني (35) ، وتحت اشراف الملك صيفاقس

إن إنتصاب ذلك الضريح فوق قمة جبلية تشرف على العاصمة سيغا ، لخير دليل على إعتبار هذا النصب مدفنا أقيم خصيصا لدفن رفاة العائلة الملكية المقيمة بها .

3 ـــــ مملــكة موريطانيا :

تشير النصوص التاريخية الأثرية اليها لأول مرة في نهاية القرن الرابع ق.م ، حيث يذكر جوستان ان حانون القرطاجي استعان بملك موري في محاولة لقلب نظام الحكم في قرطاجة . ويرى من جهة اخرى بعض الباحثين ، ان جثوة سيدي سليمان بالرحارب في المغرب الأقصى التي تؤرخ الى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق. م (36) ، قد تكون قبر احدى الشخصيات البارزة من سلالة المور في ذلك العصر .

في نهاية القرن الثالث اصبح وجود مملكة موريطانيا حقيقة تاريخية ، اذ تشير النصوص الى احد ملوكها المسمى باغا Baga ، معاصر و حليف ماسينيسا خلال الحرب البونية الثانية (37) . وبعد سكوت المصادر القديمة عنها قرابة قرن كامل ، تظهر هذه المملكة من جديد مع سالستوس (38) ، بزعامة بوكوس الأول إبان حرب يوغرطة .

جغرافيا كانت اراضي موريطانيا في نهاية القرن الثالث ق. م ، تنحصر ما بين المحيط غربا واعمدة هرقل شمالا ووادي ملوية شرقا وموطن الجيتول جنوبا (39) . وقد اتسعت حدودها كما اسلفنا مرتان على حساب نوميديا الموحدة ، الأولى في نهاية القرن الثاني والثانية في مطلع النصف الثاني من القرن الأول (46 ق.م) ، واصبحت بذلك تتربع على مساحة شاسعة ، تمتد من المحيط الأطلسي غربا الى الوادي الكبير Amsaga شرقا .

وتشير المصادر الى انقسام موريطانيا الى مملكتين خلال القرن الأول ق. م ، غربية بملكها بوغود وشرقية تحت حكم بوكوس الثاني ، غير اننا لانعرف بالضبط في أي تاريخ تم ذلك . يظهر ان هذا التقسيم جاء عقب وفاة بوكوس القديم في الفترة الممتدة مابين 80 و70 ق. م .

على كل لم يدم حكم بوغود طويلا اذ سرعان ما بسط بوكوس الشاب نفوذه على كامل موريطاتيا ، واليه يعزوا بعض المؤرخين بناء ضريح تيبازة المعروف بقبر الرومية (40) . وهذا استنادا الى بعض الفرضيات ، ابرزها اتخاذ هذا الملك ايول ــ شرشال ــ عاصمة له في الفترة (70-33 ق.م) (41) التي اشرف فيها على حكم موريطانيا الشرقية . وبعد وفاة بوكوس سنة 33 ق. م ، خضعت موريطانيا مدة 8 سنوات للإدارة العسكرية الرومانية ، وفي سنة 25 ق.م نصب الأمبرطور اوكتافيوس يوبا الثاني ملكا عليها . لقد ظل هذا الملك طيلة حكمه حليفا وخادما لروما ، يرعى مصالحها ويذود عنها اعدائها من الجيتول والموزالام . من جهة اخرى يشهد له المؤلفين القدامى بحصيلته العلمية و الأدبية ، كما كان شديد التأثر بالثقافة اليونانية ، و من المحتمل جدا انه زين عاصمته قيصرية بأجمل التحف والتماثيل المستوحاة من الفن الإغريقي (42) . اتخذ الملك يوبا الثاني مع زوجته كليوبترة سليني قيصرية عاصمة لهما ، حيث اقاما فيها قرابة نصف قرن

وتشهد الأثار الباقية الى يومنا هذا على الرخاء واتساع العمران في عصره . يظهر ان تأثره بالحضارة الهلنسية وإقامته الطويلة في قيصرية ، هي من بين العوامل التي جعلت العديد من المؤرخين ينسبون اليه بناء الضريح الموريطاني (الصورة 14) ، كما يماثلون بين اسرته والعائلة الملكية التي وردت في نص بومبونيوس ميلا عند اشارته الوجيزة للضريح.

وفي سنة 23 م توفي الملك يوبا الثاني فخلفه على العرش ابنه بطليموس (23-40 م) ، وعلى الرغم من طول فترة حكمه الا ان الكتابات القديمة تصفه بضعيف الشخصية ، حيث سلك نهج ابيه في خدمة الرومان والدفاع عن مصالحهم(43) .

لقد كان مقتل الملك بطليموس على يد الأمبرطور كاليغولا سنة 40م ، ايذانا بنهاية عهد الممالك المحلية ، وفي نفس الوقت تكريسا للإحتلال الروماني المباشر بإعلان مملكة موريطانيا مقاطعة رومانية ، وتقسيمها سنة 42م على يد الأمبرطور كلوديوس الى ولايتين هما : موريطانيا القيصرية والطنجية .

4 ـــ ممالك العهدين الوندالي والبيزنطي :

وتشير النصوص القديمة ابتداء من القرن الثالث والرابع ميلادي الى البربر غير المرومنين بموري (44) ، ويذكر بيار سلامة ان اغلب النقوش الأثرية الرومانية المكتشفة في موريطانيا القيصرية ، لايتجاوز عمرها نهاية القرن الرابع ميلادي (45) مما يدل على ان هذه المقاطعة تخلصت من السيطرة الرومانية مبكرا .

لقد ترتب عن زوال الإحتلال الروماني على اثرغزو الوندال سنة 429م ، تحرر العديد من المقاطعات الواقعة في الغرب من النفوذ الأجنبي ، مما ساعد على تشكيل ممالك مستقلة منذ القرن الخامس م ، و ستعرف نطاقا اوسع خلال في الفترة البيزنطية (535-647 م) .

من الواضح ان حدود الهيمنة البيزنطية لم تتبع الليمس الروماني (46) ، اذ يتبن من خلال الحروب التي دارت بين البربر و البيزنطيين ، ان هؤلاء اكتفوا فقط بالسيطرة على الولايات الشرقية بينما ظلت موريطانيا القيصرية والطنجية خارج اطار الإحتلال ، ويؤكد هذا الرأي ماجاء في نص بروكوب (47) سنة 540م حيث يقول ان << في موريطانيا الثانية (قيصرية) يقطن ماستيغاس Mastigas مع قبائله المورية ، وكانت تحت سلطته البلاد كلها ، بإستثناء قيصرية ، التي كان البيزنطيون لايتصلون بها الا عن طريق البحر

، ولايستطعون سلوك البر ، لأن المور يسيطرون على كل هذه المنطقة >> . (48)

لازالت تطرح عدة تساؤلات حول هذه الدويلات ، تتعلق بهوية سلالاتها الحاكمة ، مراحل حكمها ، موقعها وحدودها الجغرافية . من الواضح ان الغموض الذي يكتنف هذه الممالك مرده بالدرجة الأولى الى فقر المصادر التاريخية ، فبإستثناء بروكوب الذي يعد اهم مصدر على الإطلاق يؤرخ لهذه الفترة ، فإن النصوص المرتبطة بهذه الحقبة تكاد تنعدم .

الى جانب هذا ليست لدينا من النصوص الآثرية مايثبت وجود هذه الكيانات ماعدا نقشان آثريان يشيران الى زعيمين مغربيين ، لم يرد ذكرهما في مؤلف بروكوب ، الأول نقش الطافا Altava بأولاد ميمون (تلمسان) المؤرخ سنة 508م ، اكتشف سنة 1968 ، ويعرفنا بشخصية مورية اسمها ماسونا Masuna الذي يُلقب نفسه " **ملك المور و الرومان** " (49) ، والثاني نقش آريس بالأوراس ، المكتشف سنة 1942 ويُنسب الى شخصية تدعى ماستي Masties الذي يُلقب نفسه " **امبرطورا** " (50) .

من جهة أخرى يشير كورتوا في دراسته حول الفترة الوندالية والبيزنطية ببلاد البربر ، الى وجود عدة ممالك مستقلة (الخريطة 04) ابرزها (51) :

- **المملكة الوهرانية او مملكة الطافا** سنة 508م تحت سلطة الملك **ماسونا** ، الذي يماثله بعض الباحثين بماسوناس **Masonas** ، احد الزعماء البربر الذين ذكرهم بروكوب .
- **مملكة الونشريس او لجدار** حوالي 535م تحت امرة الملك **ماستيناس** او **ماستيغاس** ، الذي ذكره بروكوب .
- **مملكة الحضنة حوالي** حوالي 535م بزعامة اورتايتس **Ortaias** ، زعيم موري اشار اليه بروكوب ايضا .

- **مملكة الأوراس** حوالي 535م تحت حكم ايوداس **Iodas** ، أمير بربري ورد هو الآخر في كتاب بروكوب .

ومهما يكن من أمر فقد عرفت منطقة تيارت حسب العديد من المؤرخين ، بروز مملكة قوية من المحتمل ان حكمها دام حسب شهادة بعض النصوص العربية (52) الى غاية مجيئ العرب الفاتحين ، و تشهد على عظمتها اليوم المعالم الجنائزية المسماة بالجدار (الصورة 15) . و في هذا الصدد جعل بعض الباحثين (53) من شخصية ماسوناس احد الملوك الأقوياء لمملكة لجدار ، حيث ماثله دولابلنشير بحذر شديد بماسونا المشار اليه في نقش الطافا بينما يتعارض كورتوا مع هذا الرأي

مستندا في ذلك على نص بروكوب (54) ، الذي يشير الى ان الزعيم ماستيغاس ، او ماستيناس في رواية اخرى ، كان يسيطر على كامل موريطانيا القيصرية والطنجية في النصف الأول من القرن السادس ، وبناءا على هذا يجعل حدود مملكته تمتد من اقصى الغرب الجزائري الى مشارف الأوراس شرقا (55) .

وترى الباحثة فاطمة قادرة من جهة اخرى اعتمادا على بعض المعطيات الأثرية ، ان مملكة لجدار تعاقب على حكمها شخصيتان بارزتان في النصف الأول من القرن السادس هما : ماسونا في سنة 508م ، صاحب نقش الطافا ، وماستيغاس الذي اشار اليه بروكوب مرتان على انه زعيم قبائل المور حوالي 535م (56) .

يصعب بالنظر الى فقر المصادر التاريخية و الأثرية التعرف على السلالات التي حكمت هذه الدويلة ، فنحن لانتوفر على أدلة مقنعة فيما يتعلق بنشأة ومراحل حكمها ، شأنها في ذلك شأن الإمارات الأخرى . كما ان بروكوب مؤرخ تلك الفترة ، اقتصر على ذكر فقط الزعماء المور في القرن

السادس ، وهم الذين دخلوا في مواجهات مع البيزنطيين ولم يتعرض البتة الى دويلاتهم ، حدودها الجغرافية وتنظيماتها السياسية والإجتماعية .

يبدو ان بعض المؤشرات التي لدينا تشير الى ان **ماسونا** (57) او " ماسوناس " و**ماستيناس** او " ماستيغاس " ، هما الشخصيتان الوحيدتان اللتان من المحتمل انهما ينتميان الى السلالة الحاكمة لمملكة لجدار خلال النصف الأول من القرن السادس . اذا كانت مملكتي الحضنة والأوراس بزعامة كل من أورتاياس وأيوداس (58) قد عاصرتا مملكة لجدار ، فأغلب الظن ان نفوذهما لم يمتد الى الجهات الغربية ، بدليل ان المصادر التاريخية والأثرية تشير الى وجود مملكتي الطافا والونشريس في موريطانيا القيصرية والطنجية منذ مطلع القرن السادس . واستنادا الى ما سبق ذكره ، من الأرجح ان تكون مملكة لجدار قد تأسست قبل هذه الفترة ، وان منطقة تيارت كانت تمثل دون شك نواتها المركزية . إن طول فترة حكمها يشهد على نفوذها وقوة حكامها . وحسب شهادة بعض النصوص العربية المعاصرة للفتح الإسلامي بالمغرب ، ظل الأمراء البربر على رأس هذه الدويلة الى غاية مجيئ المسلمين الفاتحين في نهاية النصف الأول من القرن السابع ميلادي .

هوامش الفصل الثاني

(1) حسب اسطورة تأسيس قرطاجة التي يرويها بعض المؤلفين الإغريق والرومان ، امثال تيمايوس **Timée** وجوستنيوس **Justin** ، عقدت الأميرة عليسة اتفاقا مع حاكم بربري يدعى هيرباص او إيرباص او ايوباس . Justin, XVIII, 4, 6.

(2) حارش ، محمد الهادي ، **التاريخ المغاربي القديم** ، م. ج. ط.، الجزائر، 1995 ، ص. 47.

(3) شنيتي ، م. ب. ، المصدر السابق الذكر ، ص. 19.

(4) Decret François et Fantar Mohamed, **L'Afrique du Nord dans l'antiquité** . Payot, Paris, 1981, p. 70-71.

(5) Diodore de Sicile, Bibl. hist. XIII. p. 8. عن شنيتي ، م. ب. نفس المرجع السابق ، ص. 18.

(6) Decret F. et M. Fantar, op. cit. p. 71 . Camps, G. **Massinissa ou debut de l'histoire** ., Alger, 1961, pp. 159, 177.

(7) شنيتي ، م. ب. المرجع السابق ، ص. 20.

(8) Camps, G. **Nouvelles observations sur l'architecture et l'age du Médracen, Mausolée royal de Numidie** . C.R.A.I.B.L.,1973, p. 512.

(9) لقد نقب هذا القبر من طرف الفرنسي رولمان .

Ruhlman, **A. , Le Tumulus de Sidi Slimane (Rharb)** , dans bull. de la soc. de préhistoire du Maroc. 12eme Année , 1939, pp.37-70.

وحول تأريخ هذا المعلم انظر : Camps, G. Aux origines... p. 197-199 .

(10) يعتقد كامبس استنادا على نص بلين القديم ـــــ مؤرخ لاتيني في القرن الأول م ـــــ ، ان موطن الماصيل الأصلي يقع في الجهة الشرقية من الجزائر الحالية و الغربية من تونس . وفي هذا الصدد يقول : << يذكر بلين الماصيل من بين امم اقليم افريقيا الذي يقع مابين الوادي الكبير و منطقة السيرت . فبعدما يشير الى النتابود **Les Natabudes** والكابستلني **Les Capistani** وميسولامي **Misulami** ، يذكر بلين : الساباربار **Les Sabarbares** و الماصيل **Les Massyli** والنسيف **Nicives** ، وأربعة قبائل أخرى ، نعرف من بينها الموسيني **Les Mussini** بفضل مصادر اخرى . فنحن نعرف موطن الناتابود بواسطة نقش كتابي في عين مغلوف ، و الكابستاني هم رجال قفصة ، والميسولامي معروفون بالموسلامس ، ويقع موطنهم مابين النتابود و الكابستاني . يجب البحث عن موطن الماصيل في الغرب ، وبالتحديد بين السابربار والنسيف الذين اطلقوا اسمهم على ضيعة نسيفيبوس **Nicivibus** (نقاوس) ، وكانوا يحتلون سابقا المنطقة الواقعة في جنوب شرق سيرتا ، اما السابربار فينتشرون حسب سلسلة من الوثائق والنصوص المنقوشة في منطقة العلمة شرق سطيف . اذن فالسباربار يوجدون غرب سيرتا ، والنسيف جنوب شرق ، وبين هاتين القبيلتين يوجد شعب الماصيل وعاصمتهم سيرتا . يلاحظ من خلال نص بلين ان الكاتب قد عدد هذه القبائل بشكل منتظم ، وحتى لو كانت قائمته غير محددة فهي تتضمن ما يثبت ان في الوقت الذي اشير فيه الى السباربار والنسيف ، كان الماصيل يقطنون المنطقة الغربية من نوميديا الرومانية .

Camps, G. **Nouvelles observations**.... p. 514-515.

(11) حارش م. ه. نفس المصدر السابق ، ص. 100 .

(12) Decret F. et Fantar M., op. cit. p. 101.

(13) جوليان ش. أ.، نفس المرجع السابق ، ص. 133 .

(14) Gsell, St. **Histoire ancienne**...t. VI, p. 260. Ibid. p. 138. : قداش محفوظ، نفس المرجع السابق ، ص. 64.

(15) Camps, G. **Les Mausoleés Princiers de Numidie et de Maurétanie** . Rev. Archéologia. N°298, fevrier.1994, Dijon . p. 52 ؛

حارش م. ه. ، نفس المصدر السابق ، ص. 174 .

(16) Decret F.et M. Fantar, op. cit. p. 101.

(17) Ibid. p. 101.

(18) جوليان ش. أ.، نفس المصدر السابق ، ص. 132 Camps, G., **Mausolées princiers**... p. 55. F.

Cf. decret et M. Fantar, op. cit. p. 100. .

Gsell, St., **Les monuments**... p. 69. Colonel Brunon, **Mémoire sur les fouilles éxecutés au Médracen** . Rec. des Notes et Mem. de la Soc. archéol. de constantine, t. 16,1873-1874 .p. 316.

(19) حارش ، م. ه. نفس المصدر السابق ، ص. 102. اما غزال فيرى ان حدود موريطانيا امتدت بموجب هذا التقسيم الى ماوراء وادي شلف ، Gsell, St. H.A.A. N. T. 7, p. 264.

(20) Ibid. p. 200.

(21) وتجسد ذلك في الغاء مملكة نوميديا على اثر انهزام يوبا الأول في معركة تابسوس**Tapssus** سنة 46 ق. م ، فترتب على ذلك مد حدود موريطانيا حتى واد أمساقا ، كما منح قيصر الجزء الأوسط منها للمرتزق سيتوس **Sittius** .

(22) Decret. F. et Fantar, M. op. cit. p. 81.

(23) Strabon. XVII, 3, 9 : عن Decret F. et Fantar, M. op. cit. p. 81.

(24) حول هذا الموقع انظر : Gsell, St. **Atlas Archéologique**... Feuille, N° 1.

(25) يذكر تيت ليف ان منطقة هامة تقع على حدود مملكتي ماصيليا وماصيصيليا ، كانت محل نزاع اكثر من مرة بين غايا والد ماسينيسا وصيفاقس . من المحتمل جدا انها كانت احدى الأسباب الرئيسية لتوسعات صيفاقس داخل موطن الماصيل . Tite-Live, XXIX, 31, 4-5.

(26) اختلفت اراء المؤرخين حول كون سيرتا عاصمة لماصيليا او ماصيصيليا ، فبعضهم واستنادا على نص تيت ليف يعتبر سيرتا عاصمة صيفاقس ، اتخذها مقرا له الى جانب سيغا قبل نهاية الحرب البونية الثانية ، بينما يرى آخرون ان هذه المدينة كانت عاصمة للماصيلين قبل ان تخضع لنفوذ صيفاقس عقب توسعاته في الشرق ، ويرون ان تسرع ماسينيسا لدخول سيرتا سنة 202 ق. م يفسر رغبة هذا الملك في استرجاع موطنه المحتل .

(27) Camps, G. Massnissa... pp. 167-168

(28) كانت تحتل الموقع المسمى حاليا تاكمبريت .

(29) اليونيسكو ، نفس المرجع السابق، ص. 455.

(30) حول هذا الموضوع انظر :
Grimal, P. **Les Fouilles de siga** . Paris, 1937, pp. 108-141; Veuillemot, G. **Nouvelles fouilles à Siga** B.S.G.O., 1961 ; Id., **Siga et son port Fleuvial** . Rev. Antiquités Africaines ; Rakob, Friedrick. **Numidiche konigs architecktur in nordafrica**. dans **Die Numider**, Rheinsches Landesmuseum Bonn, 1979, P119 .

(31) حتى مطلع التسعينات لم يكن موقع سيغا الأثري، مصنف ضمن التراث الثقافي الوطني، كما ان السلطات المختصة لم تتحرك لحماية هذا الأثر واقامة متحف من شانه ان يجمع الكثير من القطع الأثرية الموجودة حاليا عند السكان المجاورين .

(32) Le thielleux, J. **Les sits romains en oranie**. 1902. (Manuscrit inédit). p. 362.

(33) Malik et chermat. M « **Beni-Saf au passé et au présent** » Reportage du quotidien le Matin, du 19-09-95.

وعن ميناء سيغا انظر : Le thielleux, J. op.cit. p. 355-356

(34) امثال بوليب ، بلين القديم ، سترابون وبومبونيوس ميلا .

(35) Tite-Live, L.28, ch. 17. عن Decret F. et Fantar M., op.cit.p.91.

(36) Ibid, p. 70. ، لقد عثر بداخله على جرات تؤرخ الى القرنين الثالث والرابع ق.م. Camps. G. **Nouvelles observations**... p. 499.

(37) Tite-Live,XXIX, 29, 7, XXIX, 30, 3; XIXX, 30, 5. عن حارش م.ه.، نفس المرجع السابق ، ص. 102. وانظر كذلك شنيتي ، م. ب. نفس المرجع السابق ، ص. 27 .

(38) Sallustius, **Bellum Jugurthuim**. XIX. عن شنيتي ، م. ب. نفس المرجع السابق ، ص. 30 .

(39) Decret F. et Fantar , M. op. cit. p. 73.

(40) جوليان ، ش.أ.، المصدر السابق ، ص. 16
Gsell, St. H.A.A.N. P. 273 .

(41) يبدو ان هناك بعض المؤشرات تشير الى انه اتخذ سيغا عاصمة له منها : اتخاذ هذه الأخيرة كعاصمة من طرف بوكوس القديم ، مثلما يشهد على ذلك نقوده المكتشفة فيها ، قربها جغرافيا من موطن موريطانيا الأصلي ، انسلاخها من نوميديا الشرقية وتبعيتها لموريطانيا منذ نهاية القرن الثاني ق. م .

(42) Gsell, St. **Promenades archéologiques aux environs d'Alger**. Alger. 1896, p. 157.

(43) شنيتي م. ب.، نفس المصدر السابق ، ص. 82 .

(44) Courtois, Ch. **Les vandales et l'Afrique**. Arts et metiers graphiques,Paris, p.325. ، ولمزيد من التفاصيل حول أصول مراحل إستعمال مصطلح المور ، أنظر كتاب شنيتي م. ب. " موريطانيا القيصرية " أطروحة دولة ، ج.2 ، 1991-1992 ، ص. 696 — 743 .

(45) Salama, P.**Occupation de la Maurétanie césarienne occidentale sous le Bas-Empire Romain**. dans Melanges d'archéologie et d'histoire offerts à André Piganiol, III. 1966, p.1296-1297, 1311 .

(46) Diehl, Ch. **L'Afrique Byzantine, Histoire de la domination Byzantine en Afrique**. éd. leroux, Paris, 1896 . pp. 226-227.

(47) كاتب لاتيني ولد في أواخر القرن الخامس م. بقيصرية بفلسطين ، يعتبر أهم مؤرخ رسمي للأمبراطور جوستينان وللأحداث التي عاشها لاسيما حملته على إفريقيا ، وأشهر مؤلفاته :

- كتاب الحروب في سبعة أجزاء خصص إثنان منها لحرب الوندال وقد أنهى كتابه عام 545 م وأصدره سنة 550 وأتبعه بملحق عام 554 .
- كتاب التاريخ السري الذي ألفه عام 550 ، ولم يصدر الا بعد وفاة جوستينان .

• كتاب بناءات جوستينان ، ألفه في أواخر ايامه (558 ــــ 560) ، عن : La Grande Encyclopedie , t. 27 p. 731

(48) Procopius, **Bellum Vandallium** , II , 20.

(49) Courtois, Ch. op. cit, p. 334. ، ولأكثر تفاصيل عن هذا الموضوع أنظر : شنيتي م. ب.، نفس المرجع السابق الذكر ، ص. 706 ــــ 721 .

(50) Kadra, F. op. cit, p. 354 .

(51) Courtois, Ch. op. cit. p. 334.

(52) ابرزها نص لإبن خلدون، اين يشير الى وجود امراء بربر بالقرب من تيهرت والزاب، اثناء فتوحات عقبة بن نافع في بلاد البربر .

Ibn Khaldoun, **Histoire des bèrbères et des dynasties musulmanes de l' Afrique sepentrionale**. trad. baran de slane, t. I, Paris,1925, p. 211-212.

(53) de la Blanchère. R. **Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie Cesarienne.** dans archives des missions scientifiques et litterairs, III , serie , t.x , 1883, p. 88-99 . ؛ جوليان، ش. أ. نفس المرجع السابق، ص .380 .

(54) Procopius, II, 20.

(55) Courtois, Ch. op. cit. p.334.

(56) Kadra, F. op. cit, p. 359.

(57) و غالبا ما يماثله المؤرخين مع شخصية ماسوناس التي ذكرها بروكوب سنة 535 .

(58) Ibid, p. 334.

الفصل الثالث

الأضرحة الملكية المستديرة و الهرمية

1 ـــ أنواع الأضرحة الملكية .

2 ـــ ضريح الملوك النوميديين الملقب بالمدغاســـن (باتنة) .

3 ـــ الضريح الملكي الموريطاني الملقب بقبر الرومية (تيبازة)

4ـــ اضرحة الملوك الموريين الملقبة بـ لجــدار (تيارت) .

5 ـــ خلاصــة .

6 ـــ مقارنة بين الأضرحة .

الأضرحة الملكية المستديرة و الهرمية

تمهيد

منذ فجر التاريخ والى غاية نهاية الفترة القديمة ، اظهر البربر اهتماما بالغا بالبناءات الجنائزية ، التي عرفت تطورا وتنوعا كبيرين مع ظهور الممالك النوميدية والمورية ، حيث قام الملوك المحليون قبل الإحتلال الروماني ، ببناء معالم جنائزية ذات مقاييس ضخمة وهندسة متنوعة .

من الواضح ان القرون التي سبقت سقوط قرطاجة سنة 146 ق. م ، عرفت تأثر الأهالي بالحضارة الفنيقية والإغريقية ، اللتان كانتا تتنافسان على النفوذ في الحوض الغربي للمتوسط . ومن بين ما نتج عن هذا التأثر اهتمام لدى البربر في مجال البناء الجنائزي ، تجسد في استيراد مظاهر من الفنون المعمارية ، كتقنيات البناء ، الزخرفة وكذا مختلف الأشكال الهندسية التي لقت رواجا كبيرا في العالم الهلنستي والفنيقي . ومما ينبغي الإشارة اليه ان المهندسين البربر وعلى الرغم من استعانتهم بالخبرة الأجنبية ، الا انهم استطاعوا ان يوفقوا الى حد كبير بين المظاهر الحضارية المستوردة والتقاليد الهندسية المحلية المتنوعة .

لقد عرف بناء الأضرحة تطورا ملحوظا في عهد الممالك القديمة ، وسنرى ان الأعيان والأمراء النوميد والمور، اولوا اهتماما ملحوظا ببناء معالم جنائزية ، تنوعت مقايسها ، اشكالها الهندسية ومخططاتها الداخلية والخارجية . ويمكن تفسير ذلك بعدة عوامل ابرزها : مكانة الدين عن

الأهالي ، تطور مظاهر العبادة الجنائزية وتنوعها ، وربما ايضا ظهور عبادة الملك الإله (1) ؟

* انواع الأضرحة البربرية :

اكثرها عددا في كل من الجزائر وتونس ، هي الأضرحة البرجية التي على شكل صومعة (2) ، ذات الأصول الشرقية القديمة ، اذ من المحتمل ان هذا النوع قد جاء الى بلاد البربر عن طريق الفنيقيين . و تشمل هذه الأضرحة نوعان : الأول يتميز بقاعدة ذات تصميم مربع ، تحمل واحد او عدة طوابق ترتكز على مصطبة وتنتهي بهرم صغير ، ويسميه بعض الباحثين ، اضرحة ذات شواهد قبرية " Mausoleés Cipes " ، اشهرها ضريحي دوقة بتونس وماسينيسا بالخروب .

والثاني يتسم بوجود تصميم سداسي الزوايا مع جوانب منحنية و مستقيمة بإنتظام ، ويعرف لحد الآن اربعة ، ابرزها ضريح صبراتة (B) بليبيا (3) المؤرخ الى القرنين الثالث أو الثاني ق. م ، ضريح هونشير بورغو في جزيرة جربة – تونس – المؤرخ الى نهاية القرن الثالث ق. م (4) ، وضريح عائلة الملك صيفاقس بسيغا – بني صاف – . ويعتبر هذا الأخير اكبر الأضرحة البرجية التي بنبيت قبل الفترة الرومانية ، علوه يقترب من 30م بينما يبلغ عرضه حوالي 15م .

ان التوزع الجغرافي لهذه الأضرحة ، يبين ان هذا النوع من المدافن كان شائعا عند الفنيقيين ، ولعل ما يشهد على ذلك ، انتشارهم الواسع في الأراضي التي خضعت للهيمنة القرطاجية والمناطق المجاورة لها (الخريطة 5) ، ووجودها بكثرة في الرسومات الجدارية لبعض القبور الفنيقية .

الى جانب الأشكال البرجية ، راج في بلاد البربر ايضا ، نوع آخر من القبور ويتعلق الأمر بالأضرحة التي تأخذ شكل اسطواني لها جذع مخروطي مدرج ، وهي على عكس النوع الأول معالم جنائزية ذات اصول محلية (الخريطة 5) . بإستثناء أضرحة لجدار التي تنفرد بقاعدتها المربعة وتاجها الهرمي ، فإن جل أضرحة هذا النوع لها قاعدة مستديرة ، نوعا ما مرتفعة ، وتاج مخروطي على شكل مدرجات . اقدم هذان النوعان ضريح المدغاسن بباتنة والضريح الملكي الموريطاني ، وآخرها اضرحة لجدار بتيارت و ضريح الغور بالمغرب الأقصى – اللذان يؤرخان على الأرجح الى الفترة الممتدة مابين نهاية القرن الخامس والنصف الأول من القرن السابع م (5) .

﴿ المدغـــاســـــــن ﴾

ضريح الملوك النوميديين

1 ـــ الموقـــع .

2 ـــ المصـــــــــادر .

3 ـــ أصل التسميـــــــــة .

4 ـــ الدراسات والحفريـــات .

5 ـــ الوصـــــف .

أ) ـــ المظهر الخارجـــــي .

ب) ـــ المظهر الداخلـــــي .

6 ـــ المقبرة القديمـــــــة .

7 ـــ أشغال الصيانة والترميم .

8 ـــ تأريخ الضريح .

المـــدغاســـن

(ضريح الملوك النوميديين)

1 ـــ الموقع :

يقع ضريح المدغاسن في بلدية بومية (الصورة 16) ، دائرة المعذر بين عين ياقوت وباتنة ، ويبعد عن هذه الأخيرة بـــ 35 كلم شمال شرق وعن قسنطينة بـــ 100 كلم جنوب شرق . يسمح كبر حجمه برؤيته من بعيد ، فقد شيد على تلة منخفضة تقع بالقرب من جبال الأوراس ، و تنحصر مابين جبل عازم شمالا وجبل طافروت جنوبا ، كما تشرف على سبخة جندلي المسماة قديما بالبحيرة الملكية Lacus-Regius (6) (الخريطة 06) . ويحيط بهذا المعلم مقبرة قديمة ، تبلغ مساحتها 2 كلم مربع ، اندثرت معظم جثواتها .

تنفرد منطقة المدغاسن بأراضيها السهلية وقلة مرتفعاتها ومناخها المضطرب ، مما جعلها عرضة لبعض التفاعلات الطبيعية : كالتعرية ، التساقط وتقلب درجة الحرارة . يتميز هذا الموقع بوجود نوعين رئيسين من الصخور هما : الجيري والحجر الرملي ، اللذان يتميزان بسهولة التكسير ، مما شكلا المادة الخام لبناء الضريح والمقبرة المحيطة به ، كما يتوفران بكثرة في جبلي طافروت وعازم (7) .

2 ـــ المصادر القديمة والحديثة :

لم يحظ المدغاسن كغيره من المعالم الجنائزية الأخرى بذكر الكتاب القدامى ، الا ان احد المؤلفين الفرنسين ، [8] يرى ان هناك اشارة قديمة لهذا الضريح في كتاب تاريخ أغسطس Histoire d'Auguste ، فهو يزعم في مقاله ان الأمبراطور الروماني بروبيس Probus ، [9] قد هزم وقتل في معركة فردية زعيما من الثوار الأفارقة يحمل اسم أراديون ، وان العساكر الرومانية قد بنوا له ضريحا عرفانا له ببسالته وشجاعته في الحرب ، ووفق رأيه هو عبارة عن قبر ونصب تذكاري في نفس الوقت ، عرضه لايتجاوز 200 قدما أي 59,20م . والغريب في الأمر ان هذه المقاييس تنطبق تماما مع قطر المدغاسن الذي يبلغ في القاعدة 59 م . ليست هناك ادلة كافية تجعل الكاتب يعتقد ان بروبيس كان يشير في كتابه الى ضريح المدغاسن ، كما ان المصادر الرومانية التي طالما مجدت الانتصارات العسكرية للرومان ، لم تتعرض الى ذكر هذا المعلم .

بالإضافة الى هذا يظهر من غير المنطقي ان تكرس الآلة العسكرية الرومانية وقتا طويلا ، وعتادا هاما لبناء قبر بهذه الأهمية [10] لعدو إفريقي ، لاسيما وانها كانت تعيش بداية احتضارها على اثر اشتداد هجمات البرابرة على حدودها الشمالية في اوربا منذ منتصف القرن الثالث م .

لابد من انتظار القرن 11م لنجد عند البكري اول وصف للمدغاسن ، ففي طريقه من القيروان الى قلعة بني حماد ، يقول هذا الجغرافي : << من بغاي نتجه الى قساس ، مدينة قديمة تقع على الوادي ، دون شك وادي شمورة الذي يصب في بحيرة جندلي ، غربا نلاحظ جبل مرتفع ، من هنا نمر الى **قصر ما دغوس** ، ضريح يشبه هضبة كبيرة ومبني بالقرميد الرقيق المشوي بالنار ، بني على شكل محراب كبير والكل مرضوم بالرصاص

نلاحظ على هذا البناء اشكال تمثل رجال وانواع اخرى من الحيوانات. من كل الجوانب محاط بالمدرجات . وفي قمته تنمو شجرة . في الأزمنة القديمة تم تجميع الناس لمحاولة تحطيم هذا البناء لكنها باءت بالفشل . في شرق الضريح توجد بحيرة مادغوس (جندلي) . هو مكان تجتمع فيه كل انواع الطيور... >> (11) .

على العموم ، الوصف الذي ذكره البكري قريب من الصحة اذ ان المحارب والرسومات التي اشار اليها يمكن ان نماثلها بمحور مابين الأعمدة في القاعدة (12) اين رأى برونو Bruno بعض الرسوم الحيوانية والكتابات (13) اما عن كون الضريح بني بالقرميد الصغير فذلك لأن البكري يكون قد شاهد القبر مهدما على مستوى قاعدته اين يتضح السور الداخلي المبني بصفائح حجرية صغيرة محكمة البناء تظهر من بعيد كأنها قرميد (14) . بالإضافة الى هذا كشف النص عن بعض الحقائق التاريخية ويتعلق الأمر بمحاولات تهديمه منذ زمن بعيد ، فإلى جانب الإنتهاكات المتعددة تعرض المعلم حسب الكاتب الى محاولة فاشلة استهدفت تدميره .

وفي القرن الثامن عشر شملت نصوص بعض الرحالة الأوربيين (15) اشارات للمدغاسن غير انها تضمنت الكثير من الأخطاء ويقول الدكتور شو Shaw عن هذا الضريح : << على بعد خمسة فراسخ شرق تاغو-زيانا، مدن رومانية قديمة ، تقع في قدم جبل مستوة... يوجد ضريح هائل يقع بين تلتين، يسمى مدراشم او مال غاشم أي كنز غاشم . لديه تقريبا نفس الشكل مع قبر الرومية غير انه اكبر منه وقاعدة كورنيشه مدعمة بركائز ذات طراز توسكاني . العرب الذين يظنون انه يختزن كنوزا ، قد فتحوه مثل قبر الرومية >> (16) .

يبدو ان الأخطاء التي وردت في هذا النص تدل دلالة واضحة ان الكاتب لم يشاهد الضريح ، بل اعتمد فى وصفه على اقوال الناس ، وابرز هذه

الأخطاء ما زعمه عن اصل تسميته ، بقوله ان المدغاسن اكبر حجما من الضريح الموريطاني ، وأخيرا ذكره للركائز التوسكانية ، وهي في الواقع اعمدة تحمل تاج مرضومة على الطراز الدوري .

3 ـــ أصل التسمية :

نلاحظ من خلال نص البكري ، ان هذا الأخير يسمي المدغاسن بمادغوس (17) ، وهو اسم قديم يبدو انه اشتق من لفظ مادغاس الذي يشير اليه ابن خلدون على انه الجد الأول لفرع البتر (18) ، حيث كانت سلالته الأولى تقطن في البداية منطقة الأوراس . و عن هذه التسمية يقول هذا المؤرخ ان : << بعض علماء الأنساب ينسبون كل بطون الشعب البربري الى فرعين رئيسين هما : البرنس او البورنوس و **مادريس او مادغيس اومادراس او مادغوس او مادروس** ، هذه الأخيرة كانت تقطن جبال الأوراس >> (19) .

ويعتقد كامبس من جهة اخرى ان الجهة التي تشمل لجدار تسمى اليوم مدغوسة ، وهي صيغة الجمع بالعربية لكلمة مادغوس ، ويستنتج بذلك ان منطقة الأوراس قد حافظت على التسمية الأمازيغية القديمة مادغاسن ، بينما اصبحت تُنطق مدغوسة في الجهات الغربية المعربة (20) .

نحن نعرف ان لفظ مادغوس كان مستعملا خلال القرن 11م في هذه المنطقة ، واذا صحت الفرضية التي تجعل من الأوراس الموطن الأصلي لقبائل البتر ، فإنه من المحتمل جدا ان مقبرة المدغاسن كانت تحمل هذه التسمية منذ القدم ، وربما كانت تُطلق قديما على الملوك او الأعيان الذين ينحدرون من هذا الفرع (21) . ويؤيد اكثر هذه الفرضية بعض الإكتشافات الآثرية ؛ فقد عثر على نصبين تذكاريين ، احدهما في شرشال مُهدى على شرف مكيبسا (22)

والثاني في الشرق الجزائري (23) ، وكلاهما يحمل اسم يزغاسن المشار اليه على انه إبن باغات إبن ماسينيسا ، وهو كذلك والد يعزم الذي بنى معبد مكيبسا .من المحتمل ان أسرة يزغاسن هذه كانت تنتمي الى السلالة الملكية التي شيدت المدغاسن ، قبل ان تنتقل من الأوراس الى ناحية سيرتا ، ومن غير المستبعد ان تشكل احدى احفادها المتأخرين . اما عن اصل صيغة جمع المدغاسن فيمكن ان تتضمن احتمالان ، اولهما ان يكون القبر قد وجه لدفن شخصيات بارزة من سلالة حاكمة ، فضلت ان تلقب نفسها بمادغاس نسبة الى جدها الأول ، وثانيهما ان هذا الجمع جاء للدلالة عن المقبرة المحيطة بالضريح (الخريطة 07) ، التي يمثل امواتها احفاد الجد مادغاس .

4 ـــ الدراسات والحفريات :

على غرار المعالم الجنائزية الأخرى ، كان المدغاسن محل اهتمام كبير من طرف الباحثين الفرنسيين منذ منتصف القرن 19 م ، حيث مكنت حفرياتهم وابحاثهم من التعرف على شكله الخارجي والداخلي والإجابة على بعض التساؤلات المتعلقة بطابعه الجنائزي .

اولى التنقيبات التي استهدفت هذا المعلم ، جرت من طرف القبطان كولينو Collineau سنوات 1849-1850 وبأمر من الجنرال كاربوشيا Carbuccia ، حيث استطاع اكتشاف المدخل الرئيسي على مستوى الدرجة الثالثة من المخروط ، كما جاء في تقريره (24) لأول مرة الحديث عن المبنى الأمامي .

وفي سنة 1854 قام المهندس بيكر Beeker (25) بوصف الضريح ، ويعد اول من اشار الى وجود ابواب وهمية واحصى العدد الحقيقي لدرجات المخروط ، وهي 23 بدل 24 كما كان سائدا لدى اغلب الباحثين (26) .

وفي سنوات 1855-1856 تمكن الرائد فوي Foy ، (27) من اكتشاف المبنى الأمامي في الشرق (الصورة 17) ، ومثله مثل كاربوشيا إعتقد خطأ انه اكتشف الحفرة الجنائزية وراء درجات السلم على غرار اهرامات الجيزة بمصر ، بينما في الواقع لم تكن درجات السلم الذي يؤدي الى الرواق المركزي كاملة (28) .

في سنة 1866 توصل القائد بوشوتي Bauchetet من اكتشاف الدرجات الأربعة المفقودة ، (29) كما اوضح ان السور المزعوم لم يكن في الحقيقة الا انقاض من الحجارة التي سقطت من داخل المبنى ، مكونة بذلك حاجزا يمنع الولوج الى داخل الرواق .

قبل سنة 1873 لم يطغ على الأبحاث السابقة الطابع الأثري ، بل كانت عبارة عن اعمال حفر بسيطة ، وفي السنة ذاتها شرعت الجمعية الأثرية القسنطينية تحت ادارة العقيد برونو Brunon ، في القيام بحفريات بالضريح والمقبرة المحيطة به ، حيث قامت برفع الأنقاض عن الرواق واكتشاف العديد من الجثوات وكذا آثار سور طويل كان يحيط بالمقبرة (30) .

لقد كنتشف تقرير برونو على الرغم من ايجازته عن حقائق كثيرة ، منها اكتشاف المخطط الداخلي للبناء ، وصف الرواق والغرفة المركزية والتعرف على تقنيات البناء ، كما اشار الى قائمة الأثاث والأدوات المكتشفة في الضريح وجثوات المقبرة (الجدول 2) . وعلى الرغم من قلتها وبساطتها ، الا ان دراستها كان بالإمكان ان تكشف عن بعض الحقائق الهامة ، لكن للأسف ضاع هذا الأثاث واختفى اثره .

بإستثناء بعض الزيارات الميدانية التي قام بها بعض الباحثين عن الكنوز ، شهد المدغاسن انقطاعا كليا في مجال الحفريات المنظمة . ويذكر كامبس في هذا المجال ، ان انهيارا قد حدث مابين سنتي 1873 و 1893 تسبب في

ردم المدخل الرئيسي (31) ، بحيث ظل مسدودا الى غاية سنة 1969 اين تمكن كل من أ. فيفري Fevrier وكامبس من الولوج الى الداخل وبلوغ الرواق والغرفة المركزية (32) ، وتبقى الدراسة التي قام بها هذا الأخير في الفترة مابين 1971 و 1973 حول هذا المبنى من اهم الدراسات . فقد استطاع وصف الرواق والغرفة الجنائزية وصفا دقيقا ، ويصحح بعض الأخطاء التي وقع فيها سابقوه ، كما يعتبر اول من أرخ لهذا الضريح بطريقة كربون 14 المشع .

وبعد الإستقلال ابدت الجزائر رغبتها في اعادة الإعتبار الى معالمها التاريخية المتضررة ، وتحقيقا لهذه الغاية اوكلت وزارة الإعلام والثقافة في سنتي 1971-1972 مهمة ترميم الضريح الى مدرسة ايطالية ، تحت اشراف السيد والسيدة دوناتي Donati ، وبمساعدة مختصين جزائريين (33) . استطاعت هذه الفرقة رغم قصر مدة اشغالها ان تنجز قسما هاما من الترميمات على مستوى القاعدة والمدرجات .

5 ـــ الـــوصـــــف :

لقد تعرض المدغاسن منذ زمن بعيد الىالنهب والسلب من طرف الباحثين عن الكنوز ، كما كان يعمد السكان المجاورين الى نزع مخالب التثبيت لصنع رصاص الأسلحة ، واخذ حجارته المنحوتة واستعمالها لأغراض منزلية . بالإضافة الى عوامل الطبيعة ، تسببت هذه الأعمال الوحشية في تصدع المعلم واحداث فجوات بليغة على مستوى القسمين الأسطواني والمخروطي (الصورة 18) .

يتشكل الضريح من قسيين رئيسيين هما :

- **المظهر الخارجي** : ويضم الكتلة الأسطوانية والجزء المخروطي والمبنى الأمامي .
- **المظهر الداخلي** : ويشمل الرواق والغرفة المركزية .

أ) ــــ المظهر الخارجي :

من الواضح ان الموقع الإستراتيجي ونوعية طبقات الأرض كانت وراء اختيار المكان ، اذ يشير برونو ان القبر اقيم
على طبقة من الفليس اللين Tuf ، نجدها اسفل سطح الأرض الطبيعي بحوالي 0,70 سم (34) . يتميز هذا النوع من الصخور بسهولة التعامل معه سواء تعلق الأمر بحفره او البناء فوقه .

- **القاعدة الأسطوانية والمخروط المدرج:**

رغم التشابه الكبير بين ضريح تيبازة والمدغاسن ، الا ان هذ الأخير ينفرد بشكله الهندسي الرائع وقاعدته الأسطوانية المنخفضة (35) (الشكل 01) ، الشبيهة بتلك البازينات المنتشرة بكثرة في الأوراس والمناطق القريبة منه (الشكل 02 و 03) .
يبلغ الإرتفاع الإجمالي للضريح 18,50م وقطره عند اسفل القاعدة 58,86م وعند الكورنيش 56,50م ، اما محيطه فيتراوح مابين 184,80م في الأسفل و 177م في اعلى القاعدة (36) . يبلغ ارتفاع المخروط المدرج 13,92م ويتشكل من 23 درجة متوسط علوها حوالي 0,58م ، وعلى مستوى الدرجة الثالثة يقع المدخل الرئيسي (الشكل 04) . اما القاعدة الأسطوانية التي يصل علوها 4,43م فتتكون من ثمانية مداميك ، اسفلها الذي يبرز بـــ0,53م

استعمل كقاعدة لــ 60 عمودا مرضومة على الطراز الدوري (37) (الشكل 05) ، ويبلغ راتفاع العمود اكثر من 2,65م ، اذ يتشكل من جذع مخروطي وتاج على شكل مرفقة Echinos ، يعلوه عصابة Tailloir علوية ، وبين عمود واخر مسافة تقدر بحوالي 2,90م (الصورة 19) . يبدو ان معظم الأعمدة فقدت القسم السفلي من جذعها وبعضها سقط كلية خاصة في الواجهة الغربية الجنوبية.

فوق العصابة يمتد رباط الأعمدة Architrave ، الذي يتميز بزواياه العلوية المكسورة وبروزه على محور مابين الأعمدة ، كما يحمل في جهته العليا طوق او قولب ناتئ Tore مضلع الزوايا (الصورة 20) ، وفوق هذا الأخير تمتد الكورنيش ذات العنق المصرية التي تشبه من الجانب الربعية (الصورة 20) ويمكن ادراجها حسب بعض الباحثين (38) في المجموعة ذات التأثير الفنيقي الممثلة في اوتيكة ، دوقة والخروب (الشكل 06) . يبدو ان بروز الكورنيش بشكل كبير كان من بين العوامل التي ادت الى سقوط معظمها (39) .

تتشكل واجهة الجدار الخارجي من سورين ، احدهما داخلي مبني بالحجر الصغير المفلطح ومرصوف بإحكام ، والآخر خارجي مبني بالحجارة المنحوتة ، مقصبة تقصيبا جيدا ومثبتة فيمابينها بواسطة مخالب من الرصاص (الصورة 21) . اما حشو البناء Noyau فيتكون من ركام من الأحجار الخشنة وقطع من المواد المختلفة ، مكدسة بشكل عشوائي .

في قمة البناء تمتد مسطحة نصف قطرها 11,40م ، منخفضة بحوالي 1,50م نحو مركز البناء ؛ قد يرجع هذا الإنخفاض الى محاولة تنقيب المعلم من الأعلى ، او بسبب التهديمات التي تعرض لها من الداخل . ويذكر برونو انه شاهد آثار ملاط على هذه القمة (40) مما يوحي ان التاج المخروطي كان

يشكل في البداية بناء متكامل ، اما بواسطة درجات اخرى اوقسم ملحق ، بينما يعتقد آخرون ان المسطحة كانت تحمل اما زخارف هندسية (41) او تماثيل اوهرم صغير (42) .

♦ **الأبواب الوهمية :**

هل يمكن الحديث عن وجود ابواب وهمية في المدغاسن ؟

يرى بعض الباحثين انه على غرار الضريح الموريطاني ، يتوفر المدغاسن على ثلاثة ابواب وهمية ، تتوزع على ثلاثة جهات مشكلة بذلك مثلث يقسم القاعدة الأسطوانية الى ثلاثة اقسام متساوية المسافات . ففي الجنوب الشرقي و الشمال

الشرقي ، يلاحظ على مستوى محور مابين الأعمدة 10-11 و 50 ــــ 51 وجود نتوئين بارزين مختلفين تحت رباط الأعمدة ، عرضهما 1,77م، يشغلان مدمكتين في محور مابين الأعمدة ، ويشكلان تاج على الطراز المصري (الصورة 22) .

بعض الباحثين اعتقد انهما يمثلان ابواب وهمية (43) . لقد اشار كل من بيكر سنة 1854 ، وكاهن (44) سنة 1873 ، ان المسافة التي تفصل بين النتوئين المعروفين تعادل ثلث محيط الضريح ، مما جعلهما يخلصان الى امكانية وجود نتوء ثالث في محور مابين الأعمدة 30-31 ، غير ان التهديم الحاصل في الجهة المقابلة للمبنى الأمامي حال دون رؤيته .

بإستثناء بيكر الذي اشار الى دورهما ، فإن باحثي القرن 19 لم يستطيعو التعرف عليهما ، اما برونو وبوشوتي وكاهن ، فأعتبروا هذه النتوءات زخرف شبكي او نتوء مميز ، يمثل علامات لثلاثة ابواب مهيئة اسفل قاعدة البناء (45) .

يتشكل النتوء الواقع فيما بين الأعمدة 50-51 من زينة ملطفة Doucine droite تشغل قمته ، حيث تحمل عصابة عليا عريضة Bandeau ، تشرف على تجويف مصري Gorge egyptienne قليل البروز . ويلي هذا الأخير قولب Tore يبلغ طوله 1,75م ، يمثل عتبة الباب وعلى جانبيه تمتد عضادتين Pieds-droits على شكل خطوط عمودية تتجه نحو الأسفل تشكل اطار الباب (الشكل 07) (46) .

اننا لانستطيع التأكد ان كانت هذه النتوءات تمثل فعلا ابواب وهمية ، نظرا لأختلافهما عن بعضهما البعض من جهة وعدم قدرتنا على اثبات وجود نتوء ثالث من جهة اخرى ، وعلى هذا الأساس آلايمكن اعتبارهما مجرد شكل زخرفي ، الغرض منه تزيين واجهة الجدار الخارجي ؟ لاشيئ يؤكد هذا او ذاك امام تضرر واجهة الجدار الخارجي .

يبدو ان وجود ابواب وهمية في ضريح تيبازة الذي يعتبره بعض المؤرخين نسخة طبق الأصل للمدغاسن ، قد يدفعنا الى التصور ان تلك النتوءات ، ماهي الا آثار لأبواب وهمية لاتتشابه فيما بينها لاسيما اذا ثبت وجود نتوء ثالث في الجهة الشرقية ، من شأنه ان يقسم محيط الضريح الى مثلث متساوي المسافات (47) .

لقد اعاد ليزين Lézine تشكيل هذه النتوءات على شاكلة الأبواب الوهمية المنحوتة على المسلات ذات الطراز المصري المستعملة في معابد قرطاجة ، (48) (الشكل 07 و 08) اما كامبس فيرى ان هذه الأبواب مستوحاة من البناءات الدينية الفنيقية ذات التأثير المصري ، وان دورها ليس زخرفي فحسب بل قد تكون لها توجهات شعائرية اخرى غير الرمز الى مدخل الضريح (49) .

♦ **الكتابات والرسومات .**

لقد تحدث البكري في القرن 11م عن رسومات واشكال تمثل رجال وانواع من الحيوانات لاحظها على واجهة الجدار الخارجي (الشكل 05) . (50) كما يذكر بعض الباحثين الفرنسيين في القرن 19 انهم شاهدوا رموز كتابات ورسومات مختلفة (51) . فوي اعتقد ان هذه الرموز لاتمثل في الحقيقة الا علامات لنحاة الحجارة مثل مانصادفه في المعالم الأخرى .

يصعب جدا اليوم التعرف على الرسومات و الكتابات التي تحدث عنها نص البكري ، بسبب تدهور جدار التكسية الخارجي ، ومع ذلك فقد عثر من بين الأنقاض ، خلال الترميمات التي اجريت بالمدغاسن سنوات 1972-1973 على عدد هام من احجار القاعدة السفلى تحمل صورا واشكال متعددة (52) .

موليني Molinier الذي درس بإسهاب مسألة الكتابات و الرسومات ، يرى ان الأشكال التي تمثل قوافل ومشاهد للصيد لم تنقش من طرف يد متخصصة ، نظرا لعدم دقتها ووضوحها ، فالكثير منها حسب رأيه وضع بشكل غير منظم

ومتناسق فيما بينه (53) . الى جانب هذا لاحظ الباحث في محور مابين الأعمدة ، وفي اسفل القاعدة وجود كتابات ليبية و فنيقية ــــ جديدة ، و فوقها أخرى عربية والكل يصعب قراءته نظرا لكثرة الإنشقاقات والحفر ، وبناء عليه يرى ان تلك الكتابات والرسومات لا تمثل في الواقع مظهرا فنيا اصليا ، بل من الأجدر القول انها من فعل زوار يكونون قد اعجبوا بهذا البناء الرائع فتركوا بذلك بصماتهم عبر مختلف الأزمنة ، مثل ماهو الحال مع الكتابات الحديثة التي نراها اليوم ، المنقوشة من قبل الزوار والرعاة (54)

♦ المبنى الأمامي .

في الجهة الشرقية من الضريح يمتد المبنى الأمامي (55) ، هو عبارة عن منصة واسعة ذات مدمكتان تلتصق بقدم القاعدة (الصورة 17)، بنيت ببلاطات كبيرة محكمة البناء ومغطاة باللون الأحمر الجنائزي (56) ، يبلغ عرضها 25م وتشكل نتوء طوله 14م . لم يبق اليوم من هذا البناء الا اساساسه وقسما من مساحة مبلطة تقدر بـــ 5,50م على 1,50م (57) . مثل هذه المباني المستطيلة غالبا ما نجدها في شرق العديد من مدافن فجر التاريخ ، (58) مما يجعلنا نستنتج ان منصات الأضرحة الأخرى : كقبر تيبازة ، الأجدار ، بلاد قيطون والغور ، تعتبر اشكال متطورة عن النماذج البدائية .

ان وجوده في شرق الضريح والتصاقه بقدم القاعدة ومقابلته للمدخل الرئيسي والطلاء الأحمر الذي يكسوه ، هي معطيات تطرح اكثر من تساؤل . مما لاشك فبه ان دور هذه المصطبة كان جنائزي ، قد يكون استخدم كفضاء لأقامة الإحتفالات الدينية او لأتمام بعض الشعائر الجنائزية المرتبطة بمراسيم دفن الميت او زيارة ضريحه قصد التبرك به .

ب) ـــ المـــظهـــــر الـــداخـــلــي :

♦ المدخل الرئيسي .

اكتشف مدخل الضريح خلال حفريات كاربوشيا سنتي 1849-1850 ، فهو عبارة عن فتحة صغيرة مربعة تقع في الشرق وبالظبط على مستوى الدرجة الثالثة من المخروط المدرج ، علوها 1,60م وعرضها 0,70م ، كانت مغلقة في البداية بواسطة نظام السد الحجري ويتمثل في بلاطة تنزلق

على طول حزتين عموديتين هيئتا على جانبي اطار الباب (59) . لقد عثر على قسم من هذه البلاطة اثناء حفريات 1873 بينما تعرض الباقي للكسر من طرف الناهبين ، من دون شك صعب عليهم رفعها فأختاروا اسهل الطرق وهي تهديمها (60) . من الطبيعي انه استخدم لفتح الباب ادوات كالقضبان لرفع البلاطة وتثبيتها في مسكنها العلوي ، اذ يكفي لأغلاق المدخل وحجبه ارجاع احجار الدرجة الثالثة والرابعة الى مكانها الأصلي .

نحن نتسآل لماذا تم تهيئة المدخل في الأعلى وهل هناك سر وراء اخفاءه ؟

بعض الباحثين يرون انه لم يكن المقصد من ذلك هو حجب المدخل ، فمثل هذا النظام يوجد في الجثوات المجهزة برواق ، وبهذا يبدو طبيعيا تهيئتة في الأعلى لأن الجثوة او الضريح يضمان امواتا وبالتالي لايصح في نظرهم ان تفتح ابوابهما على الخارج مثل مساكن الأحياء (61) . يظهر ان عملية اخفاء المدخل لم تقتصرعلى المدغاسن فحسب ، بل نجدها ايضا في الأضرحة الأخرى ، في تيبازة (62) ، لجدار وبعض بازينات الفترة المبكرة ، وفي اعتقادي ان الغرض من ذلك هو حجبه

عن اعين الناس حتى لايتسنى لهم العبث بالأموات ونهب اثاثهم الجنائزي ، وفي هذه الحالة فقط الكهنة وافراد عائلة الميت او المقربين منه يكونون على اطلاع بسر المدخل ، وهم وحدهم ايضا الذين لهم الحق في الدخول الى الغرفة الجنائزية اثناء عمليات الدفن المتتالية او اقامة الإحتفالات الدينية .

الرواق الداخلي.

عند وصفنا للمخطط الداخلي ، نعتمد بالدرجة الأولى على مذكرة برونو ومقال كامبس بإعتبارهما المصدران الوحيدان لذلك ، فإلى جانب الإنهيار الداخلي الذي حدث في الفترة مابين 1873-1893، تم غلق المدخل من طرف المصالح المعنية أثناء ترميم المدغاسن بين سنتي 1972-1977 ، بسبب تدهور بنياته الداخلية .

بعد اجتياز المدخل نصل الى بهو صغير طوله 1,20م وعرضه 0,60م ، يشرف على سلم غير كامل (63) ذو 11 درجة ، مبنية بالحجر المنحوت ومكسوة بطلاء احمر (64) . تقود المرقاة الى رواق طويل مائل يبلغ طوله 17 م (65) ، بنيت جدرانه بالحجر الصغير دون ملاط وتتشكل ارضيته من شظايا وحطام الحجارة المنحوتة ومغطاة بطبقة من تراب ملونة بالأحمر (66) .

اما عن سقفه فلم يرد برونو تفصيلات بشأنه ، غير انه تحدث عن وجود ركائز من خشب البلوط على شكل فرشاة تدعم الجدران والسقف المبني بالخشب (67) (الشكل 09) . لقد كان سائدا لدى الباحثين الفرنسيين في القرن 19 ، ان سقف الرواق بني في اول الأمر ببلاطات حجرية ثم دعم بعوارض Poutres من شجر العرعار ، غير ان كامبس وأ. فيفري لاحظا سنة 1969 عكس ذلك ؛ فالسقف كان يحمل حسب وصفهم منذ البداية عوارض من خشب الأرز وليس العرعار ، تزامن وضعها مع بناء الضريح ، بدليل اطرافها المندمجة والغائرة في جدران الرواق (68) (الشكل 10) . وفي سنة 1970 اشار كامبس الى وجود 17 جائزا من شجر الأرز في حالة جيدة ، يتوزعون بشكل متتالي على طول الرواق ، اما القطع الخشبية الساندة فهي عبارة عن جذوع شجر البلوط الأخضر ، يبدو انها وضعت في فترة متأخرة كما تشهد على ذلك قشرته التي لازالت تغطيه (69) .

- **الغرفة المركزية .**

يصل الرواق الى الغرفة الجنائزية الواقعة في مركز البناء (الشكل 11) ، جدرانها مقصبة بالحجر المنحوت اما سقفها فيصعب معرفة شكله وتقنية بناءه بسبب سقوطه . مدخل الغرفة عبارة عن فتحة مربعة يبلغ علوها 1,70 م وعرضها 0,90م (70) ، كانت مغلقة قديما بباب صنع من خشب الأرز (الشكل 10) ، حيث عثر بجوار المدخل على قطع منه ملونة بالأحمر (71) . يجدر بنا ان نشير ان مساحة الغرفة ضيقة ، اذ لايتعدى طولها 3,30م وعرضها في جهة الباب 1,45م وفي العمق 1,59م (72) ، كما وجدت خالية

من كل اثاث جنائزي بإستثناء بعض القطع الفخارية المتناثرة . كما يمتد على طول جانبي الغرفة في إتجاه شرق ـــــ غرب ، مقعدان حجريان عرضهما لايتجاوز 0,20م وارتفاعهما 0,30م (73) .

ان تجهيز الضريح بمدخل رئيسي ورواق وغرفة مركزية ، يدعو الى الإعتقاد ان عمليات الدفن كانت دون شك متتالية ، غير اننا لانستطيع الجزم ان كانت الشعيرة الممارسة هي الدفن العادي ام الحرق ؛ فقد تعرض المدغاسن الى النهب منذ زمن بعيد وهو مايفسر الآثاث الحقير الذي اكتشف خلال تنقيبات 1873 (الجدول 2) . يظهر ان ضيق الغرفة قد تجعلنا نميل الى فرضية استعمال شعار الحرق ، ويعزز اكثر هذا الرأي العثور سنة 1873 على طست كبير ، دائري (74) مملوء بالرماد والفحم في الجثوة رقم 02 التي لا تبعد عن الضريح الا بـــ 100م (انظر الخريطة رقم07) ، كما وجدت ايضا شظايا مرمدات فخارية في الرواق الداخلي للضريح والمبنى الأمامي . الى جانب هذا لايمكن في أي حال من الأحوال دفن عدد من الجثث مصحوبة بأثاثها الجنائزي في قاعة ضاقت اكثر بوجود المقعدين الجانبيين (75) .

الجدول رقم (2)

الأثاث المكتشف في ضريح المدغاسن والمقبرة المجاورة خلال حفريات الجمعية الأثرية لقسنطينة سنة 1873 [76] (انظر الأشكال رقم : 12 ، 13 ، 14)

المواد المكتشفة	المكان	الشكل	الرقم
ـ قطعة من نحاس تحمل ثلاثة ثقوب تنتمي الى در ع او طوق.		12	1
ـ قطعة جلد تنتمي الى مقلاع.		12	2
ـ قطعة جلد مستطيلة مظفورة.		12	3
ـ شظايا فخار قديم.		/	/
ـ قطعة جلدية تحيط بهيكل خشبي مستدير.		13	1
ـ بقايا خشب مفحم.	الرواق الداخلي للضريح	/	/
ـ رماد خشب.		/	/
ـ لوحة من شجر العرعارتنتمي الى باب.		/	/
ـ قطعة من كورنيش مفحمة مصنوعة من الحجر الرملي.		14	1
ـ مخلبان خشبيان للتثبيت.		/	/

ـ صحن من خشب.		12	11
ـ شظايا مرمدات فخارية.		/	/
هيكل عظمي آدمي ذو دفن متأخر		/	/
قبران مغطيان ببلاطات يضمان هياكل عظمية .		/	/
ثلاثة ميداليات صغيرة خشنة		12	4
سهم مثلث من حديد.		12	6
عصبة من نحاس اصفر على شكل مزلاج .	**المبني الأمامي**	12	7
مزهريتان من فخار مكسرة الأولى تشبه مصباح روماني والثانية لها شكل مرمدة .		13	2
هيكل عظمي مدفون في وضعية جالسة .		/	/
قطعة صوانية على شكل حرف s .		13	3
قطعة من سلك نحاس ملتوي .		13	4
ميداليتان في حالة جيدة : احدهما يمثل يوبا الأول والآخر زخرف .		13	5
قدوم حديدي مُكربن .		13	6
حلقة من عقد او من سوار مصنوعة من عاج .	**المبني الأمامي**	12	5
مصباح مصنوع من طين مشوي .		12	6

قطعتان من رصاص .		13	11
حبة من فخار تنتمي الى عقد .		13	10
قطعة من ذهب .		/	/
هيكل عظمي في الجثوة الصغيرة رقم 3 (انظر الخريطة 9)		/	/
في الجثوة رقم (6) سواران من نحاس اصفر وقرط اذن .		12	9 ، 8
سكة محراث مكربن في احدي الجثوات الواقعة في الشرق .		12	10
في الجثوة رقم (2) طست كبير دائري من طين مشوي نصف قطره 0,70م علوه 0,22م وثخانته 0,05م يحمل بداخله رماد وفحم .	جثوات المقبرة	14	7
سوار صغير من نحاس وحلق صغير في الجثوة رقم 4.		13	8 ،7
بقايا طلاء باب في جثوة مجاورة لرقم 4 .		14	2
في الجثوة رقم (1) : ماعونان خشبيان كلاب حديدي حلقتان من نحاس وميدالية تمثل الأمبراطور قسطنطين .		13 14	9 . 4.3.6. .5.8

6 ـــ المقبرة القديمة :

تكمن اهمية المقبرة الواسعة التي تحيط بالمدغاسن ، في كونها لها ارتباط وثيق بهذا الأخير الا ان دراستها تبدو اليوم امرا غير ممكنا بسبب عدة عوامل ابرزها : اندثار معظم آثارها نتيجة التوسع الزراعي وتأثير الطبيعة ، قلة المصادر التاريخية بحيث تبقى مذكرة برونو ودراسة غرايو ـ غزال (77) المرجع الوحيد في هذا الشأن ، و كذلك اختفاء الهياكل العظمية والأثاث المدفني المتواضع (78) المستخرج خلال حفريات سنة 1873 (الجدول 2)

تبلغ مساحة هذه المقبرة حوالي 2كلم2 (79) ، محاطة بسور واسع (الخريطة 7) ، كما تتشكل في غالبها من جثوات اهمها جثوة كبيرة تقع على بعد 100م جنوب غرب المدغاسن ، يبلغ قطرها 25م وتدخل حسب كامبس في زمرة المعالم ذات المطافات (80) ، يشبه شكلها الخارجي الضريح اما مخططها الداخلي فهو عبارة عن رواق مستدير يحيط بالغرفة المركزية ويؤدي اليها.

لقد كشفت حفريات 1873 ان جثوات المقبرة تعود الى فترات زمنية مختلفة (81) ، الى جانب هذا تنتشر في الجهة الشمالية من الضريح مقبرة حديثة لازالت ترى الى يومنا هذا ، و مثل هذه المقابر لايقتصر وجودها على المدغاسن فحسب ، فكما عرفت في الحقبة القديمة نصادفها بكثرة ايضا في المقابر المعاصرة . لقد ظلت هذه العادة تمارس في بلاد المغرب الى يومنا هذا ، اذ كثيرا ما نجد اضرحة بعض الأتقياء الذين تلقبهم العامة بالأولياء الصالحين ، تحيط بها قبور محبيهم من عامة الناس. ان التقرب الملاحظ من هذه الأضرحة لايمكن تفسيره الا برغبة التابعين سواء في العصر القديم او

الحديث في النوم الخالد بجوار الشخصيات البارزة قد تكون ملكا ، اميرا او رجلا صالحا .

7 ـــ اشغال الصيانة والترميم :

مثله مثل العديد من المعالم والمباني التاريخية ، لم ينج المدغاسن من قساوة الإنسان و عوامل الطبيعة ، فقبل بداية اعمال الترميم في مطلع السبعينات من هذا القرن كان الضريح بصفة عامة في حالة يرثى لها . فقد شملت التصدعات تقريبا كل اجزاء المعلم سواء في الخارج او في الداخل ، حيث سقطت معظم اعمدة واحجار قسمه الأسطواني وشكلت بذلك انقاض ضخمة تشغل محيطه (الصورة 23) ، كما فقد جزءه المخروطي هو الآخر العديد من مدرجاته وكورنيشه، وانخفضت مسطحته العليا نحو مركز البناء من شدة التهديم . اما بنياته الداخلية فلا تبدو اقل ضررا من الخارج ، حيث اصبحت مهددة بالسقوط اكثر مما كانت عليه سابقا نتيجة الإنهيارات المتأخرة التي كانت عرضة لها (82) .

لقد عمد آهالي المنطقة منذ فترة طويلة ، الى نزع مخالب حجارته Crampons المصنوعة من الرصاص ونهبوا الكثير من حجارته المنحوتة لتزيين منازلهم . بالإضافة الى هذا لم تسلم المقبرة هي الأخري من آثار الهدم ، فقد عمد الفلاحون المجاورون الى توسيع اراضيهم الزراعية على حساب الجثوات العديدة التي كانت تشكل فيما مضى مقبرة المدغاسن الحقيقية

وامام هذه الوضعية المزرية شرعت وزارة الثقافة والإعلام وبالتنسيق مع مديرية المتاحف الوطنية سنة 1971 ، في ترميم المدغاسن واستدعت لهذه المهمة مختصين في هذا المجال (83) .

لقد جرت اعمال الترميم على مرحلتين : 1972 و1973 ، تم من خلالها انجاز مايلي :

1. تنظيف محيط الضريح من الحشائش والشجيرات التي لصقت به ، وازالة الركام الحجري المترامي من حوله (84).
2. تدعيم وتقوية القسم الأسطواني والجذع المخروطي ، وهذا بغلق الثغرات الكبيرة على مستوى السور الخارجي والداخلي والمدرجات ، واعادة معظم الأحجار المنحوتة الى اماكنها الأصلية (الصورة 24) .

لم تدم هذه الأشغال طويلا ، حيث توقفت فجأة لأسباب لانعرفها وبقي بذلك القسم الداخلي ـ المدخل ، الرواق والغرفة المركزية ـــ بدون ترميم ، لكن على الرغم من هذا استطاعت الى حد كبير ان تعيد الإعتبار الى المدغاسن لاسيما شكله الخارجي وان تمنع عنه الكثير من التهديمات (الصورة 25-26) .

8 ــــ تأريخ المدغاسن :

يبدو ان هناك عدة جوانب لازالت تثير تساؤلات الباحثين حول الضريح ، منها غموض تسميته ، وقوعه في منطقة تبدو بعيدة عن المراكز والمدن القديمة المعروفة وعدم وجود أي اشارة اليه في النصوص التاريخية القديمة .

هل يمكن اعتبار المدغاسن اقدم الأضرحة الملكية البربرية ؟

هناك بعض المؤشرات تدل على ذلك ، منها بناؤه القديم ؛ اذ يمكن ان نلمس هذا من خلال رواقه المتواضع المبني بالحجارة الصغيرة و سقفه البدائي المشكل من الخشب (85) ، وغرفته الجنائزية التي تذكرنا بتلك الغرف البسيطة التي غالبا ما نجدها في جثوات فجر التاريخ (86) . الى جانب هذا

يعتقد كامبس اعتمادا على تحليل بعض العينات بطريقة كربون 14 المشع (87) ، ان تشييد المبنى كان في نهاية القرن الرابع و بداية القرن الثالث ق. م .

وفي الأخير يرى فيه قبر سلالة بعض الملوك الماصيليين ويعتقد من جهة اخرى ، ان الفترة التي بني فيها كانت الأسرة الحاكمة ماتزال تقطن في موطنها الأصلي بالقرب من جبال الأوراس ، منبع قوتها (88) . يظهر ان هذه الفرضية لها ما يسندها ، اذ ان سكوت المصادر القديمة لايعني بالضرورة عدم وجود ملوك نوميديين سابقين للملك غايا وابنه ماسينيسا قد تعاقبوا على عرش المملكة الماصيلية ، اضافة لهذا فكلمة مادغوس التي وردت في نص البكري تبدو جذورها قديمة ، حيث يرى علماء الأنساب ان اسم مادغاس او مادغيس هو لقب الجد الأول لفرع البتر ، الذي كان يقطن حسب ابن خلدون منطقة الأوراس ، ويعزز هذه الفرضية وقوع المدغاسن بجوار السهل المدعو حاليا المعذر ، كما تسمى القبيلة التي تشغل هذه البلاد حاركتا مادغاس (89) .

ويرى فوي من جهة اخرى ، ان بناء الضريح في منطقة جرداء جاء تذكيرا بحادث ما نجهله ، قد يكون مقتل اووفاة امير او ملك في ذاك المكان ، ويعلل رأيه بجفاف الموقع وعدم وجود آثار قديمة مجاورة ، كبقايا قصر او مدينة عتيقة (90).

يظهر ان هذه الفرضية لاتعتمد على حجج مقنعة ، ذلك ان هذه المنطقة على الرغم من بعدها نوعا ما عن المراكز الحضارية الكبرى ، الاانها كانت تمثل قديما مركزا استراتيجيا واقتصاديا لايقل اهمية ، فمحور الطريق الرابط بين قسنطينة وباتنة كان فيما مضى طريقا رومانيا يربط سيرتا بلامباز ، تيمقاد وتبسة ويمر بالقرب من قدم الضريح . ويذكر كذلك ديدور الصقلي مؤرخ القرن الأول ق.م ، ان تبسة الواقعة شرق باتنة كانت تعد منطقة اقتصادية وبشرية هامة خلال الحرب البونية الثانية .

الى جانب هذا ليس المدغاسن بمفرده الذي يربض في رقعة نحسبها اليوم نائية ، فضريح تيبازة بني هو الآخر في قمة جبلية منعزلة تبعد بحوالي 40 كلم عن قيصرية وشيدت الأجدار على قمم جبال قريبة من الهضاب العليا الغربية . لقد اثبتت الدراسات ان اختيار الموقع كان يخضع قديما الى معايير مادية وشعائرية، منها ارتفاع المكان ، طبيعة سطح الأرض وتوفر المادة الخام للبناء كمقالع الحجر الكلسي ، الرملي والملاط .

هناك فرضيات اخرى تنسب هذا الضريح الى ملوك اقوياء امثال : صيفاقس (91) ، ماسينيسا واحفاده (92) ويحتجون اصحابها بطول فترة حكم هذين العاهلين واتساع حدود ممالكهما . غير ان هناك من يقلل من قيمة هذه الآراء ، حيث يذكر المؤرخ اللاتيني تيت ليف ان صيفاقس توفي في ايطاليا وان الجمهورية الرومانية اخذت على عاتقها تشييع جنازته (93) ، كما يرى الكثير من المؤرخين ان ضريح الخروب القريب من سيرتا لايعدو ان يكون الا قبر ماسينيسا او ابنه مكيبسا (94) .

والجدير بالذكر ان هندسة المدغاسن وعمارته تشكل مزيجا من العناصر الأجنبية : فنيقية ، اغريقية ومصرية —— والتقاليد البربرية القديمة ، و يتجلى التأثير الأجنبي على الخصوص في الأعمدة والتيجان ذات الطراز الدوري القديم ، الكورنيش المنتهية بحلق مصري والأبواب الوهمية على الطراز الفنيقي (الشكل 08) ، بينما تتبدى الأشكال المحلية بوضوح من خلال استمرار تشيد البازينات ذات القاعدة الأسطوانية والتاج المخروطي و ذات الدرجات ، التي تنتشر بكثرة في سفوح جبال الأطلس الصحراوي والسلاسل الصغيرة المتصلة بالهضاب العليا (95) ، وتكمن اهمية هذه المدافن في كونها تعتبر حسب بعض الباحثين النموذج الأصلي للمدغاسن (الشكل 1-2- 3) .

على الرغم من قدم العناصر الهندسية والزخرفية بالمدغاسن ، الا انه لايمكن الإعتماد عليها لتأريخ هذا الأخير ، فالكورنيش المصرية ظلت تستعمل في العالمين الفنيقي والنوميدي الى زمن متأخر (96) ، اذ ان اضرحة دوقة والخروب ومعبد شمتو التي تؤرخ الى القرن الثاني ق. م لديهم مثل هذا الزخرف الهندسي (الشكل 06) ، كما ان البازنيات التي تمثل النماذج الاصلية للضريح مثلما بنيت في فجر التاريخ ظلت تشيد ايضا خلال العصر التاريخي .

نحن نتسآل **ضريح من اذن ؟**

يمكن ان نستنتج مما سبق ذكره ، ان المدغاسن ضريح عائلة حاكمة من سلالة الماصيل القدامى ، كانت تقيم بالقرب من الأوراس وتكون قد لزمت الحياد أثناء الصراع القرطاجي ـ الإغريقي وخلال الحرب البونية الأولى ايضا ، وهو مايفسر حسب رأي سكوت النصوص القديمة عن ذكر ملوكها .

كما تشير ذات المصادر ان سبخة جندلي التي يسميها البكري بحيرة مادغوس ، كانت تسمى قديما البحيرة الملكية .

من جهة اخرى يعتبر الكثير من المؤرخين ان الضريح الموريطاني يُعد نسخة طبق الأصل للمدغاسن (97) ، وبالتالي اذا كان هذان الضريحان يتشابهان من حيث الشكل العام واصولهما الهندسية ، فإنهما قد يشتركان ايضا في كونهما شيدا من اجل عائلة ملكية .

واستنادا الى ما سبق ، آلا يمكن اعتبار المدغاسن ضريح مشترك لأحدى العائلات المالكة من سلالة الماصيل التي حكمت في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق. م ؟ يصعب معرفة اسمها لكنها في اعتقادي تمثل اجداد الملوك النوميديين المتأخرين أمثال ماسينيسا ، مكيبسا ، يوغرطة ويوبا

هوامش ضريح المدغاسن

(1) . جوليان ش . أ، نفس المرجع السابق ، ص. 136؛ اليونيسكو ، نفس المرجع السابق ، ص. 450 .

(2) Camps, G. **Mausoleés princiers**... p. 52.

(3) وهناك ضريح آخر من هذا النوع في صبراتة ايضا ، يسمى (A) يعتقد انه اقدم من الضريح (B) .

(4) Camps, G. **art. cit.** p. 52. وحول هذا الضريح انظر : Akan-Weiremmi. J. **Bourgou (Henchir,Mausolée)**, Encyclopedie Berbère , X, 1991, Alger, 1983 .

(5) Camps, G. art. cit. . p. 53.

(6) Camps, G. Nouvelles observatios... p. 472. وحول موقع هذه البحيرة انظر : Gsell. St. Atlas Archéologique... F. 27 (Batna), au N°159, et F. 17 (Const.) au N°126.

(7) بورموش سليمة، مذكرة ليسانس تحت عنوان ، **مقبرة المدغاسن**. معهد الأثار، جامعة الجزائر، 1991، ص. 16.

(8) هو كاتب غير معروف رمز الى اسمه بحرفين : **A.C.** ، كتب مقالا بعنوان: **Le Mausoleé du Roi Aradion**, Dans Annuaire de la Soc. archéol. de Const., 1854-1855, p. 180-181.

(9) تقلد عرش الأمبراطورية في الفترة مابين 276-282 م .

(10) Grand Rabin Cahen, Ab. **Le Médracen, Rapport de fouilles**. Rec des Notes et Mem. de la Soc. Archéol. de Const. T. XVI, 1871-1873, p.13 .

(11) Grand Rabin Cahen, Ab. **Le Médracen, Rapport de fouilles**. Rec des Notes et Mem. de la Soc. Archéol. de Const. T. XVI, 1871-1873, p.13 .

(12) El Bekri, op. cit. p. 107.

(13) Brunon, art. cit. p. 311.

(14) Commandant Foy. **Note Archéologique sur le Médracen**, Annuaire de la Soc. Archéol. de Const. T. III, 1856-1857 , p. 67-68.

(15) Foy, art. cit. p. 60.

(16) امثال د. شو، بروس **Bruce** و peysonell

(17) Dr. Shaw, **Voyages ou observations**... p. 136.

(18) هي صيغة معربة لكلمة مادغا س بالأمازيغية . الى جانب هذا اعطيت عدة تفاسير لتسمية المدغاسن ، ولأكثر تفاصيل حول هذا الموضوع انظر : Camps, Shaw, Cahen, Brunon, Foy, Ibn Khaldoun

(19) لقد اشتقت تسمية البتر من لفظ الأبتر وهو الأسم الثاني لمادغاس Ibn Khaldoun, op. cit. T. I, p. 168, 181, 226.

(20) Ibid, p. 168 ,181,204,226; III, p. 180-181.

(21) Camps, G. art. cit. p. 471-472 ويعتقد هذا الباحث ايضا ان الزناتيين كانوا يطلقون نفس الإسم الأسطوري المشتق من شجرة انسابهم على المعالم الهامة ، و يرجعون بناءها الى اجدادهم مجاملة لهم . Ibid., p. 472.

(22) غانم ، م. الصغير نقيشة مسيبسا، مجلة سيرتا، العدد 4، قسنطينة، 1980، ص. 2-14 ؛ Février, J. G. **La Stèle de Micipsa**, B. A. C., 1949, pp. 652-655 ; Id., **L'inscription funéraire de Micipsa**, Rev. d'Assyrologie et d'Archéologie Oriental, t. XLV, 1955 , pp. 139-150 .

(23) Chabot, J. B. **Recueil des inscriptions libyques**, éd. imprimerie nationale, Paris, 1940-1941, n° 1108.

(24) لقد نشر بربروجير جزءا من هذا التقرير في : Berbrugger, A Compte rendu bibliographique du premier volume de l'Annuaire Archéologique de Constantine. Paru dans la Rev. afric T. I ,1856, PP. 234-239 .

(25) Becker, H. **Essai sur le Medracen,** dans Annuaire de la soc. Archéol. de Const. 1854, pp. 108-118.

(26) بإستثناء بيكر وكامبس اغلب الباحثين عدوا 24 درجة على مستوى المخروط ، حيث اعتبروا قاعدة الكورنيش التي يرتكز عليها التاج ضمن هذا العدد .

(27) Foy, art. cit. pp. 58-69.

(28) الى جانب هذا ادى عثور هؤلاء على سور حجري يسد الرواق واختفاء الدرجات الأربعة اللاحقة للسلم ، الى تصور لديهم بأنهم قد وصلوا الى الغرفة القبرية .

(29) Brunon, C.art. cit. p. 317.

(30) Ibid, pp. 304-350. ، ودامت هذه الأعمال تقريبا شهرين من 21 افريل الى 18 جوان بقيادة الظابط بوشوتي **Beauchetet**

(31) Camps, G. Mausoleés princiers... p. 54.

(32) Id. Nouvelles observations... p. 498.

(33) Ministere de l'information et de la culture, Direction de la culture, Sous direction des Beaux-Arts, N°009 Mts/H, **proces verbal de la seance** tenue le 12 **Fevrier 1972, projet de restauration du Médracen**. Exposé par Mr. et Mme. Donati.

(34) Brunon, art. cit. p. 340.

(35) غزال يرى ان قاعدته منخفضة بالنسبة الى مخروطه ، عكس قبر الرومية . Gsell, St. Les monuments antiques... p. 65.

(36) Camps, G. Nouvelles observations... p. 479.

(37) على عكس الطراز الدوري المعروف ، اعمدة المدغاسن غير مفرضة . ويعتقد كامبس ان جذع الأعمدة الأملس يجعله يشبه الدوري الصقلي .

Ibid., p. 485.

(38) Lézine, A. **Architecture punique** . Rec. de documents, publ. de l'université de Tunis, 1960, p. 67.

(39) Camps, G. Nouvelles... P. 485.

(40) C. Brunon, art. cit. p. 323.

(41) Gsell, St. Les monuments... p. 65. , Rakob, op. cit. p. 134.

(42) Camps, G. Mausoleés princiers... p. 54. وتعتقد وايسان ان قمة المدغاسن كانت تحمل بناء يشكل مذبحا او مصلى على غرار الأهرامات المكسيكية.

Weissen , Marcelle, **L'Ame archaique de l'Afrique du nord** . p. 74.

(43) Beekr, H. art. cit. p. 115. , Lézine, A. art. cit. p. 117-118. , Camps, G. Nouvelles... p. 486-495. , Rakob, op. cit. p. 133.

(44) Beekr, H. art. cit. p. 115. Cahen , A.b., art. cit. p. 9.

(45) وهو ما جعل بوشوتي يسبر اسفل القاعدة اين عثر على نفق طوله 17م يقود الى مركز الضريح حفره الباحثون عن الكنوز .

(46) Camps, G. Nouvelles... p. 490.

(47) أثناء زيارته الثانية للضريح سنة 1970 عثر كامبس في الجهة الغربية من بين الأنقاض على حجر منحوت يحمل عصابة زخرفية مستوية ناتئة بحوالي 0,015م الاانها لاتشبه الزخرفين الناتئين في البابين الوهميين الأخرين ثم يخلص الى القول ان نتوءات الأبواب الوهمية لاتتشابه فيما بينها ويدل على ذلك هذا الشكل المكتشف الذي يكون قد اختير كنتوء زخرفي للباب الوهمي الثالث في الجهة الغربية. Camps, G. Nouvelles... p. 488.

(48) Lézine, A. art. cit. pp. 117-118.

(49) Camps, G. Nouvelles... p. 492.

(50) **El Bekri, op. cit. p. 60.**

(51) حول هذا الموضوع انظر : Violle, Molinier, **Le Médracen**. Rec. des Notes et Mem. de la Soc. archéol. de Const. T. XXVIII, 1893, pp. 5477; Foy, art. cit. p. 68; Becker, art. cit. p. 108; Berbrugger, A. **Bulletin bibliographique**, dans Rev. afric. T. 1, 1856, pp. 234-239; Brunon, art cit. p.323 ; Tissot , Ch. **Géographie Comparée de la province romaine d'Afrique**. T. I, 1884, p. 509; Capitaine Mélix, **Les monuments mithriques de l'Algérie, Le Médracen, Le Kebour Roumia, Les Djedars**. dans Bull. de l'Acad. d'Hippone , T. 23, 1888, pp. 86-119; Camps ,G. Nouvelles observations... p. 504-506 .

(52) وزارة الأخبار والثقافة ، مديرية الثقافة ، ادارة المتاحف الوطنية ، أعمال وتقويم قبر مادغوس . تقرير ، محمد تغليسة ، محافظ متحف تيمقاد ، مؤرخ في 1973/02/09 ، أرشيف الوكالة الوطنية للآثار وحماية النصب والمعالم التاريخية .

(53) **Violle, M. art. cit. p. 60.**

(54) Ibid, p. 77.

(55) اكتشف لأول مرة من طرف القبطان كولينو خلال حفريات 1849–1850. كما اعتقد خطأ كل من فوي ودي فيتا ان من هذا المبنى كان يمتد سلم متحرك يصل الى المدخل الرئيسي ، حيث يوضع كلما كانت عملية الدفن . Foy, art. cit. p. 60.

(56) Brunon, art. cit. p. 344.

(57) Ibid, p. 344.

(58) Camps, G. Nouvelles... p. 480.

(59) Gsell, St. Les monuments... p. 66.

(60) يذكر كامبس ان القسم الأكبر من بلاطة الإغلاق كان في مكانه عندما اكتشف القبطان كولينو مدخل الضريح ، وان الناهبين لم يتمكنو من رفعها فأحدثوا فيها شقا حتى يتسنى لهم الولوج الى الداخل ، واثناء حفريات بوشوتي سنة 1867 تم نزعها وظلت طويلا رابضة في قدم المعلم الى ان اختفت . Camps,G., Nouvelles... p. 496. ، ونجد عند فوي مقايس هذه افلبلاطة : علوها 1,36م وسمكها 0,48م ، ويقدر وزنها حوالي 1500 كلغ . Foy, art. cit. p. 62.

(61) Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 265.

(62) غزال يعتقد ان اخفاء المدخل الرئيسي في الضريح الموريطاني، لم يكن الغرض منه تضليل الناهبين بقدر ماجاء استجابة لمعتقدات دينية او اعراف شعبية . Gsell, St. **promenades archéologiques**... p. 151.

(63) حيث تفتقد الى ثلاثة درجات هي : السابعة ، الثامنة والتاسعة .

(64) C. Brunon, art. cit. p. 345.

(65) Rakob, F. op. cit. p. 134.

(66) C. Brunon, art. cit. p. 346.

(67) Ibid, p. 326,328,346; voir planches IV, fig. 1° et Pl. VIII.

(68) Camps, G. Nouvelles... p. 498.

(69) Ibid, p. 498.

(70) C. Brunon, art. cit. p. 346.

(71) Camps, G. nouvelles... p. 502.

(72) C. Brunon, art. cit. p. 346.

(73) Ibid, p. 346.

(74) علوه 22سم و قطره 70سم . C. Brunon, art. cit. p. 337.، انظر كذلك (الشكل 31 الرقم 7).

(75) بعض الباحثين يرى انهما استخدمتا لحمل صناديق او مرمدات تضم رفات الأموات ، بينما يظن كامبس انهما استعملتا كركائز لرفع ارضية خشبية حتى يتسنى عزل عظام الأموات عن سطح الأرض الرطب. Camps, G. Nouvelles... p. 502.

(76) C. Brunon, art. cit. pp. 326-338, voir. Pl. X, XI, XII .

(77) Gsell St. et Graillot, R. **Exploration archéologique dans le département de Constantine , ruines romaines au nord de l'Aurès** , M. E. F. R., t. XIV, 1894 . ، يجدر بنا ان نشير ايضا ان الفرنسيان لوتورنو وبابيلو، أثناء حفرياتهما بجثوات مقبرة المدغاسن ، تمكنا من استخراج ثلاثة جماجم تنتمي الى جنس كرومانيو Cro-Magnon . Letourneux et Dr. Papillaut , Bull. de la Soc. d'Anthropologie de Paris , 4e série, 1896, p. 347

(78) يدل بساطة وقلة الأدوات التي عُثر عليها في جثوات المقبرة ، ان هذه الأخيرة تعرضت على غرار الضريح الى النهب منذ زمن بعيد .

(79) Brunon, art. cit. p. 347.

(80) حول هذا الموضوع انظر : Camps, G. Aux origines de la Bèrbèrie , rites ... pp. 194-196.

(81) عثر في مكان المبنى الأمامي على قبور تحمل بداخلها ادوات تعود الى الفترة الرومانية منها مصباح روماني و ميدالية من نحاس عليها صورة يوبا الأول . C. Brunon, art. cit. p. 334-335.

(82) ابرزها زلزال سنة 1964.

(83) تتكون هذه الفرقة من مهندسين معماريين وآثريين لهم خبرة في ميدان ترميم وصيانة البنايات التاريخية ، ابرزهم ، الإيطاليون : السيد والسيدة دوناتي جارفي **Donati Jervis** ، فيرانت **Ferrante** ، كالنديني **Calandini** ودي فينا

Di-Vita ، وباحثين جزائريين وهم : بغلي ، مدير المتاحف الوطنية ، منير بوشناقي محافظ رئيسي مكلف بالبحث ،

الأثريان محمد تغليسة وخليفة ، لعفر مهندس المعالم التاريخية ، السيدة مسلم ملحقة للبحث .

Ministère de l'Information et de la culture , **Réstauration du Médracen** . Proces verbal de la seance tenue le 12/02/1972, ...

(84) Ministère de la culture et de l'information, **Rapport sur le Médracen.** Paola Donati Jervis et Paola Donati, du 1/10/1972, Archive de l'Agence Nationale d'archéologie et protection des sites et monuments historiques.

(85) يبدو ان تقنية تغطية السقف بالخشب استعملت منذ القدم ، حيث نجدها في المعالم الجنائزية القديمة المنتشرة ، بالأوراس وجنوب المغرب الأقصى

والواحات الصحراوية . وغطيت كذلك الغرفة الجنائزية بجثوة سيدي سليمان بستة جذوع من شجر العفصية ، كانت ترتكز على جدران مبنية بالقرميد .

Camps, G. Nouvelles... p. 499.

(86) Gsell, St. Les monuments... p. 72.

(87) اخضع كامبس عيناتان من من شجر الأرز للتحليل بالكربون 14 المشع ، في مخبرين : الأول في فرنسا -Gif Sur- Yvetteواعطت التاريخ التالي : 2270 ± 110 سنة أي 320 ± 110 ق. م ، والثاني في الجزائر العاصمة واعطت مايلي : 2170 ± 155 سنة أي 220 ± 155 ق. م . وحول هذه التواريخ يعتقد كامبس ان خشب الأرز المستعمل في سقف الرواق تم قطعة قبل بناء الضريح ، بمدة زمنية حتى يتماسك ويستطيع بالتالي تحمل ضغط المواد الموضوعة فوقه . Camps, G. Nouvelles... p. 510, 512.

(88) Ibid, p. 515.

(89) Commandant Payen, **Monuments antiques de la commune mixte de Ain El Ksar**. Rec. des notes et mem. de la soc. archéol. de const. T. XXXII, 1892, p. 204; St. Gsell, Les monuments antiques... p. 68; C. Brunon, art. cit. p. 314.

(90) Foy, art. cit. p. 65-66.

(91) Pamart, H. **Etudes sur le Médracen (Tombeau de Syphax) et le Kebour -Roumia**. Rev. afric. T. 61, 1920, P. 279-293; St. Gsell, Les monuments...p. 69.

(92) Leclerc, H. **Note sur le Médracen**, dans Rec. des Not. et Mem. de la Soc. archéol. de Const. ,1864, p. 134; C. Brunon, art. cit. p. 315.

(93) Tite-Live, XXX, 45.

(94) حول هذا الموضوع انظر لاحقا .

(95) Camps. G. Aux origines de la bèrbrie rites... p. 166-168. ؛ من مميزات البازينات ذات القاعدة الأسطوانية

، انها تتضمن مبنى امامي في شرقها ، اما مدخلها الرئيسي فهو عبارة عن فوهة هيئت في قمة المعلم . مثل هذه

البازينات توجد بكثرة في عين الصفراء ، جبال القصور ، واد تامدة ، عين الحمارة في ناحية اولاد جلال ، شعيبة ، بين

بوسعادة وبسكرة ، وجبل مستيري قرب تبسة . اما البازينات ذات المدرجات فمداخلها الرئيسية تقع على مستوى

مدرجات التاج ، تماما مثل المدغاسن ، اشهرها بازينات جبل مستيري ، وسوق الغور بالمغرب الأقصى (انظر

الخريطة رقم 1) . لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر:

Capitaine Petit. **Notes sur les tumili d'Ain Sefra**, dans bull. de la soc. de géogr. et d'archéol. d'Oran. T. 25. 1905. p. 285-295; Dr. Roffo. **Sépultures indigènes anti-islamiques en pierre sèches, Etude sur trois nécropoles de l'Algérie centrale**, dans Rev. afric., t. 82. 1938, pp. 197-242 ; Camps, G. **Données nouvelles sur les tombeaux du djebel Mistiri d'aprés une note de M. Latapie**, dans Lybica, t. 6-7.1958-1959. p. 229-242 ; Id., **Aux origines de la bèrbèrie rites**... p.166-168 ; Id.,Nouvelles... p. 482-483 ; Le Du. R. **Les Tombeaux ronds du djebel Mistiri**, dans C.R. du 4°congrés de la fédération des savantes de l'Afrique du nord, 1938, p. 565-568 ; Id., **Promenades archéologiques dans les environs de Tébessa**. dans Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const., t. 18, 1876, p. 382- 427.

(96) Lézine. A. art. cit. p. 97 ; Rakob, op. cit. p. 167.

(97) Gsell. St.**Les monuments**.. p. 73 ; Id., Histoire.. p. 262 ; Berbrugger. A. **Le Tombeau de la chrétienne, Mausolée des Rois mauritaniens de la dernière dynastie.** Alger. Arnolet. 1867. p. 02 ; Camps. Nouvelles.. p. 474 ; Id., Mausolées princiers...p. 56 ; Brunon. op. cit. p. 316.

الضريـــــح الملكي الموريـــــــطاني

الملقب بـ قبر الرومـــــــية بتيبازة

1 ـــ الموقـــــــــــع .

2 ـــ أصل التسميـــــة .

3 ـــ المصـــــــــــادر .

4 ـــ التنقيبات الأثريـــــة .

5 ـــ وصف القبـــــــــر .

أ) ـــ القسم الخارجـــــي .

ب) ـــ القسم الداخلـــــي .

6 ـــ تفسير دور الملحقات الجنائزية .

7 ـــ أشغال الصيانة والترميـــم .

8 ـــ تأريخ الضريـــــــح .

الضريـــح الملكي الموريطاني

1 ـــ الموقع :

يقع هذا المعلم على بعد 1,5 كلم شمال بلدية سيدي راشد ، وحوالي 15 كلم جنوب شرق تيبازة ، يعلو قمة جبلية تنتمي الى سلسلة جبال الساحل التي تفصل سهل متيجة عن البحر ، على ارتفاع 261م فوق سطح البحر . وهو بهذا يحتل موقعا استراتيجيا هاما ، حيث يمكن رؤيته من كامل الجهة الجنوبية لسهل متيجة ، أي على طول المحور الذي يربط مدن العفرون ، البليدة والحجوط ، ومن مرتفعات بوزريعة المطلة على الجزائر العاصمة ، وكذلك من البحر على طول الخليج الذي يمتد بين جبل شنوة و أعالي بوزريعة ، اين يهتدي به الصيادين في تنقلاتهم في البحر (الصورة 27) . و يمكننا ايضا اذا تسلقنا قمته رؤية آفاق واسعة من جميع الجهات : البحر من الشمال ، مدينة تيبازة في الغرب وجبل شنوة الذي يحجب رؤيته مدينة شرشال ، وسهل متيجة من الجنوب . من مميزات هذه المنطقة الجبلية ، ان اراضيها تكثر بها الحشائش الشوكية والأشجار وتقل بها المصادر المائية ، كما تتوفر على عدد هام من المقالع الحجرية اهمها محجرتي برار وعين الغيران (1).

2 ـــ أصل التسمية :

اذا كان بومبونيوس قد سمى قبر تيبازة بالضريح العام للأسرة الملكية ، فالعرب الفاتحين قد سموه قبر الرومية (2) ، ربما بسبب الزخرف الناتئ الشبيه بالصليب الذي زينت به الأبواب الوهمية الأربعة ، (الصورة 28) وهو رأي العديد من المؤرخين ، او نسبة الى الشخصية المدفونة به . فالمسلمين اصطدموا أثناء فتوحاتهم بالمغرب بالروم البيزنطيين وهم الرومان الشرقيين ، وبالتالي من المحتمل انهم اعتقدوا خطأ انه يمثل قبر احدى الشخصيات الرومية البارزة ، ربما تكون كليوبترة سليني الإغريقية الأب ، او قبر احدى الشخصيات المرومنة .

ويرى جودا Judas من جهة اخرى ان عبارة قبر الرومية التي استعملها العرب بعد فتح بلاد المغرب اصلها فنيقي وقد عرفها الفنيقيون من قبل وتعني عندهم " القبر الملكي " . لما كان هذا المصطلح متداولا في لغة العرب من قبل ويعرفون مدلوله ، فضل هؤلاء ان ينسبوه الى الضريح الموريطاني (3). يظهر ان رأي جودا يشير بكل وضوح ، الى ان العرب الفاتحين كانوا على علم بأن ضريح تيبازة وجه لدفن شخصيات بارزة من سلالة المور او النوميد الحاكمة ، لكن تبقى مجرد فرضية محتملة مادام لم يتوفر لدينا الدليل الكافي .

3 ـــ المصادر :

يبدو ان الإشارة القديمة والوحيدة التي لدينا حول هذا القبر ، تعود الى الجغرافي اللاتيني بومبونيس ميلا (4) في كتابه الأول De Situ Orbis ، و يُعتقد انه كتب في السنوات الأولى للأربعينات من القرن الأول الميلادي (5)

، وهي الفترة التي شهدت ضم موريطانيا القيصرية الى ممتلكات روما وتحولها الى مقاطعة رومانية ابتداء من سنة 42م. واثناء وصفه لسواحل الجزائر الوسطى يقول ميلا عن هذا المعلم : << يول على شاطئ البحر ، مدينة كانت قديما مجهولة واصبحت الآن مشهورة بما كانت عاصمة الملك يوبا ، وبإسم قيصرية الذي تدعى به ، ويليها من هنا (اي في الغرب) بلدتا كرطينا (تنس) وارسناريا وقصر كويزا ثم خليج لاتوروس ونهر سردابال ومن هنا (أي في الشرق) **الضريح المشترك للأسرة الملكية** ثم ايكوزيم ، الخ >> (6)

يتضح لنا من خلال هذا النص ان هدف الكاتب كان وصف واحصاء المراكز والمدن الساحلية الهامة ، ومع ذلك نجده يذكر لأول مرة ضريح في هذه المنطقة . من دون شك نظرا لشهرة هذا المعلم وذيع صيته في تلك الفترة ، الى جانب هذا فوقوعه في قمة جبلية تشرف على البحر وضخامة شكله الهندسي ، لم يكن ليصعب على احد مشاهدته من بعيد .

ويتبين من قراءة نصه كذلك ، ان بومبونيوس عاصر مدينة قيصرية عندما كانت في اوج شهرتها ، وعلى هذا الأساس يُحتمل جدا انه كتب هذا النص بعد وفاة الملك يوبا الثاني او بعد مقتل إبنه بطليموس، أي في الفترة مابين 23 و42 ب. م ، تاريخ ضم كل من نوميديا الغربية وموريطانيا الى ممتلكات الأمبراطورية الرومانية ، بإسم موريطانيا القيصرية والطنجية على يد الأمبراطور كلوديوس . وقد يدل على ذلك تسمية نوميديا التي وردت في كتاب ميلا ، وهي اشارة الى ان موريطانيا القيصرية او نوميديا الغربية ظلت تحمل هذا الإسم الى غاية سنة 42م .

لكن ماذا كان يقصد ميلا من ذكره **للضريح المشترك للعائلة الملكية** ؟ هل يتعلق الأمر **بالضريح الملكي الموريطاني** المعروف ام كان يشير الى معلم آخر لانعرفه ؟

يبدو ان كل المؤشرات تميل لصالح الفرضية الأولى ، بإستثناء قبر تيبازة لم تكشف الأبحاث الأثرية عن وجود ضريح آخر بهذه الضخامة و الشهرة في المناطق التي اشار اليها ميلا ، كما ان هذا الأخير عند وصفه للشريط الساحلى الممتد بين تنس وايكوزيوم ، يذكر ان قيصرية كانت عاصمة يوبا II ثم يشير الى الضريح ، وبعده مباشرة يذكر ايكوزيوم القريبة منه . ان اشارة الكاتب الى وجود ضريح بين قيصرية وايكوزيوم لا يعدو في نظري ان يكون الا ضريح تيبازة الحالي .

بعد اشارة ميلا الوجيزة لم ترد النصوص التاريخية والأدبية ذكر هذا الضريح ، وكان لابد من الإنتظار حتى بداية القرن السادس عشر ، وهي الفترة التي شهدت احتدام الصراع بين الأتراك العثمانيين والإسبان حول النفوذ في الحوض الغربي للمتوسط ، اين نجد اشارة عابرة له جاءت في رسالة بعث بها امير تنس سنة 1516م الى حليفه الجنرال الإسباني كاستيلان Castillan ، بمناسبة الحملة العسكرية التي كان ينوي الحاكم الأسباني دييغو Diego القيام بها ضد الجزائر . وتقول الرسالة : << ان الموقع الواجب الإستيلاء عليه يمتد من وادي شلف الى قبر الرومية >> (7) .

وفي نفس القرن نجد عند مارمول Marmol وصف للضريح الموريطاني ، حيث يقول في مذكرته المدونة سنة 1573 : << هذا عبارة عن قبة مرتفعة جدا يسميه العرب قبر الرومية أي قبر روماني ، اما المسيحيين الذين لايحسنون النطق بالعربية يسمونه كابا رومية Caba Roumia ، ويقولون اسطوريا ان بداخله دفنت لاكافا La Cava بنت الكونت الإسباني(8). تبدو هذه القبة عالية حيث نرى من على قمتها سهل متيجة من على بعد 17 فرسخا (9) . بني الضريح بحجارة كبيرة ومغلق من كل الجهات .

وفي سنة 1555 اراد صالح رايس باشا الجزائر ، تحطيمه معتقدا في وجود كنوز بداخله ، غير ان العمال المسيحيين (العبيد) لم يتمكنوا من مواصلة العمل ، اذ سرعان ما برزت من المعلم زنابير سوداء كبيرة وشديدة اللذع ، من تمكنت منه قضت عليه ، مما وضع حدا لهذه المحاولة >> [10] .

وبعد مارمول بحوالي قرنين من الزمن ، اشار الرحالة الإنكليزي د. توماس شو الى هذا الضريح ، حيث يقول : << قبر الرومية أي قبر روماني او قبر المرأة المسيحية ، يقع في منطقة جبلية على الساحل على بعد 7 اميال جنوب تفساد Tefessad (تيبازة) ، وحسب الإكتشافات المتأخرة فهو معلم متماسك مبني بالحجر المنحوت الجيد ، ارتفاعه حوالي 20 قدما . ان شكل هذا البناء وما قيل عنه انه بني فوق كنز جعل الأتراك يسمونه مالتاباسي Maltapasy ، او كنز خبز السكر . يفتقد الى قمته وعدة اقسام منه بسبب اعمال الحفر التي قام بها الباحثون ، لكن مع ذلك يبقى ارتفاعه كافيا لأن يكون معلما يهتدي به البحارة ... بالنظر الى جمال البناء والمواد المستعملة فيه فإن هذا المعلم سابق للغزوات المحمدية ، وانه الضريح الذي يجعله ميلا بين ايول وايكوزيوم والذي يُعد قبر عائلة الملوك النوميديين...>> [11] .

من الواضح ان ضخامة الضريح ووقوعه في قمة جبلية مرتفعة ومعزولة ، جعلت الناس عبر الأزمنة ينسجون حوله اساطير عجيبة [12] ، تضمنت في مجملها الحديث عن وجود كنوز واشياء ثمينة مدفونة بداخله يصعب العثور عليها ، وهو مايفسر حسب رأي الأنفاق التي حفرت اسفل البناء منذ زمن بعيد [13]. بالإضافة الى هذا ، انتبه الأهالي منذ القرون الحديثة الى نزع مخالب الضريح التي كانت تشد احجار البناء بعضها البعض ، لاسيما تلك المصنوعة من الرصاص [14] ،

ولما كانت هذه الأخيرة غائرة في الداخل (15) ، عمد الناهبون الى تهديم الغطاء الخارجي حتى يسهل نزعها ، فترتب عن ذلك تعرية جدران القاعدة الأسطوانية والمدرجات وتراكم الأنقاض من حوله (الصورة 29) ، لدرجة انها كانت تشكل حسب بربروجير علو يقدر بـــ14م (16).

4 ـــ التنقيبات الأثرية :

اولى الحفريات المنظمة التي استهدفت الضريح ، قام بها الفرنسيان : هادريان بربروجير Berbrugger (17) وماك كارتي Mac Carthy ، بين سنتي 1865-1866 ، حيث يرجع اليهما الفضل في اكتشاف المبنى الأمامي ، المدخل الرئيسي (18) و المدفن القبوي . لقد وُجد هذا القبو فارغا من كل اثاث جنائزي ، بل على العكس تبدو آثار النهب واضحة من خلال الأبواب الزلاقة التي تعرضت كلها للكسر.

وفي الفترة الممتدة مابين 1912-1950 ، أجرى كل من بالو A. Ballu وكريستوفل Christofle (19) ، أعمال ترميم هامة شملت واجهة الجدار الخارجي والمخروط المدرج (20) ، وعلى هامش هذه الأشغال قام هذا الأخير بدراسة هامة شملت مختلف عناصره المعمارية واشكاله الهندسية .

الى جانب هؤلاء تضمنت مؤلفات ستيفان غزال (21) دراسات قيمة حول الضريح ، تناولت شكله الهندسي ومخططه الداخلي ، غير ان ما يؤخذ عنه ارتكابه بعض الأخطاء المتعلقة بوصف البناء ، منها قوله ان الحشو الداخلي مبني بركام من الدبش وقطع حجرية فضة ، متصلة فيما بينها بملاط من التراب الأحمر والأصفر ، بينما تؤكد ابحاث كريستوفل انه بنى بأحجار مربعة منحوتة من الحجر الرملي بدون ملاط (22) .

5 ـــ وصف القبر :

لقد اثبتت الدراسات الأثرية ان ضريح تيبازة مثل المدغاسن ، عبارة عن بازينة كبيرة مغطاة بكساء من الحجر المنحوت المحكم البناء ، حيث يشبه شكلهما الخارجي بازينات فجر التاريخ التي ذكرناها سالفا ، سواء ذات القاعدة الأسطوانية والجذع المخروطي او ذات المدرجات .

ويتضح من خلال مواد البناء ، ان بناؤو الضريح استعملوا نوعان رئيسيان من الحجر (23) هما :

- الكلسي الصدفي الصلب ، وقد استخدم في بناء الجدران .
- الفليس Tuf ، واستعمل في بناء حشو الضريح .

يوجد هذان النوعان بكثرة في المناطق المجاورة ، اين تكثر المقالع الحجرية في جبل شنوة (24) والمرتفع الساحلي والهضاب المحاذية له ، اهمها في برار (6 كلم) وعين الغيران التي لاتبعد عن الضريح الا بـــ 1500م غربا (25) .

يمكننا تقسيم البناء الى قسمين رئيسيين ، احدهما خارجي ويشمل : **القاعدة السفلى ، الجدار الأسطواني ، المخروط المدرج والمبنى الأمامي ،** والثاني داخلي يضم : **المدخل الرئيسي ، الممرات ، البهاوي ، الرواق المستدير والغرفة الجنائزية.**

أ) ـــ القسم الخارجي :

*** القاعدة السفلى .**

يبلغ الإرتفاع الكلي للضريح اليوم حوالي 33م ، بعدما كان يقارب في البداية 40م (الصورة 30)، يصل قطره الى 64م في القاعدة (26) ، ومحيط دائرته

الى 185,50م . وتتشكل قاعدة البناء السفلى من 6 مداميك ، اثنان تحت سطح الأرض واربعة في الخارج . لقد بني القبر كله فوق قاعدة مربعة واسعة طول كل جهة منها 64م ، تبرز قليلا عن سطح الأرض ، وتتشكل من مدمكتين من الحجر المنحوت مدفونتين في الأسفل ، وضعتا مباشرة على الأرض المتكونة من تراب صلصالي اصفر (27) . وعلى المسطحة المربعة اقيمت مدمكتان مربعتان فقدتا كلية زواياهما منذ مدة طويلة وفوقهما وضعت مدمكة خامسة اسطوانية ، ملساء وغائرة على الرابعة بحوالي 0,04م. ويعلو هذه الأخيرة مدمكة سادسة اسطوانية غائرة هي الأخرى عن الخامسة بـ 0,495م ، وتحمل نتوءات على شكل زينة ملطفة ، كما تعتبرهذه المدمكة بمثابة القاعدة التي بنيت عليها الكتلة الأسطوانية . واعتمادا على مقايس هذه المداميك ، يبلغ ارتفاع القاعدة السفلى التي تبدأ من سطح الأرض الى اسفل الأعمدة 2,53م (28) .

*** الجدار الأسطواني .**

تتكون جدران القاعدة الأسطوانية من 13 مدمكة مبنية بالحجر المنحوت ، وتغطي حشوا داخليا مبني بالحجر المربع ، كما زُينت الأسطوانة بـ 60 عمودا مرضومة على الطراز الأيوني القديم ، بحيث تنقسم الى 4 افواج ، كل فوج يضم 15 عمودا مشكل من 11 اسطوانة مندمجة مع الجدار ، وبين كل مجموعة واخرى هيئ باب وهمي.

تنتمي اعمدة القبر الى الطراز الأيوني اليوناني ، من مميزاتها انها غير مفرضة ومزودة في قاعدتها بقولبين طوقيين مستديرين تدعى قواعد آتيكة ، وهي كثيرة في رسوم الأنصاب الفنيقية للقرنين الثالث والثاني ق. م (29) . اما عن التيجان فهي كذلك على الطراز الأيوني وهي نوعان : الأول يعلو 52

عمودا ، مزين في الأسفل بعقد مورد يضم من 4 الى 8 ورقات تتويج الزهرة (30) ، ويحمل في الأعلى زخرف يشبه حلزونتين ترتبط بينهما قناة تلتوي في الوسط نحو الأسفل (انظر الشكل 15) . والثاني يعلو 8 أعمدة التي تؤطر الأبواب الوهمية الأربعة ، يحمل مثل التاج الأول زخرفين ، وردي في الأسفل وحلزوني في الأعلى ، الا انه يتميز عنه بإستقامة القناة التي تربط الحلزونتين وزخرفه الشبيه بسعف النخل (31) (الشكل 16) .

وفوق التيجان يمتد الطنف او الكورنيش (الشكل 16) ، حيث تتشكل من حجرين ، بارزين على الكتلة الأسطوانية ، السفلي أملس اما العلوي فيحمل نتوء في اعلاه لايتجاوز 0,105م (32) ، وعلى هاتين المدمكتين ترتكز الدرجة الأولى من المخروط المدرج.

*** الأبواب الوهمية :**

ان الملاحظ لمواقع وجودها يدرك انها هيئت حسب الإتجاهات الأربعة ، هي عبارة عن بلاطة كبيرة نحتت في حجر كلسي صدفي صلب ، ويتكون من 4 صفائح حجرية Panneaux مأطورة غير متساوية الإرتفاع مشكلة بذلك باب ذو مصرعين (33) يصل ارتفاعه الى 6,90م (الصورة 28) . كما نحتت على هذه الصفائح زخرف ناتئ على شكل عارضة Croisillon يشبه الصليب ، قد يكون حسب العديد من المؤرخين وراء تسمية هذا الضريح بقبر المسيحية Le Tombeau de la Chrétienne من طرف الإسبان والفرنسيين (الشكل 16 ، الصورة 28) .

يتشكل اطار الباب من ركيزتين تندمج مع العتبة الأفقية عبر حزات التعشيق ، ويعلو هذه الأخيرة تاج مزخرف بنتوءات لها اشكال هندسية متنوعة ، بيضوية ، لؤلؤية ومضرسات (34) . لم يبق من هذه الابواب الا

الباب الشرقي الذي يرجع الفضل في ترميمه الى كريستوفل ، اما الابواب الشمالية الغربية فقد فقدت اطارها ولم يبق منها الا الصفائح السفلى (الصورة 31 ، 32) ، اما الباب الجنوبي فلا نعلم ماهي الحالة التي وجدها فيه باربروجير بعد ماشق نفقا اسفله باتجاه الدهليز المستدير (الصورة 33)

اننا نتسآل عن الأصول الهندسية لهذه الأبواب ، هل استوحى شكلها الهندسي من الفن الفنيقي ؟ ام تمثل نماذج محلية متطورة ؟ يصعب جدا الفصل في هذا ، فالدراسات الأثرية لم تثبت وجود مثل هذه الأبواب في المعالم الفنيقية والمحلية ، غير ان كامبس اقام شبها بينها وبين بلاطات جثوات الميزان بالمغرب الأقصى التي اعتبرها ابواب وهمية (35) ، كما قارن بيارسلامة بين زخرفها الناتئ وزخرف شبيه بها في نصب فنيقي بدلس (36) .

*** المخروط المدرج .**

يتشكل من 37 درجة علو كل منها 0,58م ومبنية بالحجر المنحوت وينتهي في قمته بمسطحة على شاكلة المدغاسن (الصورة 27) . على عكس هذا الاخير فقد ضريح تيبازة العديد من مدرجاته بسبب اعمال التهديم التي استهدفته منذ مدة طويلة .

ومما تجدر الاشارة اليه ، ان احجار الغطاء الخارجي للقبر، من المدماك الاول للقاعدة المربعة الى المدرج الاخير ، تشد بعضها البعض بواسطة مخالب ثنائية (37) على شكل ذنب السنونة ، وضعت بشكل مناسب في فتحات التعشيق المنحوتة وجها لوجه في الحجارة .

لقد استخدم في بناء المعلم ، 4 انواع من المخالب (الشكل17) وهي :

- خشبية .
- حديدية .

- من الرصاص الخالص .
- من الخشب المغلف بطبقة من الرصاص (38) .

اننا لانستطيع رؤية هذه المخالب من الخارج ، فهي مغطاة تماما بالحجارة التي وضعت فوقها ، اذ لايمكن نزعها الا بقلب الاحجار الواحدة تلوى الأخرى ، او تكسير زواياها .

*** المبنى الأمامي .**

في الجهة الشرقية من القبر، وعلى مسافة 3,37م من امام المدخل الرئيسي ، تمتد آثار مسطحة واسعة مبلطة يبلغ طولها من الشرق الى الغرب 7,75م وعرضها 2,70م (39) (الصورة 34) ، اشار الى وجودها لأول مرة بربروجير سنة 1865 ، ولم يبق منها اليوم الا القاعدة المبلطة وبعض الأحجار التي تشكل المداميك السفلى لجدران البناء . ان مثل هذه المنصات معروفة كثيرا في المعالم الجنائزية القديمة ، حيث نصادفها ايضا في الأضرحة الكبرى مثل : بلاد قيطون (40) ، سوق الغور (41) ، المدغاسن و الأجدار .

لاشك ان دوره لايعدو ان يكون الا جنائزيا ، من المحتمل جدا ان له علاقة وطيدة مع اقامة مراسيم دفن الأموات او الإحتفالات الدينية ، وبناء على هذا ، لأيستبعد ان يكون استعمل كمذبح للتضحيات او عرض القرابين ، او كأرضية لإستقبال المرمدة او جثة الميت في انتظار تهيئة باب المدخل الرئيسي .

ب) ـــ القسم الداخلي :

*** المدخل الرئيسي.**

اسفل الباب الوهمي الشرقي يقع المدخل الرئيسي ، وقد وجده بربروجير سنة 1866 مغلقا بواسطة صخرتين من الحجر المنحوت (42) ، متساوية الأبعاد (الشكل 18) وموضوعة الواحدة تلوى الأخرى ، بحيث لا تتميز عن الجدار الخارجي الا بفواصلهما التي اقيمت بشكل متطابق وليس متعاكس مثل باقي احجار البناء . وعلى الرغم من هذا لايمكن التعرف عليهما الا بتدقيق النظر في تنضيد الفواصل (43) . لقد ظلت هذه الفتحة مجهولة ومدفونة تحت التراب زمنا طويلا (44) ، ولم يتم اكتشافها الا في النصف الثاني من القرن 19م من طرف بربروجير (الصورة 35) .

ما سر حجب المدخل بهذه الكيفية ؟

يرى بعض المؤرخين ، ان مهندسو الضريح لم تكن نيتهم اخفاء المدخل ، بدليل بساطة بنائه ووقوعه في الجهة الشرقية ، مقابل المبنى الأمامي ، كما يتنافى في نظرهم مع اقامة الشعائر الدينية المتعلقة بدفن اموات جدد (45) . يبدو ان غلق مداخيل القبور او الأضرحة عادة معروفة منذ القدم ، فهي تجسد حقا رغبة الأحياء في حماية امواتهم من كل ما يمكن ان يعكر صفو حياتهم الأخروية ، كعوامل الطبيعة وانتهاكات الحيوان والإنسان . في اعتقادي ان مكانة الميت وقداسته عند المغاربة القدامى ، جعلهم يحرصون كل الحرص ان يكون المدخل الرئيسي في سرية تامة ، لايطلع علبه الا عائلة الميت او اقاربه او الكهنة الذين يسهرون على تنظيم مراسيم دفن الميت و اقامة الطقوس والإحتفالات الدينية . ومما يعزز اكثر هذه الفرضية ، هو

تهيئة الفتحة الرئيسية اسفل القاعدة الأسطوانية ، واقامة اربعة ابواب وهمية موزعة بالتساوي على محيط القبر .

*** الممر الأول وبهو الأسود .**

وراء الكتل الصخرية ، يمتد ممر ضيق وطيئى ، موجه شرق غرب طوله 4,85م عرضه 0,83م وعلوه 1,25م (46) ، ارضيته مبلطة وسقفه مبني بالحجر الكبير، ومغلق من كا الطرفين ببلاطة تنفذ داخل فرضات واقعة في اعلى وجوانب اطار الباب (47) . يبلغ ارتفاع الحزة العليا اكثر من 1,50 م ، وهي تعتبر مسكن هذه المسلفة بعد رفعها بواسطة رافع وتثبيتها عن طريق سندات مدرجة (48) .

يصل الممر الأول الى قاعة كبيرة ، موجهة شرق غرب طولها 5,33م ، علوها 3,20م وعرضها 2,52م ، ارضيتها مبلطة بحجارة منحوتة مستطيلة وسقفها مقبب على شكل طاق نصف اسطواني (49) Voute en berceau . في الجهة الغربية من هذه القاعة ، تم حفر نفق يتجه دون شك الى مركز الضريح ، طوله 6,95م ، عرضه 2,4م (50) ، احدثه بالتأكيد الباحثون عن الكنوز منذ فترة طويلة .

لقد سميت هذه القاعة ببهو الأسود نسبة الى زخرف ناتئى يمثل اسد ولبوءة ، نحت بشكل فظ فوق عتبة باب الرواق الثاني (الشكل 19) ، كما يعتبر هذا النحت الوحيد في القبر .

*** الممر الثاني والرواق المستدير.**

بعد بهو الأسود ، نمر الى ممر ثاني ضيق وقصير، يشبه مسطحة طولها لايتجاوز 2,08م ، عرضها 0,84م ، وعلوها يتراوح مابين 1,23م الى

0,54م ، مغلق هو الأخر ببلاطة مزلاقة وينتهي بسلم من 7 درجات . بعد صعود هذه المرقاة نصل الى رواق مستدير مقبب ذو ارضية مبلطة ، يبلغ طوله 149م ، علوه 2,42م ، اما عرضه فيتراوح ما بين 2,04م و1,98م [51] ، مبني مباشرة على القاعدة المربعة (الشكل 20) . يتشكل الدهليز من 3 دماميك عمودية تحمل فوقها قبة او قوس نصف دائري ذو فقرات . وعلى بعد 3,37م من بداية الرواق تمتد سلسلة من الكوات الصغيرة ، عددها 52 كوة لها شكل ربع دائرة ، نحتت على طول الجدران ، وتبعد كل واحدة عن الأخرى بمسافة 3 امتار [52] . يدل اثار الدخان الذي يظهر فوق بعضها على وجهتها الحقيقية ؛ من المحتمل جدا انها كانت تحمل مصابيح صغيرة لإنارة الرواق ، وهذا أثناء اقامة مراسيم دفن الميت او الإحتفالات الدينية .

ويدور هذا الرواق من اليمين الى اليسار، بحيث يرسم دائرة تكاد تكون تامة ، تبدأ من الباب الشرقي وتمر عبر الأبواب الوهمية الشمالية ، الغربية والجنوبية ، وعند الإقتراب من نقطة الإنطلاق بحوالي 15م ينحني الدهليز فجأة نحو الغرب باتجاه مركز البناء (الشكل 20) .

يرى كامبس ان التحول الذي طرأ على استدارة الرواق ، قد تزامن مع بناء الضريح ، بدليل ان اثار المخطط الأول لازالت مرسومة بداخله ، وهي تؤكد استدارة الرواق حول الغرفة المركزية [53] ، بحيث يصل اولا الى بهو الأسود ومن ثم يسلك رواقا آخر ضيق وطويل ، يقود الى الغرفة الأولى والثانية . يبدو ان مهندسو القبر قد استغنوا عن التخطيط الأول ، ليطرأ عليه بعض التحولات اساءت نوعا ما الى جمال الضريح الداخلي .

* البهو الثاني والغرفة المركزية.

ينتهي الرواق المستدير الى ممر ثالث مغلق بمسلفة مزلاقة ، يبلغ طوله 2,02م وعرضه 1م وارتفاعه 1,25م ، يؤدي الى غرفة مستطيلة موجهة شمال جنوب ، طولها 4,04م ، عرضها 1,51م وعلوها 2,73م ، بنيت جدرانها وارضيتها بالحجر المنحوت وهيئى سقفها على شكل قوس نصف دائري (54) . بعدها نجتاز ممرا رابعا وأخيرا ، وطيئى ومغلق هو الآخر بمسلفة شبيهة بالأخرين ، علوه 1,25م ، عرضه 1,01م وطوله 3,50م ، يؤدي الى غرفة أخيرة مستطيلة ، موجهة شمال جنوب طولها 4,04م ، عرضها 3,06م وعلوها 3,43م (55) ، بنيت جدرانها وارضيتها بالحجارة المنحوتة وسقفها مقبب على شكل طاق. على الجدران الثلاثة –شمال ، غرب و جنوب – لهذه الغرفة ، نحتت على ارتفاع 1,50م ، ثلاثة كوات مقوسة ، علوها 0,41م ، عرضها 0,26م وعمقها 0,25م (56) .

ومما يجدر ذكره ان ارضية القبو الداخلي – الممرات ، البهاوي ، الرواق المستدير والغرفة المركزية – مبلطة بالحجارة المنحوتة بطريقة رائعة ، تشبه كثيرا تبليط الطرق الرومانية ، حيث تم تفريض الحجارة من احدى الجهات بشكل يجعلها تندمج مع بعضها البعض دون ان يكون هناك فضاء واسع بينهم . كما بني جدار التكسية الخاجية بإحكام ايضا ، فبالإضافة الى الحجارة المنحوتة التي كانت تُشد شدا وثيقا بواسطة مخالب التثبيت الغائرة في فتحات التعشيق ، يمكن استبانة دقة الصنع بالنظر الى مواصل الصخور والشكل العام الذي يظهر من ترتيبها .

6 ـــ تفسير دور الملحقات الجنائزية :

لا نستطع ان نضبط بشكل محدد طرق ومراسيم الدفن في قبر تيبازة ، غيرانه بإمكاننا تصور ذلكاعتمادا على وجود بعض البنيات ذات الصبغة الجنائزية ، كالمبنى الأمامي ، الرواق المستدير، البهاوي ، الكوات والغرفة المركزية .

*** المنصة الشرقية .**

مما لاشك فيه ، ان المنصة الأمامية تعد اول مكان يوضع فيه الميت ، غير انه لايمكننا الجزم ان كان هذا الأخير جثة كاملة تم دفنها ام حرقها ووضعت رمادها في مرمدة خاصة لهذا الغرض (57) .

يبدو ان المبنى الأمامي في قبر تيبازة مثل غيره من البنيات الموجودة في الأضرحة الأخرى ، لم يقتصر دوره على استقبال الميت فحسب ، بل قد يكون استعمل على الأرجح كمنصة مقدسة توضع عليها القرابين الموجهة على شرف الميت او كمذبح لحرق هذا الأخير .

وبعد اسدال الستار عن الطقوس الخارجية ، تنقل جثة الميت او مرمدته الى مسكنه الخالد بداخل الضريح ، حيث يُكلف رجال الدين بالكشف عن المدخل الرئيسي للسماح للموكب الجنائزي بالدخول . وبعد رفع المسلفات الأولى والثانية التي تغلق اطراف المجاز الأول ، يصل الوفد الى بهو الأسود .

*** نقش الأسود** (الشكل 19) .

الى ماذا يرمز هذا النقش الحيواني المنحوت فوق عتبة المدخل المؤدي الى الرواق المستدير؟

يبدو ان الأسد حيوان معروف في افريقيا ، اذ غالبا ما نجده على النقود القديمة ، فهو يرمز الى القوة والفطنة . الى جانب هذا لم يقتصر وجوده على قبر تيبازة فحسب ، بل عثر عليه ايضا في بعض المعالم الجنائزية الأخرى مثل : ضريح دوغة (58) ، بلاد قيطون (59) ، ومعلم بالقرب من ضريح مكثر (60) ومدفن قصر الصباحين (61) .

لم يتخذ الأسد كشكل من اشكال الزخرفة فحسب ، بل ارتبطت صورته ايضا بالحياة الدينية عند المغاربة القدامى ، واضحى يتسم بطابع إلهي مقدس بمرافقته الواسعة للشمس ثم بعل حمون وكذلك للإله ساتورن (62) في العديد من الشواهد المهداة على شرف الإله الإفريقي الأكبر . وعليه يمكن القول ان هذا النقش على الرغم من فضاضته ، كان يرمز الى قداسة الضريح او ربما يعبر عن رغبة المدفون في النوم بجوار إله قوي يحميه من أي مكروه

.ماذا عن دور بهو الأسود ؟

يصعب كثيرا تحديد دوره نظرا لعدم وجود كتابات او نقوش أخرى بداخله ، الا ان وقوعه قبل الرواق المستدير قد يحملنا على الإعتقاد انه استخدم كقاعة للإنتظار. في هذه القاعة الفسيحة ، يشرع اعضاء الموكب الجنائزي في ترتيب انفسهم وتنظيم صفوفهم استعداد لدخول الرواق المستدير .

*** المطاف .**

يبدو الرواق المستدير اقل غموضا من العناصر الأخرى ، ذلك ان استدارته ووجود سلسلة من المشكاة على طول محيطه ، قد تساعدنا اكثر على معرفة دوره . كما ان مثله معروف في بعض الأضرحة المغربية ، كضريح بلاد قيطون ، المعلم المجاور للمدغاسن ، ولجدار (F) ، ولو ان هذا الأخير رواقه مربع (63) .

ان ابرز شعار جنائزي له علاقة بالرواق المستدير ، لا يمكن ان يكون الاالطواف بالغرفة الجنائزية ، غير انه لايمكننا الحديث عن طواف كامل في قبر تيبازة ، بسبب عدم استدارة الرواق بشكل كامل ، اذ سرعان ما يلتوي فجأة نحو مركز الضريح ، وكل ما يمكن قوله عن طبيعة هذا الطقس ، انه من دون شك هو طواف جزئي ووحيد في نفس الوقت ، ولايمكن تكراره كما في بقية الأضرحة المزودة بأروقة مطافية مستديرة .

ولإنارة الرواق المظلم ، يتم اشعال المصابيح الموضوعة بداخل الكوات ، ثم يسير افراد الموكب الجنائزي بداخله بخطى ثقيلة ، يرددون أثناءها صلوات خاصة ، تشيد بمكانة الميت وتصف دون شك الحياة البرزخية التي تنتظره في العالم الآخر.

من الواضح ان دور هذا الرواق لم يقتصر على شعائر الدفن فقط ، بل يكون قد استخدم ايضا أثناء الإحتفالات التذكارية الدينية . وفي نهاية المطاف يصل الموكب الى الغرفة المركزية الأولى والثانية .

*** غرفة جنائزية ام تابوت سري ؟**

يصعب جدا اعتبار هذه القاعات بحق غرف قبرية ، لأنها لا تتوفر على مؤشرات كافية تدل على ذلك . فإذا كان بعض الباحثين وعلى رأسهم غزال و بربروجير ، يعتقد انها غرف قبرية ، ضمت رمادا او جثث اموات باعتبارهما تقعان في مركز البناء (64) ، فإن هناك آخرين يرون ان هذه الغرف ماهي في الحقيقة الا قاعات تجتمع فيها عائلة اقارب الميت أثناء القيام بالإحتفالات التذكارية (65) ، وذلك استجابة لبعض التقاليد المحلية ، منها التقرب من الميت والتبرك به . اما عن مسكن الميت الخالد ، فيرون انه قد هيئى على شاكلة القبور المصرية ، في قبو واسع في مكان ما تحت ارضية القبر (66) ، ولا يعرف مكانه الا رجال الدين وافراد عائلة الميت .

يبدو ان مثل هذه الفرضية تجد مايعززها ، ذلك ان مكانة الميت وحرص افراد عائلته على ان يكون قبره في مأمن عن اللصوص والباحثين عن الكنوز ، قد يدفعهم الى تهيئة غرفة سرية مثل هو الحال في الأضرحة المصرية . الى جانب هذا ، فقد وجدت الغرفة الجنائزية بضريح الخروب اسفل ارضية القبر، وتطلب العثور عليها ازالة كل احجار قاعدته (67) ، واكتشفت ايضا الغرفة الجنائزية في لجدار (B) ، V ، وتين هينان اسفل سطح الأرض (68) .

يبدو من الصعب جدا الإعتقاد في ذلك بالنظر الى فقر الدلائل المقنعة ، وفي نظري ان الفصل في هذه المسألة الشائكة لايمكن ان يتم الا بإجراء حفريات منظمة ودقيقة في داخل الضريح وخارجه (69) .

على عكس الغرفة الثانية ، مساحة القاعة الأولى ضيقة ويمر في محورها المنصف الممر الثاني ، كما ينفصلان عن بعضهما البعض بواسطة مسلفة رابعة . يظهر ان تهيئتها بهذا الشكل يوحي بأنها لم تستخدم كغرفة جنائزية مثل القاعة الثانية ، بل تمثل في نظري قاعة انتظار، وان دورها لا يستبعد ان يكون مثل بهو الأسود .

هل يمكن الكلام عن استعمال شعيرة الحرق في قبر الرومية ؟

يتعسر علينا تحديد طبيعة الشعيرة المتبعة لموارة الميت ، غير ان هناك بعض المؤشرات تجعلنا نميل الى فرضية استعمال عادة الحرق . فإذا تأملنا في ممرات القبر، يتضح لنا انها ضيقة على العموم ، اذ تبلغ في بعض الأماكن 1,25م علوا و0,83م عرضا ، مما أستحال معه التفكير في تمرير نواويس حجرية او خشبية الى داخل القبو . واذا كان الإعتقاد السائد ان الأثاث الجنائزي نُهب ، فكيف نفسر عدم العثور ولوعلى بقايا هذه الناووس

داخل هذه الغرف او خارجها ، كما لايمكننا من جهة اخرى ان نتصور وضع جثة الميت على أرضية لاتتوفر على الأقل على مقاعد . ومن هنا يمكن ان نستنتج ان استعمال شعار الحرق ، فرضية اكثر احتمالا واقرب الى المنطق ، لاسيما وانها كانت معروفة لدى النوميديين منذ القرن الرابع ق. م على الأقل (70) .

واذا سلمنا بهذه الفرضية ، فإن رفاة الميت بعد حرقها يوضع رمادها دون شك في مرمدة خاصة ، قد تكون آنية من فخار او من الفضة (71) ، ثم تنقل الى داخل الغرفة المركزية ، وبعضها قد يكون وضع حسب بعض الباحثين في تلك الكوات الكبيرة .

7 ــــ أشغال الصيانة والترميم :

لقد وجد ضريح تيبازة أثناء اكتشافه في النصف الأول من القرن 19م ، في حالة متردية جدا بسبب سلسلة التهديمات التي تعرض لها منذ زمن بعيد . لم يتضرر هذا القبر من عوامل الطبيعة بقدر ما تضرر من بطش الإنسان ، فإعتقاد الناس على مر القرون في وجود كنوز بداخله ، حركت مطامع الناهبين ، فعمدوا الى حفر أنفاق بلغ طول احداها تقريبا 16م تسببت في تعرية احجار نواته . لقد اصيب قسميه الأسطواني والمخروطي بأضرار جسيمة ادت الى تشوه شكله العام (الصورة 36) ، فقد سقط جزء كبير من مدرجاته وتكسيته الخارجية نتيجة نزع مخالب التثبيت ، كما انهارت اعمدته وابوابه الوهمية الأربعة ، ولحقت كتلته الضخمة العديد من الشقوق والحفر ، واصبحت بذلك ارضيته المحيطة به مغمورة بالحجر المتساقط لدرجة انها كانت تغطي قاعدته السفلى وقسما هاما من الجدار الأسطواني اولى اعمال الترميم التي شهدها القبر ، كانت على يد الفرنسي بربروجير مابين سنتي

1865م-1866م ، حيث تمكن هذا الأخير من ازالة بعض الركام عن الأبواب الوهمية في الشمال ، الجنوب ، الغرب و الزاوية الشرقية للمسطحة المربعة التي بني عليها القبر ، كما قام بإخلاء وتهيئة المدخل الرئيسي وترميم مدرجات السلم الداخلي (72) .

وفي سنة 1912م كلفت مصلحة المعالم التاريخية الفرنسية ، المهندسان بالو و كريستوفل بمهمة اعادة ترميم قبر تيبازة ، وتعتبر اعمال هذا الأخير التي دامت الى غاية 1950م من اهم الأشغال التي شهدها القبر على الإطلاق الى يومنا هذا ، فقد تمكن هذا المهندس من اعادة الإعتبار لهذا المعلم الضخم وتجنيبه المزيد من الإنهيارات .

جرت هذه الأعمال على مرحلتين ، الأولى تمتد من 1912م الى 1918م ، وكرسها لرفع الأنقاض عن محيط القبر وداخله ، والثانية من 1918م الى 1950م وخصصها للبناء والترميم . ويمكن تلخيص نتائج هذه الأشغال كالأتي (73) :

- البحث عن الأحجار المناسبة المراد تنصيبها ؛ فقد فقد العديد من احجاره ، ومن المحتمل انها نقلت الى وجهات بعيدة او استعملت لأغراض نفعية من طرف السكان المجاورين .
- اعادة تشكيل التكسية الخارجية لا سيما الجهة الشرقية ، اين تم ترميم الباب الوهمي الشرقي واعادة بناء الأعمدة مع تيجانها (الصورة 37) .
- اعادة بناء بعض الأجزاء من المدرجات .
- غلق الحفر والشقوق الكبيرة (الصورة 38 - 39).
- تنظيف المساحة المحيطة بالضريح ، بإزالة الركام الحجري ، وانجاز طريق يربط هذا المعلم بالأماكن العمرانية القريبة .

• إخلاء القبو الداخلي من الأحجار التي كان يعج بها، ثم الشروع في ترميم جدرانه وسقفه المتضررين.

8 ــــ تأريخ الضريح :

يصعب علينا تحديد زمن بناء الضريح ومن بناه ، لإفتقاره لعناصر التأريخ مثل : النقوش ، الكتابات والأثاث الجنائزي (74) ، غير ان هناك بعض المعطيات التاريخية والهندسية من شأنها ان تزيل عنه بعض الغموض .يبدو ان ميلا Méla استطاع التعرف على وجهة المعلم الجنائزية وحتى على العائلة الملكية التي شُيد من اجلها ، غير انه لم يُرد تفصيلات بشأنها ، فقد كتب مؤلفه المشهور على اكثر تقدير في مطلع الأربعينات من القرن الأول ميلادي ، أي

انه عاصر بالتأكيد فترة حكم بطليموس ومن المحتمل يوبا الثاني ايضا على موريطانيا القيصرية ، قبل ان تصبح هذه الأخيرة مقاطعة رومانية سنة 42م ؛ فذكره للضريح المشترك للعائلة الملكية في المنطقة الممتدة مابين قيصرية وايكوزيوم Icosium ، لايمكن بأي حال من الأحوال ان يقصد غير قبر تيبازة .

ان وجود القبر في موقع مرتفع ومنعزل وبعيد عن قيصرية (75) ، قد يطرح اكثر من تساؤل عن سبب اختيار هذا المكان . في اعتقادي ان تفضيل هذا الموقع لم يكن من قبيل الصدفة ، فقد دلت الأبحاث الأثرية على وفرة هذه المنطقة على عدد هام من المقالع الغنية بالحجر الكلسي (76) ، وهو نوع ضروري للبناء من خصائصه : سهولة قلعه ونحته وجمال بنائه . وهناك من المؤرخين من يعتقد ان هذا الإختيار جاء استجابة لرغبة الملك يوبا الثاني في

رؤيته من عاصمته ، غير ان ملاحظات بربروجير كشفت ان جبال شنوة تحجب رؤيته من قيصرية مثلما تمنع أعالي بوزريعة مشاهدته من ايكوزيوم (77) . الى جانب هذا ، يمكن ان نعطي تفسيرا آخر لهذا الإختيار له علاقة ببعض العادات و التقاليد الدينية في تلك الفترة ، وتقضي هذه الأخيرة ان يُشيد المعلم الجنائزي في مكان مرتفع بعيد عن مناطق تواجد الأحياء .

أعتقد ان هذه الفرضية لها ما يدعمها بأمثلة من الواقع ، فالمتجول عبر بلدان المغرب العربي لاسيما في الجزائر ، بإمكانه ان يشاهد الكثير من المعالم الجنائزية الحديثة او ماتسمى بـالقباب (78) ، وقد بنيت على قمم الجبال والهضاب بعيدة عن المراكز السكانية . هي في الواقع عبارة عن قبور محلية تبنى عادة لشخصيات دينية بارزة او ماتلقبهم العامة بالرجال الصالحين . من دون شك ان قداسة الميت ومكانته المميزة في المجتمع ، هي التي دفعت المغاربة ان يفضلوا قمم المرتفعات والهضاب موقعا استراتيجيا لتشييد قبر ميتهم ، وهو المكان الذي يكون فيه الميت في اعتقادهم اكثر قربا من عالمه الروحي الأخروي ، وابعد ما يكون عن المدينة او القرية مصدر الخطيئة والعصيان .

يظهر ان قدم المدغاسن وتشابهه الكبير مع ضريح تيبازة (79) ، هو الذي جعل العديد من المؤرخين يعتقدون ان هذا الأخير ماهو الا نسخة طبق الأصل للأول ، فإلى جانب كونهما عبارة عن بازينتان كبيرتان لهما شكل اسطواني-مخروطي متشابه ، يشتركان ايضا في وجود منصة شرقية ، ابواب وهمية ، مسطحة علوية ، و عناصر هندسية وزخرفية مستوحاة من الفن المعماري الهلنستي ــ البونيقي (الشكل 08-21) .

إننا نتسأل اذن عن سر هذا الشبه الكبير ؟

لقد ذكرنا آنفا ان كلا المعلمين يمتد اصولهما الى بازينات فجر التاريخ ، ذات القاعدة الأسطوانية وذات المدرجات التي تنتشر بكثرة في بلاد البربر لاسيما في المناطق السهبية وشبه الصحراوية ، وفي هذا الصدد يرى بعض الباحثين ان التل الشمالي يجهل هذا النوع من البازينة بينما تبدو اكثر استعمالا في الأطلس الصحراوي وجنوب الجزائر الشرقية ، لاسيما في المناطق المجاورة للأوراس والهضاب العليا الوسطى (80) ، وهو مادفع الى الإستنتاج ان المدغاسن يُعد النموذج المحتذى لبناء ضريح تيبازة . واستنادا الى هذا يعتقد كامبس ان هذا الأخير ، يمثل قبر الملك سوزيس Sosus او ماستانوسوسيس Mastanososus الذي يعتبره والد بوكوس وبوغود ، وقد حكم موريطانيا حسب رأيه في الفترة مابين 80 و 49 ق. م (81) . يبدو ان هذه الفرضية تفتقد الى سند تاريخي ، حيث ان اغلب المؤرخين يتفقون على اعتبار السنوات الخمسين التي تلت نهاية حرب يوغرطة ، فترة يكتنفها الغموض نظرا لسكوت المصادرعنها (82) ، فنحن لانجد في النصوص القديمة إشارة الى ماستانوسوسيس على انه والد بوكوس او بوغود ، وكل مانعرفه عن مملكة موريطانيا في تلك الفترة انها انقسمت الى قسمين : شرقية بزعامة بوغود وغربية تحت حكم بوكوس الشاب ، الا اننا نجهل متى حدث ذلك . أول إشارة الى هذا التقسيم كان في سنة 49 ق. م ، أثناء الحرب الأهلية بين القيصربين والبومبيين ، والأرجح انه تم عقب وفاة بوكوس الأول حوالي 70 ق. م ، وقد بقي على هذا الحال الى غاية سنة 38 ق. م اين استطاع بوكوس الشاب ابعاد بوغود وتوحيد الموريطانيتين تحت سلطته .

اما عن مملكة او امارة ماستانوسوسيس ، فالمصادر لاتذكر شيئا عن ظروف قيامها وحدودها الجغرافية ، بل تشير فقط انها أُقيمت بين مملكتي

نوميديا الشرقية تحت حكم غودة ومملكة موريطانيا الموسعة ، ومع ذلك لاندرى ان كانت قد تأسست بتأييد من القادة الرومان ام انها دولة مستقلة ، لكن الغالب على الظن انها كانت تشكل منطقة حرة لمنع حدوث نزاع بين نوميديا المصغرة وموريطانيا الموسعة (83) من جهة ، وحماية مصالح روما في المنطقة من جهة اخرى .

اذا كان بعض الباحثين يرى ان حدود موريطانيا الموسعة مُدت في نهاية القرن 2 ق. م الى ماوراء نهر شلف غربا (84) ، فهناك آخرين يعتقدون انها بلغت حتى وادي الصومام (85) ، ومهما يكن فحدود إمارة ماستانوسوسيس لابد انها كانت محصورة في اقليم ضيق ، ولايمكن بأي حال ان يمتد نطاقه الى كامل موريطانيا . الى جانب هذا يتضح ان هذه الإمارة لم تعمر طويلا ، ففي سنة 46 ق.م اثناء تقسيم مملكة يوبا الأول المهزوم ، لانجد ذكرا لها وبالمقابل تشير المصادر ان بوكوس الشاب استطاع توسيع مملكته الى غاية أمساقا (86) (الوادي الكبير) ، بموجب التقسيم الجديد الذي احدثه حليفه يوليوس قيصر .

أغلب المؤرخون ينسبون بناء المعلم الى يوبا الثاني الذي تقلد عرش مملكة موريطانيا من 25 ق.م الى 23م ، ويستندون في ذلك على عدة مؤشرات ابرزها : طول فترة حكمه ، وتذوقه للفنون المعمارية الهلنستية ، قرب الضريح من قيصرية ، وتطابق نص بومبونيوس ميلا حسب رأيهم مع عائلة يوبا الثاني الملكية ـــ يوبا II ، كليوبترة سليني وبطليموس.

أما غزال Gsell فيتعارض مع هذه الفرضية ، ويرى انه من المستبعد ان يقبل ملكا شغوفا بالفنون الإغريقية ان يكون ضريح عائلته الملكية ، مجرد جثوة محلية مغطاة برداء اجنبي منقول عن ضريح نوميدي قديم (87) ، وحتى اذا اراد هذا الملك تجديد النموذج الأصلي ، يبدو حسب رأيه غريبا ان يقع

اختياره على تيجان ايونية ضاربة في القدم ، استغنى عنها الفن الإغريقي منذ قرون . فالقناة التي تربط الحلزونتين عوضا ان تكون مستقيمة كما كان الحال في عصر يوبا الثاني ، نجدها تلتوي بشدة نحو الأسفل (الشكل 15) مثل التيجان الإغريقية السابقة للحروب الميدية (88) بين الفرس والإغريق (492-448 ق. م) .

بالإضافة الى هذا فالعاصمة قيصرية كانت حسب رأيه ، آهلة بالمعالم ذات الطراز الإغريقي المتمشية مع موضة ذلك العصر ومثلها كان معروفا في العواصم الكبرى ، كالأسكندرية آثينا وروما (89). وبناء على هذا يعتقد هذا الباحث ان قبر تيبازة ليس من انتاج يوبا الثاني ، ويفضل ان ينسبه بتحفظ الى احد الملوك الموريين السابقين ليوبا ، آلا وهو بوكوس الشاب المتوفي سنة 33 ق.م ، والذي يُعتقد انه اتخذ أيول قبل ان تصبح قيصرية ، عاصمة له (90) ، كما جمع تحت حكمه الموريطانيتين الشرقية والغربية ابتداء من سنة 38 ق. م .

من جهة اخرى ، يرى بعض الباحثين ان هناك تشابه كبير من حيث الشكل العام ونوع القبو بين قبر تيبازة وضريح هادريان (91) ، الذي يُعتقد هو الأخر انه نُقل عن ضريح أغسطس المتوفى سنة 14م (92) ، ولاشك ان هذا الشبه هو الذي جعل المهندس الإيطالي رومانيلي يتصور ان قبر تيبازة يرجع الى عهد متأخر ، حيث شُيد حسب قوله في القرن الخامس او السادس ميلادي على منوال ضريح هادريان في روما (93) .

اذا كانت الزخارف الهندسية في ضريح تيبازة لاسيما التيجان الأيونية ذات الفرضة المقوسة ، ترجع الى القرن الخامس ق.م ، فهذا لايعني انها لم تستعمل مدة اطول ، فقد لوحظ استخدامها حتى منتصف القرن 2 ق.م في

مدينة قرطاجة ، وكذلك في أتروريا وكامبانيا في ايطاليا خلال القرنين 3و2 ق.م (94) .

أما عن البنايات والتحف التي شيدها يوبا الثاني في مدينته ، فليست لدينا معاومات كافية عنها وبالتالي لسنا متأكدين من الطراز الهندسي الذي تبناه .

اذا كان ميلا قد اشار الى ان قبر الرومية يمثل ضريح مشترك لعائلة ملكية ، فالسؤال الذي لازال يطرحه الباحثون هو : **من هذه العائلة ؟ هل هي اسرة يوبا الثاني كما يرى العديد من المؤرخين ؟ ام عائلة ملوك موريطانيا بوكوس القديم او الشاب ؟ ام عائلة ملكية اخرى نجهل نسبها ، ربما كانت تقيم في تيبازة القريبة ؟**

لاشيئ لحد الآن يؤكد قطعا هذا او ذاك ، فغزال يعتقد ان الجغرافي ميلا اكتفى في وصفه لسواحل الجزائر الوسطى ، بترديد ماورد في كتاب قديم ينسبه الى فارون Varon المتوفى سنة 27 ق.م (95). وحتى اذا سلمنا بهذه الفرضية فكيف نفسر عدم ذكر الجغرافي سترابون Strabon (2) لهذا المعلم على الرغم من انه عاصر فارون وايضا فترة حكم كل من بوكوس الشاب ويوبا الثاني ؛ لقد شكل هذا الكاتب جغرافيته الواسعة من معارف سابقيه (96) وملاحظاته الخاصة ، كان طوبوغرافيا يصف البلدان التي زارها بكل دقة وتفصيل ، واثناء وصفه لسواحل المغرب الشمالية نجده يهتم بذكر حتى الروؤس والجزر الصغيرة الواقعة شمال قيصرية وايكوزيوم (97). ومع ذلك لايشير في مؤلفه الى ضريح تيبازة على الرغم من ضخامته وامكانية مشاهدته من بعيد سواء من البر او البحر ؛**آلا يوحي هذا بأن القبر لم يكن مشيدا في تلك الفترة ؟**

يبدو ان ضخامة الضريح اقتضت توفير يد عاملة كثيرة وماهرة ، ولم يكن ممكنا جلبها من مناطق بعيدة وبالقرب منه بلدتان هما : تيبازة وأيول ،

لكن هل يمكن اعتبارهما مدن هامة قبل بناء قيصرية ؟ وهل اتخذتا كعواصم من قبل ؟ . بومبنيوس ميلا الذي أرخ في بداية الأربعينات يذ كر أن أيول كانت مدينة مجهولة قديما ، وهو ما قد يشكك في صحة الفرضية التي تجعل من ايول عاصمة للبوكوسيين بعد توسيع مملكتهما شرقا منذ نهاية القرن 2 ق.م (105 ق. م) .

وحتى تيبازة التي استخدمت كمحطة تجارية هامة ايام الفنيقيين والقرطاجيين ، لم تشر المصادر القديمة الى حيويتها الا في الفترة الرومانية ؛ ففي سنة 46م منح الأمبراطور كلوديوس تيبازة رتبة بلدية رومانية ، قرنا فيما بعد أي مابين 145-150م ، اصبحت مستعمرة رومانية بموجب التشريع الروماني (98) . لكن بماذا نفسر اهتمام الرومان بجعل تيبازة مدينة هامة ابتداء من القرن الأول ميلادي ، هل يرجع ذلك الى موقعها الإستراتيجي ؟ ام انها كانت فعلا مدينة ذات اهمية ، وربما بناها الرومان على انقاض المدينة الليبية القديمة ؟ غير ان عدم اشارة ميلا اليها كمدينة الى جانب قيصرية ، قد يقلل من قيمة هذه الفرضية .

الى جانب هذا ، لم تكن ايول وتيبازة اكثر شهرة من سيغا التي خضعت منذ نهاية القرن الثاني ق.م لمملكة موريطانيا ، وهي التي من الأولى ان يتخذها بوكوس القديم عاصمة له (99) ، كما ان المصادر القديمة لم تشر الى ايول و تيبازة كعواصم او مدن ليبية هامة مثلما اشارت الى سيرتا وسيغا ، وعليه من المستبعد في نظري ان تكون ايول المحطة التجارية الفنيقية سابقا ، اتخذت كعاصمة لموريطانيا خلال حكم بوكوس القديم ، غير اننا نتسآل ان لم تُتخذ هذه المدينة كمقر لبوكوس الشاب ، خاصة بعد تهديم سيغا في النصف الثاني من القرن الأول ق. م ؟

يبدو من الصعوبة بمكان تحديد زمن ومن بنى هذا الضريح ، أمام ندرة الشواهد المادية والنصوص التاريخية ، لكن استنادا الى ماسبق بإمكاننا الإعتقاد ان قبر تيبازة شُيد على الأرجح في الفترة مابين القرن الأول ق. م والنصف الأول من القرن الأول ميلادي ، من اجل احدى العائلات الملكية المورية ، التي بسطت نفوذها على موريطانيا خلال هذه الفترة ، واتخذت من تيبازة او أيول اوقيصرية عاصمة لها ، بالتأكيد ليس قبر يوغرطة الذي توفي في الأسر سنة 104 ق.م ، لكنه من المحتمل جدا ان يمثل **الضريح المشترك لأحدى العائلات الملكية التالية : يوبا الثاني ، بوكوس القديم أو بوكوس الشاب .**

هوامش الضريح الملكي الموريطاني
(قبر الرومية)

(1) Berbrugger, A . Le tombeau... P. 84

(2) M. Christofle, op. cit. P. 31. ، الى جانب هذا اطلق الإسبان والفرنسيين على هذا المعلم اسم **قبر المسيحية** اعتمادا علّى التأويل الخاطئ للزخرف الناتئ . Gsell. St. **Promenades A rchéologiques aux environs d'Alger**. Alger, 1896, p. 144 ; Ministère de l'information et de la culture , Bouchenaki, M. **Le Mausolée Royal de Maurétanie** . S.N.E.D., 1979, p. 9 .

(3) Judas, A. **Notes sur l'origine du kber er- roumia dit Le Tombeau de la Chretienne**.
انظر كذلك : Christofle , M. **Le tombeau de la chrétienne** . Arts et Métiers graphiques , 1951, p. 41; Berbrugger, A.. op. cit. p. 83.

(4) جغرافي لاتيني ولد في اسبانيا ، ترك بيتيك Bétique ليعيش في روما ، صاحب كتاب Notes sur la Numidie الذي كتبه في عهد حكم الأمبراطور كلوديوس .

(5) بربروجير يعتقد ان بومبنيوس كتب كتابه هذا حوالي سنة 45 او 46م ، بينما يرى كريستوفل انه الف بين سنتي 23م تاريخ وفاة يوبا II و42م تاريخ

بداية التسمية الجديدة " موريطانيا القيصرية " ، التي منحها الأمبراطور الروماني كلوديوس لنوميديا الغربية : Berbrugger, A .op. cit. P. 7 ; Christofle, M. op. cit.p. 35 .

(6) Pomponius, Méla. **Notes sur la Numidie , Premier Livre, De situ orbis**. Ch. VI. Edition de Leyde, 1748, P. 38 .

(7) Berbrugger, A. op. l., p. 31 ; Bouchenaki, M. op. l., p. 10 ; Christofle, M. op. cit. p. 35

(8) تقول الأسطورة حسب دورنو ، ان حاكم اندلوسيا الكونت جوليان Julien لما غدر به الملك القوطي رودريك Roderik واغتصب ابنته الحسناء الأميرة فلورندا Florinde ، سمح للعرب الفاتحين بالعبور الى اسبانيا سنة 711م انتقاما من ذلك ، ومنذ ذلك الحين اصبحت تلقب بـ لاكافا La Cava أي الفتاة العاهرة . يبدو ان الإسبان الذين كانوا يقطنون بالمغرب ، لما سمعوا عن العرب ينسبون كلمة قبر الرومية الى ضريح تيبازة ، اعتقدوا خطأ ان كلمة قبر Cabr تعني كابا اوكافا Cava ، فخلصوا الى ان الفتاة فلوراندا دفنت فيه ، فأطلقوا عليه اسم كابا رومية ، فلما سمعوا

الخليج الذي يمتد اسفل المعلم بخليج الفتاة الماهرة Bahia de la mala myer . يظهر ان اسبانيي المغرب هم الذين ذكرهم مارمول على انهم لايحسنون النطق بالعربية .

Durnon, Robert, **Autour du Tombeau de la chrétienne**, charlot, 1931 ; Berbrugger, A. op. cit. p. 34-35 ; Christofle, M. op. l., p. 36

(9) وحدة لقياس المسافات ، وتقدر بـ اربعة كلومترات تقريبا .

(10) Marmol, **Déscribtion genérale de l'Afrique**, Ch. 34, Livre V, 1873 (Malaga), 1879 (Grenade), par Berbrugger, op. l., p. 34 ، وهناك من يضيف ان صالح رايس باشا الجزائر في بداية القرن 16 ، قد قنبل الضريح بالمدفع بحثا عن الكنوز ، فأحدث ذلك فجوة كبيرة في جهته الشرقية .St. Gsell, Promenades... p. 146 ، ودائما من اجل نفس الغرض استعان بابا محمد ، داي الجزائر مابين سنتي 1766-1775 ببعض السحرة المغاربة لحفر المعلم لكن دون جدوى ، والأخطر من هذا ماقام به الحفارين حيث انتزعوا العديد من حجارته للإستيلاء على مخالب التثبيت المصنوعة من الرصاص .

Durnon, R. op. cit. p. 33.

(11) Dr. Shaw, **Voyage en barbarie**.... p. 44 à 46, de la premhère édition, 1738 ; Id., op. cit. Trad., de 1743. Par Christofle, M. op. cit. p. 36-37.

(12) يذكر بربروجير انه كما كان السكان المجاورين يعتقدون في وجود كنوز مدفونة بداخله ، كانوا يؤمنون ايضا بوجود اشباح وجن تسكن الضريح ، وقد بلغ خوفهم من هذه الأرواح انهم رفضوا حسب رأيه الدخول اليه برفقته أثناء حفريات 1865-1866 . Berbrugger, A. op. cit. p. 3-4 ، الى جانب هذا اوردت المصادر الفرنسية في القرن 19، عدة اساطير كان يرددها اهالي المنطقة حول اسرار القبر وكنوزه المخزونة ، نذكر ابرزها : قصة احمد المحجوط ، الراعي والبقرة ، الجنية هلولة ، واسطورة غار المنجل في الصخرة المصفحة . ولمزيد من التفاصيل انظر :

Berbrugger, A. op. l., P. 32-33 ; Gsell, st. Promenades... P. 144-146 ; Durnon, op. cit. p. 35 .

(13) لا شك ان ايمانهم بوجود تابوت سري مثل الإهرامات المصرية ، دفع الباحثون عن الكنوز الى حفر نفقين كبيرين اسفل القبر ، كلاهما يتجهان نحو المركز ، الأول يقع في الجدار الغربي لبهو الأسود ، يبلغ طوله 6,50م ، والثاني في الجدار الأيسر للرواق المستدير وراء الباب الوهمي الغربي ، طوله 16م ، الى جانب هذا احدث بربروجير أثناء استكشافه للضريح سنة 1865 نقبا اخر على مستوى الباب الوهمي الجنوبي ، يصل الى الرواق المستدير .

(14) لقد اثارت هذه المخالب انتباه الأهالي منذ نهاية القرن 17م ، وهي الفترة التي شهدت شيوع استعمال السلاح الناري ، فأقدموا على تكسير زوايا الحجارة المنحوتة من اجل استخراجها ثم استخدامها في صنع عيارات الأسلحة .

(15) عكس مخالب المدغاسن التي كانت سهلة النزع .

(16) Durnon, R. op. cit. p. 41 .

(17) مفتش عام للمعالم التاريخية والمتاحف الأثرية بالجزائر خلال الإحتلال الفرنسي .

(18) أثناء محاولاته لأكتشاف المدفن القبوي سنة 1866 ، استعمل بربروجير للحفر مسبارا شبيها بالذي تحفر به الآبار؛ وبعد جهود متواصلة دامت اربعة اشهر سقط المسبار فجأة في يوم 05 ماي 1866 على عمق 26.5م في كتلة القبر، وحينئذ حفر نفق تحت الباب الوهمي الجنوبي للوصول الى ذلك المكان الفارغ ، فأكتشف لأول مرة دهليز مستدير واسع يؤدي من جهة الى المدخل الحقيقي للضريح ومن جهة اخرى الى البهو الثاني والغرفة المركزية . Bouchenaki, M. op. cit. p. 13 ، ولمزيد من التفاصيل انظر : Berbrugger, A. op. cit. p. 69-70 .

(19) ألبير بالو ، مهندس رئيسي للمعالم التاريخية ، انتهت مهامه سنة 1928. كريستوفل مهندس شرفي للمعالم التارخية ، وقد واصل اعمال الترميم حتى سنة 1950 .

(20) لأكثر تفاصيل حول اعمال الترميم انظر : Christofle, M. op. cit. pp. 47-184 .

(21) نذكر اهمها : Gsell, St. Promenades... pp. 143-160 ; Id., **Le tombeau de la chrétienne**., dans C r du XIV Congrés de l' A.F.A.S. , Carthage, 1896, T. II, pp. 767-778 ; **Marques de tombeau de la chrétienne** . dans Bull. Archéol. du comité, 1899, p. 441-443 ; Les monuments antiques de l'Algérie...pp. 69-74 ; Histoire ancienne... pp. 226-273 ; **Le guide archéologique des environs d'Alger**. Jourdan, Alger , 1896 .

(22) Christofle, M. op. cit. p. 44 .

(23) Ibid., p. 22 ; Berbrugger, A. op. l., p. 83 .

(24) لمزيد من التفاصيل حول محاجر شرشال القديمة انظر: مذكرة كنودي ، شريفة ، **اهم محاجر شرشال القديمة** ، الجزائر ، معهد الآثار ، 1990-1991.

(25) Berbrugger, A. op. cit. p. 83-84 ، الى جانب هذا يعتقد بربروجير انه تم جلب الحجارة ايضا من مناطق بعيدة ، كسواحل البحر الوافرة بحجر القليس و شرق تيبازة ، وبالظبط في ترغوال الغنية بالحجر الصدفي التي لازالت عليها آثار استغلال قديمة . Ibid. p. 83-84 .

(26) Gsell, St. Les monuments... p. 69 .

(27) Christofle, M. op. l., p. 15 .

(28) Ibid., p. 15 .

(29) Bouchenaki, M.Loc. cit. p. 27 .

(30) Christofle, M. op. l., p. 21 , Gsell, St. Les monuments... p. 266 .

(31) Christofle, M.l., l., p. 21 , Berbrugger, A., l., l., p. 17 .

Christofle, M. I., I., p. 23 . (32)

Christofle, M. loc. cit. p. 22 . (33)

Gsell, St.Histoire... p. 226 . (34)

Camps, G. Aux origines... p. 165 . (35)

Bouchenaki , M. op. l., p. 27 . (36)

(37) استعمل هذا النوع من المخالب منذ زمن بعيد ، فقد كان معروفا في مصر الفرعونية ، واستخدم ايضا في بابل من طرف سميراميس ، " شخصية

اسطورية يُعتقد انها ملكة الآشوريين والبابليين واليها تنسب الحدائق المعلقة ببابل . . Berbrugger, A. op. l., p. 83

(38) يرى كل من ريني وبربروجير ، ان المدفن القبوي استعملت فيه المخالب المصنوعة من الرصاص ، بينما استخدمت المخالب الخشبية المغلفة بالرصاص

في التكسية الخارجية للضريح . Reniers, F. **Métrologie du tombeau de la chrétienne** . Cherbourg, 1953, p. 8 ; Berbrugger, A.l., l., p. 83 .

Berbrugger, A. l., l., p. 71. (39)

Gsell, St. Les monuments antiques... p. 413, Fig. 170 . (40)

Camps, G. **Un mausolée Marocain : La grande bazina de souk el-Gour** , dans bull. d'archéol. maroc. t. IV, 1960, pp. 47-92 . (41)

(42) Christofle, M. op. l., p. 24. ، اما غزال وبربروجير فيذكران انه كان مغلقا بثلاثة احجار؛ لاشك انهما اخذا بعين الإعتبار الصخرة العلوية التي تمثل عتبة الباب . Gsell, St. Les monuments... p. 71 ; Berbrugger, A. op. l., p. 72 .

Gsell, St. Promenades... p. 150 . (43)

(44) يرى بربروجير ان سبب انسداد المدخل يعود الى وقوع هذا الآخير في اسفل القاعدة ، ووجود القبر في قمة جبلية مرتفعة مما جعله عرضة لهبوب رياح قوية كل يوم ، مصحوبة بالأتربة واوراق الأشجار؛ وقد لاحظ الباحث ذلك أثناء مهمته الإستكشافية في الضريح التي دامت اكثر من ثمانية اشهر .

Berbrugger, A. op. l., p. 30-31.

Gsell, St. Promenades... p. 150-151 ; Berbrugger, A. op. l., p. 72-73 . (45)

Christofle, M. op. l., p. 24 . (46)

Berbrugger, A. op. cit. 73. (47)

Ibid., p. 73. (48)

Chtistofle, M. op. l., p. 2 . (49)

Ibid., p. 24 . (50)

(51) Berbrugger, A. op. l., p. 76 .

(52) Bouchenaki, M. op. cit. p. 15 .

(53) Camps, G. Aux origines.. Rites... p. 204 .

(54) Christofle, M. op. cit. p. 29 .

(55) Ibid., p. 29 .

(56) Ibid., p. 29 .

(57) يبدو ان ضيق الممرات ، قد يجعلنا نستبعد فكرة وضع الميت في ناووس حجري من جهة ونميل اكثر الى فرضية استعمال الحرق من جهة أخرى .

(58) Gsell, St. Histoire... p. 253 ; Poinssot, L. **La Réstauration du Mausolée de Dougga** , C.R.A.I.B.L., 1910, pp. 780-787 .

(59) Gsell, St. Les monuments... p. 415-417 .

(60) Camps, G. Aux origines... rites.. p. 555 .

(61) Debruge, A. **Le monument romain de ksar sbahi** , Rec. des notes et mem. de la soc. archéol. de const. t. LVII, 1926, pp. 255-258 .

(62) Gilbert, Charles-Picard, **Les religions de l'Afrique antique** . Paris, 1954, pp. 11-12 .

(63) انظر لاحقا .

(64) St. Gsell, Promenades... p. 154 .

(65) R. Durnon, op. l., p. 30 .

(66) Ibid., p. 30 .

(67) انظر لاحقا .

(68) انظر : Kadra, F. **Les djeddars**.. p. 103-106 ; Id., **Note complémentaire sur les Djedars de la région de Frenda**., Bull. d'Archéologie algeriènne, .p. 230; Camps, G. **Le tombeau de Tin-Hinan à Abalessa**, dans Travaux de l'Institut de recherches sahariennes, t. 24, 1965, p. 65--83 .

(69) أملا في العثور على الغرفة السرية ، حفر الباحثون عن الكنوز نفقان كبيران اسفل نواة هذا الضريح ، يتجهان كلاهما الى مركز البناء ، ومع ذلك لم يتوصلوا الى النتائج المرجوة ؛ لقد اقتصر الحفر على الجهتين الشرقية والغربية فقط ، بينما لم تكتشف بعد الجهتين الجنوبية والشمالية .

(70) لقد ثبت استعمالها في ضريح الخروب والجثوة المجاورة للمدغاسن ، ومحتمل جدا ايضا في المدغاسن .

(71) غزال يرى ان رماد الميت يكون قد وضع في مرمدات من معدن نفيس ، وهذه الأخيرة رُتبت اما في الكوات الثلاثة او في خزائن من خشب او من معدن . Gsell, St. Histoire ... p. 268 .

(72) حول هذه الأعمال انظر : Berbrugger, A. op. cit. pp. 64-89 .

(73) لمزيد من التفاصيل حول مراحل أعمال الترميم انظر : Christofle, M. op. l., pp. 47-184 .

(74) يبدو ان الضريح تم نهبه على الأقل منذ نهاية الإحتلال الروماني ، وهو ما تشهد عليه ابوابه المكسورة كلها وعثور بربروجير على أثاث يرجع الى الفترة الرومانية والبيزنطية منها : قطع برونزية ، شظايا اواني مسيحية ، ونقود تعود للقرنين السادس والسابع م . Berbrugger . A. op. l., p. 30 .

(75) بعض الباحثين يربطون بين هذا الضريح ومدينة تيبازة القريبة منه ، وفي هذا الصدد يرى أ. فيفري انه من الأجدر البحث عن العائلة الملكية التي بنت هذا المعلم ، في تيبازة لاسيما وقد اثبتت الحفريات اهمية هذه المدينة قبل الإحتلال الروماني ، بإكتشاف مقابر فنيقية ترجع الى القرنين السادس والخامس ق.م. Albert. P. Fevrier. **Art de l'Algérie antique** . Ed. de Boccars, Paris, 1971. p. 18 ; bouchenaki. M. op. cit. p. 29 .

(76) انظر لاحقا، .

(77) Berbrugger. A. op. l., p. 6 .

(78) وتسمى ايضا حويطة او والي بالعامية .

(79) حول وجه الشبه انظر الجدول رقم (3) .

(80) Camps, G. Aux origines... rites... p. 204 .

(81) Id., Mausolées princiers... p. 57 .

(82) جوليان، ش. أ.، نفس المرجع السابق ، ص. 162 .

(83) شنيتي ، م. ب. نفس المرجع السابق ، ص. 41 . ويقول عنها ، ش. أ. جوليان : << وليس من شك في انه وجد بين هاتين المملكتين دولة بربرية تفصل بينهما ، ممتدة الأطراف يسميها شيشرون مملكة ماستانزوسيس ، ولم تشأ روما توسيع مقاطعة إفريقية اذ انها لم تكن لتخشى ملكا ضعيفا وآخر عميلا ... >> جوليان، ش. أ.، نفس المرجع السابق ، ص. 162 .

(84) Gsell, St. Histoire ... t. VII, p. 264 .

(85) Desanges, J. **Térritoires gétules de Juba II** , R.E.A., t. 66, 1964, p. 42 .

(86) Gsell, St. Histoire... t. VIII, p. 200 .

(87) Gsell, St. Histoire... t. VI, p. 272 .

(88) Id., Promenades... p. 157 .

(89) Ibid., p. 157 .

(90) Agence nationale d'archéologie et de protection des sites et monuments historiques, Serge Lancel, et d'autres . **Tipasa de Maurétanie**. Alger, 1990, p. 10 ; Gsell, St. Promenades... p. 158 ; Id., Histoire... t. VI, p. 273 .

(91) Berbrugger. A. op. I., p. 71 ، امبراطور روماني (76 – 138م) ، زين روما ومدن الأمبراطورية بعدد هام من المعالم ، تولى الحكم سنة 117م وتوفي سنة 138 ، ضريحه المشهور يعرف حاليا بإسم قصر سانت أونج Chateau Saint Ange

(92) يرى غزال أن الإمبراطور أغسطس قد إختار لنفسه ضريحا ضخما يشبه شكله الخارجي كثيرا قبر الرومية . Gzell, St. Les monuments ... P.74 ، يبدو أن أصحاب هذه النظرية أرادو أن يجعلوا من يوبا الثاني ، مشيد ضريح تيبازة حسب رأيهم ، مقلدا لضريح أغسطس على أساس أنه صاحب الأفضال عليه بتنصيبه ملكا على موريطانيا ، و هو في نفس الوقت إبن يوليوس قيصر متبنيه و ولي نعمته .

(93) Romanilli . P. **La Tomba della christana,e il sio mestiro**, dont archiologia clasica , t. IV, 2 , p. 274.

(94) وهي مقاطعتان خضعتا طويلا للهيمنة الإغريقية ، الأولى تقع في وسط إيطاليا و الثانية في جنوبها . Gzell St., promenades ... P.158 ; Id; Histoire ... t.VI, p. 273 ، و يرى نفس الباحث ان الزخرفة الهندسية الباقية : قواعد الأعمدة ، الكورنيش ، نواتئ الأبواب الوهمية ، من طراز إغريقي و يمكن تأريخها إلى القرنين الثاني أو الأول ق. م.

(95) Gzell . St. Les monuments ... P. 271 : Id., Promenades . p. 157; Id., Histoire... t. VI, p. 272 ; Solin , XXV . 16 .

فارون : بالاتينية **Marcus Terentius , Varro** ولد سنة 116 ق.م بريتي Reiti في إيطاليا ، و توفي سنة 27 ق.م ، كاتب و عالم لاتيني ، كان مناصرا لبومبي أثناء الحروب الأهلية ، و بعد معركة فارصال Pharsale ، مال إلى جانب قيصر الذي كلفه بتنظيم المكتبات الشعبية . مؤلفه الخاص بالفلاحة ، جعل منه مؤسس علم الزراعة ، كما ترك ايضا مؤلفات لغوية ، فلسفية و تاريخية .

(96) سترابون : جغرافي إغريقي ، ولد حوالي 58م. ق في آمسيا ، وتوفي مابين سنتي 21 و25م ، تصف جغرافية كل البلدان المعروفة في تلك الفترة ، كما يقدم دراسة اجتماعية تاريخية للشعوب التي تقطنها .

Dictionnaire de la langue francaise, 1993, nouvelle. edit. Hachetter, P. 1214.

(97) كانت بحوزة أغريبا **Agrippa** ، صهر الإمبراطور أغسطس ، خريطة تتضمن غزوات الإمبراطورية الرومانية ، وبالتأكيد كانت في متناول سترابون الذي هجر منذ مدة طويلة من آمسيا Amasia مسقط رأسه ، ليعيش في روما ، تحت خدمة الإمبراطور ماسان Mécène وأغريبا . Christofle, M.op. I., P.39.

(98) Lancel, Serge ,op. cht. p. 13.

(99) يبدو ان هناك معطيات تشير الى ان الملك بوكوس الأول ، قد يكون اتخذ سيغا عاصمة له ، منها خضوعها مبكرا لنفوذ موريطانيا ، قرب هذه المدينة من موطن موريطانيا الأصلي ، والعثور على نقود في موقع سيغا صكت باسم هذا الملك ، كما ان تسمية الرأس الواقع شمال هذه المدينة برأس بوكوس ، لم يأت في نظري صدفة ، بل من المحتمل جدا انه جاء تعبيرا عن اقامة هذا الملك بسيغا في نهاية القرن الثاني اوبداية القرن الأول ق.م ، أي قبل تحطيمها في النصف الثاني من القرن الأول ق. م .

لجــــــدار

أضرحة الملوك الموريين (تيارت)

1 ـــ الموقـــــع .

2 ـــ أصل التسمية .

3 ـــ المصـــــادر .

4 ـــ تاريخ الدراسات والحفريات .

5 ـــ الوصـــف العـــــام .

6 ـــ لجدار جبل لخضر .

أ) ـــ لجدار (A) .

ب) ـــ لجدار (B) .

ج) ـــ لجدار (C) .

7 ـــ لجدار جبل العــروي (ترناتن) .

أ) ـــ المــوقــع .

ب) ـــ حفــريات روفــو .

ج) ـــ لجـــدار (F) .

8 ـــ لجدار الأخــرى .

9 ـــ الزخرفة والنقوش .

10 ـــ المدفن القبوي والملحقات الخارجية .

11 ـــ تأريخ معالم لجـــــدار .

لجْـــــدَار

لقد حافظ البربر طوال العهد التاريخي ، على بعض التقاليد المحلية القديمة المتعلقة بالبناء والشعائر الجنائزية ، على الرغم من تغلغل المسيحية في موريطانيا القيصرية ابتداء من القرن الرابع . وتجسدت هذه الصلة الوثيقة بين فجر التاريخ والفترة التاريخية المتأخرة ، في بروز معالم ذات طابع جنائزي محلي آلا وهي الأجدار او لجدار كما يسميها اهل المنطقة .

1 ـــ الموقع :

تقع هذه المعالم جنوب غرب مدينة تيارت على بعد حوالي 30 كلم ، وعلى بعد 15 كلم شمال شرق فرندة وحوالي 7 كلم جنوب شرق مدغوسة (الخريطة 05 ، 08) ، تشغل مرتفعات جبلي لخضر والعروي المتاخمين لجبال فرندة والمشرفين على كامل سهل سرسو الممتد نحو الشرق . يبلغ عددها 13 معلما يتوزعون على مجموعتين تختلفان من حيث العمر والأهمية . تتكون المجموعة الأولى من ثلاثة أضرحة هي : A , B , C (1) ، وتعلو قمم جبل لخضر المحاذي للضفة اليمنى لوادي مينا (2) والملقب بجبل لجدار (الصورة 40) ، أما المجموعة الثانية المسماة ترنا تن فتقع بالقرب من بلدية الحواريت (3) وتتكون من 10 معالم هي : D , E , F , G , H , I , J, M , K , L ، حيث تشكل مقبرة حقيقية تنتشر على سفوح جبل العروي الذي يبعد بحوالي 2,5 كلم عن جبل لخضر (الصورة 41) .

إن الزائر للجدار يتسآل حتما عن مغزى بناء هذه المعالم الجنائزية في هذه المنطقة الجبلية الوعرة التي تبدو اليوم جرداء وخالية من العمران . يبدو

أن اختيار هذه البقاع لأقامة هذه النصب كان مدروسا ، حيث أثبتت الدراسات الأثرية التي أجريت بعين المكان ملاءمة الموقع، وهذا بغناه بالمقالع الحجرية التي توفر الحجر الكلسي ، والثروة المائية ، وإشرافه على كل سهل سرسو الخصب والسهول العليا الغربية المتجهة نحو سعيدة . كما يظهر أن قمم جبل لخضر الغنية بالكلس استخدمت لفترة طويلة كمحاجر هامة ، ويدل على ذلك بروزها اليوم على شكل مسطحة صخرية واسعة بعدما فقدت ذروتها نتيجة الإستغلال الهائل للطبقات الكلسية (4) .

إلى جانب هذا ، تدل الخريطة الأثرية على أن منطقة لجدار والجهات المجاورة لها كانت آهلة في السابق بالعمران ، ويشهد على ذلك أطلال وبقايا بعض المدن والعديد من النقوش المكتشفة بها .

من الواضح ان موقع لجدار المميز هو الذي جعل بناة هذه المعالم ، يشيدون مدافنهم في هذه البقاع ، كما قد يُترجم ذلك بحرصهم على ان تكون أضرحتهم في قمم المرتفعات ، حتى يتسنى لهم الإشراف على البلاد التي كانوا يتحكمون فيها (5).

يجدر بنا أن نشير أيضا إلى غنى المنطقة بالمصادر المائية ، فواد مينا ورافديه : واديي توسنينة وجاد يجريان بالقرب من جبل الأخضر ، كما توجد العديد من العناصر المائية مثل : عين القبور ، عين بان ، عين الغراب ، عين البيضاء وعين منصور، بعضها جف والبعض الآخر لازال (6) .

2 ـــ أصل التسمية :

يرى بعض الباحثين أن تسمية هذه المعالم بالجدار ، اشتقت من كلمة جدار أي سور وهو مفرد جدران (7) أوجدرات ، من المحتمل جدا انها نسبت الى هذه المعالم للدلالة على سماكة هذه المباني ومتانتها (8) . إننا لاندري بالتحديد

متى اطلقت هذه الكلمة ، فهي لم ترد في نص ابن الرقيق بإعتباره المصدر القديم والوحيد ، بل استعملت لأول مرة في المصادر الفرنسية في النصف الثاني من القرن 19 ، ويدفعنا هذا إلى الإعتقاد ان هذه التسمية نُسبت الى هذه الأضرحة في فترة متأخرة . وفي اعتقادي ان كلمة لجدار المشتقة من الجدران ، جاءت للتعبير عن الحالة التي آلت اليها هذه القبور ، حيث لم يبق من اهراماتها الشامخة الا بقايا آثار او اطلال على شكل جدران .

الى جانب هذا ، هناك نظرية اخرى تستحق المزيد من التأمل ، ومفادها ان تسمية مدينة مدغوسة (9) التي لاتبعد عن لجدار الا بـــ 7كلم لها علاقة وثيقة بكلمة مدغاس او ضريح المدغاسن ، إذ يرى صاحبها اعتمادا على التشابه اللفظي بينهما ، ان كلمة مدغاسن قد حافظت على صيغتها الأمازيغية في بلاد الأوراس ، بينما تعربت لتصبح مدغوسة في الجهات الغربية المعربة (10) . يظهر ان هذه الفرضية لها ما يدعمها في النصوص التاريخية ، حيث يذكر ابن خلدون ان تسمية مدغاس كانت تطلق قديما على الجد الأسطوري لفرع البتر (11) ، وبالتالي من غير المستبعد انها كانت تطلق ايضا على الأضرحة التي دفنت فيها شخصيات سامية من الأعيان والأمراء المنتسبين الى هذا الفرع ، ويدل على ذلك التسمية القديمة التي حملها قبر المدغاسن حسب نص البكري .

واذا كشفت الدراسات في المستقبل صحة هذه النظرية فإنه من المحتمل جدا ان تكون مدافن لجدار ، قد حملت قديما اسم مادغوس او مادغاسن ثم تحولت الى مدغوسة لاحقا .

3 ـــ المصادر :

يعتبر نص ابن الرقيق (12) المصدر القديم والوحيد الذي اشار ولو بشكل غير مباشر ووجيزالى لجدار ، وبالتحديد تلك المنتشرة في جبل لخضر . ويمكن التعرف عليها من خلال تحليل مضمون نصيه اللذين اوردهما ابن خلدون ، حيث يقول في النص الأول : << وزحف المنصور يريد لواتة ، فهربوا امامه الى الرمال ورجع عنهم ، ونزل الى وادي ميناس ثم انصرف الى القيروان .

وذكر ابن الرقيق : ان المنصور وقف هنالك على اثر من آثار الأقدمين بالقصور التي على الجبال الثلاثة مبنية بالحجر المنحوت ، يبدو للناظر على البعد كأنها اسنمة قبور ، ورأى كتابا في حجر فسره له ابو سليمان السردغوس ، خالف اهل هذا البلد على الملك فأخرجني اليهم ففتح لي عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به >> (13) .

وفي رواية ثانية يقول : << فهربوا الى الرمال واقام هو على وادي ميناس وكان هنالك ثلاثة جبال كل منهم عليه قصر مبني بالحجر المنحوت ، فوجد في وجه احد هذه القصور كتابة على حجر فسيح فأمر المنصور التراجمة بقراءته واذا فيه ، انا سليمان السردغوس خالف اهل هذا البلد على الملك فبعثني اليهم ففتح الله عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به >> (14) .

بإمكان القارئ ان يستشف من خلال قراءة هاتين الروايتين ، اشارة صريحة الى لجدار مجموعة جبل لخضر، ويتضح ذلك من ذكره " **للقصور المبنية بالحجر المنحوت فوق الجبال الثلاثة ووادي ميناس القريب منهما** " الى جانب هذا .

يشير ابن الرقيق الذي عاش في القرن 10م بشكل غير مباشر الى حالة الحفظ ، التي كانت تميز هذه المعالم عندما يشبهها بالقصور، وهي دلالة واضحة على حفاظ النصب الثلاثة على قاعدتها المربعة على الأقل . اما عن التاج الهرمي المدرج ، فلا أعتقد انه كان محافظا على شكله الهندسي الأصلي في تلك الفترة ، بدليل تشبيه الكاتب له بأسنمة قبور ، أي على شكل هضبة أو حدبة مثل ما هو عليه الآن تقريبا .

من جهة أخرى نلاحظ أن العلامة ابن الخلدون ، الذي جاء أربعة قرون من بعد ، قد نقل ما أورده ابن الرقيق دون ان يكلف نفسه عناء تفقد هذه المعالم ، للتأكد من صحة هاتين الرواتين على الرغم من إقامته الطويلة بمغارة قلعة بني سلامة القريبة منها (15) .

4 ـــ تاريخ الدراسات والحفريات :

اكتشفت لأول مرة من طرف الرقيب الفرنسي هنري بارنار Henri-Bernard (16) رفقة الجنرال لامورسيار Lamorcière سنة 1942 ، وفي سنة 1843 قام آزيما Azéma-Montgravier (17) بمهمة استكشافية اخرى بلجدار نُشرت في تقرير هادريان Adrien de Longpérier (18) ، غير ان اولىالمحوالات لدراسة هذه المعالم كانت من طرف بوردي S.Major-Bordier (19) ، الذي تمكن في 5 نوفمبر 1865 من الولوج الى داخل الضريح (C) وقدم عنه وصفا مفصلا ، وهي السنة نفسها التي شهدت اعمال التنقيب في كل من المدغاسن وقبر الرومية .

وفي سنة 1875 قام كل من ماك كارتي Mac-Carthy و لوتورنو Letourneux بدراسة ميدانية اخرى للجدار ، قام على إثرها برفع آثري

وهندسي لثلاثة منهم : واحد في جبل لخضر والآخر في جبل العروي ، ووضع آرقام تعريفية على شكل حروف لاتينية . وعلى الرغم من هذا لم تأت هذه الدراسة بالنتائج المرجوة بسبب ضياع تقريرهم العلمي (20) ، شأنها في ذلك شأن دراسة القبطان واينار Wagner سنة 1881 (21) .

وفي سنة 1882 انجز لابلنشار (22) De la Blanchère دراسة علمية هامة حول هذه المعالم ، تضمنت ثلاثة محاور رئيسية هي : وصفها ، تأريخها والبحث عن السلالات التي شيدتها . الا ان ما يلاحظ عن هذا الباحث انه ركز في دراسته هذه على لجدار (F) ، بينما اكتفي ببعض الإشارات العامة فيما يخص الأضرحة الأخرى ، لكن على الرغم من هذا تعتبر اعماله من اهم الأبحاث وآخرها التي تناولت لجدار في القرن 19 (23) .

وفي النصف الأول من القرن 20 برزت دراسات اثرية اكثر اهمية ، قام بها بعض الباحثين الفرنسيين امثال غزال (24) ، ديماث Demaght (25) ود. روفو Dr. Roffo (26) ؛ وقد قام هذا الأخير بأعمال هامة تمثلت في ازالة الأنقاض بالجدار A, B, C وخمسة آخرين في ترناتن وهي : V, IV, III, II, I (27) ، واجراء حفريات في بعض منها انتهت بإكتشاف غرفتين جنائزيتين مهيئتين اسفل سطح الأرض ، الأولى في لجدار (B) اين استخرج ناووس خشبي يحمل بداخله هيكلا عظميا ، والثانية في لجدار (V) حيث عثر على عظام آدمية بدون جمجمة .

وبعد الإستقلال وبالتحديد بين سنتي 1968-1970 ، اجرت الباحثة فاطمة قادرة ابحاث اثرية قيمة في لجدار جبل لخضر ، كشفت الى الوجود العديد من الملحقات الخارجية التي لم يكن دورها معروف من قبل مثل : المبنى الهرمي الصغير ، الفناء ، المنصة الشرقية ، الأحواض واسوار التسييج ، الى جانب هذا استطاعت ضبط مواقع كل لجدار الثلاثة عشر ، والتعرف

على المخططات الداخلية وتقنيات البناء لبعضها وهي : A, B, C, F ، كما درست بإسهاب مختلف الرسومات والكتابات التي تزخر بها ، واعادت تشكيل لجدار (A) وملحقاته الخارجية .

الى جانب هذا ، حاولت هذه الباحثة تأريخ بعض هذه المعالم اعتمادا على دراسة الأشكال الهندسية ، النصوص المنقوشة ، الرموز المسيحية ، وطريقة التحليل بالكربون 14 المشع ، واستنتجت في النهاية ان لجدار ماهي الا معالم جنائزية شيدت من طرف امراء موريطانيين ، كانوا على رأس امارات مستقلة في الفترة الممتدة مابين القرن الخامس والسابع ميلادي (28) .

لقد واكبت هذه الدراسة ، اعمال هامة قامت بها قادرة في موقع جبل لخضر ، تمثلت اساسا في تنظيف ورفع الركام الحجري بداخل وخارج الأضرحة ، حيث مكنت من توضيح مظهرها العام ، وسمحت من جهة اخرى للزائرين والباحثين بإمكانية زيارتها ودراستها . لكن يبدو ان قلة الإمكانيات المادية وضخامة هذه المهمة ، لم تسمح لهذه الباحثة من توسيع مجال أبحاثها واعمالها الى لجدار ترناتن . فبإستثناء لجدار(F) الذي استفاد من عدة دراسات ، ظلت ولازالت هذه المجوعة مجهولة الى يومنا هذا ، ولايمكن الكشف عنها الا بإجراء حفريات منظمة من شأنها ان تمدنا بحقائق هامة عن تاريخ لجدار ككل .

لقد اصيبت لجدار كغيرها من المعالم الأخرى بتشوهات بليغة ، بسبب قساوة الطبيعة وتخريب الإنسان ، فنحن لاندري ان كانت تعرضت الى التهديم منذ القرون الوسطى ام ان ذلك حديث العهد . ففي سنة 1961 تعرض لجدار (A) الى ضربات بالمدفعية من طرف العسكريين الفرنسيين أثناء حرب التحرير (29) ، وفي سنة 1966 احتل احد المشعودين لجدار الثلاثة عشر قصد اقامة 13 زاوية فيهم (30) . لقد نتج عن كل هذا سقوط

الأجزاء الهرمية والمدرجات ، والحاق اضرار جسيمة بالملحقات الخارجية وجدران القاعدة .

اذا كانت الأضرحة الثلاثة بجبل لخضر ولجدار (F) بجبل العروي لازالت تحتفظ نسبيا بقاعدتها وبنياتها الداخلية وبعض ملحقاتها الخارجية ، فإن تقريبا معظم لجدار ترناتن تعرضت الى تحطيم شبه كلي حال دون التعرف على مخططها الأصلي وشكلها الهندسي .

5 ـــ الوصف العام :

من مميزات هذه المعالم ، ان لها مظهر خارجي مشترك يتمثل في :

- قاعدة مربعة او مستطيلة يعلوها تاج هرمي مدرج ذو اربع زوايا .
- بنيت كلها بالحجر المنحوت .
- جدران القاعدة ومدرجات الهرم ، تغطي حشوا داخليا يتشكل عموما من الدبش واحيانا من بلاطات رقيقة مرتبطة فيما بينها بواسطة ملاط كلسي .

اذا تأملنا الشكل الخارجي للجدار يتبين ان تصميمها مستوحي من بازينات الفترة المبكرة ذات القاعدة المربعة او المستطيلة والتاج المدرج (31) ، التي تنتشر في السهول العليا الغربية من الجزائر (32) ، في فزان بليبيا (33) ، والمغرب الأقصى : في الشمال والشرق ، بالقرب كل من تيطوان (34) ، قرسيف (35) ، وجدة (36) وبرغنت (37) ، وفي اقصى الجنوب في كل من بويا (38) ، تاوز وبيرابار (39) بتافيلالت (الخريطة 1) .

اما عن ملحقات لجدار الخارجية فيصعب القول بوجود شبه بينهما ، نظرا لشدة تهديمها وعدم استطاعتنا اثبات وجود مثلها في الأضرحة الأخرى ، ماعدا الأضرحة : A , B, F اللذين لهم تقريبا نفس البناءات الخارجية (40) ،

وتتمثل في : **الساحة** ، **البناء الصغير** ، **المسطحة الشرقية** ، **الأحواض** و**أسوار التسييج** .

وفيما يخص بنياتها الداخلية ، يمكننا ان نميز بين نوعين مختلفين ، الأول يمثله لجدار (B) في جبل لخضر و لجدار V, II, I بترناتن التي لها نفس المخطط الداخلي ، اي حفرة واحدة فقط مهيئة اسفل سطح الأرض ، والثاني يمثله لجدار الثلاثة المعروفة A, C, F التي لها مخططات خاصة ، تتشكل في غالب الأحيان من مدخل مهيئ في الشرق على مستوى الهرم المدرج ، اروقة ، ممرات وغرف.

6 - لجـــدار جبـل لخـضر

أ) ـــ لجدار (A) :

تمهيد :

يتميز هذا المعلم (الصورة 42) عن باقي المعالم المجاورة له بخصائص فريدة ، منها موقعه الهام (41) وتنوع منشأته الداخلية والخارجية ، فهو يشمل على اروقة وغرف في الداخل ، وفناء ، مبنى صغير ، منصة شرقية ، وسور واسع يسيج مجموع هذه البناءات في الخارج (الشكل 22) . الى جانب هذا يعتبر لجدار الوحيد الذي يزخر بهندسة زخرفية متنوعة جعلت خصيصا له (42) ، على عكس لجدار (F) الذي استخدمت فيه بكثرة احجار مزخرفة اعيد استعمالها Materiaux de Remplois .

في سنة 1938 قام د. روفو بمساعدة موني Meunier ، بإجراء اعمال اخلاء ودراسة هامة مست جوانب عديدة من المعلم ، ويمكن تلخيصها حسبما جاء في تقريره الموجز (43) فيمايلي :

- اخلاء المدخل الرئيسي للضريح ، بإزالة الأنقاض التي كانت تسده .
- اخلاء الأروقة والغرف .
- اكتشاف ثلاثة احواض في قدم الواجهة الشرقية .
- تسجيل الكتابات ، علامات ورشات العمال ، الرسومات التي تزين عتبات ابواب الغرف .
- قياس الأسوار والبناءات التي تحيط بالضريح ورسم مخطط شامل .

1 ـــ المظهر الخارجي :

*** الضريح :**

ينقسم الشكل الخارجي للضريح الى قسمين رئيسيين هما : القاعدة والهرم المدرج (الصورة 43 ، 44).

◆ القاعدة والمدرج الهرمي .

يبلغ متوسط طول جدران القاعدة 34,60م وارتفاعها 4م ، تتشكل من حوالي ثمانية مداميك من الحجر المنحوت الكلسي وضعت ممتدة وتفصل بينهما فواصل محكمة . حشوه Remplissage يبدو على خلاف قبر الرومية والمدغاسن ، بني بطريقة متقنة ، فهو عبارة عن دبش من الحجر الكلسي والرملي واحجار مفلطحة يشد بعضها البعض ملاط كلسي.

اما عن التاج الهرمي ، فلم يبق من مدرجاته الا الخمسة الأوائل الواقعة في المنحدر الشرقي ، بينما انزلقت الأجزاء الأخرى الى الأسفل

(الصورة 45) . يتضح مما تبقى منه ، ان التاج كان في البداية مغطى بكتل حجرية منحوتة ، منظمة على شكل مدرجات تكون هرما ذو اربع زوايا ، وعلوه قد يصل الى 13م (44) ، اما ارتفاع الضريح الكلي فقد يقارب 17م (45) (الصورة 46) .

*** الملحقات الخارجية :**

اكتشفت بفضل حفريات قادرة سنوات 1968-1970 ، وتتشكل من اربعة اقسام رئيسية هي : الساحة ، المبنى الصغير ، المنصة الشرقية وسور التسييج .

♦ الساحة واسوارها .

هي عبارة عن فناء واسع ينحصر بين جدران الضريح وسور التسييج ، متوسط طوله 48,25م وعرضه 6,95م ، قسم منه مبني بالحجر المفلطح الكلسي والرملي والقسم الأخر سطحه طبيعي يتشكل من طبقات صخرية (الصورة 47) . في اطرافه الشرقية والغربية تم تهيئة قنوات لتصريف المياه الى الخارج (الصورة 48) . وفي جهاته الثلاثة : الشمالية ، الغربية والجنوبية ، مسيج بسور مزدوج مبني بالحجر المنحوت ومحشو من الداخل بالدبش ، متوسط طوله 50,50م وعرضه 1م (الصورة 49،50) ، كما ينقطع في زواياه الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية على طول 16,70م و 15,75م ، ليسمح بالمسطحة الشرقية بالإتصال مع الفناء .

♦ البناء الهرمي الصغير :

على بعد 3,80م شرق الجدار الشرقي للضريح ، يقع المعلم الصغير (الصورة 51) ، هو عبارة عن بناء مستطيل متهدم قاعدته مكونة من جدران مزدوجة مقصبة ومربعة الزوايا ، طولها 7,32م ، عرضها 6,03م ، يحتوي بداخله على غرفة يبلغ طولها 4,50م ، عرضها 3,30م وارتفاعها

الحالي لايتجاوز 1,30م (46) وعلى جوانبها يمتد مقعدان حجريان منخفضان يشغلان تقريبا معظم مساحة الغرفة .

يقع مدخل هذا المعلم في المحور المنصف للضريح ، هو عبارة عن ممر ضيق ووطيئ ، ينغلق من الداخل بواسطة حجر اسطواني يتحرك عبر فرضتين الأولى ارضية والثانية جانبية (الصورة 52) .

لقد وجد هذا المعلم مهدما حين اكتشافه ، واعتمادا على دراسة لحجار المتساقطة منه اعادت قادرة تشكيله واتضح ان مظهره العام يشبه الشكل الخارجي للضريح (الشكل 23) ، حيث يتكون من قاعدة مربعة ارتفاعها 1,67م ، وتاج هرمي مدرج علوه 1,35م ، وبهذا يبلغ ارتفاعه الكلي 3 امتار ، وهي مسافة تسمح لقمته ببلوغ مستوى ارتفاع المدرجات الأولى للضريح (47).

♦ **المنصة الشرقية .**

في اقصى شرق هذا المعلم ، تمتد مسطحة مستطيلة يبلغ طولها 26,50م وعرضها 16,50م ، (الشكل 22) يحدها من الجوانب الثلاثة (شرق ، جنوب ، شمال) حائط ساند مقصب ، بينما تتصل من الجهة الغربية بالمعلم الصغير. اما ارضيتها فتتشكل من مزيج من الدبش والحجر الكلسي والرملي ومغطاة بطبقة من الملاط.

♦ **الأحواض وسور التسييج .**

في قدم واجهة لجدار الشرقي للضريح ، تم اكتشاف ستة احواض متتالية منحوتة من جميع الجوانب بشكل جيد ووضعت على طول هذا لجدار (الصورة 53) .

والى جانب السور الذي يحيط بالساحة لازالت هناك بقايا سور آخر مزدوج التقصيب ومنخفض يحيط بقمة الهضبة التي شيد فوقها الضريح

وملحقاته (48) . وللسماح بالدخول الى هذه المعالم تم تهيئة مدخل على شكل سلم يقع في القسم الجنوبي من المسطحة الشرقية (الشكل 22) .

2 ـــ المظهر الداخلي :

♦ **المدخل .**

هيئ وراء المدرجات ، كان يتشكل في البداية من حاجز حجري يليه ممر افقي طوله 4,80م يقود الى سلم ذو سبع درجات ينزل الى الداخل (الصورة 54) ، وفي اسفل الدرجة الأخيرة يوجد نظامان للإغلاق ، الأول عبارة عن باب على شكل بلاطة تنزلق عبر حزات محفورة في يمين ويسار الجدران ، اما الثاني فيتمثل في اسطوانة حجرية وضعت هي الأخرى بين حزتين .

♦ **المدفن القبوي .**

يصل السلم الى رواق مربع يحيط بنواة مركزية ، يبلغ طوله 37,90م ، عرضه 1م ومتوسط ارتفاعه 2م ، جدرانه مبنية بالحجر المنحوت وسقفه مشكل من بلاطات مزدوجة ، كما تنفتح في كل زاوية من زوايا النواة الأربعة غرفتان مستطيلتان (الشكل 24) يبلغ متوسط طولهما 2,20م وعرضهما 1,80م وعلوهما يقارب 1,80م ، بنيت جدرانهما بالحجر المنحوت ، وسقفهما ببلاطات من الحجر الرملي ، وارضيتهما بطبقة من الحجر المفلطح يشد بعضه البعض بملاط كلسي (49) .

ب) ـــ لجدار (B) :

يشغل هذا المعلم قمة هضبة صغيرة تقع جنوب لجدار (A) وغرب لجدار (C) (الصورة 55) ، ويعتبر اضغر هذه المجموعة . يشبه كثيرا لجدار

(A) من حيث الشكل الخارجي وتوفره على ملحقات خارجية مشتركة ، غير انه يختلف معه فيما يخص المخطط الداخلي ، فالجدار (B) لايحتوي لاعلى اروقة ولا غرف ولاحتى على مدخل ، بل كل ما هنالك هو غرفة جنائزية تم تهيئتها في مركز المعلم على عمق 2م وحوالي 1,10م تحت سطح الأرض (50) ، بدون أي ممر يقود اليها.

1 ـــ الشكل الخارجي :

*** الضريح :**

لقد تهدم قسمه الهرمي كلية وأُحدثت ثغرات كبيرة على مستوى حشوه وجدرانه (الصورة 55) . يبلغ متوسط طول جدران قاعدته المربعة 11,55م وارتفاعها 2,75م ، مبنية بالحجر المنحوت وتغطي حشو مشكل من الدبش يشد بعضه البعض بملاط من الكلس . وامام واجهة الضريح الشرقية عثر روفو بعد تنقيبها ، على حوضين صغيرين وبعض الأحجار المربعة تحمل كتابات تم تسجيلها (51) . ونظرا للتشابه الكبير بينه وبين لجدار (A) وحجم المواد المتساقطة منه ، يمكننا القول ان قسمه العلوي كان يتشكل سابقا من تاج هرمي مربع الزوايا ذو مدرجات .

*** الملحقات الخارجية :**

بإستثناء بنائين مستطيلين غير معروفين في لجدار (A) ، فإن تقريبا كل منشآت لجدار (B) الخارجية مشابهة لتلك الموجودة في هذا الأخير ، حيث يتوفر كذلك على : **ساحة** ، **معلم صغير** ، **منصة شرقية** ، **احواض وسور للتسييج** (الشكل 25) .

♦ **الفناء .**

يحيط بالضريح ساحة مستوية و مربعة ، يبلغ طولها 18,90م وعرضها يتراوح مابين 3,50م و 3,80م ، ارضيتها على خلاف فناء لجدار (A) المبلط ، طبيعية تتكون من طبقات طينية. في جهاتها الشمالية ، الغربية والجنوبية ، مسيجة بسور مزدوج محشو بالدبش طوله 21م وارتفاعه يتراوح بين 0,20م و 0,45م وعرضه بين 0,85م و 1,15م (52) ، ينقطع في الجهة الشرقية ليسمح للمسطحة الشرقية بالإتصال مع الفناء (الشكل 25) . وفي الركن الشمالي الشرقي والشمالي الغربي منه ، تم تهيئة قناتين صغيرتين لتصريف مياه الأمطار خارج الساحة .

♦ **المعلم الصغير .**

يقع على بعد 2,20م شرق واجهة لجدار الشرقي ، هو عبارة عن مبنى مستطيل متهدم مبني بالحجر المنحوت، قسم منه يمتد على ارضية الساحة والقسم الأخر يرتكز على المنصة الشرقية . يبلغ طول جدرانه المزدوجة 4,85م ، عرضها

3,70م وارتفاعها يتراوح مابين 1,30م و 1,45م (53) ، تغطي حشو مشكل في غالبيته من الدبش (الصورة 56) . مدخله الواقع في الجهة الغربية يتمثل في فتحة شبه دائرية منخفضة مغلقة بباب على شكل قرص يتحرك عبر حزتان ، ويصل المدخل الى غرفة طولها 3م وعرضها 1,75م ، مجهزة بمقعدين مستطيلين يمتدان على طول جوانب الغرفة ، ونافذة صغيرة للتهوية تنفتح عبر الجدار الجنوبي . وبحكم التشابه الكبير بين ملحقات لجدارين (A) و (B) ، يحتمل جدا ان معلم هذا الأخير كان يتشكل هو الأخر من قاعدة مربعة الزوايا وتاج هرمي مدرج .

وعلى طول الفضاء الممتد بين واجهة الجدار الشرقي للضريح والمعلم الصغير ، تنتشر على خط مستقيم اربعة **احواض** صغيرة محفورة في كتل صخرية كلسية ، ومقايسها مختلفة (54) .

♦ **المنصة الشرقية .**

تقع في اقصى شرق الضريح ، هي عبارة عن فضاء مستطيل غير مبلط ارضيته مستوية ومكونة من طبقات طينية ، يبلغ طوله 9,70م وعرضه 4,90م ، ومحاط في جوانبه الثلاثة : الشمالية ، الشرقية والجنوبية ، بحائط داعم مزدوج يتصل في غربه بسور الساحة . تبلغ جدرانه طوليا 11,80م وعرضيا 4,90م ، ومتوسط عرضها 1م وارتفاعها يتراوح مابين 0,36م و 0,75م (55) (الشكل 25). وفي اقصي شرق هذه المنصة ووراء المعلم الصغير ، يوجد **بناءان مستطيلان** (56) مهدمان بنيا ببلاطات وضعت عموديا ، و تغطي حشوا مشكل من بعض الدبش يشد بعضه بعضا بملاط كلسي .

على غرار لجدار (A) ، تم تجهيز ملحقات لجدار (B) بمدخل رئيسي يقع في الركن الجنوبي الشرقي من هذه المنصة ، أي في نقطة التقاء سور هذه الأخيرة مع سور الساحة ، وهو عبارة عن سلم ذو درجتين اقيم على جهتى السور الداعم للمنصة .

2 ـــ المظهر الداخلي :

♦ **الغرفة الجنائزية .**

لم يكن هذا لجدار محل اهتمام من قبل حفريات القرن 19 ، وكان لابد من الإنتظار حتى سنة 1938 ، اين تمكن الدكتور روفو من اكتشاف الغرفة

القبرية بعد تنقيب قسمه الهرمي واحداث فجوة عميقة في حشوه . ويصفها بأنها كانت مجهزة من جوانبها الأربعة ببلاطات عمودية ومغطاة بصف من البلاطات الكبيرة المفلطحة ، يعلوها كتل صخرية تشكل حوالي 1م مكعب (57) . كما استخرج منها ناووس خشبي يضم بداخله هيكل عظمي لجسم إمرأة ، تنام على جهتها اليمنى في وضعية منطوية دون أثاث جنائزي (58) .

وبعد ردمها اعادت قادرة في سنة 1970 فتح هذه الغرفة ، فسمح ذلك بالتعرف اكثر على تقنيات بناءها ومقايسها ؛ فهي عبارة عن حفرة بسيطة مستطيلة طولها 2م ، عرضها 0,63م وعمقها يتراوح مابين 0,63م و 0,70 م (الصورة 57) ، كما مكنت عملية غربلة ترابها من تجميع قطع عديدة من الخشب ، مما يؤكد احتوائها على تابوت خشبي من قبل (59) .

ج) ـــ لجدار (C) :

1 ـــ الشكل الخارجي :

يقع جنوب غرب لجدار (B) ، يشغل قمة جبلية تمتد في القسم الشمالي الشرقي من جبل لخضر (الصورة 15) . بإستثناء الواجهة الشرقية التي تم رفع الأنقاض عنها خلال حفريات 1968-1970 ، فإن الواجهات الأخرى لازالت تعج بالركام ، كما فقد هذا المعلم على غرار المعالم الأخرى قسمه الهرمي (60) (الصورة 58) واحدثت في نواته فجوة كبيرة ومع ذلك لازال يحافظ على جدران قاعدته في حالة جيدة . تتشكل قاعدته المربعة من سبعة مداميك مبنية بالحجر المنحوت الكلسي ذو الحجم الكبير (61) ، يبلغ متوسط طول جدرانها 34,60م وارتفاعها 3,70م (الصورة 59) .

خلال حفريات سنة 1938 ، قام روفو بإخلاء المدخل الرئيسي ، الأورقة والغرف من الأنقاض ، وتسجيل النقوش الخارجية والداخلية ورسم مخطط كامل للضريح (62) .

يشبه هذا الضريح ، لجدار (A) من حيث البنيات الداخلية وتقنيات بنائه ، غير انه يختلف عنه في عنصرين هما :

- عدم توفره على ملحقات خارجية ، ماعدا بناء صغير يقع على بعد 3م من الواجهة الشرقية مربع الزوايا مبني بالدبش ، طوله 4م وعرضه 3,30م (63) .
- قلة إرتفاعه حيث يأخذ تاجه المدرج شكل هرم مبتور ومنخفض (الصورة 60) .

2 ـــ التصميم الداخلي :

مدخله الرئيسي المهدم حاليا ، على غرار لجدار (A) عبارة عن فتحة مهيئة في الجهة الشرقية على مستوى مدرجات التاج الهرمي (64) ، تصل الى ممر افقي مائل طوله 3امتار يقود هو الأخر الى سلم ذو سبع درجات ، مجهز في اسفل الدرجة الأخيرة بنظامان حجريان للغلق ، الأول عبارة عن بلاطة مزلاقة والثاني يتمثل في قرص يتحرك عبر حزتين .

بعد اجتياز المرقاة نصل الى رواق ممتد شمال جنوب ، وفي اطرافه يتجه رواقان مستعرضان بإتجاه الغرب وحولهما هيئت ستة غرف تتوزع على الشكل التالي : ثلاثة في الرواق المستعرض الأيمن (اثنان في الأطراف وواحدة في الوسط) ، اثنان في الزاوية الجنوبية الشرقية وواحدة في اقصى الرواق المستعرض الأيسر (الشكل 26) .

يأخذ الرواق الداخلي شكل حرف U باللاتينية ، يبلغ طوله 29م وعرضه يترواح مابين 1,70م و 1,75 وارتفاعه مابين 1,92م و 2,45م (65) ، وهو بهذا الشكل يلتف حول نواة مركزية مستطيلة مبنية بالدبش يشده ملاط كلسي . جدرانه مقصبة بالحجر الكلسي ، وسقفه مغطى ببلاطات طويلة من الحجر الرملي وضعت جنبا الى جنب ومرتبطة ببعضها البعض بملاط كلسي .

تتميز غرف الرواق بأنها صغيرة ومستطيلة وموجهة شرق غرب ، يتراوح طولها مابين 2,43م و 3,27م وعرضها مابين 1,38م و 1,75م وارتفاعها مابين 1,90م و 2م ، ومداخلها عبارة عن فتحات مربعة الزوايا اما سقفها فيتشكل من بلاطات من الحجر الرملي مثل سقف الرواق (66) .

7 ـ لجدار جبل العروي (ترناتن)

على عكس مجموعة جبل لخضر ، لم تحظ لجدار جبل العروي بإهتمام الباحثين ، وحتى الفرنسي لابلنشار الذي كرس قسما هاما من دراسته حول لجدار ، ركز فقط على لجدار (F) بإعتباره اكبر واهم هذه المجموعة ، بينما إكتفى بإشارات مختصرة تجاه المعالم الأخرى . ونفس الشيئ يتكرر مع حفريات 1968-1970 ، حيث لم تتمكن قادرة وبسبب عدة عوامل من القيام بدراسة اثرية شاملة لها ، واكتفت بالوصف الخارجي اعتمادا على ملاحظة الجهات الظاهرة من البنايات ، بينما تعذر عليها وصف البنيات الداخلية نظرا لكثرة الأنقاض وشدة التهديم .

أ) الموقع :

يبلغ عدد لجدار مجموعة ترناتن عشرة (67) ، يتوزعون بشكل غير منتظم على قمم جبل العروي الذي يبلغ طوله 910م وعرضه 210م ، تسعة منهم ينتشرون على قمة مرتفع واحدوهم على التوالي : (F) ويحتل القمة الأكثر ارتفاعا ، (D) و (E) شمال شرق وشمال غرب لجدارالأول ، (G) و (H) و (I) في الجنوب ، و (J) في اقصى الجنوب . اما لجدار الثلاثة الباقية وهي : (K) و (L) و (M) ، فتنتشر على قمم ثلاثة هضاب تقع في شمال وشمال غرب المرتفع الرئيسي . الى جانب هذه القبور ، تنتشر بشكل متقطع على امتداد كل المرتفع ، آثار اسوار مزدوجة (68) يصعب علينا تحديد دورها بسبب تدهورها وكثرة الحصى حولها .

يبدو ان معالم جبل العروي قد تضررت كثيرا من قساوة الطبيعة وتخريب الإنسان ، فإذا كانت لجدار(D) ، (E) ، (F) ، (J) ، (G) ، لازالت تحتفظ على العموم بقاعدتها المربعة فقط ، فإن لجدار الأخرى وهي : , (M) , (H) (I) , (K) , (L) ، لاتمثل اليوم الا ركاما من الحجر (69) والدبش .

ب) ـــ حفريات روفو Roffo:

لقد ذكرنا آنفا ان حفريات روفو سنة 1938 ، مست خمسة معالم من هذه المجموعة وهي : I ، II ، III ، IV ، V ، ففي الأول الذي يوافق لجدار (F) ، قام بإخلاء المدخل الرئيسي من الركام ، سبر واجهة الجدار الشرقي للتعرف على تقنية تقصيب الجدران ، وتسجيل الرسومات والأشكال التي تزين الجدران الداخلية (70) .

وفي لجدار الثاني والثالث ، وبعد تنقيبات اجراها على مستوى الركام الحجري العلوي وواجهة الجدران الشرقية ، استنتج ان مخطط هذان المعلمان الداخلي شبيه بالجدار (B) ، وللوصول الى الغرفة الجنائزية لابد من ازالة كل احجار حشوه (71) . اما في لجدار الخامس ، فقد توصل هذا الباحث بعد الحفر الى اكتشاف عظام آدمية بدون جمجمة مصحوبة بمسامير من حديد وزجاج مقزح ، بداخل غرفة بسيطة مبنية ببلاطات ومهيئة اسفل سطح الأرض (72) .

ج) ـــ لجدار (F) (73) :

يشغل قمة جبل العروي التي ترتفع بحوالي 1283م ، ويعد اكبر اضرحة لجدار على الإطلاق . يظهر الضريح اليوم على شكل كتلة من الركام نتيجة سقوط معظم مدرجات تاجه وبعض اجزاء من جدران قاعدته(الصورة 61) ، وهو ما حال دون وصف مظهره الخارجي وصفا دقيقا ، وعلى خلاف ذلك تظهر البنيات الداخلية للمعلم فى حالة حفظ لابأس بها سواء تعلق الامر بالغرف ام بالاروقة (74) .

1) ـــ الشكل الخارجي :

* **الضريح :**

قاعدته مربعة الزوايا ، متوسط طول جدرانها 46 م اما ارتفاعها فلا يمكن قياسه دون اخلاءها من الانقاض (75) (الصورة 62) ، بنيت ببلاطات متوسطة الحجم منحوتة بفضاضة ، مفلطحة ومرصوفة بإحكام

مشكلة بذلك مداميك رقيقة . ويتشكل حشوه هو الاخر من بلاطات مفلطحة من الكلس والحجر الرملي ترتبط فيما بينها بملاط كلسي (76) .

ومما يميز هذا لجدار ، تجهيزه بجدران اخرى اقيمت وراء جدار التكسية الخارجي ، متوازية معها مهمتها دون شك تحصين القاعدة وتدعيم الحشو الضخم (77) .

لم يبق اليوم من تاجه الهرمي سوى بعض المدرجات ، 8 في الجهة الجنوبية و25 في الجهة الغربية. من الواضح ان كثرة الانقاض من حوله ، توحي بان تاجه المدرج كان في البداية مرتفعا وهرميا اذ يمكن ان يصل ارتفاعه اعتمادا على قياس المدرجات الأولى الثابتة في مكانها الى 16م ، اما الضريح ككل فقد يبلغ علوه الاجمالي 18,50 م .

*** الملحقات الخارجية :**

في غياب مسح اثري شامل لمحيطه ، يصعب تحديد طبيعة بناءاته الخارجية المردومة تحت الأنقاض ، غير ان مخطط لابلنشار (78) يشير الى وجود بناءات ملحقة مشابهة كثيرا لتلك المعروفة في لجدار (A) و(B) ؛ وتتمثل في فضاء يحيط بالضريح ، يحده سور التسييج من الجهات الثلاثة : الجنوبية ، الغربية والشمالية ، ثم ينقطع هذا الأخير بالقرب من الركن الشمالي-الشرقي و الجنوبي-الشرقي ، للسماح بتهيئة منصة شرقية محاطة من الجوانب : الشمالية ، الشرقية والجنوبية ، سور داعم مستطيل ، وعلى ارضية هذه الأخيرة اقيم بناء صغير يقع في المحور المنصف من الرواق الوسط .

الى جانب الجدارين (G) و (J) ، يتميز لجدار (F) عن الأخرين بوجود اسوار ذات مخطط عشوائي تلتصق بها (79) .

2) ـــ المظهر الداخلي :

- **المدخل .**

على خلاف المعالم الأخرى ، يتميز هذا لجدار بمدخله الرئيسي المهيئ في قدم واجهة السور الشرقي للقاعدة ، وفي محوزه المنصف تقريبا ، مثل مداخل قبر الرومية وضريح بلاد قيطون (80) ، وحسب الصور التي اخذها روفو أثناء ازالة الركام عنه ، يبدو هذا المدخل ضيق ووطيئ ويأخذ شكل قبة (81) .

لقد نتج عن رغبة الفرنسيين في القرن 19 في البحث عن مدخله الرئيسي ، الحاق اضرار جسيمة بالمعلم ، حيث أُحدث في جهته الشرقية خندقان عميقان يصلان الى ماوراء جدار الواجهة . وبعد اخلاءه من طرف روفو سنة 1938 ، اغلقه بعد ذلك الجيش الفرنسي أثناء حرب التحرير الوطنية (82) ، و قبل نهاية الحرب أحدث فيه العسكريون الفرنسيون نفقا اخر ، يخترق الركام الحجري وجدار القاعدة وقسم من الحشو الداخلي ليصل الى الغرفة (J) ، التي صارت بعد ذلك المنفذ الوحيد للولوج الى داخل الضريح (83) (الصورة 63) .

- **الرواق الوسط والغرف المركزية .**

يبدأ الرواق الوسط في محور الجهة الشرقية ويتجه نحو الغرب ، يبلغ طوله 14,90م ، عرضه 1,10م وارتفاعه 1,25م ، سقفه مغطى بقبة ذات عقد كامل ، كما جُهز ببابين للإغلاق ينزلقان عبر حزات عمودية ، الأول يقع على بعد 10 امتار من جدار الواجهة الشرقية والثاني على بعد 3,90م من الأول (84) . يصل هذا الرواق الى ثلاثة غرف مركزية متتالية هي : A, B, C موجهة شمال-جنوب ، سقفها مقبب على شكل طاق (الشكل 27) ، (85)

تبعد كل واحدة عن الأخرى بمسافة متساوية تقدر بـ 2,50م ، ومزودة بأنظمة للإغلاق ، كما تتصل فيما بينها بممرات صغيرة ذات سقف مغطى بعقد كامل .

بني قسم كبير من هذه الغرف بمواد اعيد استعمالها ، مما جعل بنائها لايشكل وحدة متناسقة ، وعلى طول جهتي الغرفتين (B,C) الواقعتان في مركز المعلم ، يمتد مقعدان حجريان مستطيلان طولهما 3,10م و عرضهما 2,20م وارتفاعهما 0,40م (86) .

- **الرواقان الجانبيان .**

يتميز لجدار (F) عن باقي اضرحة المعروفة ، بتوفره على شبكتين متوازيتين من القاعات والممرات تحيط بالغرفتين المركزيتين وتأخذ شكل هندسي مربع (الشكل 27) ؛ كليهما يسيران بالتوازي مع جدران واجهات الضريح .

- **النظام الأول .**

يبدأ عبر فتحتان هيئتا في الأطراف الشمالية والجنوبية من الغرفة (A) ، طوله 18م وعرضه 16,20م (87) ، هو عبارة عن سلسلة متتالية من القاعات الممتدة ، سقفها مقبب يشبه المخروط وارضيتها مكسوة بطبقة من الملاط ، ومجهزة بقنوات صغيرة للتهوية هيئت في قمة القبة (88) .

كل هذه الغرف لها عرض مشترك يساوي 2,20م ، اربعة منها تتجه شرق-غرب ، يتراوح طولها مابين 6,75م و 6,90م واثنان تتجهان شمال-جنوب ، طولهما يتراوح مابين 8,57م و 9,03م (89) ، كما تتخللهم ستة ممرات ضيقة تتعاقب في الإرتفاع والإنخفاض هيئت في محورهم المنصف ، يتراوح متوسط طولهم مابين 2,50م و 2,70م وعرضهم لايتجاوز 0,80م وارتفاعهم مابين 0,75م و 1,40م . جدرانها عمودية مبنية بالحجر

المنحوت وسقفها افقي بني ببلاطات من الحجر الرملي ، وعلى جهتى الممران (A-H) و (A-D) تم تهيئة بابين مزلاقين يمنعان الدخول الى هذه الشبكة (90) (الشكل 27).

لقد استعمل في هذه الشبكة تقنيتين مختلفتين للبناء ؛ حيث قصبت الجدران الطولية الملامسة للنواة بالحجر الكلسي والرملي المعاد استعماله Remplois ، بينما بنيت الجدران الطولية الثانية ببلاطات رقيقة من الحجر الرملي منضودة ببعضها البعض ومتصلة بواسطة فواصل محضرة بالجبس (91) .

- **النظام الثاني .**

هيئت فتحاته الشمالية والجنوبية مباشرة بعد الباب المزلاق الأول ، يبلغ طوله 27م وعرضه 25,30م ، يشبه كثيرا النظام الأول من حيث التنظيم العام ، غير انه يختلف عنه في التفاصيل التالية (92) :

- عدد الغرف 12 ، ستة منهم طويلة طولها 7م وعرضها 2م ، واربعة مربعة تحتل الزوايا الأربعة للرواق ، طولها مثل عرضها يبلغ 2م (الشكل 27).
- كلتى جدرانه الطولية بنيت ببلاطات من الحجر الرملي ، رقيقة ومرصوفة .
- احتوائه على عدد اكثر من المواد المستعملة من قبل Remplois ، تحمل زخارف منحوتة وكتابات .
- وجود عدة ابواب مزلاقة ، اثنان عند مدخل ومخرج الشبكة ، واربعة تشغل مداخل الغرف المربعة الأربعة .

ومما تجدر الإشارة اليه ، ان قسما هاما من لجدار (F) بني بمواد استعملت من قبل ، يكون اتى بها بناؤو الضريح من مانطق غير بعيدة عن لجدار (93) . اغلبها استخدم في الداخل في : الأروقة والممرات والقاعات ؛

هي عبارة عن احجار تأخذ اشكال متعددة غالبا ما تحمل كتابات ، رسومات زخارف منحوتة ورموز مسيحية ترجع دون شك الى فترة متأخرة .

د ـ لجدار الأخرى

بإستثناء لجدار (F) ، فقط اربعة معالم من بين اجدار ترناتن لازالت محافظة نوعا ماعلى قاعدتها المربعة وهي : (D) , (E) , (G) , (J) (94) . لكن على الرغم من هذا يستحيل وصفها بوضوح بسبب شدة تهديمها و كثرة الأنقاض التي تغمرها ، وتبقى دراستها اذن مرهونة بإجراء حفريات منظمة او اعمال ازالة الركام على الأقل . اما فيما يخص المعالم المتبقية وهي على التوالي : (L), (M), (H), (I), (K) ، فقد تعرضت الى تحطيم كلي ، تهدمت على اثره اقسامها العلوية والسفلية وتحولت الى مجرد كتل من الركام (95) .

8 ـــ الزخرفة والنقوش

من بين معالم جبل لخضر ، يعتبر لجدار (A) الوحيد الذي يزخر بأنواع عديدة ومتنوعة من الزخارف والرسومات والكتابات التي اقيمت خصيصا له ، عكس لجدار (F) الذي على الرغم من كثرة وتنوع زخارفه الهندسية ، رسوماته وكتاباته ، الا انها لاتشكل مظهرا فنيا خاص به ، بل تمثل فقط اشكالا تزين في مجملها احجار اعيد استعمالها ثانية .

أ) ـــ الزخرفة :

يمكن التمييز في لجدار (A) بين عدة انواع من الزخرفة (96) : هندسي ، حيواني ، انساني وديني ؛ اذ غالبا ما نصادف صور واشكال تارة مستوحاة

من الفن المسيحي ، وتارة اخرى تعبر عن نمط الحياة اليومية كمشاهد الصيد (97) .

ب) النقوش :

توجد بكثرة في لجدار (A) وتنقسم الى نوعين : نصوص منقوشة لاسيما على جدران التكسية الخارجية ، وكلمات واشارات متفرقة . تقريبا جل النصوص المكتشفة في لجدار جبل لخضر ، يصعب اليوم قراءتها نظرا لتشوهها و فقدان الكثير من حروفها (98) ، مثل ما تظهره النقوش التالية :

- نقش يوجد علىمستوى المدماك الأخير من جدار الواجهة الشرقية للضريح (A) (99) :

1 - - -] M [- - -
2 - - -] // ECRECIVE [- - -] M [- - -] V // O [...] //
3 - - -] // M I A N // // // [- - -] IVLIIA
- - -] // DVC // // OR [- - -] // // // X // // RPROVINCIAPO //
- - - // VEP [.] VINAM //
// MAIOREMROM
6 - - -] // E [- - -] // [- - -] TANIE [- ?

- ونقشان اكتشفا من طرف قادرة ، يقعان في الواجهة الشرقية للجدار (B) .

✧ **النقش الأول** (100) :

1. - - -] FILIV
[..] ERHNC
3. [.] IONEM
// // // // +

✧ النقش الثاني (101) :

- ? -
- ? -] IN // IA [...]

+ + *ETRECESSIT*

ونقشان آخران نشرهما كادنا (102) ، لكنه لم يحدد اماكن وجودهما في لجدار (B) .

✧ النقش الأول :

1.- - -] // A [- - -] RE [- - -
- - -] ISIVITINI // // AZA [- - -
3. - - -] NEETRECVRRIT
[-?-
- - -] TANNOSCXVI [-?-
- - -] E + [- ? -

✧ النقش الثاني :

1. - - -] TCO [- - -
- - -] EVARCI [- - -
3. - - -] REOAV [- - -
- - -] + MATR [- - -

وآثار نقش آخر لانستطيع قراءته ، يقع في الواجهة الشرقية وبالتحديد في المحور المنصف لمدخل لجدار (C) (103) .

اما عن الكلمات والحروف والإشارات المتفرقة ، فنجدها تنتشر بكثرة عبر كامل اجزاء لجدارين (A) و (C) ، بعضها اشار اليها لابلنشار لكنه لم يعرها اية اهمية (104) ، والبعض الأخر اكتشف من طرف قادرة (105) .

كما قامت هذه الأخيرة الى جانب هذا ، بمقارنة بعضها مع نقوش اخرى تعود الى الفترة مابين القرن الرابع والسادس ، تنتشر في عدة جهات من المغرب . ونذكر ابرز هذه النقوش المختصرة كالآتي (106) :

CORAIV, IAMEN, APED, IAARI, BALLENIS, AWE, BASILKA, IVTF, MIVA, BANNOPUP, ZARVIN ...

اذا كانت بعض الإشارات المعزولة تمثل دون شك علامات لمختلف ورشات نحت واستخراج الحجارة (107) ، مثل ما هو الشأن في قبر الرومية والمدغاسن ، فإن تفسير والتعرف على الكلمات المتفرقة يبدو امرا عسيرا للغاية ، نظرا لعدم توفر مؤشرات تساعدنا على ذلك ، هذا الى جانب إستحالة قراءة بعضها وقلة النصوص الكتابية .

واعتمادا على النقوش المكتشفة في الطافا (108) وآريس (109) التي تتضمن اسماء شخصيات مورية ، تعتقد قادرة بتحفظ ان الكلمات المذكورة آنفا ، ماهي الا اسماء لشخصيات قوية دُفنت بالجدار وتعلل رأيها بأن معظمها مشتقة من اسماء اعلام مغربية مثل : BALLENIS وZARUTUN وغيرها (110) . وأمام ندرة النصوص التاريخية والأثرية ، يصعب علينا الجزم بأنها اسماء شخصيات مدفونة مثلما يصعب اعتبارها مجرد كلمات ذات ذات طابع جنائزي او غير ذلك .

▪ *نقش سالمون البيزنطي* **Salomon :**

يرى بعض الباحثين الفرنسيين ، ان لجدار شيدت من طرف القائد البيزنطي سالمون ستراتغوس Salomon Stratégos (111) ، ويعللون رأيهم بوجود نصوص مزدوجة اللغة تحمل حروف لاتينية واغريقية في لجدارين (B) و (C) ، واستعمال رموز إغريقية كإشارات لمعامل نحت الحجارة . كما يدعي كل من الجنرال داستوغ C.Dastugue و البارون دوسلان De Slane ، ان النص المنقوش على جدار الواجهة الشرقية للضريح (C) كان يشير الى

الجنرال البيزنطي ، ويستدلان على ذلك بما زعمه هؤلاء انهما رأيا على هذا النقش عبارة " Salomo et Stratégos " (112) .

ان ما يمكن قوله في هذه المسألة ان لدينا مايكفي من الدلائل المادية والتاريخية ما يدحض هذا القول . فقد اورد ابن خلدون عن ابن الرقيق روايتن تختلفان اختلافا واضحا فيما يخص اسم سليمان السردغوس (113) ، ففي النص الأول كُتب ابوسليمان السردغوس ، وقد جعله الخليفة المنصور مترجمه الخاص حينما رأى النص وبالتالي هو الذي فسر الكتابة التالية : << خالف اهل هذا البلد على الملك فأخرجني اليهم ففتح الله لي عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به >> ، بينما يروي النص الثاني ان المنصور عند رؤيته للنقش امر التراجمة بقراءته واذا فيه : << انا سليمان السردغوس خالف اهل هذا البلد على الملك فبعثني اليهم ففتح الله عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به >> .

عندما نتمعن في هذا النص يلفت انتباهنا ملاحظتان هامتان ، الأولى ان ابوسليمان الذي كان مترجما للمنصور في الرواية الأولى اصبح اسمه منقوشا باللغة اللاتينية على حجر منحوت ، وهو امر يبدو غريبا ، و الثانية ان طبيعة اسم ابو سليمان لاتمت بصلة الى اسماء الأعلام البيزنطيين بقدر ما لها علاقة وثيقة بأسماء عرب . وبناء على هذا قد يُفسر اختلاف الروايتان بأن خطأ يكون قد ورد من طرف ابن خلدون او إبن الرقيق فيما يخص النص الثاني ، وعليه من المحتمل جدا ان يكون ابو سليمان هذا هو احد التراجمة البارزين الذين امرهم المنصور بقراءة النقش ، اما فيما يتعلق بالنص الذي شاهده الخليفة ، فيكون على الأرحج قد رآه على حجر منحوت اعيد استعماله (114) وجده معزولا بالقرب من احد لجدار جبل لخضر ، او على احدى واجهات لجدار (C) الشمالية ، الغربية والجنوبية ، قبل تغطيتها بالركام المتساقط من المدرجات.

ان إدعاء الفرنسيان دوسلان و داستونغ برؤية هذا النص يبدو مشكوك فيه ، ذلك ان بوردي (115) الذي يعتبر اول من ولج الى داخل لجدار (C) وقدم وصفا مفصلا عن شكله الخارجي والداخلي ، لم يشر إطلاقا في تقريره الى وجود هذا النص وهو ما يفسر تضرره وعدم قدرة هذا الباحث على رؤيته (116) ، كما ان روفو الذي يذكر في تقريره سنة 1938 انه سجل كل الكتابات التي رأها في داخل وخارج هذا الضريح ، لم يتحدث عن هذا النقش (117) . اننا نتسآل من جهة اخرى كيف استطاع هؤلاء التعرف على نقش قد اصابه الإتلاف من كل الجوانب و يصعب حتى تحديد مكانه ، فكيف بقراءته .

بالإضافة الى هذا ، لا يمكن لعدة أسباب الإعتقاد في ان سالمون البيزنطي هو الذي أقام لجدار كنصب تذكاري على إنتصاراته ، فبروكوب الذي يعد المصدر الوحيد لحملات الجنرال البيزنطي على الثوار الموريين ، يخبرنا أن البيزنطيين لم يكن لهم نفوذ في الموريطانيين الطنجية و القيصرية ، بل كانت تحت سلطة الموريين (118) . كما يشير من جهة أخرى أن القائد البيزنطي خلال حملاته ضد الأهالي لم يتجاوز غربا موريطانيا السطيفية ، ولعل ما يشهد على ذلك هوغياب بناء الأسوار المحصنة في المنطقة و إقتصارها على نواحي تبسة و سطيف (119) . إلى جانب كل هذا فإن الشكل الهندسي الخارجي للجدار لا يوحي إطلاقا بأنه من طراز بيزنطي ، حيث كشفت الدراسات الأثرية أن بناءها مستوحى من تقاليد محلية قديمة ، على غرار قبر الرومية و المدغاسن ، وأقدمها بني حتى قبل مجيئ البيزنطيين . كما أن المدفن القبوي المكتشف يؤيد كونها معالم جنائزية و ليست تذكارية . و حتى لو إفترضنا أن سالمون قد سار في المنطقة ، يبدو غير منطقي أن يكرس وقتا طويلا و يجند أفراد جيشه لبناء معالم تذكارية بهذا العدد و بهذه

الأهمية ، التي تطلب بناءها من دون شك يداً عاملة كثيرة وعتاداً ضخماً وزمنا طويلاً .

9ـــ المدفن القبوي و الملحقات الخارجية

حتى النصف الثاني من القرن 19 لم يكن الدور الجنائزي لهذه المعالم معروفا ، و بفضل الأبحاث التي أجريت في لجدار جبل لخضر خلال الوجود الفرنسي و بعد الإستقلال ، تم كشف الكثير من الحقائق المتعلقة بالمدفن القبوي و الملحقات الخارجية . أما فيما يخص مجموعة ترناتن فبإستثناء لجدار (F) الذي لفت إهتمام الباحثين ، فإن بقية الأضرحة الأخرى لا يزال يكتنفها الغموض .

أ) ـــ المدفن القبوي :

نظرا لغياب دراسات أثرية منظمة و قلة النصوص التاريخية و المادية ، يصعب علينا تحديد موقع الغرفة الجنائزية في اغلب لجدار ، و التعرف بشكل واضح على طرق الدفن و أنواع الطقوس الجنائزية المتبعة فيها .

لقد كشفت الحفريات السابقة ان لجدار الأربعة : (B) في جبل لخضر و II ، III ، V في جبل العروي لها مخطط واحد يتمثل في قبر واحد مهيئ اسفل نواة البناء ، اما لجدار الثلاثة المعروفة : (A) ، (C) ، (F) فتشترك فيما بينها في من حيث التنظيمات الداخلية : مدخل رئيسي ، اروقة وغرف متعددة . غير ان الإشكال الذي يطرح اكثر من تساؤل هو : **اين الغرفة الجنائزية الحقيقية ؟ هل يمكن اعتبار القاعات المنفتحة على اروقة لجدارين (A) ، (C) غرفا جنائزية ؟ ام ان القبر الحقيقي مهيئ اسفل نواتها**

المركزية على غرار لجدار ذات الغرفة الواحدة ؟ وهل تعتبر القاعتان المركزيتان (B) و (C) في لجدار (F) غرفا جانئزية ؟ وماذا تمثل سلسلة القاعات التي تحيط بها ؟ أسئلة عديدة يصعب الإجابة عنها بدقة .

بعض الباحثين وعلى رأسهم قادرة يرى ان القاعات الداخلية في لجدارين (A) و (C) و القاعاتان المركزيتان في لجدار (F) ، لاتعدو ان تكون الا غرف جنائزية اقيمت خصيصا للدفن الجماعي المتتالي (120) ، ويعللون ذلك بعدة ملاحظات منها : تأطير وزخرفة مداخل الغرف وعتباتها ، توجيه القاعات والمقاعد الحجرية شرق-غرب (121) ، سعة الغرف وتجهيز بعضها بمقاعد حجرية خاصة في لجدارين (A) و (F) ، تكون قد استعملت حسب رأيهم كسنائد توضع عليها ناوويس خشبية .

ان اعتبار قاعات لجدارين (A) و (C) غرف جنائزية ، مسألة صعبة للغاية بالنظر الى عدم توفر الدلائل المقنعة ، فالجدار الأخير لاتحتوي قاعاته على مقاعد حجرية ولاحتى على ابواب غلق ، وهو ما يدعو الى الشك في دورها الجنائزي . من جهة اخري يظهر ان تهيئة القبر الحقيقي اسفل النواة المركزية في لجدار الأربعة المذكورة اعلاه ، قد يحملنا على الإعتقاد ان الغرفة الجنائزية الفعلية في هذين لجدارين ، لاتوجد من بين القاعات الداخلية بل تكون من المحتمل جدا قد هيئت سريا منذ البداية في مركز البناء تحت سطح الأرض ، ووجهت لدفن فردي او جماعي وحيد ؛ فبزينة سوق الغور على الرغم من ضخامتها ، احتوت في مركزها على غرفة جنائزية وحيدة اسفل كتلة البناء ، شبيهة ببازينات فجر التاريخ (122) .

لقد دفع قادرة عدم توفر لجدار (A) على رواق رابع ، الى حفر نفق على عمق 6,90م في الزاويتين شمال-غرب و جنوب-غرب آملة في العثور على مدخل يقود الى غرفة سرية في مركز النواة المربعة ، الا ان هذا

السبر قد كشف ان الفضاء الواقع بين الطريقين المسدودين culs-de-sac ، أي بين الواجهتين الغربيتين للضريح و النواة المربعة ، ملئ منذ البدية بحشو مشكل من الأحجار الضخمة والدبش المخلوط بالملاط الكلسي (123) .

يظهر ان بناء معالم جبل لخضر يعتمد اساسا على اقامة النواة المركزية اولا ، وحولها يتم تشييد القاعات وتوزيعها عبر الأروقة الثلاثة في مخطط هندسي مميز ، وعليه من المحتمل جدا ان بناء الغرفة الجنائزية تحت سطح الأرض تم اولا ، ثم اقيمت فوقها النواة المربعة لتليها بعد ذلك المرافق الداخلية الأخرى .

اذا ثبت تهيئة الغرفة الجنائزية في لجدارين (A) و (C) على هذا النحو ، **نتسآل لأي غرض اقيمت القاعات الداخلية ؟** ان تنظيم القاعات بهذا الشكل يجعلنا نفترض ان هذه الأخيرة ليست غرف جنائزية كما تعتقد ذلك قادرة ، بل تمثل اماكن للعبادة او اقامة الشعائر الدينية على شاكلة ضريح تين هينان بآباليسة (جنوب الصحراء) (124) المؤرخ في النصف الثاني من القرن الخامس م والمعاصر للجدار هذه المجموعة ؛ يضم هذا الأخير بالإضافة الى غرفة جنائزية (125) ، شبكة معقدة من القاعات ذات الطابع الشعائري .

الى جانب هذا ، اوضحت دراسة مقارنة ان تنظيم قاعات لجدارين (A) و (C) يشبه كثيرا المعالم المجهزة بمعابد او محاريب Chapelles(الشكل 28) ، التي تنتشر بكثرة في الأطلس الصحراوي والمناطق الجنوبية من موريطانيا الحالية والمغرب الأقصى (126) (الخريطة 09) ؛ فهي عبارة عن جثوات ذات قاعدة مربعة شبيهة بالجدار لاسيما من حيث التصميم المربع ، الى جانب هذا فهي مجهزة في شرقها بأروقة وغرف بينما هيئت الغرفة الجنائزية في مركز المدفن أسفل سطح الأرض دون وجود أي ممر يقود اليها . وعلى هذا الأساس آلا يمكن اعتبار نظام القاعات والأروقة في هذين

لجدارين ، قد شكل التطور النهائي لمخططات الجثوات والبازينات الصحراوية ! وأن الغرفة السرية لم تكتشف بعد أسفل القاعدة المربعة ؛ ان التحقق من مدى صحة هذه الإفتراضات ، لن يتأتى الا بإجراء حفريات منظمة على مستوى الأروقة والنواة المربعة في لجدار (A) و (C) بجبل لخضر ، وكذا في مجموعة ترناتن التي لم تُكتشف الى يومنا هذا .

يبدو ان عدم وجود نواة مركزية في لجدار (F) ، ووقوع الغرفتان (B, C) في مركز الضريح ، ما يؤيد كون هذه الأخيرة غرف جنائزية ، خاصة وان كلاهما يتوفران على مقاعد حجرية واسعة تحتل معظم مساحتهما وبإمكانهما حمل نواويس خشبية (127) . تشكل هاتان الغرفتان اذن نواة الضريح ، حيث يحيط بهما رواقان مركزيان يرسمان شكل هندسي مربع ؛ اذا مشينا داخل كل نظام نحقق دورة مربعة كاملة حول الغرفتان دون ان نصل اليهما ، ولايمكننا ذلك الا بالخروج من هذين النظامين واتباع الرواق الوسط .

لازالت هناك تساؤلات عديدة تطرح حول هذان النظامان ، منها وجود ابواب زلاقة ، تعاقب ارتفاع وانخفاض الممرات وضيق بعضهما . يظهر ان تنظيمهما بهذا الشكل يوحي بممارسة شعائر جنائزية معقدة كانت ترافق عمليات دفن الميت واقامة الإحتفالات الدينية ، ومن المحتمل جدا ان يمثل الطواف احدى ابرز هذه الطقوس ، مثل ما هو الشأن في الأضرحة الكبرى التي صنفها كامبس ضمن المعالم ذات المطاف (128) مثل : قبر الرومية ، الجثوة المجاورة للمدغاسن ، وضريحي بلاد قيطون وتين هينان (129) .

ب) ـــ الملحقات الشرقية :

يظهر ان شكلها العام وطريقة توزيعها من حول الضريح ، يوحي بأن لها دور جنائزي هام ، فعلى خلاف الاضرحة الاخرى تعتبر ملحقات لجدار الخارجية ، ابتكارا جديدا في مجال البناءات الدينية . لاشك انها جاءت استجابة لتطور العبادة الجنائزية واقامة الشعائر الدينية ، كما ان تزويد الضريح بمثل هذه البنايات يدل دلالة واضحة على استمرارية الطقوس الجنائزية التى لم تكن تصاحب عمليات دفن الميت فحسب ، بل كانت تقام ايضا أثناء الاحتفالات الدينية .

على غرار الأضرحة الأخرى تتجلى ظاهرة التوجيه نحو الشرق بوضوح في البنايات الداخلية للجدار المعروفة : اروقة ، مداخل الاضرحة ، غرف لجدارين (A) و (C) ، الغرفة الجنائزية للجدار (B) ، وفي الملحقات الخارجية : الساحة الجنائزية ، اسوار التسييج ، المعلم الصغير ، الأحواض والمنصة الشرقية (الشكل 22) .

من الواضح ان اصول هذه الظاهرة قديمة ، فقد ُعرفت في المعالم الجنائزية القديمة والأضرحة البازينية الكبرى : المدغاسن ، الضريح الموريطاني ، بلاد قيطون (130) ، بازينة سوق الغور (131) وتين هينان ؛ من المحتمل جدا انها كانت تمثل شعار ديني له علاقة بالشروق وعبادة قرص الشمس المعروفة في حضارات العالم القديم . غير انه لايمكننا الإعتقاد في ممارسة هذه العبادة الوثنية في لجدار ، ذلك ان المسيحية التي بدأت تتغلغل في المغرب القديم ابتداء من القرن الثالث ، عرفت انتشارا واسعا في القرنين الخامس والسادس في موريطانيا القيصرية ، ويشهد على ذلك الرموز

والزخارف المسيحية المكتشفة بكثرة في نواحي تيارت ولجدار ايضا (132) (الشكل 29) (الصورة 64 ،65) .

وبناء على هذا يمكن القول ان توجيه الملحقات الخارجية نحو الشرق ، لم يأت في اعتقادي الا استجابة لرغبة الموريين المسيحيين في الحفاظ على بعض التقاليد المرتبطة بعادة التوجيه نحو الشرق ، المتمشية مع تعاليم الدين الجديد ، كما هو الشأن في تقليد المظهر الهندسي العام للضريح . يصعب جدا تحديد دور هذه الملحقات الجنائزية نظرا لأنعدام الشواهد المادية غير اننا سنحاول تفسيرها اعتمادا على ملاحظة اشكالها الهندسية وترتيبها .

يحيط بالضريح ساحة مسيجة من الجهات ، الشمالية ، الجنوبية والغربية بأسوار مزدوجة قليلة الإرتفاع ، قد تكون استخدمت لأتمام شعيرة الطواف بالقبر ، او لها علاقة بالمعلم الصغير الواقع في شرقها . لقد شيد هذا الأخير في شرق الضريح ، ويتضح من خلال بعض الملاحظات ان بينهما صلة وثيقة ؛ فوجوده بالقرب منه وتشابههما من حيث الشكل العام ، ووقوع مدخله في المحور المنصف لمدخل الضريح ، يطرح اكثر من تساؤل عن دور هذا النصب . ربما استعمل كقاعة لأقامة شعيرة النوم L' incubation بجوار القبر (133) ، وفي نفس الوقت غرفة يجلس فيها فقط الكهنة وعائلة الميت ، ساعات قبل دفنه قصد اتمام بعض الطقوس كالصلوات والدعوات ، ويدعم هذه الفرضية تجهيز المعلم بتنظيمات مناسبة لهذين الطقسين : نظام إغلاق يتحكم فيه من الداخل ، نافذة للتهوية ومقاعد حجرية تمتد على طول الغرفة ، من المحتمل انها استخدمت للجلوس او النوم .

اما عن الأحواض المنتشرة بين المعلم الصغير والضريح ، فأغلب الظن انها كانت تحتوي على مشروبات مقدسة استعملت كقرابين للميت ، او انها كانت تسقي الوفد الجنائزي أثناء عمليات الدفن و اقامة الشعائر والإحتفالات

الدينية على شرف الأموات ؛ فمثلها قد وجد ايضا في احدى جثوات فزان اين عُثر على حوض حجري امامها (134) .

وفي اقصى الشرق تمتد المنصة الشرقية ، حيث تشكل على مايبدو اول ملحق يطأ اقدامه الموكب الجنائزي ، نظرا لوقوع المدخل الرئيسي للملحقات في الجهة الجنوبية الغربية منها ؛ ان بساطة بنائها وموقعها المميز يدعو الى الإفتراض انها استخدمت لغرضين اساسيين : كمكان لتجمع مشيعو جنازة الميت ومن ثم التوجه الى الملحقات الأخرى ، او كأرضية تُنصب فيها جميع القرابين والتضحيات المراد تقديمها تشريفا للميت ، مثلما يشهد على ذلك مذابح التضحية : اثنان يقعان في اقصى المسطحة الشرقية للجدار (B) (135) ، وواحدة تقع بين المعلم الصغير وسلم المدخل في لجدار (A) (136) .

10 ـــــ تأريخ معالم لجدار

اذا كانت الدراسات الأثرية السابقة ، متفقة على اعتبار لجدار معالم جنائزية شيدت في فترة متأخرة من طرف سلالات مورية حاكمة ، فإن ثمة علامة استفهام كبيرة عن مسألة تأريخها ؛ **من شيد هذه المدافن وفي أي فترة بالتحديد تم ذلك** ؟ لقد ذكرنا سالفا ان هناك صعوبات جمة تعترض الباحث في هذا الموضوع ، ابرزها تدهور الحالة العامة لجدار وندرة المصادر التاريخية والمادية ، لكن على الرغم من هذا سنحاول قدر الإمكان تأريخ هذه المعالم ، اعتمادا على تحليل بعض المعطيات الأثرية والتاريخية التي بحوزتنا .

أ) ــــ الشواهد الأثرية :

لقد انتهج بعض الباحثين عدة اساليب لتأريخها تمثلت في :

• دراسة النصوص المنقوشة والزخرفة المتنوعة ، ومقارنتها بتلك التي اكتشفت في نواحي تيارت وبعض المناطق من المغرب ؛ لقد دلت هذه الدراسة التقنية المقارنة ان معظمها استعمل مابين نهاية القرن الرابع والقرن السادس م (137) ، كما أثبتت هذه الأبحاث نفسها أن الأشكال الزخرفية المثبتة على الحجارة المنحوتة المعاد إستعمالها في لجدار مجموعة ترناتن ، معروفة في المناطق المجاورة وأن بداية إنتشارها تعود الى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس م (138).

• نتائج التحليل المخبري بالكربون 14 المشع ؛ اخضعت قادرة للتحليل عينتين من الخشب أستخرجتا من لجدارين (B) و (C) ، الأولى عبارة عن بقايا ناووس خشبي ، والثانية وجدت مندمجة مع ملاط كلسي . اعطت الأولى تاريخ 410م ± 50 سنة ، اما الثانية فسجلت تاريخ 320م ± 50 سنة (139) ، كما اخضع كامبس ايضا عيناتان من تابوت لجدار (B) لهذه الطريقة ، واعطت تاريخ 490م (140).

الى جانب هذا عُثر على العديد من الشواهد القبرية المستعملة ثانية ، في لجدار ترناتن يؤرخ معظمها الى اواخر النصف الثاني من القرن الخامس ميلادي (141) ، اهمها تلك التي عثر عليها كادنا في احدى المزارع القريبة من لجدار (F) ، وهي عبارة نقش لاتيني منحوت على حجر رملي اعيد استعماله يحمل سنة اقليمية "455" ، موافقة لسنة 494م (142) ، وقد سمح ذلك بالإعتقاد ان لجدار جبل العروي شيدت في فترة لاحقة .

واستنادا على هذه المعطيات ، نستنتج ان لجدار جبل لخضر هي اقدم عمرا من مجموعة ترناتن ، وبالتالي من المحتمل انها بنيت ابتداء من النصف الثاني من القرن الخامس م ، بينما شيدت لجدار جبل العروي المتأخرة خلال القرن السادس و النصف الأول من القرن السابع م ، أي عشية الفتح العربي الإسلامي لبلاد البربر . وفي هذا الصدد تفترض الباحثة قادرة أن لجدار (A) أقدم عمراً حيث يعود بناءه الى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس ، وتبني هذا الإعتقاد إعتماداً على بعض المعطيات منها : موقعه المميز ، تماسك بناءه وإتقان مخططه وشكله الهندسيين ؛ وبناء على هذا فهي تعتبر مشيده مؤسس الأسرة الملكية للجدار . أما ضريح (B) فقد شيد حسبها لاحقا بفترة غير بعيدة ، نظراً لصغر حجمه وتأثر مخططه الهندسي الخارجي كثيراً بالجدار (A) ، بينما يعد لجدار (C) أكثر هذه المجموعة تأخراً وربما يعود بناءه الى أواخر القرن الخامس أو بداية السادس .

ب) ـــ النصوص التاريخية :

الإشارة الوحيدة والقديمة التي بحوزتنا عن هذه المعالم ترجع الى القرن العاشر م ، في نص وجيز لابن الرقيق ، غير ان هذا الأخير لايعطينا معلومات عن فترة بنائها ومشيدوها ، كما ان كتاب بروكوب الذي يُعد المصدر التاريخي الوحيد للفترة البيزنطية في بلاد البربر ، لم يتضمن ولو اشارة وجيزة لهذه المعالم ؛ واهتم بالمقابل بسرد الحملات العسكرية البيزنطية ضد الثوار النوميد والمور بعد سقوط حكم الوندال سنة 534م ، وذكر فقط بعض الزعماء الموريين والنوميديين الذين دخلوا في مواجهات مع البيزنطيين في نوميديا و موريطانيا السطايفية والقيصرية (143) .

من الواضح ان اغلبية المؤرخين ، متفقون على اعتبار بلاد البربر وبالأخص موريطانيا القيصرية ، شهدت بروز ممالك مستقلة منذ سقوط الهيمنة الرومانية في النصف الأول من القرن الخامس ، وامتد وجودها الى غاية مجيئ العرب الفاتحين حوالى منتصف القرن السابع م ؛ ويذكر كورتوا من بينها ، مملكة لجدار او الونشريس (الخريطة 04) تحت زعامة الملك ماستيناس او ماستيغاس الذي ذكره بروكوب في نص آخر (144) .

يبدو ان انتشار معالم جنائزية بهذا العدد وبهذه الأهمية ، في النطاق الجغرافي لموريطانيا القيصرية ، لخير شاهد على وجود مملكة مورية قوية بسطت نفوذها على المنطقة في الفترة ما بين القرنين الخامس والسابع م .

نحن لا نتوفر على أي معلومات تخص اسماء وهوية السلالة الحاكمة ، ولا عن حدود ممالكهم الجغرافية ، غير انه بإمكاننا ان نستدل على ذلك من خلال بعض النصوص التاريخية والأثرية .

لقد جاء في نص بروكوب ، ان القائد الموري ماستيغاس كان يسيطر على كامل موريطانيا القيصرية في النصف الأول من القرن السادس م (145) ، ويشير نقش الطافا من جهة اخرى ان ملكا اسمه ماسونا كان يُلقب نفسه ملك المور والرومان سنة 508م ؛ وفي هذا الصدد ماثل كورتوا بين ماستيغاس وماستيناس الذي اشار اليه بروكوب في نص آخر سنة 534م (146) ، وماثل ايضا دولابلنشار، شخص ماسوناس : زعيم موري ذكره بروكوب ، مع شخصية ماسونا المذكور في نقش الطافا (147) . ويعتقد كذلك كل من كاركوبينو ولابلنشار أن نطاق سلطة هذا الملك شملت إقليما واسعا يمتد من وادي ملوية الى وادي شلف (148)، غير أن كورتوا يستبعد إنتشار نفوذ مملكته عبر كامل بلاد المور حيث يفترض أنها إقتصرت على البلاد المحيطة بجبال الونشريس وهي المنطقة التي شملت في نظره بلاد لجدار (149) .

على الرغم من عثور النقيشة في جهة بعيدة نسبيا عن لجدار الا هذا لايمنع أن تكون سلطة هذه المملكة إمتدت الى إقليم تيهرت .

يبدو أن معاصرة هؤلاء الملوك لفترة تشييد لجدار جعلت قادرة تنسب الضريح (C) الى الملك ماسونا والضريح (F) الى الملك ماستيغاس او ماستيناس . في إعتقادي أنه مهما كان تقارب هذه المعطيات مع ظروف بناء لجدار ، الا أننا لايمكن إعتبارها دلائل مقنعة تجعلنا ننسب هذه المعالم الى الى هؤلاء الملوك وذلك لعدة إعتبارات منها : عدم وضوح الإقليم الجغرافي الذي مارس فيه هذين الملكين نفوذهما ، وعدم العثور على نقوش بهذه الأضرحة تخلد أسماء هذه الشخصيات على الرغم من كثرة النصوص اللاتينية بها ، هذا فضلا عن عدم توافق ظروف وسنوات حكم الشخصيات التي ذكرها بروكوب مع النقوش المكتشفة .

وأمام، هذا الملابسات التي تفرضها عدم توفر النصوص الأدبية والتاريخية للفصل في مسائل هوية ملوك لجدار ، حدود دويلتهم الجغرافية وعلاقتهم بالبيزنطيين والإمارات المستقلة المعاصرة ، ليس أمامنا خيار آخر الا مواصلة الدراسات الآثرية المنظمة التي تعد وحدها الكفيلة بالإجابة على هذه التساؤلات .

إذا تعذر علينا تحديد هوية الملوك أو الأمراء الذين خلدوا آثارهم في لجدار ، فإن أغلب الباحثين يتفقون على إعتبار إقليم تيهرت منطقة نفوذ إمارة لجدار ، أما عن مركز حكم هذه السلالة فأغلب الظن أنه كان يقع في قلب سهل السرسو االخصب ، غير أنه لم لم يبق من آثار هذه الدويلة الا معالم لجدار ، حيث ساعد وقوعها في قمم مرتفعات جبلية على مقاومة عوامل الإندثار والا لكانت قد زالت مثلها مثل مدن إمارة لجدار .

يبدو ان لجدار شيدت من اجل شخصيات حاكمة تدين بالمسيحية ، وهو ما يشهد عليه الزخارف والرموز المسيحية المكتشفة في هذه المعالم ، التي تدل على تغلغل الدين المسيحي حتى موريطانيا القيصرية ؛ ليست لدينا ادلة كافية عن مراحل انتشار هذه الديانة في غرب بلاد البربر ، غير ان هناك بعض الشواهد المادية التي تشير الى انها لم تمتد الى هذه الرقعة الا في فترة متأخرة ، ابرزها الرموز المسيحية والشواهد القبرية العديدة التي اكتشفها كادنا في تيارت والمناطق المجاورة لها (150) ، حيث يُؤرخ معظمها مابين القرنين الرابع والسادس م .

اننا نتسآل من جهة اخرى عن طبيعة العلاقات التي كانت تربط البيزنطيين بأمراء لجدار ، وفي هذا الإطار سجلنا بعض الإشارات الواردة في بعض النصوص التاريخية ؛ يذكر بروكوب سنة 540م ان : << في موريطانيا الثانية (قيصرية) يقطن ماستيغاس Mastigas مع قبائله المورية ، وكانت تحت سلطته البلاد كلها ، بإستثناء قيصرية التي كان البيزنطيون لايتصلون بها الا عن طريق البحر، ولا يستطيعون سلوك البر ، لأن المور يسيطرون على كل هذه المنطقة >> (151) .

يوضح هذا النص ان الأمراء الموريين كانوا يسيطرون على كامل موريطانيا القيصرية في نهاية العهد الوندالي وبداية التدخل البيزنطي ، وان امتداد نفوذهم في هذه المنطقة جعل البيزنطيون يقتصرون على احتلال المناطق الساحلية فقط ، ولم يكن في وسعهم الإتصال مع مستعمراتهم الاً بحراً .

اذا كان هذا وضع البزنطيين والموريين في النصف الأول من القرن السادس م ، فإن طبيعة هذه العلاقة ستعرف تغيرا ملحوظا في اواخر العهد البيزنطي ، حسبما يشير اليه نص النويري الذي يقول : << من هنا توجه

سيدي عقبة الى تيهرت وتموقع قرب هذه المدينة ، الروم كانوا على علم بقدومه ، استطاعوا الحصول على نجدة البربر. قام عقبة ليلقي خطابا على عسكره ليحرضهم على القتال ، فيما بعد لم يستطع الروم والبربر المقاومة امام المسلمين ، حيث فقدت **القوات المتحالفة** الكثير من افرادها في وقت قصير ، ليغادر **الإغريق المدينة** >> [152] .

يتبين من خلال هذا النص ، ان حلفاً قد ابرم بين امراء تيارت المتأخرين والبيزنطيين [153] لمواجهة عدو مشترك ، يتمثل في الفاتحين المسلمين في النصف الثاني من القرن السابع م ، كما ان هذا التحالف لم يكن ليتم لولا الخطر الداهم الذي اصبح يهدد الوجود البيزنطي بالمنطقة .

11 - خـــلاصة

اذا كانت لجدار تشترك مع الأضرحة الكبرى المعروفة : المدغاسن ، قبر الرومية ، بلاد قيطون وبازينة سوق الغور ، في كونها معالم جنائزية تستوحي شكلها الهندسي العام من بعض التقاليد البربرية القديمة ، فإنها تنفرد عنهم ببعض المميزات الخاصة بها يمكن تلخيصها فيمايلي :

- هي مدافن شيدت من اجل سلالات مورية حاكمة ليست وثنية .
- مظهرها الخارجي مستوحى من البازينات والجثوات ذات القاعدة المربعة والتاج المدرج ، أما تنظيم مخططاتها الداخلية فبعضها يشبه تصميم الجثوات ذات المصليات المنتشرة في جنوب المغرب الأقصى وموريطانيا .
- لم تخضع عناصرها الهندسية الى تأثيرات إغريقية – فنيقية .

• تتوفر على ملحقات خارجية متنوعة لم تكن معروفة من قبل مثل : الفناء ، المعلم الصغير ، اسوار التسييج ، المنصة الشرقية ، الأحواض .

في انتظار الكشف عن لجدار الأخرى ، يمكن تقسيم مجموع هذه المعالم من حيث المخطط الداخلي الى ثلاثة انواع رئيسية :

• الأول يشبه جثوات الفترة المبكرة لاسيما تلك المجهزة بغرفة واحدة مهيئة تحت سطح الأرض ، ويمثله لحد الآن اربعة لجدار هي : B ، II ، III ، V

• الثاني يشبه تقريبا المعالم ذات المحاريب ، من حيث تعدد القاعات والأروقة وتوجيه المدخل الرئيسي نحو الشرق ، ولايختلف عنه الا من حيث ترتيب الغرف وتوزيعها حول النواة المربعة ، ويمثله لحد الآن جدارين هما (A) و (C) .

• الثالث فريد من نوعه ، يتمثل في غرفتين مركزيتين يحيط بهما رواقان مركزيان ، يتكونان من سلسلة من القاعات تتصل فيمابينها بممرات تتعاقب في الإرتفاع والإنخفاض ، ويمثله لحد الآن لجدار واحد هو (F) .

يظهر ان تجهيز بعض لجدار بقاعات واروقة داخلية وملحقات خارجية ، يدل دلالة واضحة على تطور مظاهر العبادة الجنائزية في فترة متأخرة ، كالطواف بالضريح والغرفة الجنائزية ، النوم بجوار الميت ، تقديم القرابين والتضحيات تشريفا للميت .

اما عن تصميمها فيصعب علينا تحديد اصوله بالضبط ، فقد قلنا سابقا ان لجدار ماهي الا نماذج مكبرة لبازينات وجثوات قديمة ذات قاعدة مربعة ، تنتشر بكثرة في صحراء فزان و المناطق الشمالية والجنوبية الصحراوية من المغرب الأقصى ؛ ان تواجد هذا النوع بكثرة في الجهات الغربية والجنوبية ، يوحي ان بناة لجدار استمدوا هذا التصميم من هذه المناطق ، ويؤيد هذه

النظرية قرب موريطانيا القيصرية منها مما سهل عملية الإحتكاك والإتصال معها .

اذا كانت اصول تصميمها المربع معروفة ، فإن تاجها الهرمي المدرج لاندري بالضبط من أي نموذج اصلي انحدر ، هل استوحي من بازينات فزان (154) التي يُعلو قاعدتها المربعة تاج هرمي يشبه تقريبا هرم لجدار ؟ ام من معالم اخرى لانعرفها ؟ ام انها شكلت ابتكارا جديدا بالنسبة لبناة لجدار ؟ يصعب جدا الفصل في هذه المسألة .

ومما تجدر الإشارة اليه ، ان الموريين استطاعوا الحفاظ على بعض التقاليد القديمة المتعلقة بالبناء الجنائزي والشعائر الدينية ، حيث لم تتمكن ديانات الأمم الدخيلة من القرطاجيين ، الرومان ، الوندال والبيزنطيين ، ان تمحو هذه الذكريات من اذهانهم . وحتى المسيحية التي تغلغلت في غرب بلاد البربر ابتداءاً من نهاية القرن الرابع (155) ، لم تتمكن من طمس هذه الشعائر ، بل على العكس نجد العبادة الجنائزية في لجدار توفق بين الطابع المأتمي المحلي القديم ومظاهر الدين المسيحي في قالب متجانس ومتكامل .

هوامش معالم لجدار

(1) نفضل ان نبقي على الترقيم الذي احدثه كل من ماك كارتي ودولابلنشار ، وتبناه الباحثون فيما بعد ، حتى لايحدث التباس بين المعالم في حالة تبني ترقيم أخر .

(2) Gzell, St. **Atlas archeologique de l'Algerie** , feuille 33 N. 67.

(3) Ibid, P. 23, N. 66.

(4) kadra, F. op. cit, p. 285. ، لقد لاحظت ذلك أثناء زيارتي للموقع ؛ يبدو ان غنى جبل لخضر بالحجر الكلسي ، دفع احدى مؤسسات البناء ، الى اقامة محجرة بالقرب من لجدار (٨) لإستخراج نوع من الحجارة الكلسية ، يتميز ببياضه ولمعانه ، ويستعمل لصنع مواد البناء .

(5) شنيتي، محمد البشير، موريطانيا القيصرية ،ص 729.

(6) C. Brunon, art. cit. , p. 306. ، يذكر برونو انه أثناء زيارته للمنطقة ، لاحظ وجود العديد من المجاري والعناصر المائية ، ليخلص الى القول ان مدينة

الأجدار كانت تقع حتما في وسط البساتين والأشجار ، كما يعزو سبب جفاف هذه المنطقة الى هجرة البدو الرحل وعوامل طبيعية ، كهبوب الرياح الجنوبية . Ibid. , p.306.

(7) **Kadra, F. op. l., p.07.**

(8) باللهجة العامية نقول عن شئ قوي وسميك " مجدر" وعليه قد تكون هذه الكلمة جاءت لتعبير عن ضخامتها وقوتها .

(9) تتبع اليوم معالم الأجدار اداريا الىدائرة مدغوسة ، ويعتقد سكان هذه المدينة ان كلمة مدغوسة ، كانت تطلق قبل هذا على منطقة قريبة من مدغوسة الحالية ، التي كانت تحمل فيما سبق اسم لوهو.

(10) **Camps, G. Nouvelles observations....p. 472- 473.**

(11) انظر سابقا في موضوع ضريح المدغاسن .

(12) ابن الرقيق ، مؤرخ عربي في نهاية القرن 10م وبداية القرن 11م ، عاش تحت حكم سلالة الزيريين ، وكتب تاريخ افريقيا الشمالية وتاريخ انساب البربر، وقد جاءت شهادته حول لجدار جبل لخضر في روايتين اورهما ابن خلدون ، تختلفان في بعض المواطن .

(13) عبد الرحمن ابن خلدون ، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر**. المجلد 06 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 ، ص. 237 .

(14) نفس المصدر ، المجلد 04 ، ص. 93-94 .

(15) شنيتي ، محمد، نفس المصدر السابق الذكر، ص 737.

(16) Bernard, Henri . **Les Djedars de la haute Mina** , dans Rev. Afric. t. I, 1856-1857, p. 50-52 .

(17) Azéma de Montgravier, **dans Rev. de Bibliographie analytique**, t. V,1844, p. 182-192 .

(18) Longpérier, A. **Les Tumulus du Djebel el-Akhdar dans la province d'Oran**, dans Rev. archéol. t. I, 1854, p. 565-572 .

(19) Sergent, Bordier, **Les Djedars**, dans Rev. Afric. t. IX, 1865, p. 476-480 .

(20) هذا الى جانب غياب تقارير ، رسومات ومخططات تخص هذه الحفريات . . Kadra, F. op. I., p. 17-18

(21) Capitaine, Wagner, **Monuments du Djebel Hadjar**, dans B. S. G. A. O.,t. II, 1881-1882, p. 128-131 .

(22) وقبل هذا الأخير ، قام الفرنسي غينار بوصف لجدار (F) وبعض لجدار جبل العروي . Guénard, E. Les Djedars de Frenda, dans B. S. G. A. O., t. II, 1881-1882, p. 264-271 .

(23) De Lablanchère, R. **Voyage d'étude dans une partie de la Mauritanie césarienne**, dans Archives des Missions scientifiques et littéraires, 3°eme Série, t. X, Paris, 1883, pp. 77-99 .

(24) Gsell, St. Les monuments... t. II, p. 418-427 .

(25) Demaht. L. **Notes geographiques, archéologiques et historiques concernant la partie de la Maurétanie césarienne correspondant à la province d'Oran,** dans B. S. G. A. O., t. VII, p. 279-282 .

(26) على غرار حفريات ماك كارتي ولوتورنو ، ضاعت ايضا كل تقارير حفريات الدكتور روفو ماعدا بعض الأجزاء من الأرشيف ، عثرت عليهم قادرة في أرشيف مصلحة الآثار القديمة بالجزائر سابقا ، لكنها لاتفي غرض الباحث .

Kadra, F. Note complémentaire sur les Djedars de Frenda, Bullettin d'Archéologie Algerienne , 1988 .

(27) بإستثناء لجدار (F) الذي تم التعرف عليه ، يتعسر علينا التعرف على لجدار الأخرى التي ذكرها روفو بسبب تبني هذا الأخير الترقيم العددي ، وعدم مماثلته بترقيم ماك كارتي و دولابلنشار . الى جانب هذا لم يحدد موقعهم الجغرافي ، كما لم يقدم أي اشارات تعيننا على ذلك .

Kadra, F. Note complémentaire... p. 227-231 .

(28) حول مراحل هذه الدراسة انظر : . Kadra, F. Les Djedars... ; Id., Note complémentaire... p. 227-231

(29) حتى لايستعمل كمخبأ من طرف ثوار جيش التحرير الوطني ابان ثورة التحرير .

(30) Kadra, F. Les Djedars... p. 29 .

(31) Camps, G. **Mausolées princiers**... p. 57 ; Id., Aux origines...rites... p. 165-166 ; Kadra, F. Les Djedars.... p. 25, 281 .

(32) Kadra, F. op. cit. p. 281.

(33) لاسيما بمقبرة جرمة والشرايق ، حيث توجد بازينات تشبه كثيرا الأجدار سواء من حيث القاعدة المربعة او التاج الهرمي المدرج .

Camps, G. **Du nouveau sur l'Archéologie du Fezzan**. Travaux de l'I.[R. S., t. XIII. 1965. pp. 189-198.

(34) و تتمثل في جثوة بني معدن التي لها شكل هرم مبتور. Pallary, P. **Recherches palethnologiques dans le nord du Maroc**, C.r. de la XXXI°eme de l'A. F. A. S. , Montauban, 1920, pp. 911-917,(p. 914) .

(35) جثوات الميزان الهرمية بقرسيف ، شرق المغرب الأقصى . Campardou, J. **Notes archéologiques sur la region de Taza**, Bull. de la soc. de geogr. et d'archéol. d'Oran, t. XLI, 1921, pp. 173-195, (pp. 190-193)

(36) Pallary, P. **Recherches sur le littoral du Maroc, en 1907**, dans l'Anthropologie, t. 19, 1908, p. 179-181, (fig. 9, 10) .

(37) Paskoff, R. **Notes sur quelques vestiges archéologiques des environ de Berguent (Maroc oriental),** dans Libyca-Archéologique, Préhistoire Ethnographie . t. 8, 1960. p. 295-297 .

(38) Margat J. et A. Camus. **Necropole de Bouia au Tafilalet**, dans B. A. M. , t. III, 1958-1959,p. 353 .

(39) Meunié J. et ch. Alain. **Quelques gravures et monuments funéraires de l'extrème sud-est Marocain**. Hespérides, t. XLIII. 1956. pp. 51 -86 p.81 .

(40) ينفرد لجدار (B) بتوفره على بنائين مستطيلين يمتدان على ارضية المنصة الشرقية ، اما ملحقات لجدار (F) فلازالت لم تثبت الحفريات بعد تشابههما مع الأخرين ، لكننا استنتجنا هذا التشابه من خلال مخطط لابلنشار الذي يشير الى وجود بناءات في شرق الضريح لها تقريبا نفس المخطط .

(41) يعلو القمة الأكثر ارتفاعا من جبل لخضر، ويشرف بفضل هذا الموقع المميز على كامل سهل السرسو، جبال الونشريس ومدينة تيارت .

(42) Cadenat, P. **Vestiges paleo-chrétienne dans la région de Tiaret**, dans Libyca archéol. épigraph. t. V, 1957, p. 84-85 ; Kadra, F. Les Djedars... p. 27 .

(43) Kadra, F. Note... p. 227.

(44) Kadra, F. **Les Djedars**... p. 37.

(45) Camps, G. **Mausolées princiers**... p. 57.

(46) Kadra, F. op. I., p. 83-87.

(47) Ibid., p. 67.

(48) Ibid., p. 95.

(49) Kadra, F. Les Djedars... p. 47.

(50) Ibid., p. 103.

(51) عن تقرير روفو المؤرخ في 15 ديسمبر 1938 . Kadra, F. Note... P. 229.

(52) Kadra, F. Les Djedars... p. 107.

(53) Ibid., p. 114-115.

(54) لمعرفة مقايسها انظر : Ibid., p. 123.

(55) Kadra, F. Les Djedars... p. 111.

(56) الأول يقع في الزاوية الشمالية ـــ الشرقية ، طوله 0,97م وعرضه 0,80م ، وارتفاعه يتروح بين 0,62م و 0,75م ، اما الثاني فيقع في الزاوية الجنوبية ـــ الشرقية ، طوله 1,07م وعرضه مثل الأول ، اما ارتفاعه فيتروح مابين 0,36م و 0,48م . Ibid., p. 124.

(57) **Rapport du Dr. Roffo, par Kadra, F. Note complémentaire**... p. 229، يعتقد كامبس ان تنظيم الحجر فوق غرفة الميت بهذا الشكل ، يوحي بممارسة شعار ديني . Cf. Camps, G. **Aux origines... rites**... p. 552.

(58) يبدو ان نتائج هذا الإكتشاف لم تنشر، وحتى الوثائق الخاصة بهذه الحفريات (تقارير ـــ رسومات) ضاعت ولم يُعثر الا على بعض الأجزاء المتفرقة وتشير قادرة من جهة أخرى ان روفو رمى هذه الوثائق في النار بسبب خلاف شب بينه وبين ليتشي L. Leshi
Kadra, F. Les Djedars... p. 97 ; Id., Note... p. 227

(59) Kadra F. Les Djedars... p. 104.

(60) ماعدا في جهته الجنوبية حيث لازال محافظا على تسعة مدرجات كما توضحه الصورة 99 .

(61) يتراوح طول الحجر مابين ام و 1,40م ، ومتوسط ارتفاعه مابين 0,70م و 0,73م .

(62) Rapport du Dr. Roffo par. Kadra, F. Note... p. 230.

(63) Kadra, F. Les Djedars... p. 127.

(64) Ibid., p. 133-134، لقد انسد هذا المدخل نتيجة انزلاق احجار حشوه ، ولايمكن الوصول الى داخل الضريح الا بإزالة الركام الحجري .

(65) Ibid., p. 136.

Ibid., pp. 141-147 . (66)

(67) لم يحص العدد الحقيقي لجدار بشكل نهائي الا في نهاية الستينات ؛ فحسب لابلنشار وغزال كان العدد يتراوح بين سبعة وعشرة ، وفي سنوات 1968-1970 تمكنت قادرة من احصاء ثلاثة عشر معلما ، واعطت لجدار الثلاثة المكتشفة الأرقام التالية : K , L , M

De La Blanchère, R. art. cit. p. 78 ; Gsell, St. Les monuments... t. II, p. 418 ; Kadra, F. Les Djedars... p. 148-152 .

Kadra, F. Les Djedars... p. 50 . (68)

(69) وفي هذا الشأن يقول دو لابلنشار : « A Ternaten, plusieurs des monuments ne sont plus que de gros tas de pierres... »

Id., Note... p. 231 . (70)

Ibid., p. 230 . (71)

(72) Ibid., p. 230 ، لقد تسآلت قادرة ان لم تكن جثة الميت قد وضعت داخل ناووس خشبي لم يبق منه الا هذه المسامير . غير أني لااعتقد ذلك بما انه عثر على ناووس خشبي في حالة حفظ في لجدار **(B)** ، وفي المقابل ارى ان هذه المسامير مثلها مثل الزجاج المقزح ، قد تكون وضعت بجوار الميت لأغراض اخرى نجهلها .

(73) يلقبه أهالي المنطقة بالكسكاس .

Kadra, F. Les Djedars... pp. 159-178 . (74)

(75) يذكر لابلنشار ان ارتفاع القاعدة يبلغ 2,50م، اما كامبس وقادرة فيعتقدان ان الإرتفاع الكلي للضريح قد يصل الى 18,50م .

De La Blanchère, R. art. l., p. 79 ; Camps, G. Mausolées Princiers... p. 57 ; Kadra, F. Les Djedars... p. 157 .

Kadra, F. Les Djedars... p. 157 . (76)

Ibid., P. 157 . (77)

De La Blanchère, R. art . cit. pl. XI, n°1 . (78)

(79) وفي بعض الأحيان نصادف أسوارا تربط بين بعض المعالم . Kadra, F. Les Djedars... p. 26, 150,155 .

Gsell, St. Les monuments antiques... T. II. p. 414 . (80)

Rapport Du Dr. Roffo, par Kadra, F. Note... p. 231 . (81)

Ibid., p. 231 ; Id., Les Djedars... p. 154 . (82)

Kadra, F. Les Djedars... p. 154 . (83)

Ibid., p. 160 . (84)

(85) مقايس القاعات على النحو التالي : A: 9,03م × 2,18م ، B: 8,83م × 2,25م ، C: 8,62م × 2,23م . Ibid., p. 161 .

Ibid., p. 163 . (86)

Ibid., p. 166 . (87)

Ibid., p. 169 . (88)

Ibid., p. 167 . (89)

Ibid., p. 171-172 . (90)

Ibid., p. 167-168 . (91)

Ibid., p. 173-177 . (92)

(93) ب. كادنا يعتقد انها جلبت من موقعين أثريين هاميين يقربان من هذا لجدار ، إما من خربة بن سراح التي تتسع الى عدة هكتارات ، أوعين السبيبة . كما يرى من جهة اخرى ان المواقع التي استخدمت كمحاجر لبناء لجدار (F) ، هدمت أثناء الإضطرابات الدينية .

Cadénat, P. **Vestiges paléo-chrétiennes**... P. 81, 85-86 ; Salama, P. Lybica III, 1955, p. 341-342 .

(94) حول هذا الموضوع انظر : . Kadra, F. Les Djedars... p. 191-196

Ibid., p. 150 . (95)

(96) عن هذا الموضوع انجزت قادرة دراسة هامة ومفصلة ، تضمنت مختلف الرسومات والزخارف التي تزخر بها لجدار ، لاسيما لجدارين (A) و (F) ، كما كشفت الى الوجود العديد من الأشكال والرسومات لم يشر اليها الباحثين قبلها . انظر : . Kadra, F. Les Djedars... pp. 197-230, 330-332

(97) وتتمثل في غالب الأحيان في : العصافير ، خيليات ، بقريات وسنوريات .

(98) يبدو ان مختلف الكتابات التي اشار الى وجودها العديد من الباحثين ، اصبحت لاترى اليوم بسبب تدهور واجهات الجدران الخارجية ، بفعل عوامل الطبيعة (4) . Ibid., p. 232 ،

(99) اشار الى وجوده لأول مرة كادنا. Cadenat, **Inscription Latines de la region de Tiaret**, dans Lybica, archéolo. epigrph., t. I, 1953, p. 173

Kadra, F. Les Djedars... p. 250 . (100)

Ibid., p. 251 . (101)

Cadenat, P. art. cit. p. 173 . (102)

Gsell, St. Les monuments antiques... t. II, p. 425-426 ; Kadra, F. op. cit. p. 256 . (103)

De La Blanchère, R. art. cit. p. 89, pl. IX, fig. 2, n° 4, 5 . (104)

(105) حول هذا الموضوع انظر : . Kadra, F. Les Djedars... pp. 233-248

Ibid., pp. 223-258 . (106)

Berbrugger, A. Le tombeau... p. 65 . (107)

(108) اولاد ميمون حاليا (تلمسان) ، نقش ماسونا تحت رقم C. I. L. VIII, 9835 : Marcillet - Jaubert, J. **Les inscriptions d'Altava**, dans publication des annales de la faculté des lettres d'Aix en - Provence, nouvelle serie, n° 65, 1968, p. 15-16 .

(109) احدى قمم جبال الأوراس . نقش ماستي Masties ، انظر : Carcopino, J. Un empreur maure inconnu d'aprés une inscription latine récement découverte dans l'Aurès, dans R. E. A. t. XLVI, n° 1-2, janvier- juin, 1944, p. 94-120, pl. III ; Id., **Encore Masties, l'empreur inconnu**, dans R. afric. 1956, p. 339-348 .

(110) Kadra, F. op. l., p. 263-264 .

(111) وعلى رأسهم غزال ، لابلنشار وكورتوا : غزال يزعم انه رأى في لجدار (C) نص مزدوج اللغة نصف لاتيني والنصف الآخر اغريقي ، وبناء عليه يقيم علاقة بين هذا النقش ونص ابن الرقيق Gsell, St. Les monuments antiques... p. 425-426 ، اما لابلنشار فقبل اكتشاف النقش المزعوم ، ربط بين هذه المعالم ونص ابن الرقيق وخلص الى القول ان لجدار بنيت قبل سنة 544 تاريخ وفاة سالمون البيزنطي . . De La Blanchère, R. art. cit. p. 91، انظر كذلك : Courtois, Ch. op l., p. 336 ; Cadenat, p. V estiges paléo-chrétiens... p. 85 .

(112) Cf. Berbrugger, A. op. cit. p. 57 ; C. Brunon, art. cit., p. 307 .

(113) انظر سابقا ، نصا ابن خلدون .

(114) فقد لاحظ بيار كادنا وجود شواهد قبرية مسيحية اعيد استعمالها في لجدار (B) . Cadenat, p. art. cit. p. 85

(115) Cf. S. Bordier, art. cit. p. 476-480 .

(116) Cf. Berbrugger, A. op. l., p. 62 .

(117) Rapport du Dr. Roffo, par, Kadra, F. Note... p. 230 .

(118) انظر سابقا .

(119) C. Brunon, art. cit. p. 307 .

(120) Kadra, F. Les Djedars... p. 339 ، وتذكر قادرة ايضا انه منذ مدة قريبة جدا كان هناك ناووس حجري بداخل الغرفة C في لجدار (A) ، تم تحطيمه أثناء احتلال المعلم من طرف احد المشعوذين سنة 1966 ، وتقول ان هذه المعلومات تحصلت عليها عن طريق مراسلة كانت محفوظة في الأرشيف . Id., Note... p. 228 ، يبدو من الصعب تصديق هذا ، ذلك ان الأبحاث والحفريات التي اجريت في لجدار خلال القرن 19 والنصف الأول من القرن الحالي ، لم تشر اطلاقا في تقاريرها الى وجود هذا الناووس .

(121) Kadra, F. Les Djedars... p. 337-338 .

Camps, G. Mausolées princiers... p. 59 ; Id., **Le Gour, Mausolée berbère du VII° siècle**, dans (122)
antiquités africaines , t. II, 1974 .

Kadra, F. op. l., p. 63 . (123)

Cf. Camps, G. Le tombeau de Tin-Hinan... pp. 65-83 . (124)

(125) عثر بداخل الغرفة الجنائزية المهيئة اسفل سطح الأرض ، على ناووس خشبي يحمل جثمان تين هينان مزين بالعديد من الحلى والمجوهرات .

Ibid., p.78-80 .

(126) حول المعالم ذات المعابد او المصليات انظر :

Meunié J.et Allain, Ch. **Quelques gravures et monuments funéraires de l'extrème sud-est marocain (Tumulus de Taouz et Beraber)**,dans Hésperis, t. XLIII, 1956, pp. 51-81 ; Battistini, E. **Note sur les deux tumuli de la région de Negrine**, dans Rec. de la soc. de préhist. et d'archéol. de Tébessa, 1936-1937, pp. 183-195 ; Chapelle et Monod, **Note sur la grande sépulture d'el - Mréiti (Mauritanie)**, dans Bull. du comité d'études, historiques de l'A. O. F., 1937, pp. 507-521 ; Camps, G. **Sur trois types peu connues de monuments funéraires nord-africains**, dans B. S. P. F., t. LVI,1959, pp. 101-108 ; Id., **Aux origines de la Berbèrie rites et monuments funéraires**.... pp. 18-185 ; Id., Mausolées princiers... p. 56-57 ; Margat J. et A. Camus, La nécropole de Bouia au Tafilalet, dans Bull. d'archéol. marocain. , t. III, 1958, pp. 345-370 ; Spruytte, J. et Vincent L. Cuaz, **Note sur les monuments funéraires préislamiques du nord Khat Atoui (Mauritanie)** , dans Bull. de liais. sahar. 1956, pp. 145-155 ; Pace, B. Caputo, G. Sergi. **Scavi sahariani. S. Monumenti antichi**, Vol. XLI, 1951, ch. 11 ; Du Puygodeau O. et Senones, M. **Le cimtière de Bir um Garn**, dans journal de la societé des africainistes, t. XVII, 1947, p. 51-56 ;

Kadra, F. **Les Djedars...** op. l., p. 348 .

(127) لوحظ استعمال ناوويس خشبية في ضريح تين هينان ، و قبور عين البنيان المؤرخة في النصف الأول من القرن الخامس ميلادي .

Cf. Gsell, St. **Fouilles de Benian (Alamiliaria)**, Paris, 1899, p. 21 ; Camps, G. **Le tombeau de Tin-Hinan**... p. 78-80 .

Cf. Camps, G. **Aux origines de la Berbèrie rites**... p. 194-196, 203 ; **Id., Les monuments à deambulatoire de l'Afrique du nord anteislamique**, dans Atti del 1° congrésso internazionale di studi nord-africain, Cagliari, 1965, p. 37-43 . (128)

Id., Le tombeau de Tin-Hinan... p. 80-83 . (129)

Cf. Gsell, St. Les monuments antiques... t. II, p. 413-414 . (130)

Cf. Camps, G. **Un mausolée marocain : La grande bazina de Souk el-Gour**, dan B. A. M., t. IV, 1960, p. 65-69 . (131)

(132) تتمثل الرموز والرسومات المسيحية في مايلي :

ـ **أصلبة إغريقية منحوتة في** : الواجهة الشمالية للجدار (A) ، مدخل الغرفة C بالجدار (C) ، و عدة احجار بالجدار (B) .

ـ **طغراء المسيح** ، ويوجد فقط في لجدار (F) اين تكثر المواد المستعملة ثانية .

ـ **الزخرفة** : حمام متوجه الى كأس ذو عروتين ، حمام يشرب من حوض ، حمامة ومصباح تزين عتبة الغرفة C في لجدار (A) .

ـ **الرسومات** : لوحظ وجود بقايا منها ، لاسيما في الغرفتين المركزيتين بالجدار (F) ، هي عبارة عن صور تمثل مواضيع دينية مختلفة .

حول هذا الموضوع انظر : Cadenat, P. Vestiges paléo-chrétiens... pp. 79-86 ; De La Blanchère, R. art. cit. pp. 77-99 ; Gsell, St. Les monuments... pp. 418-427 ; Kadra, F. Les Djedars... p. 330-331 .

(133) Cf. Kadra, F. Les Djedars... p . 347-348 ، ولأكثر تفاصيل حول هذه العادة انظر لاحقا .

(134) Cf. Pace, B. Caputo, G. Sergi, S. **Scavi sahariani, dans Monumenti antichi**, t. XLI, 1951, ch. XI ; Camps, G. Aux origines... Rites... p. 544 -546 ; Kadra, F. Les Djedars... p. 343 .

(135) استدلت قادرة على دورهما ، عن طريق ملاحظة التشابه الكبير بين طاولات لجدار (B) ومذابح جثوات مقبرة فم الرجم في وادي الدرع بالمغرب الأقصى ؛ تم تجميع على قمة احدى هذه المذابح عظام صغيرة وقطع سوداء محروقة ، مما سمح بالتعرف على دورها . حول هذا الموضوع انظر :
Meunié, D. J. **La nécropole de Foum le-Rjam, tumuli du Maroc Présaharien**, dans Hespéris, t. XLV, 1958, pp. 95-142 ; Kadra, F. Les Djedars... p. 343 .

(136) Kadra, F. Note... p. 229 .

(137) Cf. Kadra, F. Les Djedars... p. 329-332 .

(138) Ibid, pp. 329-330 .

(139) Ibid., p. 232-233 .

(140) Camps, G. Mausolées princiers... p. 58 .

(141) من بينها نقشان مؤرخان في سنتي 466م و480م ، حيث اعتقد كل من غزال وكورتوا انه عثر عليهما في لجدارين (A) و (C) ، مما جعلهما يعتقدان ان هذين الأخيرين شيدا في فترة لاحقة لهذين التاريخين . حول هذا الموضوع انظر : Cadenat, P. Vestiges paléo-chrétiens... p. 83-85 ; Kadra, F. op. l.,

p. 266-269 ; **Messerer, A. dans Comptes rendus de l'Académie d'Hippone**, 1893, p. XLVI, et 1894, p. XXXIII.

Gsell, St. Les monuments... p. 420 ; Courtois, Ch. op. cit. p. 336 .

(142) Cadenat, P. Inscriptions latines... p. 174-175 .

(143) انظر سابقا .

(144) Courtois, Ch. op. l., p. 334 .

(145) انظر سابقا .

(146) على انه زعيم برابرة موريطانيا، وان موطنه كان يمتد الى الشرق حتى مشارف الحضنة . Procope, B. V., II, 13, 19, éd. J. Haury, t. I, p. 478.

عن : Courtois, Ch. op. cit. p. 336 .

(147) Kadra, F. Les Djedars... p. 19 .

(148) De la blanchère, art. cit. p. 92 ; Carcopino (J) , Encore Masties, un empreur maure inconnu... pp. 338-348 .

(149) Courtois (Ch) , op. cit. p/ 334-336 .

(150) ابرزها صومعة مشرع الصفا ، عين السرب ، خربة العويسات ، سيدي الحسني واولاد لكرد . Cadenat, P. Vestiges paléo-chrétiens... pp. 86-100 .

(151) Procope, B. V., II, 20, 31, 32, éd., J. Haury, t. , p. 517 .

(152) Ibn Khaldoun, op. cit. appendice n° II, En Noweiri, t. I, p. 332 .

(153) الذين يحتمل جدا انهم كانوا على راس مملكة لجدار في اوخر عهدها .

(154) كامبس يرى ان تاجها الهرمي يشبه كثيرا الإهرامات المصرية .

Camps , G. Aux origines de la Berbèrie rites... p. 165 ; Id., Du nouveau sur l'archéologie du Fezzan... pp. 189-198 .

(155) اعتمادا على اول نقش مسيحي مؤرخ في سنة 397م ، عثر عليه في غرب المغرب. Cadenat, P. Vestiges paléo-chrétiens... p. 100 ، وعن انتشار المسيحية في غرب بلاد المغرب انظر : Gsell, St. **Le christianisme en Oranie avant la cnquete arabe**, B. S. G. A. O., bull. du ciquantenaire, 1928, p. 25 .

(156) ترى وايسان انه استعمل في المدغاسن ، قبر الرومية ولجدار، مقاييس حسابية عديدة فيما يخص ابعاد وتوجيه المعلم ، كما استخدمت ايضا لأخفاء وحجب الرواق او تعليمه عدة نظريات هندسية وفيزيائية . Cf Marcelle, Weissen, **L'ame archaique du Médracen**, p. 79 .

مقارنة بين الأضرحة الثلاثة

(المدغاسن ، الضريح الملكي الموريطاني وأضرحة لجدار)

الجدول رقم (3)

لجدار	المدغاسن	الضريح الموريطاني	مجال المقارنة
البازينات القديمة ذات القاعدة المربعة والتاج المدرج او بازينة فزان ذات القاعدة المربعة والتاج الهرمي المدرج .	القاعدة الأسطوانية والتاج الدرجات .	بازينات الفترة المبكرة ذات المدرج وبازينات ذات	اصل المظهر العام
في الشرق : على مستوى مدرجات التاج بالنسبة للأضرحة (A-C) ، وفي اسفل واجهة لجدار الشرقي بالنسبة للجدار (F)	في الأعلى على مستوى مدرجات التاج الشرقي	يقع في اسفل القاعدة الأسطوانية للواجهة الشرقية	المدخل الرئيسي
تتشكل من ملاط كلسي	المصنوعة من الرصاص الخشب المغلف بالرصاص	تتشكل من مخالب التثبيت الخالص اوالحديد او	فواصل البناء
هناك ثلاثة مخططات مختلفة : الأول : رواق وسط يتصل بأروقة شبه مربعة تحيط بنواة مربعة ، وحول هذه	رواق وحيد مستقيم يؤدي الى غرفة مركزية	رواقان رئيسيان ، الأول ضيق ومستقيم يصل الى بهو الأسود ، والثاني مستدير واسع يقود الى البهو الثاني والغرفة	المخطط الداخلي

الأخيرة تنفتح عدة غرف (لجدار A-C). الثاني : غرفة مركزية مهيئة اسفل نواة الضريح (لجدار II ، III ، V ، B) الثالث : رواق وسط يتصل برواقين مركزيين يحيطان بغرفتين مركزيتين (لجدار F) .	،	المركزية	
رواقان مركزيان ومربعان يتشكلان من سلسلة من القاعات والممرات ، يحيطان بالغرفتين المركزيتين (لجدار F)	×	شبه دائري واسع يقود الى الغرفة المركزية	الأروقة المطافية
ملحقات متنوعة : فناء محاط بأسوار التسييج ـ المعلم الهرمي الصغير ـ أحواض ـ مسطحة شرقية ـ مذابح او طاولة قرابين (لجدار A-B-F)	(منصة مبلطة مبنى امامي) الضريح شرق		الملحقات الخارجية
خالية من أي تزيين هندسي اجنبي.	تحمل عناصر هندسية إغريقية ـ فنيقية : أعمدة	مزينة بعناصر هندسية مستوحاة من الفن الإغريقي ـ الفنيقي : اعمدة وتيجان ايونية	التكسية الخارجية

		– أبواب وهمية على الطراز الفنيقي وكورنيش ذو عنق مصري	
قمة الضريح	تنتهي قمة التاج	المدرج بمسطحة	عبارة عن هرم
الحشو	عبارة عن ركام من الحجر المربع وضع دون ترتيب	اكداس من الحجارة الفضة وضعت بشكل عشوائي	بني بالدبش ويشد بعضه بعض بملاط من الكلس
ـ الزخرفة ـ النقوش ـ الرسومات	زخرف واحد فقط يتمثل في : نقش ناتئ يصور اسد ولبوءة في بهو الأسود ـ علامات ورشات نحت الحجارة	اسفل جدران القاعدة عثر على كتابات ليبية وفنيقية وبعض الرسومات تمثل مشاهد للصيد وقوافل ـ علامات معامل نحت الحجارة	على الجدران الخارجية للجدار (A-B-C) نقشت العديد من الكتابات والرموز المسيحية وعلامات الورشات . في الداخل تزخر لجدار (A-C) بزخارف هندسية – حيوانية ـ رموز مسيحية ورسومات اخرى متعددة . اما في لجدار (F) فيحمل العديد من الزخارف ، الرسومات ، النقوش والرموز المسيحية لكنها مستعملة ثانية
الأحمر الجنائزي	×	لونت به :	×

	أرضية المنصة الشرقية – الرواق – السلم – الغرفة المركزية		
عُثر خلال حفريات روفو على : ناووس خشبي يحمل هيكلا عظميا في لجدار (B) – عظام آدمية مسامير وزجاج مقزح في لجدار V	×	×	الأثاث الجنائزي
معروفة في لجدارين (B-F-V) ومجهولة في لجدارين (A-C) والمعالم المتبقية	هي الغرفة الواقعة في مركز البناء	غير معروفة بالظبط	الغرفة الجنائزية
الدفن العادي في لجدار (B-V) استنادا على الهيكل العظمي والعظام الآدمية المكتشفة فيهما		الحرق	طرق الدفن

- **التعليق :**

يتضح من خلال هذا الجدول ، ان هناك تشابه كبير بين الأضرحة الثلاثة في كونها تستوحي اصولها الهندسية من بعض مدافن فجر التاريخ ، وهي البازينات والجثوات(الشكل 31). ويمكن تقسيم هذا النموذج الأصلي الى ثلاثة انواع رئيسية :

- **البازينة ذات القاعدة الأسطوانية والجذع المخروطي .**
- **البازينة الأسطوانية ذات الدرجات .**
- **البازينات والجثوات ذات القاعدة المربعة والتاج المدرج او التاج الهرمي .**

وتتجلى مظاهر هذا التقليد بوضوح في العناصر التالية :

- الكتلة الأسطوانية والمخروط المدرج ، المسطحة العلوية ، المبنى الأمامي ، القاعدة المربعة والتاج الهرمي المدرج ، غرفة جنائزية تحت سطح الأرض ، قاعات للعبادة الجنائزية (محاريب) ، وتوجيه مداخل الأضرحة والبناءات الداخلية والخارجية نحو الشرق .

يجدر بنا ان نشير ايضا الى التطور الذي طبع هذه المعالم في مجالات عديدة نلمسها فيمايلي :

1. **تقنيات البناء** (156) : فبعدما كان يستعمل قديما لتثبيت الحجارة المنحوتة مخالب من مواد مختلفة (رصاص، خشب، حديد) يحل محلها في نهاية العهد القديم الملاط الكلسي والجبسي الذي لم يقتصر على بناء الجدران والمدرجات فحسب بل استخدم ايضا في ربط دبش الحشو الداخلي .

كما استبدلت العوارض الخشبية المشكلة للسقف بالحجارة المنحوتة و البلاطات ، وظهرت الى جانب السقوف المربعة اخرى مقببة .

2. **المخطط الداخلي** : من رواق واحد وغرفة جنائزية واحدة في المدغاسن ، الى تعدد وتنوع القاعات والدهاليز في قبر الرومية ولجدار . ومن رواق مطافي واحد مستدير وبسيط في ضريحي بلاد قيطون والضريح الموريطاني الى رواقان مركزيان مربعان في لجدار (F) ، يتكونان من سلسلة من القاعات والممرات المعقدة .

3. **الملحقات الشرقية** : يبدو ان تطور العبادة الجنائزية والشعائر الدينية ، استدعى حتما تطوير ليس المخطط الداخلي فحسب ، بل البناءات الخارجية ايضا ؛ فبعد الإقتصار على اقامة منصة امامية مبلطة شرق معظم الأضرحة الأسطوانية ، ظهرت في لجدار ملحقات خارجية جديدة تمثلت في : الساحة الجنائزية المحاطة بأسوار التسبيج ، المعلم الهرمي الصغير ، الأحواض ، المنصة الشرقية وطاولات المذابح .

اذا كان المدغاسن والضريح الموريطاني قد امتزجت فيهما التقاليد المحلية مع الفنون الهندسية الهلنستية – الفنيقية —— المصرية ، فإن هندسة لجدار تميزت بخصوصيات فريدة ، تمثلت اساسا في خلوها من التأثيرات المعمارية الأجنبية وتمسكها بالطابع الهندسي المحلي ، الذي تجسد في تنظيم القاعات الداخلية وتقليد وتطوير التصميم المربع المستوحى من البازينات والجثوات ذات القاعدة المربعة وذات المعابد ، المنتشرة في موريطانيا والمناطق الجنوبية الصحراوية من بلاد المغرب .

الفصل الرابع

الأضرحة البرجية

I ــــ أنواعـــــها

II ــــ آصولهـــــا .

III – ضريح الملك ماسينيسا الملقب بــصومعة الخروب (قسنطينة).

1 ــــ الموقع والحفريــات .

2 ــــ الوصـــــف .

3 ــــ الأثاث الجنائـــــزي .

4 ــــ شعائر جنائزيـــة .

5 ــــ إعادة تشكيل الضريـــــــح .

6 ــــ تأريخ الضريـــــــح .

IV ــــ ضريح عائلة الملك صيفاقس الملقب بضريح سيغــــا (بني صاف) .

1 ــــ الموقــــع .

2 ــــ التسمية والأصول الهندسية .

3 ــــ إنتهاك وتهديم الضريح .

4 ــــ الدراسات والحفريات .

5 ــــ الوصــــف .

6 ــــ الأثاث الجنائزي .

7 ــــ تأريخ الضريح .

﴿ الأضرحة البرجية ﴾

الى جانب الأضرحة البازينية المستديرة والهرمية ، ينتشر ببلاد المغرب نوع آخر من المعالم الجنائزية شبيهة بالأبراج ، وهي التي أُصطلح على تسميتها بالأضرحة البرجية (الخريطة 05) ، معظمها شيد خلال القرنين الثالث والثاني ق. م (1) ، اقدمها ضريح صبراتة (B) بليبيا المؤرخ في القرنين الثالث او الثاني ق. م ، وآخرهم ضريح دوقة بتونس المؤرخ في منتصف القرن الثاني ق.م . و يصنفها الباحثون ضمن مجموعة الأضرحة البرجية التي شُيدت منذ القرن الرابع والثالث ق. م في البلاد المتوسطية (2) .

I ـــ أنواعها :

هي عبارة عن مباني على شكل صومعة ، تتشكل من عدة طوابق توضع على مصطبة سفلى وتنتهي بهرم صغير (الشكل 34) ، وتنقسم الى نوعين رئيسين :

• **ذات تصميم مربع :** مثل اضرحة : الخروب (قسنطينة) ، دوقة ، مكثر والجوف (3) بتونس (الشكل 32) . يبدو ان هذا النوع كان شائع الإستعمال عند القرطاجين مثلما توضحه نماذجه المرسومة على جدران القبور الفنيقية المؤرخة الى القرنين الثالث اوالثاني ق. م (الشكل 35) (4) .

• **ذات مخطط سداسي الزوايا :** مع جوانب تتعاقب في الإنحناء والإستقامة مثل : ضريحي صبراته (A,B) بليبيا ، واضرحة هونشير بورغو بتونس ، وسيغا غرب الجزائر (الشكل 36) .

II ـــ أصولها :

يبدو ان هذا النوع من المدافن غريب عن تقاليد البناءات الجنائزية القديمة ، حيث لم نسجل وجود نماذج مصغرة منه ضمن المدافن المحلية القديمة المعروفة ، كما ان هناك عدة مؤشرات تدل على ان اصول هذا النوع شرقية (إغريقية ، فنيقية ومصرية) (5) ، فمظهره الخارجي وعناصره الهندسية تشبه الى حد كبير الأضرحة المنتشرة عبر حوض البحر المتوسط ، في فنيقيا و سوريا (ضريح القدس) ، آسيا الصغرى (6) ، فرنسا (سان ريمي دو بروفنس) ، وصقيلية (ضريح أغرجانتي) (خريطة 10) ، اقدمها ضريح هاليكارناس المؤرخ في منتصف القرن الرابع ق. م (7) . يتبين مما سبق ان المغاربة تأثروا ببعض فنون العمارة المعروفة في الحضارت الشرقية القديمة ، وان هذا التأثير قد طبع على الخصوص الفترة التي سجلت هيمنة الحضارتين القرطاجية و الإغريقية على حوض البحر المتوسط ، ثم تضاعف خلال حكم الممالك البربرية في القرنين الثالث والثاني ق. م .

ومما ينبغي ذكره ان هذا النوع من العمارة ظل مستعملا ببلاد البربر خلال الفترة الرومانية (8) ، كما تشهد على ذلك اضرحة كل من : مكثر ، قصر آشنانا، روحاحا وهونشير دورات (تونس) ، واضرحة غيرزة بقطاع طرابلس (ليبيا) المؤرخة في القرن 3 م (9) (الشكل 32-33) .

ويرى بعض المؤرخين ، ان الفنيقين هم الذين استوردوا هذا النوع من الشرق (آسيا الصغرى و سوريا) (10) ، وهو ما يوضحه توزيعه الجغرافي في بلاد البربر ؛ فقسما كبيرا منه ينتشر على الخصوص في المناطق الداخلية الشرقية التي خضعت للهيمنة القرطاجية المباشرة ، والسواحل

الشمالية من طرابلس الى اقصى غرب الجزائر ، وهي المواقع التي عاشت ايضا في كنف التأثيرات الفنيقية قرون طويلة .

ومما تجدر الإشارة اليه ، انه لاتوجد أي اشارة الى هذه المعالم في المصادر القديمة ، كما ان دورها الجنائزي لم يُعرف الا بفضل الدراسات الأثرية التي اجريت خلال الوجود الفرنسي وبعد الإستقلال ؛ لقد اهتم بدراستها العديد من الباحثين الأروبين (11) ، حيث تعرضوا الى تحليل مختلف عناصرها الهندسية وحاولوا اعادة تشكيل بعضها وتأريخها اعتمادا على دراسة المواد المتساقطة منها والأثاث الجنائزي المكتشف . ففي بداية الستينات و السبعينات ، قام كل من الفرنسي فيومو Vuillemot والمهندس الألماني راكوب بأبحاث آثرية جادة في اضرحة كل من : الخروب ، صبراته ، سيغا ودوقة ، مكنت من الكشف عن حقائق جديدة تتعلق بشكلهم الهندسي الأصلي وقبوهم الجنائزي .

﴿ ضريــح الملك مـاسيـنيـسا ﴾

الملقب بصومعة الخروب

1 ـــ الموقع والحفريات :

يرتفع الضريح فوق هضبة صخرية غير مرتفعة ، تشرف على العاصمة سيرتا ومدينة الخروب (الصورة 66) ، تبعد عن الأولى بـ 14 كلم جنوب شرق ، والثانية بـــ 3 كلم غرباً ، و يحدها من الشرق جبل عبدالله . أشار اليها لأول مرة الفرنسيان تومبل وفابل ، سنة 1838 (12) ، ثم بربروجير سنة 1843 (13) ، لتستكشف فيما بعد من طرف بعض العلماء الآثريين (14) ، وهذا قبل الشروع في اولى الحفريات بها سنة 1861 .

يبلغ ارتفاعها الحالي 6 امتار ، وحسب شهادة بعض الباحثين ، كان الضريح لازال حتى بداية القرن العشرين محافظا على الطابق الأول الذي يعلو القاعدة (15) ، وفي هذا الشأن يرى بعض الباحثين ان سقوط هذا الأخير يرجع الى زلزال عنيف (16) ضرب المنطقة في مطلع القرن العشرين ، وهناك من يرى في طريقة بناء نواته المركزية سببا رئيسيا في سقوط قسمه العلوي ؛ اذ يعتقد هؤلاء ان حشو القاعدة كان يتشكل من كتل حجرية فضة وضعت دون ربط مع المداميك العليا (17).

يتضح من خلال الصور التي أُخذت عنه في النصف الثاني من القرن 19 وبداية القرن 20 ، ان المواد المتساقطة منه كانت تشكل ركاما كبيرا يغمر

قاعدته ومحيطه ويحجب رؤيته ، ورغم ذلك لم يبق اليوم من هذه الأنقاض الا عدد قليل (الصورة 67) ؛ فقد أستعمل هذا المعلم لمدة طويلة كمحجرة من طرف السكان المجاورين ، لبناء منازلهم ومقبرتهم التي لاتبعد عن الضريح الابـــ 50م (18) .

اولى الحفريات التي جرت في الصومعة كانت في سنة 1861 ، قامت بها الجمعية الأثرية لقسنطينة (19) ، وكان الغرض منها اكتشاف مدفنه القبوي وشكله الهندسي الأصلي ؛ لقد توصلت هذه الأبحاث الى كشف جزء من الغرفة الجنائزية المهيئة اسفل اساس البناء ، والتعرف من المواد المتراكمة على العديد من العناصر الهندسية مثل : جذوع الأعمدة ، قاعدتهم ، تيجانهم ، النتوءات وقطع سقف مزين (الصورة 68) .

وفي سنتي 1915-1916 ، قامت مصلحة المعالم التاريخية للجزائر بحفريات هامة في الصومعة (20) ، تمكنت على اثرها من كشف الغرفة الجنائزية واستخراج اثاث جنائزي هام ومتنوع في حالة حفظ لابأس بها ، تم وضعه في متحف قسنطينة (21) . فقد تطلب البحث عن المدفن الأرضي ازالة كل احجار قاعدته الحالية ، ثم اعيد بناؤه من جديد مابين سنوات 1930 -1932 بإستعمال مواد بناء حديثة ، تحت اشراف مهندس المعالم التاريخية بونال (الصورة 69) .

2 ـــ الوصف :

أ) ـــ الشكل الخارجي :

نلاحظ من خلال ماتبقى من طابقه السفلي ، ان الضريح بني بالحجارة الكبيرة المنحوتة اذ يتعدى طولها احيانا المترين ، وضعت دون ملاط ، وتغطي جدرانه نواة مشكلة من احجار قليلة التربيع (22) . يبلغ طول قاعدته المربعة 8,40م وعلوها 2,35م ، يعلوها ثلاثة مدرجات ، وفوق هذه الأخيرة اقيمت دكة اخرى مربعة غائرة عن الأولى ، ارتفاعها 1,70م ؛ تتكون من 4 مداميك ، الأولى والثالثة ملساء بينما زينت الثانية والرابعة بنتوءات ، كما تنتهي بطنف ذو تجويف مصري (الصورة 70) . وفي القسم العلوي ينتصب بقايا بناء مربع الزوايا ، يتكون من اربعة كتل على شكل اعمدة تشغل مساحة مربعة يصل طول احدى جوانبها 5,55م ، ومزينة في كل واجهاتها بدرقات ناتئة Bouclier تشبه درع كروي (الصورة 69) . يعتقد غزال ان هذه المرتفعات لاتمثل عضادة طاق Piedroit ، بما انه لم يعثر من بين الأنقاض على اية قطعة منه ، وبالتالي فهي تشكل حسب رأيه اطار لأربعة ابواب وهمية لم يبق منها الا بعض البقايا (23) .

ب) ـــ المدفن الأرضي :

يدل موقعه انه بني قبل بناء الطوابق العلوية ، فقد هيئ اسفل اساس المعلم في محوره المنصف بحوالي 0,60م وعلى عمق 1,50م تحت سطح الأرض ، طوله 2م وعرضه 1م وارتفاعه 0,99م ، مبني بالحجر المنحوت . أرضيته مبلطة فقط في الزاوية شمال-غرب ومغطى ببلاطة سمكها 0,40م

. وفوق هذه الأخيرة هيئ قبو آخر ضيق على شكل طاق مقبب ، طوله [24] 2,70م وعرضه 1,30م يتكون من 09 عقود حجرية Clavaux [25] ، وفي اعلى هذا القبو واسفل نواة القاعدة اقيم فضاء ضيق يبلغ طوله 2م ، عرضه 1م وارتفاعه لايتجاوز 0,50م ، من المحتمل جدا انه استخدم لتفادي ثقل البناء وذلك بجعله يرتكز على كليتي الطاق المثبتة بالأحجار [26] (الشكل 37) .

3 ـــ الأثاث الجنائزي :

على عكس الأضرحة الأخرى ، يزخر ضريح الخروب بأثاث جنائزي متعدد ومتنوع أُكتشف لأول مرة خلال حفريات 1915-1916 ، بعضه في حالة جيدة والبعض الأخر متضرر [27] ، ويتكون في غالب الأحيان من أسلحة دفاعية وهجومية ، زينة متنوعة ، جرار Amphores واواني فضية .

بداخل الغرفة الجنائزية عُثرعلى 7 جرات [28] ، اثنان منهم وجدتا مملوءة بمياه الأمطار المتسربة (الشكل 38) [29] في الجهة الجنوبية الشرقية من الغرفة ، في حالة حفظ جيدة ووضعية واقفة ، وفي الجهة الجنوبية الغربية وجدت 5 جرات ، واحدة منهم محفوظة ، في وضعية جالسة احتوت بداخلها على عظام نصف محروقة ، واربعة آخرين لم يبق منهم الا الشظايا [30]

وفي القبو العلوي الشبيه بالطاق ، عثر على جرتين مكسرتين في وضعية جالسة تحتوي بداخلهما رماد ممزوج بالتراب ، كما اكتشفت بقايا رماح وحراب مغروسة عموديا في فواصل البلاطات [31] .

وفي الزاوية الشمالية من القبو الأرضي ، تمتد بلاطة ترتفع بحوالي 0,20 م على سطح الأرض ، طولها 0,99م وعرضها 0,67م، ، وُضع عليها الأثاث التالي [32] :

- سترة او بذلة ، قسم منها معدني (فلزي) والقسم الآخر من الجلد او القماش .
- عدة شظايا تشكل خوذة تحمي الرأس والعنق والكتفين ، صنعت من صفائح الحديد المطروق .
- سيف طوله 0,65م ، كان بداخل هادن Foureau مصنوع من شجر الأرز ومغلف في جهته العلوية بقطع من المعدن والذهب والنحاس .
- خنجر او سيف قصير ، رماح وحراب .
- بقايا بوق (صور) من فضة تحمل زخارف ناتئة .
- ميدالية برونزية عليها صورة نبتون اله البحر جالس وفي ركبتيه جلد اسد ، كما يحمل شوكة ثلاثية ــ رمز الإله ــ في يده اليسرى وقوقعة بحرية في يده اليمنى .
- اربع ميداليات اخرى ، اثنان لم يبق منهما الا محيطهما والبقية في حالة حفظ ، حيث تمثل رسوماتها رؤوس آيل ولبوءة
- طست او مزهرية كبيرة من فضة ، قطرها 0,27م مملوءة بعظام نصف محروقة . تكسرت أثناء اكتشافها من شدة تأكسدها .
- مبخرة ــ عطرية من فضة .
- عدة قطع يُعتقد انها بقايا : مرآة ، يد آداة ، حلقة عنق ، ابريق من فضة ، مخرز ومثقب .

4 ــ الشعائر الجنائزية :

لقد تبين من دراسة الأثاث الجنائزي ، ان نوعين من شعائر الدفن قد مورسا في آن واحد في الصومعة : الحرق الجزئي في الطست الفضي وجرة

طينية ، الذي يُعد احدى الطرق لتجريد الجثة من اللحم (33) ، والحرق الكامل في الجرار الطينية الأخرى (34) .

يرى بعض الباحثين ان عادة الحرق ، عرفها النوميديون الشرقيون في فترة متأخرة بواسطة الأرستقراطية الفنيقية ، والتي نقلتها هي بدورها عن الإغريق ابتداء من القرن الخامس ق. م (35) . غير ان الإكتشافات الأثرية في المغرب ، اثبتت قدمها عند النوميدين الغربين والموريين (36) وبالتالي من المحتمل جدا انها استعملت في نوميديا الشرقية منذ القرن الرابع تحت تأثير المغاربة الغربيون .

بماذا نفسر وجود نوعان من المرمدات ، احدهما فضي والأخر طيني ؟

ربما جاء ذلك استجابة لرغبة رجال الدين في التمييز بين الطبقات الإجتماعية المختلفة في المجتمع النوميدي ، بين الأسرة المالكة والرعية ؟ فمثل هذا الشعار الجنائزي تجسد بوضوح في جثوة سيدي سليمان بالمغرب الأقصى ؛ فقد عُثر بداخلها الى جانب هيكلين عظميين في الغرفة الجنائزية ، على هيكلين آخريين ، احدهما يمتد في الرواق والآخر في فناء القبر ، مشكلا حاجزا امام الغرفة . ويُعتقد انهما يمثلان خدما قد وهبا انفسهما كقرابين لحراسة غرفة سيديهما (37) .

وبداخل القبو الصغير ، لوحظ وجود رماح وحراب تم غرسها عموديا في فواصل البلاطات . ان مثل هذه الوضعية تسمح بتصور شعار ديني يكون قد تزامن ومراسيم دفن الميت ، ربما قد يمثل طريقة من الطرق للتعبير عن قوة شخصية المدفون وبطولاته الحربية ؟

الى جانب هذا ، وجدت الجرار التسعة مقسمة الى ثلاثة مجموعات ، وموزعة على ثلاثة جهات : اثنان في الجهة الجنوبية الشرقية من الغرفة ، خمسة في الركن الجنوبي الغربي واثنان في القبو المقبب العلوي . من

الصعب جدا تفسير ذلك ، لكن لا يُستبعد ان يكون هذا التوزيع قد جاء استجابة لعادات دينية نجهلها ، ربما تكون لها علاقة بالعالم الآخر ؟

لقد كشف الأثاث الجنائزي من جهة اخرى ، عن اتباع شعائر دينية اكثر وضوحا تتعلق خاصة بمظاهر الإيمان بالحياة بعد الموت ، ويتجلى ذلك اساسا في :

- تسليح الميت بأنواع عديدة من الأسلحة الهجومية والدفاعية .
- تجهيزيه بإحتياجات سحرية ومادية ضرورية بالنسبة لحياته الأخروية مثل : السترة ، المبخرة الفضية ، المرآة ، الإبريق الفضي والمخرز (38) .

5 ـــ إعادة تشكيل الضريح (Reconstitution) :

في جوان من سنة 1974 ، اقترحت البعثة الألمانية تحت ادارة المهندس راكوب ، على الوزارة المعنية وبالتنسيق مع مصالح حماية الآثار بالجزائر المشروع التالي (39) :

- اعادة بناء الضريح .
- تهيئة واصلاح الطريق الرابط بين مدينة الخروب والمعلم .
- ترميم الأثاث الجنائزي المتضرر .

يبدو ان هذا الإقتراح وبسبب عدة عوامل باء للأسف بالفشل ؛ وكان بالإمكان لو تم ذلك التعرف على الشكل الهندسي الحقيقي للضريح ، واعادة الإعتبار لهذا المعلم الذي عانى طويلا من تقلبات الدهر وتخريب الإنسان . الى جانب هذا كانت ستسمح عملية ترميم الأثاث المكتشف بالتعرف عليه ، والوصول الى حقائق هامة تتعلق بتأريخ الصومعة .

على الرغم من هذا ، قام المهندس المعماري راكوب بمحاولة اعادة تشكيل البناء اعتمادا على مقارنته بالمعالم البرجية الأخرى المشابهة له ،

واحصاء وترتيب مختلف العناصر الهندسية المنتشرة حوله والمقدر عددها بـــ262 قطعة ، اهمها عشرون مقطعا (الصورة 71) ؛ وبعد تسجيلها وترقيمها ورسمها ، توصل الى ان ارتفاع الضريح الكلي قد يصل في الأصل الى 30م (الصورة 72) ، ويمكن ان نميز فيه ثلاثة طوابق رئيسية (40) (الشكل 37) هي :

- قاعدة مربعة تحمل ثلاثة مدرجات ، تعلوها منصة مربعة مزينة بكورنيش ذو طنف مصري ؛ وفوق هذه الأخيرة ترتفع اربعة كتل مزينة بدروع دائرية ناتئة ، تشكل اطار لأربعة ابواب وهمية (41) .
- دكة ثانية تحمل شرفة صغيرة تحيط بها 12 عمودا (42) ، علوها 4,09 ، قاعدتهم مضلعة الزوايا وتيجانهم ذات طراز دوري . ويعلو التاج نضد بناء يتكون من جائز الأعمدة ، افريز وكورنيش ذو تجويف مصري ، وفوق هذه الأخيرة تبرز على الواجهات الأربعة للمعلم لوحة الجبهة Tympan .
- في قمة النضد تعلو قاعدة ، قد تحمل هرما مدبب مثمن الأضلاع علوه قد يصل الى 09 امتار .

يبدو ان الباحث غير متأكد ان كانت قمة المعلم تنتهي بهرم مدبب او دكة ، كما اعتقد ذلك رافوازي (43) (الشكل 37) ، غير ان غزال ينفي وجود هذا او ذاك ، ويرى انها تنتهي بمصطبة تحمل فوقها اما مجموعة من التماثيل (44) او شكل زخرفي كبير .

6 ـــ تأريخ الضريح :

لقد اظهر الأثاث الجنائزي المكتشف ، ان ضريح الخروب يشكل قبرا وليس معلما تذكاريا مثلما كان متصورا من قبل (45) ، غير ان الإشكال المطروح هو : **متى ومن اجل من بني هذا الضريح ؟**

يبدو من الصعب جدا تحديد ذلك فنحن لانجد اية اشارة لهذا المعلم في النصوص القديمة او الوسيطة ، كما لم يُعثر الى جانب الأثاث المكتشف على اية كتابة او نقش سواء على جدران الغرفة او على الميداليات ؛ وحتى قطع الأسلحة العديدة لم تصلنا الى النتائج المرجوة بسبب اتلاف قشرتها وتأكسدها .

لكن على الرغم من هذا سنحاول تأريخه اعتمادا على مايلي :

- دراسة عناصره الهندسية .
- مقارنة شكله الهندسي بالأضرحة البرجية الأخرى التي خضعت هي ايضا للتأثير الهلنستي ـــ الفنيقي.
- الأثاث الذي لازال في حالة حفظ .

أ) ـــ الشكل الهندسي :

يرى بعض الباحثين ، ان هندسة ضريح الخروب مستوحاة من الفن الإغريقي الصقلي (46) ، والبعض الآخر يعتبرها مزيج من العناصر الهندسية والزخرفية الفنيقية ـــ الإغريقية (47) ، التي لم تكن شائعة الإستعمال في بلاد المغرب فحسب بل في كامل حوض البحر المتوسط ، وهي المنطقة التي عاشت ردحا من الزمن تحت التأثيرات هاتين الحضارتين .

ويتجلى **التأثير الهلنستي** في الصومعة فيمايلي :

اعمدة وتيجان دورية (الشكل 37) كانت سائدة في العالم المتوسطي في القرون الثلاثة الأخيرة ق.م ، لاسيما في صقيلية (48) ، اما الشرفة التي تحيط بها الأعمدة فيبدو انها كانت معروفة حسب غزال في المعالم ذات التاثير الإغريقي مثل : ضريح هاليكارناس المشيد في منتصف القرن الرابع ق.م ، ضريح ميلاسا في آسيا الصغرى ، وقبر الجوليين بسان ريمي دو بروفنسال (49) .

- الزخارف الناتئة التي تزين القاعدة السفلى ، وافريز الطابق العلوي .

اما **التأثير الفنيقي** فيمكن استخراجه من العناصر التالية :

- جبهات البناء التي استعملها الفنيقيون بكثرة في اواخر العهد القرطاجي .
- التجويفة او الطنف المصري الشائع عند القرطاجيين (50) (الشكل 06) .

يبدو ان التأثير الأجنبي لم يقتصر على ضريح الخروب فحسب ، بل شمل تقريبا جل الأضرحة البرجية المنتشرة في شمال المغرب مثل : دوقة (51) ، صبراتة (52) وسيغا ؛ ويعود ذلك دون شك الى احتكاك العمارة المحلية بالفن الشرقي .

الى جانب هذا ، لاحظ بعض الباحثين ان هذا الخليط الهندسي الإغريقي _الفنيقي ، قد ساد في الأزمنة الأخيرة لقرطاجة ، وعليه من المحتمل جدا ان يكون الحكام المغاربة في تلك الفترة اوبعدها امثال : صيفاقس ، ماسينيسا ومكيبسا قد تذوقوا هذا الفن ، ولعل ما يشهد على ذلك هو : كثرة النقوش الفنيقية المكتشفة في سيرتا (53) ، وماذكره سترابون من ان الحضارة الهلنستية دخلت سيرتا بشكل مباشر وان مستعمرة اغريقية كانت تحت حكم مكيبسا في النصف الثاني من القرن الثاني ق. م (54) .

ان معلما كهذا يتميز بإنسجام بين عناصره الهندسية الرائعة ، لايمكن ان يكون شيد الا لملك من الملوك النوميديين الذين عاصروا نهاية الوجود القرطاجي بالمغرب ؛ من المحتمل جدا ان يكون من اجل ماسينيسا او ابنه مكيبسا (55) . لقد فضل هؤلاء ان تكون غرفتهم الجنائزية عبارة عن مدفن ارضي على شاكلة القبور المحلية القديمة ، يعلوها بناء مرتفع على نمط الأضرحة البرجية المعاصره له سواء في المغرب او حوض البحر المتوسط

اعتقد بعض الباحثين ، ان ضريح الخروب صمم وشيد من طرف مهندس إغريقي الأصل ولد في صقيلية ، او مهندس قرطاجي متأثر بالفن الهلنستي (56) ، ويعللون ذلك بتأثر العمارة الجنائزية المحلية بهذا الفن الشائع الإستعمال في حوض المتوسط في القرون الأخيرة ق. م .

لقد ذكرنا سالفا ان التأثير الهلنستي ـــــ الفنيقي ـــــ المصري ، لم يقتصر على ضريح الخروب وحده بل شمل ايضا الأضرحة الأخرى ، كسيغا ، صبرا تة ودوقة (الصورة 73) ؛ فهذا الأخير يحمل بصمات واضحة عن الهندسة المستوحاة من هذا الفن ، تتجلى اساسا في : في المزج بين الأعمدة والتيجان الأيولية والأيونية ، الكورنيش المصرية والقمة الهرمية والتماثيل الزخرفية . ومع ذلك فمهندسوه وحتى بناته يظهر انهم نوميدي الأصل ، كما يشهد عليه النص الليبي ـــــ الفنيقي المنقوش على الجدار الشرقي للمعلم ، الذي يشير الى اهداء هذا المعلم الجنائزي الى آتيبان (الشكل 37) ؛ يذكر هذا النقش (57) اسماء اعضاء ورشة البناء (58) .

لقد تبين من دراستها ، ان معظمها اسماء ليبية الأصل (59) ولاتمت باي صلة الى الأعلام الإغريقيين او القرطاجيين ، واستنادا الى هذا نستنتج انه اذا كان ضريح آتيبان في دوقة صمم وشيد من طرف مهندسين وبنائين نوميديين ، فمن غير المستبعد ان يكون ضريح الخروب قد بني هو الآخر من طرف

مهندسين سيرتين تعلموا ودرسوا فنون الهندسة المعمارية الشائعة في تلك الفترة . ويدعم اكثر هذه الفرضية بعض المعطيات التالية :

- تشابه شكلهما الخارجي ؛ فكلاهما له تصميم مربع يعلوه ثلاثة طوابق تنتهي بقمة هرمية (الصورة 73) .
- شيدا تقريبا في نفس الفترة ، أي حوالي منتصف القرن الثاني ق. م .
- قربهما من بعضهما البعض ووقوعهما ضمن الإطار الجغرافي لمملكة ماصيليا .

ان كلاهما شيدا حسب اغلب الباحثين من اجل الملكين ماسينيسا او مكيبسا

ب) ـــ الأثاث الجنائزي :

اذا تأملنا في طبيعة الأثاث الجنائزي المكتشف ، يتبين لنا ان الشخصية المدفونة في الضريح تمثل زعيما كانت له دون شك مكانة مرموقة في مجتمعه ، و فارسا بطلا يتميز بكفاءات عالية في القتال ، كما يملك اسلحة صنعت خصيصا له . فقد عُثر بداخله على اسلحة وعتاد متنوع : سيف مغلف في قبضته بالمعدن والذهب والنحاس، رماح ، حراب ، خنجر ، بوق من فضة وخوذة من معدن ، كانتا تستعمل دون شك أثناء الحرب . في اعتقادي ان مثل هذا العتاد والأسلحة الخاصة ، لا يمكن ان تكون الا لقائد و فارس نوميدي مغوار تكلل بالعديد من الإنتصارات العسكرية ، وهو ماتشهد عليه المداليات التي رافقته في قبره . كما ان كثرة الأواني الفضية توحي كذلك ان هذه الشخصية تنحدر من عائلة ثرية .

لقد عُرف على ماسنيسا من خلال المصادر القديمة بالقوة والشجاعة و البسالة في الحرب ، حيث حارب في اسبانيا وافريقيا ضد الرومان ، ولعب

دورا حاسما في انهزام قرطاجة في معركة زاما سنة 203 ق. م ، كما استطاع ان يهزم صفاقس ويسترجع عرش مملكته ويبسط نفوذه على معظم بلاد المغرب سنوات قبل سقوط قرطاجة سنة 146 ق. م .

لقد وُجد بداخل بعض الجرات على عظام نصف محروقة ورماد ، وعُثر على طست كبير من فضة مملؤ بالعظام المحروقة ، وفي هذا الصدد يذكر تيبيني Thepénnier (60) الذي درس الأثاث المكتشف في متحف قسنطينة ، انه استطاع التعرف من بين هذه العظام على قطع عظمية طويلة تمثل الأعضاء العليا والسفلى من جسم الإنسان ، عظام الجوانب وفقريات .

ان وجود طست من فضة وسط جرات مصنوعة من الطين المشوي يطرح اكثر من استفهام . من المحتمل جدا ان تكون رفاة الزعيم النوميدي المحروقة قد وريت في الآنية الفضية ، وبجوارها وضعت جرات تحمل رماد ورفات اشخاص من مناصريه او اقربائه وهبوا انفسهم كقرابين للزعيم او الآلهة التي يعبدها .

اذا كان بعض الباحثين ، يرى ان الضريح بني في منتصف القرن الثاني ق. م أي في عهد ماسينيسا (61) ، فالبعض الأخر ينسبه بتحفظ الى مكيبسا (149 ــ 118 ق.م) (62) ، غير انه استنادا الى المعطيات السابقة أرجح ان يكون الضريح شيد من اجل الملك ماسينيسا (203-148 ق.م) الذي دام حكمه 50 سنة ، واتخذ سيرتا القريبة عاصمة له (الصورة 74) . ومما يدعم اكثر هذا الرأي هو عدم وجود غرفة جنائزية سفلى بضريح دوقة (63) المؤرخ في منتصف القرن الثاني ق.م ، الذي يعتبره بعض الباحثين معلما تذكاريا شيد على شرف ماسينيسا ، عشر سنوات من بعد وفاته من طرف ابنه مكيبسا (64) .

اما عن كونه ضريح مكيبسا ، فأعتقد ان هناك مؤشرات تجعلنا نستبعد ذلك ؛ فتاريخ هذا الآخير لم يكن حافلا بالبطولات والإنتصارات العسكرية ، كما لم يُعرف عنه ايضا المزايا والخصال التي اتصف بها ابيه ماسينيسا ، وهو ما يتنافى في نظري مع وجود اثاث حربي خاص لا يمكن ان تختص به في الواقع الا شخصية قوية كماسينيسا . اما احفاد هذا الأخير ، فنحن نعلم ان يوغرطة قد مات اسيرا في سجن روما سنة في سنة 104ق. م ، وابنا عمه هيمصال وآذر بعل ، قد قتلا من طرف منافسهم أثناء الصراع النوميدي على العرش .

﴿ ضريح عائلة الملك صيفاقس ﴾

1 ـــ الموقع :

يقع الضريح بسيغا على الضفة اليمنى لوادي تافنة (الخريطة 10) ، على بعد 4 كلم من مصب الوادي وحوالي 1 كلم شمال شرق دائرة بني رنان ، و13 كلم غرب بني صاف . يعلو احدى قمم جبل سخونة [65] (الصورة 13) على ارتفاع 221م فوق سطح البحر (الصورة 75) ، و يشرف على افاق واسعة منها : وادي التافنة ، وموقع سيغا القديم غربا والبحر وجزيرة رشقون وخليجها شمالا ، وجنوبا حاجز جبال تلمسان ، وشرقا سبا الشيوخ .

بني هذا المعلم بالحجر المنحوت ، من النوع الكلسي اللين المسامي ، واستعمل لربط الحجارة إسمنت وملاط متكون من الجير و البزولان البركاني [66] والرماد [67].

يتشكل جبلي سخونة وسيغا من طبقات صخرية يغلب عليها النوع البركاني او البزولاني ، وهو ما سمح بتوفر المادة الخام للبناء . الى جانب هذا هناك محجران آخران غنيان بالحجر الكلسي ، احدهما يقع في الهضبة القريبة من بني رنان ، والآخر قريب من المنطقة المسماة حجرة القط الغنية بمادة الجص والجبس ، اما الرماد البركاني فقد استخرج من الأرضية التي تشكل اساس المعلم [68] .

2 ـــ التسمية والأصول الهندسية :

لقد ارتبط ضريح سيغا منذ مطلع القرن العشرين بعادة محلية شائعة في المنطقة ، فآهالي البلاد يلقبونه بكركورالعرايس (69) ، حيث جرت العادة ان يقوم الزوجان في يوم الزفاف بالدوران حول الضريح عدة مرات ، الغرض منه ضمان الوفاء والإخلاص بينهما . غير انه وبسبب عدة عوامل لم تعد هذه العادة تمارس من طرف الآهالي .

ينتمي معلم سيغا الى النوع الثاني من الأضرحة البرجية ذات التأثير الهلنسي ـ الفنيقي ، وهي التي تنفرد بتصميم سداسي الزوايا وجوانب تتعاقب في الإنحناء والإستقامة ، اقدمها ضريح هونشير بورغو بتونس (70) (الصورة 76 ، 77) المؤرخ في نهاية القرن III ، وضريح صبراته (71) (B) في ليبيا المؤرخ في القرن III أو II ق.م (72) . يستوحي هذا الأخير الذي يشبه كثيرا ضريح سيغا (73) ، هندسته من مزيج من الفن المعماري الهلنسي ـــ الإسكندري المتمثل في : اعمدة وتيجان أيونية ، ركن جداري ناتىء ، قمة هرمية ، والفن الفنيقي المتميز بتكثيف عناصر زخرفته : كالتماثيل ـ فتيان واسود ـ سماكة الأعمدة الأيونية ، وتثقيل نضد البناء فوق الأبواب الوهمية (74) (الشكل 39) .

3 ـــ انتهاك وتهديم الضريح :

لم يبق من المعلم اليوم الا قسمه السفلي الذي يبلغ علوه 4 امتار ، اما قبوه الأرضي فيبدو انه تعرض الى انتهاك وتهديم متعمد ين منذ زمن بعيد ، حيث لاحظ فيمو Vuillemot أثناء حفرياته سنتي 1960-1961 آثار

تضرر كبير مس الحجارة المتناثرة حوله من شدة قوة التحطيم (75) ، وكذلك ضربات المعول في عدة جهات من المعلم .

الى جانب هذا عثر على عدة احجار تحمل العديد من الأشكال الهندسية في وسط الركام لازالت في حالة جيدة ، مما يدل على ان المعلم تعرض للتهديم ولم يمر على تشيده فترة طويلة (76) .

أثناء زيارتنا للموقع ، لم نتمكن من تحديد ما لاحظه فومي ، ذلك ان حجارة المعلم وحتى المتساقطة منه تبدو متضررة اكثر من قسوة الطبيعة ، فوقوعه في قمة جبلية مرتفعة قريبة من البحر جعله اكثر عرضة لمظاهر الحت وفعل المياه والرياح . اذا كان فيمو يرى ان الضريح تم تحطيمه أثناء غزوات ماسينيسا لمملكة ماصيصيليا (77) بعد معركة زاما سنة 203 ق.م ، فالراجح ان يكون هدم أثناء تحطيم سيغا العاصمة ،(الصورة 79)ويعزز اكثر هذا الرأي ما ذكره سترابون سنة 20 ق. م عن هذه المدينة حيث يقول : << هناك مدينة سيغا على بعد اقل من الف غلوة (78) من ملوية ...عاصمة صيفاقس وهي الآن مهدمة >> (79) غير انه لم يحدد تاريخ حدوث ذلك .

اننا لاندري بالضبط في أي فترة تم تحطيم هذه المدينة ، هل أثناء غزوات الماصيل في الغرب في النصف الأول من القرن II ق. م ؟ ام خلال نصفه الثاني ، أثناء حكم يوغرطة ؟ ام خلال حكم بوكوس الأول او الثاني في النصف الأول او الثاني من القرن الأول ق. م ؟ يصعب علينا الفصل في هذه المسألة . اذا كان سترابون قد اشار اليها كمدينة مهدمة في العشرينات من القرن الأول ق. م فالأرجح في نظري انها هُدمت في النصف الأول من القرن الأول ق. م إبان الحروب الأهلية الرومانية التي دارت رحاها في ارض المغرب : الأولى مابين سنتي 49 و 47 ق.م بين قيصر وبومبي ، والثانية في الفترة مابين 43 و 36 ق. م بين انصار اوكتافيوس وانطونيوس

؛ وقد شارك في هذه الحروب ايضا حكام بربر امثال : يوبا الأول ، آرابيون ، هيرباص ، بوغود وبوكوس الشاب .

يبدو ان اهميه سيغا التاريخية والإستراتيجية ، دفعت الولاة الرومان الى اعادة بنائها من جديد بدليل ذكرها سنة 70م كمدينة هامة ذات كثافة سكانية معتبرة Oppidum Syphacis Regia من طرف بلين القديم (80) . وفي القرن الثاني عرفت المدينة تحت حكم السيفريين نموا ملحوظا ، حيث تشير المصادر القديمة الى ادراجها ضمن خانة البلديات الرومانية (81) Municipium ، كما تم تزويدها ببعض المنشآت المدنية والدينية لاسيما حمامات كركلا والأنطونيين .

4 ـــ الدراسات والحفريات :

اولى واهم الحفريات (82) التي استهدفت دراسة هذا المعلم ، كانت من طرف الفرنسي فيمو مابين سنتي 1960-1961 ، وتتلخص اعماله فيمايلي (83) :

- رفع الأنقاض المتراكمة حول كتلة الضريح ، (الصورة 77) واخلاء القبو الأرضي من الأتربة والحصى التي غمرت قسما هاما منه نتيجة تحطيم بعض الأجزاء من التبليط العلوي والأبواب الزلاقة .
- بداخل القاعات ، قام بإستخراج اثاث مدفني متواضع (الشكل 40) .
- وصف الضريح ومحاولة اعادة تشكيله .
- دراسة الأثاث الجنائزي ووضع مخطط المدفن القبوي .

الى جانب هذه الأعمال ، قامت البعثة الألمانية مابين سنتي 1977 و 1979 وبالتنسيق مع مختصين جزائيين ، بحفريات منظمة في موقع سيفا القديم والضريح (84) (الخريطة 11) ؛ وفيما يتعلق بالمعلم تمكنت الفرقة الأثرية من التعرف اكثر على مخططه الهندسي الداخلي ، واعادة تشكيل مظهره العام اعتمادا على تصنيف ودراسة مختلف القطع الهندسية والزخرفية المتناثرة حول محيطه (85) (الشكل 41) .

5 ـــ الوصف :

أ) ـــ الشكل الخارجي :

بني الضريح فوق طبقة صخرية تتشكل من البازلت واللافا والتراب البركاني (86) ، وهي ارضية سميكة تبدو مناسبة لتشييد بناء شاهق على ارتفاع كبير فوق سطح البحر. يحيط بقاعدة المعلم ساحة مبلطة تشكل سقف المدفن الأرضي ، بنيت ببلاطات موضوعة بشكل متعرج سمكها يصل الى 0,30م.

يبلغ ارتفاع القسم المتبقي منه 4م ، حيث يتكون من ثلاثة مدرجات سفلى تعلوها قاعدة مشكلة من 8 مداميك ، طول محيطها 22,39م (الصورة 80) ، اذ يرسم مخططها شكل مثلث ذو واجهات مقعرة ومستقيمة طول كل واحدة منها 3,90م . يبدو ان شكله الهندسي هذا ، جعل فيمو يقول ان مخطط الضريح كان في الأصل مستدير وان حجم البناء هو الذي دفع المهندس الى تغير مخططه الدائري ، ليعطيه هذا الشكل حتى يخفف من ثقل البناء . الى جانب هذا يرى هذا الباحث ان تشابه تقنيات بنائه مع قبر تيبازة ، يسمح بإعتبار نموذجه كمرحلة انتقالية بين المعالم

الإسطوانية والمباني البرجية (87) . يظهر ان نظرية فيمو ليس لها مايدعمها ، فقد اثبتت الحفريات التي اجريت في سنوات السبعينات ان التصميم السداسي الزوايا ذو الجوانب المنحنية والمستقيمة ، لم ينفرد به ضريح سيغا فحسب ، بل استعمل مثله في ضريحي صبراتة A و B و هونشير بورغو ، وهو بهذا يعد نموذجا فنيا خاصا ، ونوع هندسي مستقل مثله مثل المخططات الهندسية الأخرى (الشكل 36) .

لقد سمحت ملاحظة ودراسة مختلف احجار ركامه ، من اعادة تشكيل الأقسام العلوية للضريح (88) الذي يُعتقد ان يصل ارتفاعه الى 30م (89) (الصورة 81) . ويتشكل البناء العام حسب راكوب من ثلاثة اقسام رئيسية (الشكل 42) هي :

- دكة ذات ثلاثة درجات ، تعلوها قاعدة مسدسة الزوايا لها ستة واجهات : ثلاثة مقعرة وثلاثة مستقيمة ، وتنتهي بكورنيش.
- يرتفع فوق القسم القاعدي طابق ثاني ، وفي كل واجهة من واجهاته المنحنية ينفتح باب وهمي مؤطر

بعمودين وتيجان على الطراز الإيوني ، يعلوه نضد بناء منتهي بكورنيش ذو حلق مصري (90) .

- بناء هرمي متعدد الأوجه يشكل قمة الضريح (91) ، وتماثيل زخرفية من المحتمل جدا انها كانت تزين القمة الهرمية (92)

ب) ــــ القبو الأرضي :

هيئ اسفل قاعدة المعلم ، ويشكل مخططه المعقد نموذجا فريدا ، حيث صمم تقريبا على شاكلة المخطط الهندسي الخارجي (93) ، أي مسدس ناقص ذو جهات اربعة فقط : اثنان مستقيمة واثنان منحنية ؛ فتناظر نظامه

Symétrie غير كامل ، بحيث يفتقد الى واجهتين اخريتين ، منحنية ومستقيمة في الجهة الشرقية والشمالية الشرقية ، ولايمكن ان يتناسق ويكتمل المخطط الداخلي الا بوجودهما (الشكل 36).

يمتد المدفن على طول 45م ، ويتكون من عشرة غرف (94) بعضها مستطيل والبعض الآخر مربع ، حيث تشكل سلسلة متتالية سقفها مقبب وارضيتها غير مبلطة (الشكل 36) ، ولها ارتفاع مشترك يقدر بـــ 2,60م وطولها يتراوح مابين 2,60م و 5,60م (95) ، اما عرضها فيتراوح ايضا مابين 1,95م و 2م . جدرانها وضعت مباشرة على الأرضية بدون اساس وبنيت بالحجر المنحوت يشد بعضه بعض بملاط يتشكل من الجير ، الكلس والرماد البركاني (96) .

تتوزع هذه القاعات على ثلاثة مجموعات يفصل بينهما اسوار سميكة (97) ، وعلى كل واحدة منها ينفتح باب ذو بلاطة مزلاقة ، وبإستثناء المجموعة الثالثة المكونة من غرفة واحدة تقع في اقصى الشمال ، فإن جميع القاعات المجموعة الأول والثانية تتصل فيما بينها بواسطة ممرات علوها 0,90م ومجهزة بمداخل ذات اقواس قوطية (98) .

6 ـــ الأثاث الجنائزي :

على خلاف ضريح الخروب ، لم يعثر في قبوه الأرضي الاعلى اثاث متواضع (99) يتشكل غالبيته من قطع فخارية بعضها مصنوع باليد والبعض الآخر مدولب ، تمثل في معظمها شظايا مرمدات بعضها يؤرخ الى القرن الثالث ق. م والبعض الآخر يؤرخ الى نهاية القرن الثاني ق. م (100) .

ويتمثل الأثاث المكتشف (101) في مايلي (انظر الشكل 40) :

◊ مصباح عربي مبرنق (الرقم 1) .

◊ عنق مصباح يشبه السندان صنع في القرن الثاني ق.م (الرقم 6) .
◊ عمق صحن اسباني ـ موركسي مبرنق (الرقم 2) .
◊ بقايا زجاج رقيق وقطعة من رصاص .
◊ شفرة سكين (الرقم 3) .
◊ كسر فخارية تمثل دنان Amphores يمكن تعريفها كالتالي :

ـــ جرات من نوع لومبوغليا Lamboglia تحت إشارة 1C (102) (الرقم 7 ـ 8 ـ 9) ، تؤرخ حسب فيمو الى نهاية القرن الثاني ق.م .

ـــ جرتان اخريتان تؤرخان الى نهاية القرن الثاني ق.م : الأولى من نوع لومبوغليا 4 ذات عمق منتفخ (الرقم 10) والثانية ذات عنق يشبه فتحة البوق (103) (الرقم 11) .

ـــ قطع من عنق احدى الجرات تحمل كتابة بونيقية غير كاملة باللون الأحمر (104) .

◊ جرتان صغيرتان كاملتان ، احداهما ذات بطن كروي (الرقم 4) شائعة الإستعمال في القرنين الثالث والثاني ق.م والأخرى منسلة (الرقم 5) تؤرخ الى القرن الثالث ق. م .

الى جانب هذا ، توصل فيمو بعد غربلة منظمة لكامل الأتربة التي كان يعج بها القبو الى اكتشاف شظايا عظام حيوانية وبشرية وجدت مبعثرة في العديد من القاعات ولاتحمل أي آثار للحرق (105) ؛ هي عبارة عن عظام طويلة ، فقريات وعظم الفخذ .

يبدو ان العثور على دنان طينية الى جانب عظام بشرية ، قد يجعلنا نعتقد على غرار صومعة الخروب ، في ممارسة نوعين من الدفن :

✧ **الحرق** : ربما وضعت بداخل بعض الجرات رماد الميت بعد حرقه ، ثم انحل في التراب بعد تكسيرها من طرف الناهبين .

✧ **تجريد الجثة من اللحم** : ربما جُردت جثة الميت من لحمها ووضعت بداخل الجرات ، وبعد انتهاك المعلم حطم الناهبون الجرار وعبثوا بما فيها، وهو ما يشهد عليه العظام المبعثرة في بعض القاعات . وبما ان هذه العظام لاتحمل أي آثار للحرق ، فمن المحتمل انها جردت بشكل طبيعي (106) . لاشيئ يثبت صحة هذا او ذاك .

7 ـــ تأريخ الضريح :

اغلب الباحثون يُنسبون هذا الضريح الى الملك فرمينا Vermina وعائلته ، الذي يكون قد حكم ما بين سنتي 201 و 191 ق.م على ما تبقى من مملكة ابيه صيفاقس بعد غزو ماسينيسا لماصيصيليا (107). يصعب علينا تصديق او نفي ذلك ، فتاريخ سيغا غير معروف خلال القرن الثاني ق.م ، كما ان المصادر القديمة لم تذكر الملوك او الأمراء الذين تعاقبوا على حكم نوميديا الغربية عقب انتهاء الحرب البونية الثانية ؛ أي في الفترة ما بين نهاية حكم فرمينا سنة 191 ق.م وبروز الخلاف النوميدي على العرش حوالي سنة 118 ق.م .

وتشير من جهة اخرى هذه المصادر ، الى مملكة ماصيصيليا كقوة كبيرة في المغرب في نهاية القرن الثالث ق.م تحت حكم صيفاقس(220 ـ 203 ق.م) ، حيث لعبت دورا بارزا أثناء الصراع الروماني ـ القرطاجي (108) . وبناء على هذا من المحتمل جدا ان يكون الضريح شيد في النصف الثاني من القرن الثالث ق.م ، أي في فترة قوة الماصيصيل ، ووجه خصيصا لدفن افراد العائلة الملكية التي كانت تقيم في العاصمة سيغا . ويعزز هذه الفرضية شيوع استعمال هذا النوع من الأضرحة ـ المسدسة الزوايا ـ في

تلك الفترة ، بدليل ان اضرحة صبراتة (A , B) وهونشير بورغو المشابهة له تؤرخ حسب بعض الباحثين الى القرنين الثالث والثاني ق.م .

كانت تقيم في العاصمة سيغا . ويعزز هذه الفرضية شيوع استعمال هذا النوع من الأضرحة ـ المسدسة الزوايا ـ في تلك الفترة ، بدليل ان اضرحة صبراتة (A , B) وهونشير بورغو المشابهة له تؤرخ حسب بعض الباحثين الى القرنين الثالث والثاني ق.م .

بالتأكيد لم يضم القبر رفاة الملك صيفاقس الذي توفي حسب تيت ليف اسيرا في المنفى بإيطاليا (109) ، لكنه يحتمل جدا ان يكون دفن فيه خلفاءه الوراثيين كفرمينا وعائلته ، و يشهد على ذلك تعدد قاعات القبو والعثور على عظام بشرية في بعضها .

من المحتمل ايضا ان حكام نوميديا الغربية استطاعوا مقاومة توسعات ماسينيسا في المناطق الغربية من مملكة ماصيصيليا ، وان هذا الأخير يكون قد اكتفى حتى العشريات الأخيرة من النصف الأول من القرن الثاني ق.م ، بالإستيلاء على الجهات الوسطى من الجزائر الحالية لينشغل في التوسع شرقا على حساب ممتلكات قرطاجة . وتبعا لهذه النظرية فإن موطن الماصيصيل الغربي ، لم يخضع نهائيا لسيطرة الملوك النوميديين الشرقيين بعد ماسينيسا الا في النصف الثاني من القرن الثاني ق.م ، ليصبح منذ نهاية هذا القرن الأخير تحت نفوذ مملكة بوكوس القديم الموسعة .

٧ ـــ مقارنة بين الأضرحة المستديرة ـ الهرمية والأضرحة البرجية

لقد سمحت دراسة المباني الجنائزية لفجر التاريخ والأضرحة الكبرى النوميدية والمورية ، بإستنتاج عدة ملاحظات تتعلق خاصة بالجانب المعماري السائد في العصور القديمة ، والتعرف اكثر فأكثر على العديد من الطقوس والعادات الجنائزية التي كانت شائعة عند البربر القدامى والمتأخرين

اتضح من خلال هذه الدراسة ، ان الأضرحة الكبرى تنتمي الى نوعين رئيسيين من المدافن ، احدهما محلي والآخر مستورد ، يختلفان من حيث الشكل العام ، المخطط الداخلي ، العناصر الهندسية والزخرفية ، العمر ، انواع الدفن والشعائر الدينية .

ج من حيث **المظهر الخارجي** ، يمكن ان نميز بين نوعين رئيسيين من الأضرحة الكبرى :

1. **<u>الأضرحة المستديرة ـ الهرمية</u>** : وتنقسم هي بدورها الى قسمين :

- **ذات قاعدة اسطوانية وجذع مخروطي مدرج** : كالمدغاسن ، قبر الرومية ، الغور وبلاد قيطون .
- **ذات قاعدة مربعة وتاج هرمي مدرج** : كالجدار .

2. **<u>الأضرحة البرجية</u>** : وهي كذلك تنقسم الى قسمين :

- **ذات تصميم مربع** : مثل : صومعة الخروب ، دوقة وأضرحة الفترة الرومانية (الجوف ، قصر آشنانا ، الروحاحا ، مكثر ، هونشير دورات بتونس و أضرحة غيرزة بطرابلس) .

• **ذات مخطط مسدس الزوايا مع جوانب منحنية ومستقيمة** : مثل : ضريحي صبراتة (A , B) ، هونشير بورغو وضريح سيغا .

ج من حيث **المخطط الداخلي والملحقات الخارجية** :

يختلف المخطط الداخلي من ضريح لآخر ، سواء اكان ذلك في النوع الأول او الثاني ؛ ففي **المجموعة المستديرة الهرمية** يمكن ان نميز بين ثلاثة مخططات رئيسية مختلفة . اذا كان المدغاسن يحتوي على مخطط عادي يتكون من رواق يقود الى غرفة مركزية ، فإن مخطط كل من : الضريح الموريطاني ، لجدار ، بلاد قيطون وتين هينان ، شهد تطورا واضحا نلمسه من خلال تعدد الغرف والأروقة ووجود مطافات تدور حول غرف مركزية .

نفس الأختلاف نلاحظه على مستوى الملحقات الخارجية ؛ فمن مبنى امامي شرق المدغاسن وقبر تيبازة وبلاد قيطون ، الى بناءات خارجية متنوعة في الأجدار : فناء ، اسوار التسييج ، معلم هرمي صغير ، احواض ، مذابح للتضحية ومنصة شرقية .

ينبغي الإشارة هنا ، ان هذا التنوع في المنشآت الداخلية والخارجية جاء دون شك استجابة لتطور مظاهر العبادة الجنائزية والشعائر الدينية عند البربر منذ فجر التاريخ والى غاية نهاية العهد القديم .

اما فيما يخص الأضرحة البرجية ، فقد امكن ملاحظة ثلاثة انواع من المخططات (110) :

* **الأول** : عبارة عن غرفة جنائزية مهيئة اسفل اساس البناء دون مدخل ، مثل صومعة الخروب وهونشير بورغو .

* **الثاني** : يتمثل في غرف خارجية مهيئة على مستوى الطابق الأول و الثاني مثل : اضرحة صبراتة ، دوقة ومكثر (111)

* **الثالث** : عبارة عن سلسلة من القاعات مهيئة اسفل قاعدة المعلم ترسم شكل مسدس غير كامل ، ويمثله ضريح سيغا .

ج من حيث **العناصر الهندسية والزخرفية** (112) :

يجدر بنا ان نشير ان الأضرحة البرجية تأثرت كثيرا بالهندسة المعمارية الشرقية ــــ اغريقية ، فنيقية ومصرية ــــ وتجسد هذا التأثير بوضوح في تبني عناصر هندسية وزخرفية شائعة الإستعمال في ذلك العصر في كامل حوض البحر المتوسط ، نذكر من بينها : الشكل البرجي والقمه الهرمية ، التيجان والأعمدة الأيونية والدورية ، الكورنيش ذو الحلق المصري ، الأبواب الوهمية ، التماثيل المتعددة ونضدالبناء على الطراز الفنيقي . الى جانب هذا سمحت دراسة هذه الأضرحة ومقارنتها بمعالم اخرى شبيهة بها ، من التعرف على ظاهرة فنية راجت في تلك الفترة ليس في بلاد البربر فحسب ، بل في معظم المناطق المتوسطية ، ويتعلق الأمر بالمزج بين العناصر الهندسية والزخرفية ؛ من دون شك كانت تعبر عن ذوق وفن ذلك العصر .

ففي الأضرحة الأسطوانية ــــ المخروطية ، يتميز هذا المظهر الفني بالإنسجام والتناسق بين الأشكال الهندسية المحلية والمستوردة (الهلنستية ــــ الفنيقية) :

◊ **المدغاسن** : بازينة محلية متطورة تكسوها اعمدة وتيجان على الطراز الدوري ، يعلوها نضد بناء على النمط الفنيقي مكون من جائز اعمدة وافريز ، وينتهي بكورنيش ذو حلق مصري .

◊ **الضريح الموريطاني** : بازينة محلية متطورة تكسوها اعمدة وتيجان ايونية وابواب وهمية ، تعلوها اشكال زخرفية متنوعة (113) .

◊ **ضريح بلاد قيطون** : بازينة محلية متطورة (114) تزينها من الخارج ابواب وهمية ، تعلوها اعمدة ذات تيجان ايونية .

◊ **لجدار** : بازينة محلية متطورة يعلوها تاج هرمي ، ربما مستوحى من الإهرامات المصرية او من بازينات فزان او يمثل شكل هندسي متطور عن البازينة ذات القاعدة المربعة والتاج المخروطي المدرج .

اما في **الأضرحة البرجية** ، فيتجلى هذا المزج الهندسي بوضوح اكثر :

- **في صومعة الخروب** : حيث نجد جنبا الى جنب ، اعمدة وتيجان دورية يعلوها نضد بناء فنيقي ، وشرفة على الطراز الإغريقي تحيط بها اعمدة وتيجان دورية يعلوها نضد بناء مشكل من افريز اغريقي وكورنيش ذو حلق مصري ، ولوحة جبهة فنيقية .
- **ضريح سيغا** : ابواب وهمية تؤطرها اعمدة وتيجان ايونية ، ويعلوها نضد بناء ينتهي بكورنيش ذو حلق مصري .
- **ضريح صبراتة (B)** : على غرار ضريح دوقة ، يتميز بكثافة عناصره الهندسية والزخرفية ؛ ففي وسط الطابق الأول نجد ابواب وهمية تؤطرها اعمدة دورية يعلوها نضد بناء فنيقي ثقيل ذو اشكال زخرفية متنوعة ، وفي اطرافه نجد اعمدة ايونية ثخينة على الطراز الفنيقي تعلوها تيجان ايونية ، افريز وكورنيش ذو حلق مصري . اما الطابق الثاني فيحمل

العديد من عناصر الزخرفة نذكر منها : عماد هلنستي ناتئ ذو زخرف وردي وإنساني ، كتيفة جدارية وتماثيل فتيان واسود على الطراز الفنيقي ـــ المصري الأسكندري .

- **ضريح دوقة** : في الطابق الأرضي نجد ركن جداري ناتئ يعلوه تاج ايولي مقوس ، وفي الطابق الثاني اعمدة ذات تيجان ايونية يعلوها كورنيش ذات حلق مصري ، وفي الطابق الثالث نجد ايضا ركن جداري ناتئ يعلوه كورنيش ذو حلق مصري .

الى جانب هذا ، تكثر في هذا الطابق عناصر زخرفية متنوعة تتمثل في : نحت ناتئ يمثل عربة تقودها اربعة احصنة يركبها شخصان ، وفي جانبيه توجد كتيفة جدارية تحمل تمثال فارس ، وعلى جوانب القمة الهرمية ينتصب تمثال فتيان مجنحان ، وفي القمة يربض تمثال اسد .

الجدول رقم (4)

مقارنة بين الأضرحة المستديرة ـ الهرمية والأضرحة البرجية .

التأثيرات المعمارية الأجنبية	البنيات الخارجية والداخلية المتطورة	انواعها	الأضرحة	الأشكال
اعمدة وتيجان ايونية . اعمدة وتيجان دورية. ابواب وهمية على الطراز الفنيقي . الكورنيش المصرية . التاج الهرمي ؟	الرواق المستدير بقبر تيبازة . الرواق المثمن الأضلاع ببلاد قيطون . الرواق المربع بالجدار (F) . القاعات والأروقة بالجدار (A-C-F) وابالیسة . الملحقات الشرقية بالجدار .	ـ ذات قاعدة اسطوانية وتاج مدرج : المدغاسن ـ قبر الرومية ـ بلاد قيطون ـ اباليسة ـ الغور . ـ ذات قاعدة مربعة وتاج هرمي مدرج : لجدار .	الأضرحة المستديرة الهرمية	الأشكال المحلية
اعمدة وتيجان ايونية ـ دورية ـ ايولية على الطراز الهلنستي . نضد بناء ـ ابواب وهمية ـ	المدفن القبوي بضريح سيغا . القاعات العلوية بأضرحة دوقة ، مكثر وصبراتة .	قاعدة ذات تصميم مربع : صومعة الخروب ـ مكثر ـ دوقة .	الأضرحة البرجية	الأشكال المستوردة

لوحة جبهة على الطراز الفنيقي . الكورنيش — تماثيل الأسود والفتيان المصرية .		قاعدة ذات مخطط سداسي الزوايا مع جوانب منحنية ومستقيمة بإنتظام : اضرحة سيغا — هونشير بورغو — صبراتة (A- . B)		

ج من حيث العمر :

ومما تجدر الإشارة اليه ، ان اغلب الأضرحة الكبرى شيدت في فترات زمنية مختلفة ؛ فإذا كان معظم المدافن البرجية قد بني في القرن الثالث والثاني ق.م ، فإن النوع الثاني بني على امتداد فترتين زمنيتين مختلفتين ، الأولى تمتد من نهاية القرن الرابع الى القرن الثاني ق.م ، حيث شيدت اضرحة المدغاسن وقبر الرومية ، والثانية مابين القرن الرابع م والقرن السابع م ، وتمثلها اضرحة : بلاد قيطون ، تين هينان بأباليسة ، لجدار والغور .

ويتبين من هذا ان الأضرحة البرجية وبعض الأضرحة الأسطوانية — المخروطية ، هي تقريبا وحدها التي تزامن بنائها في فترة واحدة ، بينما بنيت المعالم الأخرى في الفترة القديمة المتأخرة . الى جانب هذا يدل تزامن البناء الجنائزي المحلي مع المستورد ، على تفتح المهندسين البربر ومعرفتهم

بالفنون المعمارية الهندسية والزخرفية الشائعة في تلك الفترة ، و على تمسك هؤلاء بالتقاليد المحلية القديمة والرغبة في مزجها بالفن المستورد في قالب متناسق .

ج طرق الدفن والشعائر الجنائزية :

يبدو من الصعب جدا معرفة هذا ، ذلك ان معظمها انتهك منذ مدة طويلة ، كما تعرضت جلها للتخريب والتهديم ، لكن رغم ذلك هناك بعض المؤشرات قد تساعدنا في بناء بعض الفرضيات حول هذه المسالة .

أ) ــــ طرق الدفن :

الدفن العادي : ثبت استعماله في لجدار (B) بجبل لخضر ، لجدار V بجبل العروي وضريح تين هينان بأباليسة . اما فيما يخص لجدار الأخرى ، الغور وبلاد قيطون ، فيبدو ان هناك بعضالمعطيات تشير الى استعماله ، منها :

* ثبوت استعماله في المعالم الثلاثة المتأخرة المذكورة اعلاه .
* تشيدها في فترة متأخرة ، وهي الفترة التي شهدت شيوع استعمال الدفن العادي لاسيما بعد تغلغل المسيحية في بلاد البربر ابتداء من القرن الرابع م .
* تهيئة الغرفة الجنائزية بضريح الغور اسفل سطح الأرض وتشابهها بقبور المسلمين .

- **الحرق** : تأكدت ممارسة الحرق الكامل والجزئي في آن واحد في صومعة الخروب ، بينما توحي بعض المؤشرات الى استعماله في أضرحة المدغاسن ، قبر الرومية وسيغا ، منها :

* ضيق الغرفة المركزية في المدغاسن ، وثبوت استعمال الحرق في احدى الجثوات القريبة من الضريح .

* ضيق ممرات قبر الرومية ووجود ثلاث مشكاة في غرفته المركزية ، يحتمل ان وضعت بداخلها صناديق جنائزية .

* العثور على عظام آدمية مبعثرة في ضريح سيغا بجانب جرار يحتمل جدا انها استخدمت كمرمدات .

* اما في اضرحة دوقة ، صبراتة ومكثر ، فيصعب تحديد طبيعة الدفن الممارس فيهم ، نظرا لعدم توفرهم على قبو ارضي ، ووجود قاعات على مستوى الطوابق الأولى والثانية يصعب القول ان كانت استخدمت كغرف جنائزية ام لا.

ب) ـــ الشعائر الجنائزية :

لقد استعملت شعائر دينية عديدة ومتنوعة في الأضرحة المستديرة ــ الهرمية ، حيث ساعد على ذلك وجود مخططات داخلية ملاءمة : اروقة وغرف متعددة ، الأروقة المطافية وملحقات خارجية متنوعة ، كالمبنى الأمامي ، الفناء ، المعلم الصغير ، المنصة الشرقية ، الأحواض والمذابح . وقد امكن من خلال الدراسات الأثرية والتأمل في شكلها الهندسي ، من التعرف على عدة انواع من الشعائر الجنائزية بعضها مارسه البربر القدامى منذ الفترة المبكرة مثل : الأحمر الجنائزي ، تقديم القرابين والتضحيات ، وضعية الميت المنطوية والمنكمشة والتوجيه نحو الشرق ، والبعض الآخر ظهر خلال الفترة التاريخية القديمة والمتأخرة نتيجة تطور

المعتقدات الدينية والعبادة الجنائزية مثل : الطواف ، النوم بجوار القبور ، اراقة السوائل في الأحواض ، والوضعية الممددة .

اما فيما يتعلق بالأضرحة البرجية ، فيصعب معرفة ذلك لكونها تمثل نماذج مستوردة ، كما لاتتوفر على ملحقات خارجية وداخلية مناسبة ، الا ان هذا لايعني اطلاقا عدم وجود شعائر اخرى . ان تشابهها مع الأضرحة المتوسطية المعاصرة لها ، قد يحملنا على الإعتقاد في ممارسة شعائر دينية نجهلها ، تتناسب مع مظهرها الهندسي الخارجي ومخططها الداخلي .

لقد سمحت دراسة المعالم الجنائزية القديمة والأضرحة الكبرى ، من التعرف على ظاهرة اخرى برزت بوضوح عند البربر آلاوهي التشبث بتقاليد البناء والشعائر الجنائزية القديمة ؛ وقد تجسد هذا على الخصوص في استمرارية تشييد البازينات والجثوات القديمة الى فترة متأخرة في شكل نماذج كبيرة ومتطورة . كما لم يقتصر هذا التقليد على الجانب المعماري فحسب ، بل شمل ايضا العادات والشعائر الدينية .

لقد تأثرت الهندسة الجنائزية المحلية بالفن الهلنستي ــــ الفنيقي طوال القرون الثلاثة الأخيرة ق.م ، وهيمنت العمارة الرومانية والبيزنطية خلال خمسة قرون في ظل الإحتلال ، لكن على الرغم من هذا تجدد الطابع الجنائزي المحلي القديم في نهاية الفترة التاريخية القديمة ، بتشييد معالم تستوحي اصولها منه مثل : ضريح تين هينان ، لجدار والغور ؛ آلا يمكن تفسير هذا الوفاء للتقاليد القديمة بنفور البربر من ذوق العصر المتأخر ، الذي طغى عليه الطابع الروماني والبيزنطي ، وإبداء رغبتهم في احياء تراث محلي قديم ؟

هوامش الأضرحة البرجية والمقارنة

(1) Camps, G. Mausolées princiers... p. 52-53 ; Rakob, F. op. cit. p. 145 .

(2) Gsell, St. Les monuments antiques... p. 64 .

(3) عن ضريحي الجوف ومكثر . Cf. Rakob, F. op. cit. p. 168-170, fig. 106, 108 .

(4) هي عبارة عن رسومات تمثل أضرحة برجية ذات تصميم مربع يعلوها هرم ، نصادفها بكثرة في القبور الفنيقية بجبل مليزة المؤرخة الى القرن الثالث او الثاني ق. م . انظر : Cf. Cintas P. et Gobert, E. G. **Les tombeaux du Jbel Mléza**, dans Revue tunisienne, 1939, pp. 135-197 ; Deyrolle, **Haouanet de sidi Ali Djebali**, dans Bull. de la Soc. archéol. de Sousse, 1904, p. 86 ; Bonniart , F. **Sur qulques peintures rupestres des chambres sépulcrales creusées dans le roc en Tunisie septentrionale**, dans Bull. archéol. du Comité des Travaux historiques, 1928-1929, p. 299-304 ; Cintas, P. **Manuel d'archéologie punique**. vol. 2, 1976, p. 2, 3 ; Camps, G. **Nouvelles observations**... p. 516 ; Id., **Mausolées princiers**... p. 52 .

(5) Rakob, F. op. l., p. 145 ; Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 256 .

(6) Camps, G. Mausolées princiers... p. 52 ; Rakob, F. op. l., p. 145 ; Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 253 .

(7) Gsell, St..op. cit. p. 260 .

(8) غير انه طرأ عليه بعض التغيرات مست الجوانب الهندسية والزخرفية . حول اضرحة هذه الفترة انظر : Cagnat et Chabot. **Manuel d'Archéologie romaine**, I, fig. 185, n° 2 et 3 (p. 849) ; fig. 186, n° 1 (p. 351) .

(9) Cf. Rakob, F. op. l., p. 168-169 ; Saladin, B. A. C., 1906, p. 126-128 .

(10) Camps, G. Mausolées princiers... p. 54 ; Rakob, F. op. cit. p. 145 .

(11) وعلى رأسهم : فورنال Fournel ، ديلمار Delamare ، رفوازي Ravoisé ، غزال Gsell ، ديفيتا Di-Vita ، ستوسي Stucci ، فيرون Ferron ، فيمو Vuillemot ، بوانسو Poinssont ، راكوب Rakob ، سلادان Saladin ، كامبس Camps ، وغيرهم ...

(12) Temple et Fable, **Relation d'une éxcurtion à Constantine**. pl. II, Paris, 1838 .

(13) Berbrugger, A. **L'Algérie historique, pittoresque et monumentale. Province de Constantine**. pl. 27, Paris, 1843 .

(14) نذكر من بينهم : Ravoisér, E. **Exploration scientifique de l'Algérie**. Beaux Arts, I, Paris, 1846, pp. 75-76 et 79-80, pl. LXI-LXIV ; Ad. Delamare, **Exploration archéologique de l'Algérie pendant les**

anées **1840-1845**. pl. 161, Paris, 1850 ; Fournel, H. **Richesses minérales de l'Algérie**. t. I, Paris, 1849, p. 256-257 .

(15) Gsell, St. Histoire ancienne... t . VI, p. 257 .

(16) Remond et Cherbonneau, **Rapport adressé à Mr. le Préfet du département de Constantine, (Monument du Khroub)**, Annuaire de la soc. archéol. de Const. t. VI, 1862, p. 69 .

(17) Bonnel, **Monument gréco-punique de la Soummaa**, Rec. des Notes, et Mémoire de la Société archéologique de Constantine, t. XLIX, 1915, (Les fouilles de 1915-1916, faites par le service des monuments historiques de l'Algérie), p. 175 .

(18) R. et Cherbonneau, art. cit. p. 71 .

(19) Remond et Cherbonneau, art. cit. p. 68-75 .

(20) Cf. Ballu, A. **Résultat des fouilles opérées par la Société des Monuments Historiques, dans le mausolée du Kroubs**, dans B. A. C., 1916, p. 226-229 ; Bonnel, art. cit. pp. 168-177 .

(21) Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 257 .

(22) Id., Les monuments antiques... t. II, p. 62 .

(23) Id., Histoire ancienne... t. VI, p. 257-258 .

(24) Ballu, A. art . cit. p. 227 .

(25) Ibid., p. 227 .

(26) Ibid., p. 227 .

(27) Thepénier, E. **Reflexions et suppositions au sujet des découvertzs faites à la Soumaa**, Rec. des notes et mém. de la soc. archéol. de Const. 1917, p. 188 .

(28) **فخار الصومعة :**

عبارة عن دنان كبيرة مصنوعة من الطين المشوي ، ذات عنق ممتد وعمق مدبب ومزودة بمقبضين اوعروتين مختلفتين ، يتراوح ارتفاعها مابين 90سم و 90,3سم ، و يبلغ القطر الخارجي لعنقها 10,5 سم ، و ارتفاع قاعدتها المدببة 04سم وقطرها 03سم ، صنعت هكذا حتى يتسنى تثبيتها على الأرض (5) (انظر الشكل38) . ويمكن ان نميز بين نوعان من الجرار : الأول ايطالي من صنف لومبوغليا 4 و 1 (الشكل 38 الرقم 1 ، 2) ، والثاني رودسي (الشكل 38 الرقم 3) ، يصل عرض بطنه الى 34سم . انظر : F. Rakob, op. cit. pp. 339-344 ; A.Ballu, art. cit. p. 227 ; Bonnell, art. cit. p. 175 .

(29) من المحتمل جدا انها كانت تحتوي رماد الميت ، لكنه ذاب حتما بفعل مياه الأمطار .

(30) Ballu, A. art. cit. p. 227 من المحتمل انها كانت تحمل رماد غير انه انحل مع التراب . واحدة من الجرار المكسرة كانت تحمل في مقبضها دمغة او ختم رودسي (ΜΗΝΟΣΣ|ΕΜΙΟΣ)لازال يرى جزء منه ؛ هذا الإكتشاف جعل بعض الباحثين يؤرخون الضريح الى حوالي منتصف القرن الثاني ق.م (انظر الشكل 38) Gsell, St. Histoire ancienne, p. 259 ، اما راكوب فيؤرخها الى سنة 146 ق.م . Cf. Rakob, op l., p. 341-342

(31) Ballu, A. art. cit., p. 228 .

(32) Ibid., p. 228 ; Bonnel, art. cit. p. 175-177 .

(33) حول هذه العادة انظر لاحقا .

(34) Cf. Ballu, A. art. cit. p. 227-228 ; Bonnel, art. cit. p. 175-177 ; Thépinnier, art. cit. p. 191 .

(35) Cf. Camps, G. Nouvelles observations... p. 502 ; Id., Aux origines... rites... p. 501-504 ; Fantar, M. **Eschatologie phénicienne, punique**, Istitut, national d'archéologie et d'arts, Tunis, 1970 .

(36) انظر لاحقا.

(37) Camps, G. Aux origines... rites... p. 534-535 . Ruhlmann, A. **Le tumulus de Sidi Slimane (Rharb),** Bull. de la Soc. de préhist. du Maroc, XII, année, 1939, pp. 37-70 .

(38) انظر اثاث صومعة الخروب .

(39) Ministère de l'information et de la culture, direction des Beaux-Arts, **Rapport de mission sur les travaux de la Soumaa du Khroub, du 09-07 -1974**, Archives de l'Agence Nationale d'Archéologie et Protection des Sites et Monuments Historiques .

(40) Id., op. cit. Rakob, F. op. cit. p. 162 .، ويذكر راكوب من جهة اخرى ان الصور القديمة المؤخوذة عن هذا الضريح تؤكد مماثلة اعادة التشكيل المقترحة، حتى منتصف الطابق الثاني . Cf. Rakob, F. op. l., p. 162 .

(41) مثل ماتصور ذلك رفوازي عند إعادة تشكيله للضريح (انظر الشكل 60) . من جهة اخرى اعتقد هذا الباحث ان الغرفة الجنائزية توجد على مستوى الطابق الذي نُقش على جدرانه الدرقات . Cf. Ravoisé, A. Exploration scientifique de l'Algérie, Beaux-Arts, I, Paris, 1846, p. 61-64 .

(42) غزال يتردد مابين ثمانية و اثني عشر عمودا دوريا . Gsell, St. Histoire ancienne... p. 258 .

(43) Cf. Rakob, F. op. l., p. 161 .

(44) اعتمادا على قطعة برونزية عُثر عليها في الركام ، طولها 0.08م وعرضها 0.02م ، من المحتمل انها انتزعت من الفخذ الأيمن لتمثال برونزي . R. et Cherbonneau, art. cit. p. 73 ; Gsell, St. Les monuments antiques... p. 63

Cf. Bonnnel, art. cit. p. 168-169 . (45)

Rakob. F. op. l., p. 168 ; Ravoisé, M. op. l., p. 75-76, 79- 80 ; Ad. Delamare, Exploration (46) archéologique de l'Algérie pendant les années 1840-1845, Paris, 1850, Vol. 161 .

Gsell. St. Les monuments antiques... p. 64 ; Id., Histoire ancienne... p. 260 ; Ibid, t. IV, p. 198, 200 ; (47) Bonnell, art. cit. p. 170 .

(48) اين إستعمل إغريق صقيلية الفن الدوري بكثرة . . Gsell, St. Les monuments antiques... t. I, p. 64 .

(49) بفرنسا . . Id., Histoire ancienne... t. VI, p. 260 .

Id., Les monuments antiques... p. 64 . (50)

Cf. Poinssot, L. **Les ruines de Dougga**, Ed. institut , Nat. d'archéologie et d'art, Tunis, 1958 ; (51) Id.. **Les fouilles de Dougga en 1908 - 1919**, Nouvelles archives des missions, t. II, fasc. 2 ; Poinssot, Janwillen Salomonson, **Le mausolée libyco-punique de Dougga et les papiers du compte Borigia**, C. R. A. I., et belles lettres, 1959, p. 146 ; Rakob, F. op. l., p. 157-158 ; Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 251-256 ; Sala din, **Le mausolée de Dougga**, Nouvelle archives des missions, t. II, 1892, pp. 455-481

Cf. Di vita, A. **Il Mausoleé-hellenisticc, B di Sabratha,** R. M. A. I., t. 83, 1976, pp. 273-285 ; (52) Rakob, F. op. l., p 145-149 .

Gsell, St. Histoire ancienne... t VI, p. 249 . (53)

(54) Strabon, XVII, 3, 13 ، عن : Gsell, St. Les monuments antiques... t. I, p. 64 ; Bonnell, art. cit. p. 170 .

Cf. Rakob, F. op. cit. p. 167 ; Gsell, St. Histoire ancienne... p. 260 ; Ballu, A. art. cit. p. 229 ; (55) Camps, G. Mausolées princiers... p. 54 ; Bonnell, art. cit. p. 171 .

Rakob, F. op. l., p. 167 ; Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 254, 256 . (56)

(57) اكتشف سنة 1842 من طرف القنصل الإنجليزي راد Read ، الذي انتزع الحجرين المنحوتين اللذان يحملان النص واودعهما في متحف انجلترا . **Cf. Gsell, St. Histoire ancienne... p. 254 .**

(58) وهذه ترجمة النص من اللاتينية الى الفرنسية حسب شابو :

« Monument d'Ateban, fils d'Iepmatah, fils de palou . Constructeurs des pierres : Abarish, fils d'Abdashtart ; Zumar, fils d'Ateban, fils d'Iepmatath, fils de palou ; Mangi, fils de Varsacan . Et leurs collaborateurs (?) : Zizai, Taman et Varsacan . Travailleurs en bois : Masdal, fils de Nanfasan, et Anakan, fils d'Ashai . Fondeurs en fer : Shafot, fils de Bilel, et Paphai, fils de Babai . » M. l'Abbé Chabot, Punica, p. 207-208 .

واليك ترجمته الى العربية : << معلم أتيبان ، ابن يماتاح ، ابن بالو . نحات الحجارة : اباريش ، ابن ابداشتارت ، زومار ابن أتيبان ، ابن ايماتاح ، ابن بالو ؛ ماتجي ، ابن فارسكان . ومساعديهم [?] : زيزاي ، تامان وفارسكان . صناعو السقوف : ماسدال ، ابن نانفاسكان ، وأنانكان ، أشاي . الحدادون : شاقو ، ابن بلال ، وبافاي ، ابن باباي . >>

يتبين من النص ان أتيبان صاحب المعلم ، وافراد عائلته : ابيه يماتاح ، جده بالو وابنه زومار ، ينحدرون دون شك من عائلة سامية ، قد يكونوا مثلما إعتقد غزال أعيان مدينة دوقة Thugga القديمة . حول هذا الموضوع انظر : Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 254 ; Rakob, F. op. l., p. 158 ; Fevrier, J. G. **L'inscription du mausolée dit d'Atéban (Dougga)**, dans Karthago, 10, 1959, p. 53-57 ; Ferron, J., L'inscription du mausolée de Dougga, dans Africa, t. III, IV, 1969-1970, p. 83-110.

(59) يعتقد غزال ان آباريش المشار اليه ضمن نحات الحجارة هو مهندس المعلم ، ويعتبره قرطاجي الأصل . انظر : Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 256 ; Chabot, M. A. art. cit. p. 205

(60) Thepénier, art. cit. p. 191 .

(61) Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, P. 259 ; Bonnell, art. cit. p. 171 .

(62) Cf. Camps, G. Mausolées princiers... p. 52 ; Id., Nouvelles observations... p. 515 ; Rakob, F. op. l., p. 158, 169-170 .

(63) إن عدم وجود غرفة سفلى بضريح دوقة ، جعلنا نتسأل ان لم تكن القاعات العلوية المبينة في الطابق الأول والثاني تمثل غرف جنائزية مثل ماهو الشأن في الأضرحة البرجية بآسيا الصغرى ، غير ان غزال يستبعد هذا حيث يرى ان مظهرهم الداخلي لايؤهلهم لأن يكونوا غرف جنائزية ؛ حيطان جافة ، الفضاء الوسط تشغله حواجز بحيث تقسم الغرف الى خلايا صغيرة غير منظمة ، وهو ما جعل هذا الباحث يعتبرهم مجرد فضاءات فارغة استعملت لتخفيف الثقل على المعلم . Cf. Gsell, Histoire ancienne... p. 253-254 .

من جهة اخرى يبدو ان العثور على النص المؤرخ سنة 139 ق.م في مدينة دوقة ، لا يعد في اعتقادي دليلا مقنعا لربطه بضريح دوقة ، ربما كان يشير هذا الإهداء الى معلم آخر اقيم تذكارا لماسينيسا في هذه المدينة . لاشيئ لحد الآن يؤكد هذا او ذاك .

(64) وهذا اعتمادا على نقيشة تيجيبا Thigibba التي عُثر عليها على مسافة 40 كلم الى الجنوب من دوقة (N° 2 du RIL) ، تؤرخ الى سنة 138 او 139 ق.م ، وتتضمن إهداء معلم لماسينيسا . انظر : م. ص. غانم . **نقيشة مسيسا**... ص. 4-5 .

Chabot, J. Recueil des inscriptions libyques, N° 2, p. 3-4 ; Février, J. G. art. cit. p. 53-57 ; Ferron, J. art. cit. pp. 83-110 ; Gsell, St. Histoire ancienne... p. 255 ; Macray, M. G. **Les inscriptions libyques**

bilingues de l'Afrique du Nord, imprimerie Nationale, Paris, 1936, p. 55 ; G.Camps, Mausolées princiers... p. 52 ; Rakob, F. op. cit. p. 158 .

(65) سميت هكذا حسب شهادة احد العارفين بالمنطقة ، لأن صخورها من أصل بركاني ، وهذا ما لاحظناه أثناء زيارتنا للموقع .

(66) نوع من الصخور البركانية ، ضارب الى الإحمرار .

(67) Cf. Vuillemot G. , **Fouilles du mausolée de Beni-Rhenan**, C. R. A. I. B. L.L, 1964, p. 72 .

(68) Ibid., p. 90 .

(69) تستعمل هذه الكلمة غالبا للدلالة على ركام حجري يتخذ كإشارة او كمعلم لتحديد مكان ما. Cf. Camps, G. .St. Aux origines... rites... p. 56 ; Gsell, Histoire ancienne... t. VI, p. 185 ، من المحتمل ان أهالي المنطقة اطلقوها على هذا النصب حينما كانت تغمره الأنقاض ، أي قبل الكشف عن شكله الهندسي الخارجي (الصورة 79) ومخططه الداخلي ؛ يبدو ان هذه التسمية ليست لها أي علاقة مع الضريح ، بدليل ان معظم السكان المجاورين يجهلون كون هذا المعلم يمثل قبرا ، فالسلف عندهم حسب شهادة بعضهم لايعدو كونه اساطير، حيث يعتقد هؤلاء ان المبنى يحتوي بداخله كنوز تحرسه كائنات خيالية.

(70) Cf. Weiremmi, J. A. **Bourgou (Henchir, Mausolée),** Encyclopédie bèrbère, X, 1991, Alger, 1983 ; Camps, G. Mausolée princiers... p. 54.

(71) نسبة الى مدينة صبراتة بليبيا التي تعد احدى المدن الثلاثة لأقليم طرابلس ؛ هذا الأخير انسلخ عن الهيمنة القرطاجية بعد معركة زاما لينضم الى مملكة نوميديا الموحدة ، وبالتالي من المحتمل جدا انه شيد في تلك الفترة ، من اجل أعيان نوميديين . والى جانب هذا المعلم يبدو ان هناك ضريح اخر من هذا النوع في صبراتة يسمى (A) ، يعتقد انه اكثر قدما . Cf. Camps, G. Mausolées princiers... p. 54 .

(72) وعن شكله الهندسي وإعادة تشكيله ، Rakob, F. op. cit. p. 146 ; Camps, G. Mausolées princiers... p. 52 . انظر : Di Vita, A. **Il mausoleo punicohellenistico B di Saratha**, R. M. D. I., t. 83, 1976, pp. 273-285 ; Id., **Mélange d'école française de Rome**, t. 80, 1968, p. 7, 31 .

(73) سواء من حيث المظهر العام او المخطط الهندسي ، غير انهما يختلفان من حيث المدفن القبوي ، فضريح صبراتة مثل دوقة لايتوفر على مدفن ارضي ، وانما قاعات مهيئة في الطابق الأول والثاني ، بينما يتشكل مدفن ضريح سيغا من سلسلة من القاعات مهيئة اسفل البناء .

(74) Camps, G. Mausolées princiers... p. 54 ; Rakob, F. op. cit. p. 146-149 .

(75) Vuillemot, G. art. cit. p. 75 .

(76) Ibid., p. 91 .

(77) Ibid., p. 92 .

(78) وحدة قياس رومانية .

(79) Lethielleux, J. op. l., p. 362 .

(80) Ibid., p. 361 .

(81) قبل هذا اشار اليها الجغرافي بطليموس سنة 140م بإسم مستعمرة رومانية Colonia Romana . Ibid., p. 361 .

(82) يظهر ان اولى الحفريات التي جرت في هذا المعلم ، كانت في سنة 1921 من طرف الفرنسيين ، غير انه لم يُنشر أي تقرير عن ذلك ، ونحن لانعرف شيئا عن نتائج هذه الأعمال . Cf. Malik Fodil et Chermat, Mohamed. **Beni-Saf, passé et présent**, Reportage dans le journal quotidien Le Matin, du 18/09/1995 au 24/09/1998 .

(83) Cf. Vuillemot, art. cit. p. 71-95 .

(84) انظر : Rheinsches landesmuseum Bonn, **Die Numider**, Heinz Gunter Horn und ChristophB. Ruget, Rudolf Habelt Verlag GmbH, Bonn.

(85) انظر : Rakob, F. op. cit. p. 151-156 .

(86) Ibid., p. 150 .

(87) Cf. Vuillemot, G. art. cit. p. 93-95 .

(88) بشكل تقريبي فقط لأن انقاضه لم تعد تسمح بإعادة تشكيله ، اذا كان بعضها محطم فالبعض الآخر مهشم بفعل مياه الأمطار وعمل الحت .

(89) Camps, G. Mausolées princiers... p. 55 .

(90) مثل ما إعتقد ذلك فيمو . Cf. Vuillemot, art. cit. p. 77-78 .

(91) يرى راكوب انه من الصعب جدا التأكد ان كانت قمة المعلم الهرمية مدببة او ذات شكل دائري . Rakob, F. op. cit. p. 151 .

(92) لقد عثر أثناء حفريات 1978 على تمثلان نصفيان احدهما يرمز الى ذكر والآخر الى انثى ، مما جعل راكوب يعتقد انهما يمثلان الزوج الملكي . Cf. F. Rakob, op. cit. p. 151 . الى جانب هذا عثر فيمو على حجر منحوت نحت عليه زخرف يمثل رأس إنسان ؛ يرى هذا الباحث ان هذا الشكل ليس له علاقة بالشخصية المدفونة بقدر ما يمثل صورة احد الآلهة الشفيعة ، ويحتج على ذلك بعدم وجود تشابه بينه وبين الصور التي نصادفها غالبا في النقود المورية والنوميدية . Vuillemot, art. cit. p. 78-79 .

(93) يبدو ان تهيئة مخطط القبو بهذا الشكل ، دفع فيمو الى عدم استبعاد وجود غرفة سرية اسفل النواة المركزية للمعلم

Cf. Vuillemot, art. cit. p. 83 . ·

(94) يبدو ان تعدد قاعات القبو دفع راكوب الى القول ان المدفن اعيد تهيئته بشكل يتناسب مع الدفن الجماعي . Cf.

Rakob, op. cit. p. 152 .

(95) لمعرفة مقايس الغرف ، انظر : Ibid., p. 80 .

(96) Rakob, F. op. l., p. 152-153 .

(97) يبدو ان هذه الأسوار حطمت منذ مدة طويلة من طرف الناهبين ، مما جعل القبو اكثر طولا وتعقيدا ، وهو مادفع آهالي المنطقة في نظري الى الإعتقاد في "وجود نفق ارضي طويل يزبط بين المعلم وموقع سيغ القديم و يمر حسب رأيهم اسفل وادي تافنا ". ان طول المسافة التي تفصل الضريح بسيغا، وهي حوالي 4كلم ووقوع وادي تافنا في وسطهما ، وارتفاع جبل سخونة ، تجعلنا نستبعد اطلاقا فكرة وجود نفق على هذا النحو .

(98) Vuillemot, G.art. cit. p. 80, 84 .

(99) لاشك ان الآثاث الثمين تم نهبه منذ آمد بعيد .

(100) Ibid., p. 89 ; Rakob, F. op. cit. p. 153-154 .

(101) Vuillemot, G. art. cit. p. 86-89 .

(102) Lamboglia, N. **Sulla chronologia delle anfore romaine**, in Rev. Et. Lig., 1955, p. 248, fig. 15 .

عن فيمو : G. Vuillemot, art. cit.. p. 89 .

(103) Ibid., p 247, fig. 1 .

(104) هذه ترجمتها حسب فيفري Fevrier : **B° L Z W YD** ، عن : Vuillemot, G. art. cit. p. 89 .

(105) Ibid., p. 88-89

(106) ولمزيد من التفاصيل حول هاتين الشعيرتين انظر ، لاحقا .

(107) Cf Camps, G. Mausolées princiers... p. 55 ; Vuillemot, G. art. cit. p. 92 ; Rakob, F. op. cit. p. 154 .

(108) Tite-Live, L. 28, Ch. 17 . ، عن Lethilleux, J. op. cit. p. 326 .

(109) يخبرنا هذا المؤرخ ، ان الجمهورية الرومانية ، اخذت على عاتقها مصاريف تشييع جنازته في تيبير بايطاليا .

Cf. Tite-Live, XXX, 45 .

(110) انتباه : اضرحة هذه المجموعة لاتتوفر على ملحقات خارجية ، كما ان بعضها لايملك مدفن ارضي بل كل ماهنالك هو قاعات مهيئة على مستوى الطابق الأول و الثاني .

(111) غير اننا لاندري ان كانت تمثل غرف جنائزية ام مجرد فضاءات الغرض من اقامتها هو تخفيف الضغط على البناء .

(112) اذا كان المقارنة سهلة في الأضرحة البزينية ، فإنها تبدو صعبة في بعض الأضرحة البرجية المهدمة ، مثل صومعة الخروب وسيغا ، ولهذا نعتمد كلية في وصفنا لشكلها العام وعناصرها الهندسية على عملية اعادة تشكيلها .

(113) يبدو ان هذا الكساء الخارجي هو الذي جعل غزال يقول عن هذان المعلمان ، بأنهما عبارة عن جثوتان محليتان مكسوتان بغطاء اجنبي ، إغريقي ـــ فنيقي . Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 261-262.

(114) غير ان قاعدته مثمنة الأضلاع ، كما يشبه قبر الرومية من حيث توفره على ابواب وهمية ، اعمدة وتيجان ايونية ، أبواب زلاّقة ونقش يمثّل اسد منحوت على الجدار الأيمن للرواق الجانبي الداخلي . Camps, G. Aux origines... rites... p. 196.

الفصل الخامس

﴿ المعتقدات والشعائر الدينية ، والعبادة الجنائزية عند البربر القدامى ﴾

I ـــ المعتقد الدينـــــي

1) ـــ العبادة الوثنيـــــة .

أ) ـــ القوى الطبيعية والحيوانيـــة .

ب) ـــ عبادة مشاهير الموتـــى .

II ـــ الشعائر الدينيـــــة .

1) ـــ آصولها وخصائصها .

2) ـــ شعائر الدفـــن .

أ) ـــ أنواع الدفن .

ب) ـــ وضعيات الميـــت .

* الوضعية المنطويـــة .

* الوضعية المنكمشـــة .

* الوضعية الممدـــــدة .

ج) ـــ طرق الدفـــن .

1) ـــ الحرق الكامل .

2) ـــ تجريد الجثة من اللحـــم .

د) ـــ مظاهر الإيمان بالحياة بعد المـــوت .

هـ) ـــ الأحمر الجنائـــــــــــــزي .

III ـــ العبادة الجنائزية .

1) ـــ الإحتفالات الدينـــــــــية .

أ) ـــ تنظيم المآدب على شرف الأموات .

ب)ـــ تقديم القرابين والتضحيـــــــات .

ج) ـــ إراقة المشروبات المقدســـــة .

2) ـــ التوجيه نحو الشـــــرق .

3) ـــ الطـــواف .

4) ـــ النوم بجوار الميت .

المعتقدات والشعائر الدينية ، والعبادة الجنائزية عند البربر القدامى

I ـــ المعتقد الديني :

يصعب كثيرا على الباحث الإلمام بفكرة واضحة عن المعتقدات الدينية عند البربر القدامى ، سواء في الفترة المبكرة او في العهود التاريخية ، نظرا لعدة اسباب ابرزها :

- ندرة النصوص التاريخية القديمة .
- قلة الشواهد المادية بسبب انتهاك معظم المدافن .
- قلة الحفريات والأبحاث الأثرية .

1) ـــ العبادة الوثنية :

أ) ـــ القوى الطبيعية والحيوانية :

لقد أله البربر القدامى العديد من الظواهر الطبيعية (1) مثل : الجبال ، الكواكب (الشمس والقمر) (2) ، الأشجار ، العيون والآبار ، كما عبدوا ايضا بعض الحيوانات كالثور ، الأسد والكبش (3) ، واتخذوا لها تماثيل واشكال نُصبت دون شك في دورهم ومختلف مراكز نشاطاتهم الإقتصادية . والى جانب المعتقدات المحلية ، تأثر المغاربة في مجال عبادة الأوثان بعدة معتقدات وشعائر وردت اليهم من المراكز الحضارية القديمة ، من مصر ، بلاد الرافدين والإغريق والعالم المتوسطي ، بواسطة الملاحين الفنيقيين الذين

جابوا حوض البحر المتوسط الغربي منذ نهاية الألف الثانية ق. م ، ثم احفادهم القرطاجين

فقد عرفوا عن المصريين عبادة الإله آمون في صورة الكبش المقدس (4) ، اله الشمس الذي انتشرت عبادته تقريبا في كامل بلاد البربر ، وفي هذا الصدد يقول رشيد الناظوري : << ... حيث عُثر على رسوم لكباش على رأسها قرص الشمس في كل من الجزائر وليبيا ، يمكن اعتبارها مرادفة للكبش المصري الذي يرمز للإله آمون في مدينة طيبة >> (5) ، كما اقتبسوا عنهم عبادة الآلهة : إيزيس واوزيريسر وابنيهما هوريس (6) . و نقلوا عن الفنيقيين والقرطاجيين عبادة بعل ـــ حمون (7) وتانيت ، التي يعتقد بعض المؤرخين ان آصولها مغربية لكنها امتزجت مع الآلهة البونيقية (8) . كما يرجع الفضل للمصريين كذلك في وضوح عقيدة الخلود والإيمان بالحياة بعد الموت عند البربر ، وعادة توجيه الميت ومدفنه نحو الشرق . الى جانب الكوكبين الكبيرين (الشمس والقمر) ، تتحدث المصادر المنقوشة عن وجود عدد وفير من المعبودات ، لاترد اسماؤها غالبا الا مرة واحدة ، بل يشار اليها احيانا اشارة جماعية ، مثل " الآلهة المورية Dii Mauri " (9) .

ب) ـــ عبادة مشاهير الموتى :

الى جانب عبادة الظواهر الطبيعية ، عرف البربر على غرار الأمم المعاصرة لهم عبادة الملوك (10) ومشاهير الموتى (11) ، ويمكن ان نلمس هذا بوضوح في المظاهر الدينية التالية :

* رغبة الرعية او العامة في بناء قبورها بجوار أضرحة الملوك او الأعيان مثل المدغسن .

* تهيئة ملحقات داخلية وخارجية مناسبة لأقامة هذه العبادة مثل : الأروقة المطافية ، المعابد ، المشكاة ، المذابح والمنصة الشرقية .
* اقامة الإحتفالات والأعياد الدينية .
* تقديم القرابين والتضحيات .
* الطواف بالغرف الجنائزية ، والنوم بجوار قبر الميت .

يبدو ان مكانة الميت في المجتمع القديم ، تقديسهم له وايمانهم بالعالم الآخر ، كانت من بين العوامل الأساسية التي ادت الى ظهور عبادة مشاهير الموتى ، التي ستعرف انتشارا واسعا خلال حكم الممالك البربرية .

II ـ الشعائر الدينية

على الرغم من تطور الأبحاث الأثرية في مجال البنايات الجنائزية خلال الفترة الإستعمارية والعشريات الأول من الإستقلال ، الا ان هذا لايزال غير كافيا بالنظر الى العديد من المسائل التي تبقى مطروحة حول الحياة الدينية في الفترة القديمة ؛ فإذا كانت المصادر القديمة لاتشير بوضوح الى الممارسات الدينية المحلية ، فإن الدراسات المنجزة في هذا الميدان لم تكشف الا القدر القليل بسبب كما اسلفنا قلة الشواهد المادية ، وتضرر معظم المعالم الجنائزية سواء القديمة او المتأخرة من قساوة الطبيعة (12) ونهب الإنسان .

1) ـــ آصولها وخصائصها :

لقد اولى البربر القدامى منذ القديم ، اهتماما بالغا بأمواتهم نستدل عليه من خلال ثلاثة مظاهر اساسية هي : بناء القبور الضخمة ، تنوع الشعائر الدينية ، والعبادة الجنائزية .

ليس بإستطاعتنا التعرف على الشعائر الدينية التي سادت عند السكان البربر في الفترة التاريخية ، الا بالرجوع الى مظاهر الحياة الدينية المبكرة ، ذلك ان معظم الممارسات الشعائرية التي استعملت في الأضرحة الكبرى ، تمتد جذورها الى فترة مبكرة (13) بل بعضها يعود الى ابعد من ذلك . ولهذا ارتأيت ان اتطرق اولا الى الشعائر الدينية المبكرة ومقارنتها بتلك التي سادت في الفترة المتأخرة ، ثم تناول عنصر العبادة الجنائزية مع التركيز على التطور الذي ميزها خلال المرحلة التاريخية ، نتيجة تنوع المخططات الداخلية وبروز ملحقات خارجية ملائمة .

يجدر بنا ان نشير ايضا ، ان هذه الشعائر لم تكن من خصوصيات السكان المحليين فحسب بل مارستها كذلك الشعوب الأخرى القديمة او المعاصرة لهم . الى جانب هذا لايمكن ان نتجاهل تأثير الحضارات القديمة على الحياة الدينية في المغرب ، اين تجسد في اقتباس البربر لبعض العادات الجنائزية بفضل إحتكاكهم بالأمم المتحضرة كالمصريين ، الإغريق والفنيقيين .

2) ـــ شعائر الدفن :

لقد سمحت الحفريات التي اجريت في العديد من المدافن القديمة : الحوانت ، المصاطب ، الجثوات ، البازينات ، الشوشات (14) والأضرحة الكبرى ، بالتعرف على انواع ، وضعيات وطرق دفن مختلفة :

أ) ــــ أنواع الدفن :

في المدافن القديمة :

امكن التعرف على ثلاثة انواع رئيسية من الدفن هي :

- قبر ذو غرفة واحدة مخصصة للدفن الفردي كما هو الشأن في الجثوة ذات المدفن الواحد .
- قبر يحتوي على غرفة واحدة او عدة غرف تستقبل عدة افراد ، وفي هذا النوع يكون الدفن جماعي في آن واحد ، بحيث يغلق القبر نهائيا ولايجهز بمدخل .
- مدفن ذو غرفة واحدة او عدة غرف موجه للدفن الجماعي على مراحل ، ويخص عادة القبور المهيئة للفتح من جديد .

في الأضرحة الكبرى :

يصعب تحديد ذلك نظرا لخلو معظمها من الأثاث الجنائزي ، الهياكل العظمية ، المرمدات و الرماد ، ومع ذلك يمكننا ان نتصور ثلاثة انواع من الدفن هي :

- قبر ذو غرفة جنائزية واحدة موجه لدفن جماعي على مراحل مثل : قبر الرومية ، المدغاسن وبلاد قيطون .
- قبر ذو غرفة ارضية واحدة موجه للدفن الفردي مثل : لجدار (B) ، II ، III ، V)، قبر تين هينان بأباليسة ، بازينة سوق الغور وضريح هونشير بورغو .

- قبر يضم اكثر من غرفة موجه للدفن الجماعي على مراحل مثل : لجدار (F) و ضريح سيغا .
- قبر ذو غرفة ارضية واحدة موجه لدفن جماعي في آن واحد مثل ، صومعة الخروب .
- معالم برجية لديها قاعات مهيئة على مستوى الطابق الأول والثاني ،غير اننا نجهل ان كانت تمثل غرف جنائزية ام لا مثل : أضرحة ، دوقة ، صبراتة (A, B) ومكثر.

الجدول رقم (5)

أنواع الدفن في الأضرحة الكبرى

دفن جماعي على مراحل	دفن جماعي في آن واحد	دفن فردي	الأضرحة	الأنواع
×			المدغاسن	الأضرحة البازينية
×			قبر الرومية	
×			لجدار F	
		×	لجدار B – II V – III	
		×	بازينة سوق الغور	
		×	تين ــ هينان	
		×	هونشير بورغو	الأضرحة البرجية
	×		صومعة الخروب	
×			سيـــــــغا	

ب) ـــ وضعيات الميت :

۞ في المدافن العادية :

لقد تم التعرف على ثلاثة وضعيات رئيسية لدفن الميت ، الأولى والثانية تعود جذورها الى ماقبل التاريخ ، وهي الوضعية المنطوية والمنكمشة ، والثالثة استعملت في فترة متأخرة وهي الوضعية الممددة .

✧ ـــ الوضعية المنطوية (Position Repliée) :

وتتمثل في وضع جثة الميت على الأرض على الجانب الأيمن او الأيسر ، بحيث تكون الأطراف السفلى منثنية بإتجاه البطن ، والأطراف العليا ملتصقة بالصدر ومتجهة نحو الوجه (الشكل 43) . تشكل هذه الوضعية اولى واقدم اشكال الدفن ، حيث لوحظ استعمالها منذ الباليوليتي في بعض الملاجئ تحت الصخور في غرب الجزائر (15) ، وعند الإنسان القابسي (16) ، في عين الدكارة (17) ، كما لم يقتصر وجودها في المغرب فقط بل مارستها كذلك العديد من الشعوب الأخرى (18) .

يظهر ان البربر واصلوا استعمالها الى فترة متأخرة ، كما يشهد على ذلك كل من : الهياكل العظمية المكتشفة في القبور المتأخرة المجاورة لضريح اباليسة (19) ، ومدافن الريف التونسي وفزان (20) .

يبدو ان الرغبة في وضع الميت في راحة او نوم ابدي ، كانت وراء اختيار البربر لهذه الوضعية لاسيما وان شكلها يقلد الى حد كبير الإنسان النائم .

✧ ـــ الوضعية المنكمشة (Position Contractée) :

في هذه الحالة تنكمش الجثة كلها في حفرة ضيقة لتأخذ شكل الجنين في بطن امه ، بحيث تلامس الركبتان واليدين الوجه ويتصل العقبين بعظم الحوض ، اما الأطراف الأمامية فتلتصق مع الصدر (الشكل 44) ؛ في هذه الوضعية غالبا ما يتم تقييد الميت ، وفي بعض الأحيان تلف جثته في جلد حيوان (21) ، كما ان العمود الفقري يتعرض في الغالب للكسر بفعل الإنثناء الشديد (22).

هذه العادة هي الأخرى قديمة ، حيث اثبتت الحفريات استعمالها في العديد من القبور في بلاد البربرومناطق اخرى من العالم (23) . لقد اعطي الباحثون عدة تفسيرات لهذه الوضعية ، فبعضهم يرى انها استخدمت قصد الإقتصاد في بناء القبر والإكتفاء بحفرة ضيقة وركام صغير (24) ، والبعض الآخر يعتقد ان الخوف من رجوع الميت لأفساد حياة الأحياء هو السبب الرئيسي لأختيار البربر لهذه الوضعية ، ويعللون رأيهم بالقيد الذي يخضع له الميت حتى لايقوى على الحركة والقيام (25) . لكن هناك رأي آخر اقرب للمنطق ، ويفسر ذلك برغبة الأحياء في التعبير عن الجنين في بطن امه أي انها ترمز الى عودة الإنسان الى اصله ومنشأه (26) .

✧ ـــ الوضعية الممددة (Position Allongée) :

في هذه الحالة يدفن الميت ممدداً ، سواء على جانبه الأيمن او الأيسر او على ظهره (الشكل 45). لاحظ بعض الباحثين ندرة ممارستها في مدافن فجر التاريخ (27) ، فأستنتجوا بذلك انها عادة متأخرة في بلاد البربر اقتبسها الآهالي عن الفنيقيين او الإغريق او الرومان (28) ؛ ويدعم فكرة تبنيها في

فترة متاخرة ، إشارة هيرودوت الى ممارستها عند الليبيين المتجولين في القرن الخامس ق.م (29) ، والعثور في كثير من المدافن التي مورست فيها هذه الشعيرة على نقود فنيقية نوميدية ورومانية (30) .

ويشير بعض الباحثين ايضا ، ان هذه العادة شهدت انتشارا واسعا في المناطق الشرقية (تونس وشرق الجزائر) التي خضعت طويلا للهيمنة القرطاجية والرومانية ، بينما بقت تستعمل الوضعيات المنطوية والمنكمشة في بعض المناطق الغربية (31) . وفي الواقع لم يتسع نطاق استعمال الوضعية الممدة الا بإنتشار المسيحية والإسلام (32) .

الى جانب هذه الوضعيات الثلاثة ، عرف البربر القدامى شكل آخر من الدفن يُجهل مغزاه ، ويتمثل في وضع رفاة الأموات رأسا على عقب بعد حرقها او تجريدها من اللحم (33) . لقد مورست هذه العادة ايضا في اسبانيا منذ النيوليتي ، ومصر في الألف الرابعة (34) .

في الأضرحة الكبرى :

يتعسر علينا معرفة اشكال الدفن المتبعة فيها ، فإذا كان شعار الحرق قد مورس في صومعة الخروب ، ومن المحتمل ايضا في المدغاسن ، قبر الرومية وسيغا ، فإننا لا نملك اية ادلة على نوعية الدفن المستعملة في كل من : صبراتة ، مكثر ، بلاد قيطون ، الغور ولجدار .

على الرغم من انتشار المسيحية في بلاد البربر ابتداء من القرن الرابع ، الا ان الوضعية المنطوية استعملت في كل من لجدار (B) وضريح تين هينان بأباليسة ، وهو ما يصعب من امكانية معرفة نوع الوضعية المستعملة

في ضريحي الغور وبلاد قيطون ولجدار المتبقية ، رغم تشيدهما في فترة متأخرة .

ج) ـــ طرق الدفن :

الى جانب الدفن العادي ، تبنى المغاربة مثل الشعوب الأخرى طرق اخرى لدفن الميت ، تمثلت في الحرق وتجريد الجثة من اللحم .

✧ ـــ الحرق (Incinération) :

اذا كانت عادة الحرق نادرة الإستعمال ومتأخرة في مدافن المناطق الشرقية ، فإنها قد مورست بشكل اوسع ومنذ القدم في الجهات الغربية (35) ، حيث عثر على آثار حرق في مغارة تيفريت التي سُكنت من طرف النيوليتيين (36) ، واستعملت في جزيرة رشقون في القرنين الخامس والسادس ق.م ، و في مواقع عديدة من الغرب الجزائري وشرق المغرب الأقصى ايضا (37) .

يرى بعض الباحثين ، ان البربر الشرقيون نقلوها عن الفنيقيين حوالي القرن الثالث ق.م (38) ، وهؤلاء بدورهم اقتبسوها عن الإغريق في القرن الخامس ق.م (39) . يظهر ان هذا الرأي يتنافى مع المعطيات الأثرية التي دلت على قدم هذه العادة في غرب المغرب ؛ والراي الأصوب في نظري ان يكون النوميديين الشرقيين نقلوها في اول الأمر عن النوميديين الغربيين والموريطانيين ، ثم ازدادت انتشارا في الشرق تحت تأثير الفنيقيين .

لقد اثبتت الحفريات ان هناك نوعان من الحرق ، الأول جزئي يدخل عادة ضمن شعيرة تجريد الجثة من اللحم ، والثاني كامل يتم من خلاله تحويل جثة الميت الى رماد . اُستعمل هذان النوعان في ضريح الخروب (40) ويحتمل كذلك في سيغا (41) ، ومورس الحرق الكامل في الجثوة القريبة من المدغاسن (42) ، اما ضريحي المدغاسن وقبر الرومية ، فلا نعرف بالضبط ان كان استعمل نوع واحد وايهما ؟ او كلا النوعين ؟

✧ ـــ تجريد الجثة من اللحم (Décharnement) :

ان العثور في كثير من القبور القديمة على عظام مكسورة ومخلوطة يستحيل اعادة تشكيلها ، واحيانا غير كاملة (43) ، يدل بوضوح على استعمال البربر القدامى لهذه الشعيرة (44) ؛ لقد مورست هذه العادة ايضا عند كثير من الشعوب : في امريكا الشمالية والجنوبية ، افريقيا ، آقيانوسيا (45) ، اندلوسيا بشبه جزيرة ايبريا (46) وايران (47) .

يبدو ان عملية تجريد الجثة من اللحم كانت تتم بطريقتين (48) هي :

- تجريد طبيعي بوضع الجثة مدة من الزمن في قبر اولي ، او تركها في الهواء الطلق عرضة للطيور والحيوانات الضارية .
- تحريق نصفي للجثة الغرض منه التخلص من الأجزاء الرخوية .

لقد حاول بعض الباحثين تفسير هذه الشعيرة ، فغزال يرى ان عملية التجريد وما تبعها من خلط العظام في القبر ، تُعد مظهرا مَن مظاهر عقيدة الخوف من رجوع الميت لتعكير صفو الحياة على الأحياء (49) ، بينما يعتقد لوجيار ان هذا الطقس جاء استجابة لرغبة الأشخاص في الحفاظ على متانة

العلاقات بين افراد العائلة (50) ، اما كامبس فيرى فيه شعار مؤقت ومحطة هامة ينتقل فيها الميت من عالم الأحياء الى العالم الآخر (51) .

يتعسر علينا الفصل في هذه المسألة ، غير انه من المحتمل جدا ان شعار التجريد له علاقة وطيدة بالحياة بعد الموت ؛ قد يفسر بحرص الأحياء في ان يتخاص الميت من جسم عاش في عالم العصيان ، والرغبة في الحياة من جديد في هيئة روحية تتناسب مع العالم السرمدي .

د) ـــ مظاهر الإيمان بالحياة بعد الموت :

على غرار حضارات الشرق القديمة ، ساد عند البربر القدامى الإعتقاد بوجود عالم ثاني يعيش ضمنه الميت بعد رحيله من حياة الدنيا ؛ فالشواهد المادية على ذلك كثيرة في مدافن فجر التاريخ والعصر التاريخي القديم والمتأخر . يظهر ان ايمانهم بهذه العقيدة ، قد دفعهم الى وضع بجوار الميت ما يلزمه من احتياجات سواء مادية كالغذاء (52) ، الأسلحة ، الزينة ، او ذات طابع سحري كالحلى والمبخرات والأثاث المزخرف (53) .

لم يقف المؤمنون بهذه العقيدة عند هذا الحد ، بل غالبا ما نجدهم يعبرون عن اهتمامهم بها بتقديم القرابين الغذائية (الصورة 82) والحيوانية ؛ بعضها يوضع أثناء دفن الميت والبعض الآخر يقدم خلال الإحتفالات والأعياد الدينية . يبدو ان ايمان النوميديين الموريين والصحراويين بعقيدة الخلود كان كبيرا ، وهو ما يشهد عليه الأثاث الجنائزي المتنوع المكتشف في ضريحي الخروب (54) وتين هينان ، ولاشك ان هذه الشعيرة قد تجلت كذلك في الأضرحة الأخرى : كالمدغاسن ، قبر تيبازة ، سيغا وبلاد قيطون ، لكن للأسف لم يترك لنا الناهبون ما نستشهد به على ذلك .

* آثاث ضريح تين هينان بأباليسة :

لقد عثر سنة 1925 بداخل هذا القبر على جثمان تين هينان وقد وضعت على ظهرها فوق سرير او كرسي خشبي ، وذراعيها ورجليها مطويتان قليلا ؛ كانت تحمل بقايا جلد احمر من دون شك كان يمثل لباسها الجنائزي ، وكذلك الكثير من الحلي والزينة ، كما وجد بجوارها العديد من الأواني والأدوات المختلفة .

ويمكن ذكر هذا الأثاث المتنوع كالتالي (55) :

⇦ **على جثتها :**

كانت تحمل في ساعدها الأيمن 7 اساور من فضة وفي ساعدها الأيسر 7 اساور من ذهب ، وتحت الذراع الأيمن وجدت اساور من فضة ، خاتم من ذهب وورقة ذهبية مطوية ، وفي القدم الأيمن تحمل مشغولات فضية ، وبجانب قدمها الأيسر عثر على خمسة لآلئ من المعدن وعدد من اللآلئ الحمراء . وحول العنق وجدت حوالي مئة حبة من الزجاج ، وعلى الجانب الأيسر من حوضها حوالي 30 جوهرة من الزجاج متعددة الألوان ، وزين صدرها بعقد من الأحجار الكريمة البيضاء والحمراء ، كما عثر بالقرب من كتفها الأيمن على مثقبين من الحديد وبقايا قماش اصبح غبارا ، وفي كتفها الأيسر على وعاء مملوء بالمغرة الحمراء وبقايا محروقة .

⇦ **بجوارها :**

ووضعت بجوار جثة تين هينان سلال كانت محملة بالتمور والحبوب الجافة ، وهو مايشهد عليه نواتها ، وبداخل هذه السلال ايضا عثر على انائين من خشب ، محبس من ذهب ، قطع من الزجاج وكرتين ذهبيتين ، وبالقرب من ذلك اكتشف تمثال صغير لإله يشبه اله الخصب ، قطعة نقدية ترجع الى

قسنطين الأكبر ، كأس زجاجية ، عقد ذهبي ، جوهرة على شكل حلزون ، ووردبات صغيرة مكونة من خمسة كريات ذهبية ملتصقة ببعضها البعض .

في الغرف 2 ــ 5 ــ 7 :

عثر على المواد التالية : جبات بوق من نحاس ينتهي بأنبوب ضيق ، مصباح روماني ، اساور مضفورة من الحديد ، كرية من الجبس ، قطعة من كأس زجاجية ، ورؤس سهام من حديد .

اما في الأجدار والغور ، فلا اعتقد ان يكون هذا المظهر قد تجلى بصورة او بأخرى ، ذلك ان الدين المسيحي الذي يُحتمل أن اعتنقه الأمراء المور المتأخرين ، يتعارض حتما مع فكرة وضع اثاث بداخل القبر ؛ فالحياة الأخرى حسب فكر المسيحية وحتى الإسلام ، هي ذلك العالم الآبدي الروحي والأوسع الذي ينتظر المؤمنين بعد الموت ، ولايمكن حصره في حفرة القبر بل ان هذا الآخير ما هو في الحقيقة الا محطة مؤقتة للإنتقال الى العالم الآخر ، وهو ما يفسر في اعتقادي عدم العثور على اثاث جنائزي أثناء اكتشاف لجدارين (B) و V سنة 1938 .

هــ) ـــــ إستعمال الأحمر الجنائزي :

هو عبارة عن سائل احمر او صباغة استعملها البربر القدامى لرش عظام الأموات لاسيما الرأس ، وطلاء القبور والأثاث الجنائزي ، كما يوضع احيانا في اواني فخارية بداخل القبر لتمكين الميت من تلوين نفسه (56) . يعتبر اللون الأحمر مقوي سحري يرمز الى الحياة والدم ، ومن شأنه ان يمنح الميت الحيوية والقوة ويمنع عنه كذلك الأرواح الشريرة في عالمه السفلي .

لم تقتصرهذه العادة القديمة على البربر فحسب ، بل مورست ايضا عند كثير من الشعوب القديمة والمتأخرة (57) . يبدو ان هذه الشعيرة قديمة جدا في المغرب ، فقد عرفها السكان منذ ما قبل التاريخ ، حيث عثر على عظام آدمية ملونة بالأحمر تعود الى الحضارات القابسية (58) ، الأبيروصورية (59) والنيوليتية (60) ، كما لوحظ استعمالها في الفترة القرطاجية عند النوميديين الشرقيين ، واواخر العهد الروماني خاصة عند الصحراويين .

لقد تجلت هذه العادة بوضوح في ضريح المدغاسن ، ففي هذا الأخير لونت بالمغرة الحمراء : المنصة الشرقية ، الرواق ، خشب الأرزالساند ، بعض درجات السلم و جدران الغرفة الجنائزية وأرضيتها . كما عثر بضريح تين هينان على وعاء حجري مملوء بالأحمر الجنائزي ، لاشك ان مناصروها وضعوه تحت تصرف هذه الملكة اعتقادا منهم انه يمثل مادة حية وضرورية في العالم الأخر.

الى جانب الأحمر الحنائزي ، عادة ما استعمل البربر المبخرات والمجمرات لحرق العطور والطيب داخل القبور ، حرصا منهم على تطهير القبور من النوايا السيئة وطرد الأرواح الخبيثة عن الميت ؛ لقد وجد في كثير من المدافن اواني فخارية صغيرة عثر بداخلها على جمر، كما عثر بضريح الخروب على مبخرة عطور من فضة ، من المحتمل جدا انها استخدمت لهذا الغرض .

III ـــ العبادة الجنائزية

يبدو ان ظاهرة الموت عند البربر القدامى كانت مقدسة بشكل كبير ، فالشخص في فكرهم الديني لم يأفل بمجرد موته ، بل يحيا حياة اخرى في قبره يصبح بموجبها كائنا روحيا مقدسا ، و في حالة مشاهير الموتى يضحى الميت إله معبود ، يسعى اليه مناصروه او افراد عائلته ، لتعظيمه وطلب الحماية والمشورة منه في امور متفرقة .

لقد تبلور مفهومهم هذا في ظهورما يعرف بعبادة الموتى ، وهي مجموعة من الممارسات يقوم بها الأحياء في بعض الناسبات من اجل اجلال وتمجيد الميت والتعبير عن الصلة الوطيدة التي تربط الطرفين . وتقام هذه الطقوس عادة في اماكن مخصصة لهذا الغرض ، غالبا ما تكون مهيأة في الخارج كالأذرع ، المسطحات العلوية ، والملحقات الشرقية ، كما يمكن ان تمارس ايضا في بناءات داخلية مندمجة مع كتلة القبر والضريح مثل : المصليات او المحاريب ، المشكاة والأروقة المطافية (61) .

1 ـــ الإحتفالات الدينية :

تقام في المناسبات التذكارية ، وعادة خارج القبر ، وتتجلى اهم مظاهرها فيمايلي :

أ) ـــ تنظيم المآدب على شرف الأموات :

لقد وجد بجوار كثير من الجثوات القديمة بوسط الجزائر وجنوب تونس ، على آثار لمواقد وفحم يُعتقد انها بقايا مآدب جنائزية (62) . أعتقد ان العادة نفسها مازالت تُحيا الى يومنا هذا في بعض المناطق الريفية من المغرب ،

وُيطلق عليها اسم " طعم الأولياء الصالحين " ، حيث تقضي هذه العادة ان يجتمع مناصري الميت ومحبيه من كل سنة ، في اليوم والشهر المحددين ، في خيام تنصب بالقرب من ضريح الوالي الصالح لإقامة حفل ديني على شرفه يدوم بعض الأيام ، وتتخلله عادة العاب الفرسان وإطعام الحاجين ، وزيارة الضريح والطواف حول قبته .

ب) ـــ تقديم القرابين وإقامة التضحيات :

ُعثر في ملحقات الكثير من المعالم الجنائزية القديمة ، على آواني فخارية تحمل بداخلها عظام حيوانية وغذاء (63) ، يُحتمل انها بقايا قرابين (64) . اغلب الأضرحة الكبرى تتوفر في جهاتها الشرقية على منصات لايمكن ان يخامرنا نشك في دورها الجنائزي ، قد تكون استخدمت كمحطة جنائزية لأستقبال جثة الميت قبل دفنها او حرقها ، او كمكان لتقديم التضحيات والنذر ؛ كامبس يعتبرها مذابح او طاولات للقرابين (65) . الى جانب هذا اكتشفت في لجدار (B) بنائين صغيرين مستطيلين ، وبناء مستطيل آخر في لجدار (A) ، لم تتردد قادرة في اعتبارهم طاولات مذابح كما هو الشأن في طاولات جثوات فم الرجم بالمغرب الأقصى ، التي يعتبرها الكثير من الباحثين مذابح للتضحيات (66) .

ج) ـــ إراقة المشروبات :

لاريب ان هذه العادة كانت ترافق الإحتفالات الدينية التي تقام في اغلب الأحيان في الملحقات الخارجية ، المهيئة عادة في شرق المعالم الجنائزية القديمة والأضرحة الكبرى لاسيما المستديرة والهرمية ؛ وُيعتبر الحليب ، الماء (67) ، الخمر والزيت (68) مواد ضرورية يفضل الأحياء تقديمها كقرابين لموتاهم اوآلهتهم .

هذا ويرى بعض الباحثين ان القنوات والكويسات الصغيرة المحفورة على طاولات الدلمن و امام الحوانت ، تشكل اماكن لأراقة السوائل المقدسة التي تقدم كقرابين (69) .

يبدو ان الأحواض التي اكتشفت امام الواجهة الشرقية للجدارين (A) و (B) وداخل لجدار(F) ، لايدع مجال للشك في اعتبارها اقداح كبيرة يراق فيها السوائل المقدسة تشريفا للكهنة او الميت او الآلهة .

2 ـــ التوجيه نحو الشرق :

يتمثل هذا الشعار عادة في توجيه جثة الميت لاسيما رأسه ، غرفته الجنائزية ، المدخل الرئيسي لقبره او ضريحه ، والملحقات الخارجية نحو الشرق ، فهو يمثل مظهر من مظاهر العبادة الجنائزية التي لها علاقة بشروق الشمس (70) ؛ هذه العقيدة التي تعتبر اكثر قدما في حضارات الشرق القديمة خاصة في بلاد النيل ووادي الرافدين .

لقد عرف البربر هذه العادة منذ القدم ، ويتجلى هذا بوضوح في جثوات وبازينات فجر التاريخ ؛ فقد وجهت المشكاة والمحاريب او المصليات في معالم نغرين وتافيلالت ، منصات جثوات فم الرجم ، وبازينات السهول العليا الوسطى والغربية ، كلها نحو الشرق (71) . كما مورست هذه العادة ايضا في الأضرحة البازينية الكبرى ويشهد على ذلك : المداخل الرئيسية ، الأروقة ، الغرف الجنائزية ، المنصات الأمامية ، الملحقات الخارجية والمحاريب ، الموجهة في معظمها نحو الشرق .

ان مثل هذا التوجيه له حتما علاقة وطيدة مع عبادة الشمس الشائعة على الخصوص عند المصريين ، ولاشك ان انتشار هذه العقيدة في المناطق الشرقية من بلاد البربر ، قد دفع هيردوت الى اعتبار الشمس الإله الأعلى لليبيين (72) . والى جانب النصوص التاريخية ، هناك العديد من الشواهد الأثرية التي دلت على عبادة بعض المغاربة لهذا النجم المجسد في كثير من المرات في صورة الكبش المقدس او كوكب الشمس ؛ فقد عُثر في بعض القبور على رسومات منقوشة تصور قرص الشمس في كل من : قلعة الصنم (73) ، عين البيضاء (كاستل سابقا) (74) ، مغارة الكيفان بلغماري (75) ، د. لمن الزكارة (76) ، وحوانت جبل زيت بتونس (77) ، و اكتشفت في سيلا ايضا شواهد قبرية تحمل رسومات اشخاص يعلوهم قرص الشمس (78) . كما اكتشف بإحدى قبور غورايا التي ترجع الى الفترة الفنيقية ، على قرص برونزي (79) صغير يصور كبشين متواجهين، من دون شك يمثل الإله بعل ــ حمون الذي شاعت عبادته لدى الفنيقين والليبيين معا .

3 ــــ الطواف :

يصعب كثيرا اثبات ممارستها في معالم فجر التاريخ ، غير انه بإمكاننا الإستدلال على استعمالها في بعض الأضرحة الكبرى لاسيما تلك المصنفة ضمن المعالم ذات الأروقة المطافية Deambulatoire (الشكل 46) وهي : قبر تيبازة ، الجدار (F) ، بلاد قيطون ، قبر تين هينان ، الجثوة المجاورة للمدغاسن ، وبازينة جبل مايمل قرب عين مليلة (80) . وعلى الرغم من الإختلاف الهندسي الذي يميز أشكال أروقتها (81) ، الا ان تقريبا معظمها

يشترك معا في تحقيق دورة كاملة او شبه كاملة حول الغرفة او الغرف الجنائزية .

يبدو ان شعيرة الطواف لم تكن تتشابه في جميع هذه الأروقة ، فالروا ق المستدير في قبر تيبازة يقود مباشرة الى البهو الثاني والغرفة الجنائزية المركزية ، بحيث يكتفي فيه الطائفين (82) بدورة واحدة فقط ، بينما يظهر رواق كل من بلاد قيطون والجثوة المجاورة للمدغاسن اكثر سهولة واكتمالا ، اذ يتيسر فيهما للطائف في تحقيق دورة كاملة حول الغرفة الجنائزية . اما في قبر تين هينان فلايمكن الكلام عن رواق مستدير وكامل ، بل كل ما هنالك هو ممر منحني تم سده يقع في القاعة رقم 2 بحيث يحيط بالغرفة الجنائزية من الخلف ليصل في النهاية الى القاعة رقم (5) (83) ، وهو بهذا الشكل يسمح للزائر بإقامة طواف جزئي فقط . وبالنسبة لمخطط الرواقان المركزيان في الجدار (F) ، يعتبر من اكثر المطافات تعقيدا وصعوبة ، وهذا بإحتوائه على سلسلة من الغرف المربعة والمستطيلة تتصل فيما بينها بمسالك ضيقة ومنخفضة احيانا ومتسعة ومرتفعة احيانا اخرى ؛ ان هذا التعاقب المنتظم في ارتفاع الممرات وانخفاضها ، يوحي ان ممارسة الطواف في هذا الضريح كانت تأخذ اشكالا جد معقدة يتعسر علينا ادراك مغزاها .

اذا كان وجود هذه الأروقة يثبت استعمال الطواف فإنه ليست لدينا أي فكرة عن طرق وكيفية ممارستها هل كانت مخصصة لعامة الناس ؟ ام لفئة معينة ؟ هل كانت تستعمل أثناء دفن الميت ؟ ام خلال الإحتفالات الدينية ؟ تساؤلات عديدة يصعب الإجابة عنها .

من الواضح ان هذه الشعيرة تشكل احدى مظاهر العبادة الجنائزية كما ان ممارستها حول الغرفة الجنائزية وداخل الضريح يدل على وجود علاقة متينة بين العابد والميت وبالتالي من المحتمل جدا ان استعمالها كان مقتصرا فقط

على رجال الدين وافراد عائلة الميت سواء عند دفن الميت او اقامة الإحتفالات على شرفه .

4 ـــ النوم بجوار الميت (L'Incubation) :

وتقضي هذه العادة ان ينام الأحياء (84) بجوار قبور امواتهم قصد استشارتهم في امور غيبية متفرقة تتعلق بحياتهم ومستقبلهم ، وبالمقابل يتلقى هؤلاء الوحى او الإجابة عن طريق الحلم . لقد اشترك في ممارستها قديما المغاربة وبعض الشعوب المجاورة ، لاسيما السردينيين والغوانش في جزر الكناري (85). وقد اشار هيردوت الى استعمالها عند شعب النسامون في القرن الخامس ق.م (86) ، كما يذكر بومبنيوس ميلا ان شعب الأوغليا كان يستشير امواته مثل وسيط الوحي عند الإغريق (87) .

ظلت هذه الشعيرة تمارس طوال الفترة التاريخية ، وهناك من الباحثين من يرى انها بقت تستعمل في بلاد المغرب في الفترة الوسيطة (88) والى غاية النصف الأول من القرن الحالي (89) ، في القباب المدفون فيها الأولياء الصالحون (90) ، في بعض المغارات بالمغرب الأقصى (91) ، و في الصحراء عند نساء الطوارق (92) ، حيث تنمن هؤلاء بجوار اضرحة الصالحين لأستقصاء الأخبار عن ازواجهن الغائبين .

من المحتمل ان هذه العادة استعملت ايضا في ضريح تين هينان وبعض المدافن القديمة ، لاسيما في الجثوات ذات المصليات او المحاريب المنتشرة بكثرة في تافيلالت جنوب المغرب الأقصى ، في موريطانيا ، فزان بصحراء ليبيا ، ونغرين جنوب جبال النمامشة . تتوفر معظم هذه المعالم في جهتها الشرقية على اروقة وغرف مهيئة امام الغرفة الجنائزية ، بحيث تتناسب

واقامة الشعائر المرتبطة بالعبادة الجنائزية ، من بينها شعيرة النوم (انظر الشكل 28) .

من الواضح انها كانت تمارس ايضا في بعض لجدار خاصة لجدارين (A) و (C) ، ويدل على ذلك مخططهما الداخلي الذي يشبه كثيرا المعالم المذكورة أعلاه ، حيث يتشكل من غرف واروقة تحيط بالنواة المركزية (93) ملاءمة تماما لممارسة هذه الشعيرة .

اما عن المسطحات التي تعلو كل من قبر تيبازة والمدغاسن ، فأمرها يكتنفه الغموض لكن اغلب الظن انها استخدمت لممارسة طقس له دون شك علاقة بالعبادة الجنائزية ؛ ان مثل هذه البناءات تتناسب كثيرا مع عادة النوم فوق القبور ، حيث نجد في نص هيردوت التالي مايشير الى ذلك : << النسامونيين كانوا يستشيرون اجدادهم حول المستقبل **بالنوم فوق مقابرهم** ، وعندما يريدون القسم على شيئ كانوا يضعون يدا على قبر احد المشهود لهم بالعدل والخير >> (94) . يتبين من هذا النص كذلك ان عادة النوم مثلما مورست في ملحقات داخلية مندمجة مع كتلة القبر ، كانت تمارس ايضا فوق القبور ، كما يشير النص ايضا ان هذه العبادة لم تخص جميع الأموات ، بل اتصف بها فقط الرجال الصالحين من محبي العدل والخير .

مما لاشك فيه ان هذه العادة جاءت لتعزز الروابط وتقوي الإتصال بين الأموات والأحياء ، فالأوائل مطالبين بإستجابة دعوات مناصريهم في عالم الحلم ، بينما يلتزم الأخيرين بالإهتمام اكثر بالعبادة الجنائزية بإقمة الإحتفالات الدينية وتقديم القرابين .

5 ـــ خلاصة :

من الواضح ان هناك عوائق عديدة تعترض الباحث في مجال الشعائر و العبادة الجنائزية ، فالشواهد المادية على ذلك قليلة جدا سواء في مقابر فجر التاريخ او المدافن اللاحقة ، كما ان المصادر التاريخية القديمة في هذا الشأن تكاد تنعدم . وامام هذا الوضع المؤسف يبقى الباحث الأثري ملزم بالبحث اكثر ، عن طريق اجراء تنقيبات آثرية دقيقة لاسيما في المواقع التي لم تكتشف بعد ، والتي من شأنها ان تعطينا صورة واضحة عن الحياة الدينية على الأقل في الفترة التاريخية القديمة .

لقد توصلت الدراسات الميدانية في هذا المجال في القرنين 19 و 20م الى نتائج ايجابية ، سمحت بالتعرف على كثير من الممارسات الشعائرية في المغرب القديم ، كانت مجهولة لفترة طويلة .

يبدو ان الأضرحة البرجية لم تعرف بعض الشعائر الدينية التي شهدتها الأضرحة المستديرة ــ الهرمية ، قد يفسر ذلك بسبب عدم ملاءمة مخططها وشكلها الهندسي ، فهي مستوحاة كما اسلفنا من الهندسة الهلنسية ـــ الفنيقية و بالتالي لابد انها لم تحتو على ملحقات داخلية وخارجية تناسب هذه الشعائر .

يظهر ان اغلب الطقوس الجنائزية الممارسة في الأضرحة الكبرى تمتد اصولها الى مدافن الفترة المبكرة ، وبإستثناء بعض العادات التي استغنى عنها البربر القدامى فيما بعد ، كالوضعية المنطوية و المنكمشة ، فإن معظم الشعائر الدينية سواء المتعلقة بالدفن او العبادة الجنائزية ـــ الوضعية الممتدة ، الحرق ، تجريد الجثة من اللحم ، الأحمر الجنائزي ، الإحتفالات الدينية ، النوم بجوار القبر والإيمان بالعالم الآخر ـــ ظلت مستعملة طوال

الفترة التاريخية وبعضها ظل ممارسا حتى العصر القديم المتأخر ، والبعض الأخر بقى ممارسا اكثر من ذلك .

لقد عرفت بعض الأضرحة تطورا في بعض مظاهر العبادة الجنائزية ، كعادة النوم والإحتفالات الدينية ، كما برزت عادات أخرى لم تكن معروفة في القديم ، كالطواف . وقد ساعد على ذلك تهيئة بناءات جديدة ، كالأروقة المطافية والملحقات الداخلية والخارجية في لجدار وقبر تين هينان .

ومما تجدر الإشارة اليه ان معظم الشعائر والطقوس الجنائزية التي مارسها البربر في العصور القديمة ، لم تكن من خصوصياتهم وحدهم ، بل عرفتها ايضا عدة حضارات في الشرق وفي حوض البحر المتوسط ، وهذا ان دل شيء انما يدل على الصبغة العالمية التي كانت تكتسيها الحياة الدينية ، والتفتح الحضاري للبربر على ديانات العصر القديم .

هوامش الفصل الخامس

(1) جوليان ش. أ.، نفس المرجع السابق ، ص. 78 .

(2) Hérodote, IV, 188 ; Le Glay, M. **Saturne africain**, Vol. II, Ed. Boccard, paris, 1966 .

(3) Gsell, St. **Recherches archéologiques en Algérie**. Ed., Leroux, Paris, 1893, p. 2 .

(4) حول هذا الموضوع انظر : حارش ، م. ه. آصول عبادة آمون في المغرب القديم ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد ، 4 ، 1988 ، ص. 11-18 ؛

Leglay, M. **Saturne l'Africain**, Vol. II, éd. De Bauccard, Paris, 1966, pp. 425-431 .

(5) الناظوري ، رشيد، **جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا** ، **المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**. ج. 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976 ، ص. 145 ؛ نفس المؤلف ، **المغرب الكبير في العصور القديمة** ، الأسكندرية ، 1966 ، الشكل (72) ، (73) .

(6) Ministère de l'information et de la culture, Sous -Direction des Arts, Musées, Monuments historiques et Antiquités, Benouniche, F. **Le Musée national des antiquités d'Alger**, Alger, 1974, p. 27, 30 .

(7) Gsell, St. Histoire ancienne... p. 166 ، انظر كذلك : مقالة ، حارش، م. ه. حول آصول عبادة بعل حمون في قرطاجة ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد ، 3 ، 1987 ، ص. 9-12 ؛ Toutain, J. **Les cultes paiens dans l'Empire romain.** éd. bibliothèque de l'école des hautes études sciences religieuses, Vol. 25, 1920, pp. 16-22, et 35-36 .

(8) Cf. Warmington, B.H., **Carthage**, London, 1960, p. 129 ، وفي نفس السياق ، يرى رشيد الناظوري : << .. ان عدم الإشارة اليها في نصوص رأس شمرا وصور يؤكد انها غير فنيقية بل بربرية الأصل >> الناظوري ، ر. جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا ....، ص. 145 .

(9) انظر مقال كامبس بعنوان Qui sont les Di Maurri بمجلة Antiquités Africaines و اليونيسكو ، نفس المرجع السابق ، ص. 451 .

(10) Cf. Piganiol, A. **La religion et les mouvements sociaux dans le Maghreb antique**, C. H. M., t. 3, 1956-1957, p. 815 .

(11) جوليان ، ش. أ. نفس المرجع السابق ، ص. 136 ؛ اليونيسكو، نفس المصدر السابق ، ص. 450 . Camps, G. Aux origines... Massinissa... p. 564

(12) قد نصادف احيانا قبور خالية من العظام ، لكن هذا لايعني انها انتهبت ، فربما تكون هذه الأخيرة قد تحللت بفعل الرطوبة ومياه الأمطار، او يكون مورس في بعض القبور عادة الحرق ، ثم تحلل الرماد خاصة اذا لم يوضع هذا الأخير في مرمدات خاصة .

(13) حول هذا الموضوع انظر : شكاي ، مولود ، **دراسة المظاهر الجنائزية لفترة ماقبل التاريخ بشمال إفريقيا والصحراء**. الجزائر ، معهد الآثار ، 1995 .

(14) لاسيما تلك التي نجت من النهب .

(15) Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 209 ، انظر كذلك : Ibid., t. I, p. 270 .

(16) اليونيسكو ، المنهجية وعصر ما قبل التاريخ ، ص. 588 .

(17) Camps, G. Aux origines... rites... p. 468 .

(18) Ibid., p. 467 .

(19) Reygasse, M. **Fouilles de monuments funéraires de type « chouchet » accolés au Tombeau de Tin-Hinan à Abaléssa (Hoggar)**, Bull. B. S.G. A., d'Oran, t. LXI. 1940, p. 148 ; Id., Monuments funéraires préislamique... pp. 109-117 ; Camps. G. Sur trois types peu connu... pp. 101-108 .

(20) Camps. G. Aux origines...rites... p. 469 .

(21) Camps, G. Aux origines... rites... p. 472-474 .

(22) Id., **Sur une pratique funéraire protohistorique en Afrique du Nord,** Extrait du bull. n° 10 (travaux de 1960), paru en juillet 1961 de la « Société d'Etudes et de Recherches Préhistoriques » et « Institut Pratique de Préhistoire » , Les Eyzies .

(23) في إفريقيا الجنوبية ، أمريكا و أقيانوسيا . . Gsell. St. Histoire ancienne... p. 239 .

(24) Cf. Ruhlman, A. **Les recherches de préhistoire dans l'extrême-sud marocain,** Public. du Service des antiquités du Maroc, t. V, 1939, p. 46 ; Le Du R. et Sérée de Roch. **Le gisement Capisien de Békaria**, dans Libyca, Anthrop. Archéol. Préhist. t. I, 1953, p. 141-155 .

(25) Gsell, St. Histoire ancienne... p. 239 ; Camps, G. Aux origines... rites... p. 471-472 .

(26) Cf. Moret, A. **Mystères egyptiens** . Paris, 1922, pp. 43-102 ; Dalloni, M. **Mission au Tibesti, (1930-1931),** Paris, 1935. pp. 207-223 . Voir également, Camps, G. Aux origines... p. 472-474 .

(27) Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 215 .

(28) Camps, G. Aux origines... rites... p. 477 .

(29) Gsell. St. op. cit. p. 215 .

(30) Ibid., p. 216 .

(31) Camps. G. Aux origines... p. 480 .

(32) يظهر ان الدين المسيحي ، لم يتمكن من جعل الوضعية المددة شائعة الإستعمال في المغرب ، بدليل ممارسة الوضعية المنطوية عند بعض الأعيار المغاربة في : لجدار (B) وقبر تين هينان وبعض القبور المتأخرة المجاورة له .

Cf. Kadra, F. Note complémentaire... p. 229 ; Reygasse, M. Monuments Funéraires... p. 97 ; Id., Fouilles de... types chouchet... p. 148 ; Camps, G. Aux origines... p. 469

(33) بعض الباحثين يعزون سبب ذلك ، الى بقاء جثة الميت مدة اطول في القبر الأولي المهيأ لممارسة هذه العادة ، مما ترتب عنه تهشم العظام وتكسيرها بعد نقلها منه الى القبر النهائي .

Cf. Logeart, F. **Grottes funéraires, hypogées et caveaux sous roches de Sila, fouilles 1933-1934,** Rec. des Notes et Mém. de la Soc. archéol. de Const., t. LXIII, 1935-1936, pp. 69-105 ; Le Du, **Les tombeaux rond du Djbel Mistiri** . pp

565-587 ; Camps, G. **Les dolmens de Beni-Messous**, Libyca, anthrop. archéol. préhist., t. I, 1953, pp. 329-372 .

والبعض الآخر يفسر ذلك بإنتهاك القبور من طرف الإنسان او الحيوان . Chabassière, J. **Ruines et dolmens de fortas et de ses contrefors**, Rec. des Notes et Mém. de la Soc. archéol. de Const. t. XXIV, 1886-1887, pp. 96-138 .

(34) Gsell, St. Histoire ancienne... t. VI, p. 235 .

(35) Camps, G. Aux origines... rites... p. 503 .

(36) Doumengue, F. **Contribution au préhistorique de la région d'Oran**, Cr. du XXVII° congr. de l'A. F. A. S., Nantes, 1898, pp. 574-583, (p. 580) , par, Camps, G. op. cit., p. 504.

(37) Camps, G. op. l., p. 504 .

(38) Gsell, St. Histoire ancienne... p. 215-216 .

(39) Cf. Camps, G. Nouvelles observations... p. 502 ; Id., Aux origines... p. 501-504 ; Fantar, M. **Eschatologie phénicienne-punique**. Inst. Nat. d'Archéol. et d'Arts, Tunis, 1970 .

(40) انظر سابقا .

(41) انظر كذلك سابقا .

(42) C. Brunon, art. cit., p. 337 .

(43) Gsell, St. Histoire ancienne... p. 214 ; Camps, G. Aux origines... p. 481 .

(44) وقد تبين ذلك من خلال عدد هام من المدافن التي نقبت في مقبرة بونوارة من طرف كل من :

فايدارب Faidherbe : خمسة ، سنة 1865 .

بلاري Pallary : اثنى عشر ، سنة 1909 .

ديبروج وجولو Débruge et Joleaud : خمسة وعشرون ، سنة 1916 .

كامبس : اربعة وعشرون ، سنة 1954 .

من كل هذه القبور لم يصادف وجود هيكل عظمي كامل . . Cf. Camps, G. Aux origines... p. 481

(45) Gsell, St. op. cit. 214 .

(46) Bonsor, G. **Les colonies agricoles préromaines de la vallée du Bétis**, Rev. archéol., 3°serie, t. XXXV, pp. 126-159, 232-325, 376-391 .

(47) Hérodote, I. 140 ; Chrysippe, **apud Cicéron.**, Tuscul., I, 45, 108 ; Justin, XLI, 3, 5 . par Gsell, St. op. cit. p. 214 .

(48) Cf. Gsell, St. op. l., p. 214 ; Camps, G. op. l., p. 485-488 .

(49) Gsell, St. 238-239 ، كامبس يتعارض ، ويري انه كيف يتسنى لأناس يخافون من عودة الأموات ، ترك هؤلاء لوحدهم في قبر اولي او في الهواء الطلق دون دفن . . Camps, G. op. l., p. 500

(50) Logeart, F. **Grottes funéraires**... pp. 69-105 .

(51) **Camps, G. op. l., p. 501 .**

(52) مثل ما تشهد عليه الأواني الفخارية المكتشفة في العديد من المقابر القديمة التي كانت تحمل دون شك غذاء بداخلها (الصورة 145) .

(53) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر : . Camps, G. op. l., p. 506-521

(54) انظر سابقا ، آثاث صومعة الخروب .

(55) Cf. Camps, G. **Le tombeau de Tin-Hinan à Abaléssa**... p. 65-83 .

(56) Gsell, St. op. l., p. 235 .

(57) Camps, G. op. l., p. 522 .

(58) Cf. Le Du R. et Et. Serée de Roch, **Le gisment capisien de Békaria**... p. 208 ; Debruge A. et Mercier, **La station préhistorique de Mechta Chateaudun,** Rec. des Notes et Mém. de la Soc. Archéol. de Conctantine, t. XLVI, 1912, pp. 287-307 (p. 297) .

(59) Pallary, P. **Monographie Paleoethnologique de l'arondissement d'Oran**, Bull. de la Soc. d'Anthrop. de Lyon, t. XI, 1892, p. 293 .

(60) Vaufrey, R. **Le capisien des environs de Tebéssa,** t. I, 1936-1937, pp. 131-172. (p. 159) ; Cintas, P. **Tombeaux puniques découvertes à Tebourba,** B. A. C., 1946-1949, pp. 863-869 . Par Camps, G. op. cit. p. 522 .

(61) Camps, G. op. l., p. 537 .

(62) Gsell, St. op. l., p. 242 .

(63) تتجلى هذه الشعيرة بوضوح في النصب التذكاري بمكثر ، حيث اكتشفت في غرفه الصغيرة وفناءه المهينان امام الغرف الجنائزية ، جرار مملوءة بالعظام وبجوارها فخاريات صغيرة تمثل مصابيح واقداح . ولمزيد من التفاصيل انظر : Pauphilet, D. **Monument meghalithique de Maktar** , Karthago, IV, 1953, pp.51-82.; Camps G. Aux origines...rites... p. 544.-545 .

(64) Cf. Gsell, St. op. l., p. 242-243 ; Camps, G. op. l., p. 544-545 .

(65) Camps, G. op. l., p. 537, 546 .

(66) Meunié, D. J. **La nécropole de Foum le Rjam**... p. 98 ; Camps, G. op. cit. p. 186 ; Kadra, F. Les Djedars... p. 343 .

(67) Kadra, F. op. l., p. 344 ; Gsell, St. op. l., (2 ème édition), p. 9 .

(68) حارش ، م. ه. نفس المرجع السابق، ص. 150 .

(69) Cf Gsell, St. op. l., p. 243 ; Dr. Deyrolle, **Menhir et cupules en rapport avec les Haouanet tunisiens**, B. S. P. F., t. II, 1905, p. 27-31 .

(70) حول هذا الموضوع انظر : Gsell, St. op. l., p. 181, 193, 198 ; Camps, G. op. l., p. 547-551 ; Gautier, F. E. **Les premières resultas de la mission Frobenuis,** Rev. afric, t. LXII, 1921, pp. 47-61 .

(71) Camps, G. op. cit. p. 551 .

(72) Hérodote, IV, 188 ; Gsell, St. **Hérodote, texte relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord**, Ed. Jordan A. et Leroux, E. Alger-Paris, 1916 , p. 185 . Id., Histoire ancienne ... t. VI, p. 166 ; Camps, G. op. l., p. 551 .

(73) Letourneux, A. **Sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale**... pp. 307-320 .

(74) Reygasse, M. **Monuments Funéraires préislamiques**... fig. 29-30 .

(75) Compardou, J. **La grotte de Kifan bel Ghomari**, Bull. de la Soc. de Geogr. et d'Archéol. d'Oran, t. XXXVII, 1917, pp. 5-26 (p. 7 pl. v) .

(76) Lieutenant Denis, **Les dolmens de Tunisie centrale**, B. S. G. A. d'Oran, t. XV, 1895, pp. 273-280 (p. 274) .

(77) Dr. Deyrolle, **Haouanet à lits et à faces humaines**, Bull. de la Soc. Archéol. de Sousse, t. II, 1901, pp. 154-159 (p. 155) .

(78) Cf. Logeart, F. **Nouvelles inscriptions libyques de la commune mixte de d'Ain-Mlila**. Rev. afric., t. LXXVIII, 1936, pp. 441-452 ; Chabot , J. **Recueill des inscriptions libyques**, Paris, 1940, N° 808 et 810,

(79) **Minstère... Le Musée** pl. XI, N° 1 et 3 ; voir ausi , Camps, G. Aux origines ... p. 132, 551 **national des Antiquités d'Alger... p. 27 .**

(80) Cf. Joly A. et Joleaud, L. **Ruines et vestiges anciens relevés dans la province de Constantine**. Rec. des Notes et Mém. de la Soc. Archéol. de Const., t. XLV, 1911, pp. 19-36 (p. 29) , Par Camps, G. Aux origines... p. 195 .

(81) لجدار (F) : رواقان مركزيان ذو مخطط مربع، بلاد قيطون : رواق مثمن الأضلاع، قبر تيبازة : شبه مستدير، الجثوة القريبة من المدغاسن : مستدير تماما، بازينة جبل مايمل : مسالك متعرجة معقدة Labyrinthe تحيط بمصلى او هيكل معبد Cella

(82) قد يكونوا من رجال الدين، او افراد عائلة الميت ،او مناصريه .

(83) Camps, G. **Le Mausolée de Tin-Hinan à Abaléssa**... p. 80-81 .

(84) خاصة من افراد عائلة الميت او اتباعه .

(85) **Pseudo Aristote**, IV, 9, 1 . par Camps, G. Aux origines... p. 557 .

(86) Hérodote, IV, 172 ; Gsell, St. Hérodote, dans textes relatifs... p. 184 .

(87) Cf. Pomponuis Méla, **De chorographia**, livre I, 46 .

(88) El Bekri, **Description de l'Afrique septentrionale**, trad. Baron de Slane, 2ème édition, Alger, 1913, p. 200-201 .

(89) مع إدخال بعض التعديلات عليها ؛ وتختلف عادة النوم المتأخرة عن القديمة ، من حيث طرق استقبال وحي الميت ، فإذا لم تكن الوساطة قائمة بين الميت و الحي في القديم ، فقد اصبحت تشكل عامل اساسي في الفترة المتأخرة باتخاذ الجن وسيطا روحيا .

(90) Cf. Douté, **Magie et religion dans l'Afrique du Nord**, Alger, 1909, p. 412 ; Dermenghem, E. **Le culte des saints dans l'Islam maghrébin**, Paris, 1954, p. 132

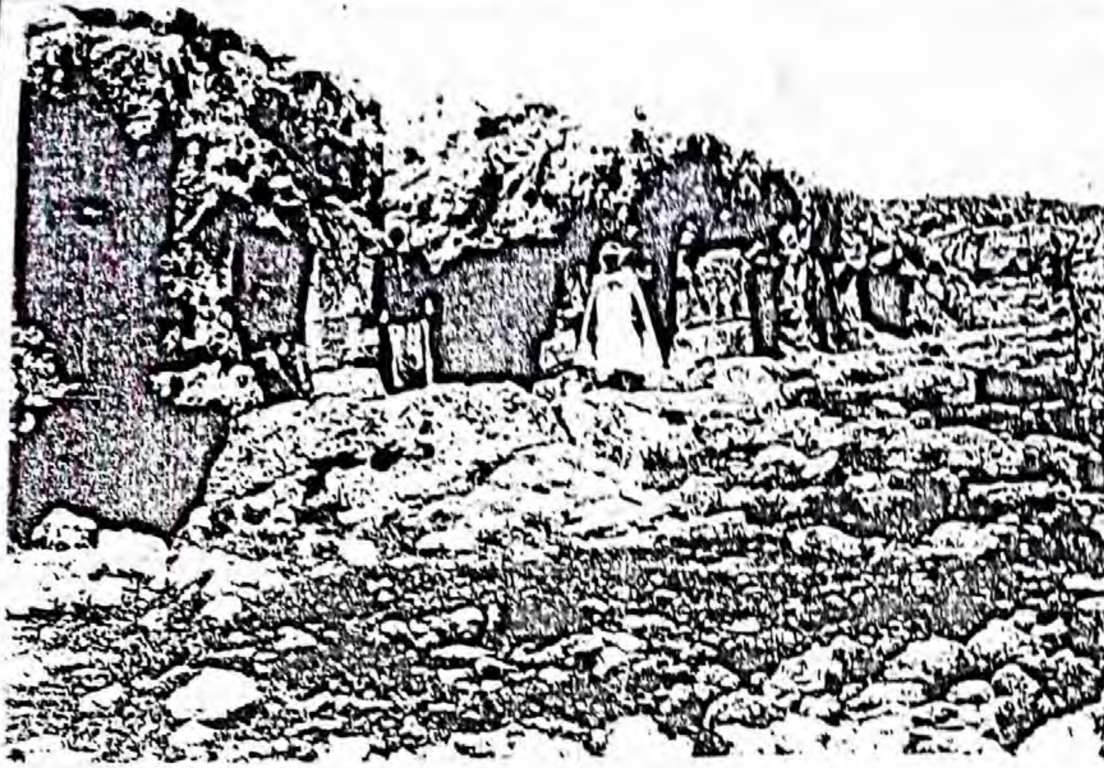
(91) Basset, H. **Le culte des grottes au Maroc**, Alger, 1920, p. 61 .

(92) Gardel, G. **Les Toureg Ajjer**, Alger, 1961, p. 360-361 ; Reygasse, M. **Monuments funéraires**... p. 33.

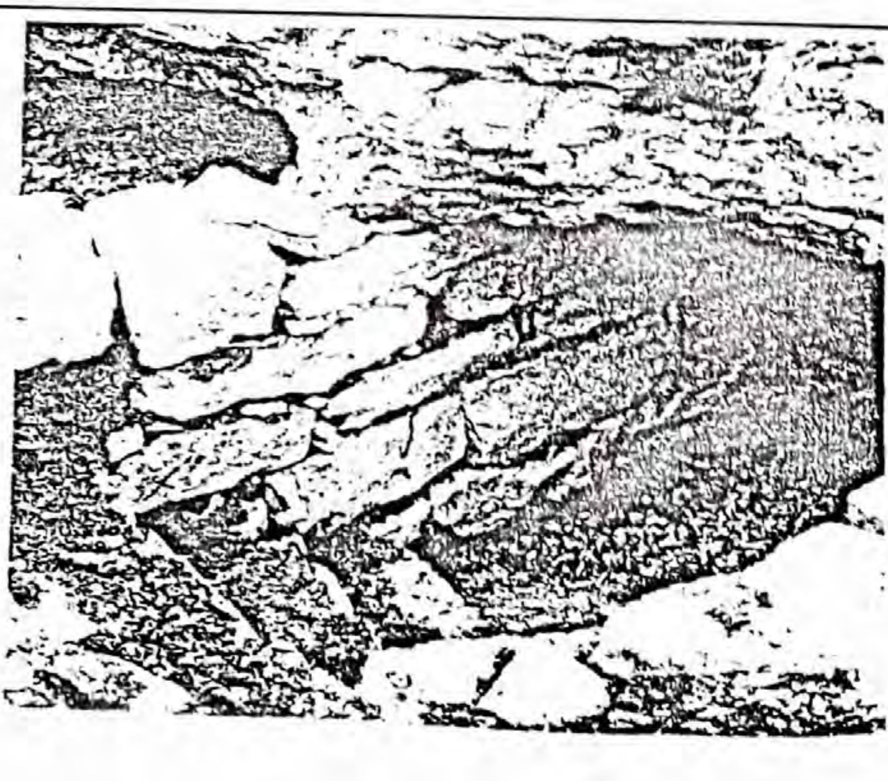
(93) التي يُحتمل انها تضم بمركزها غرفة جنائزية مهيئة اسفل سطح الأرض

(94) Hérodote, op. I., 172.

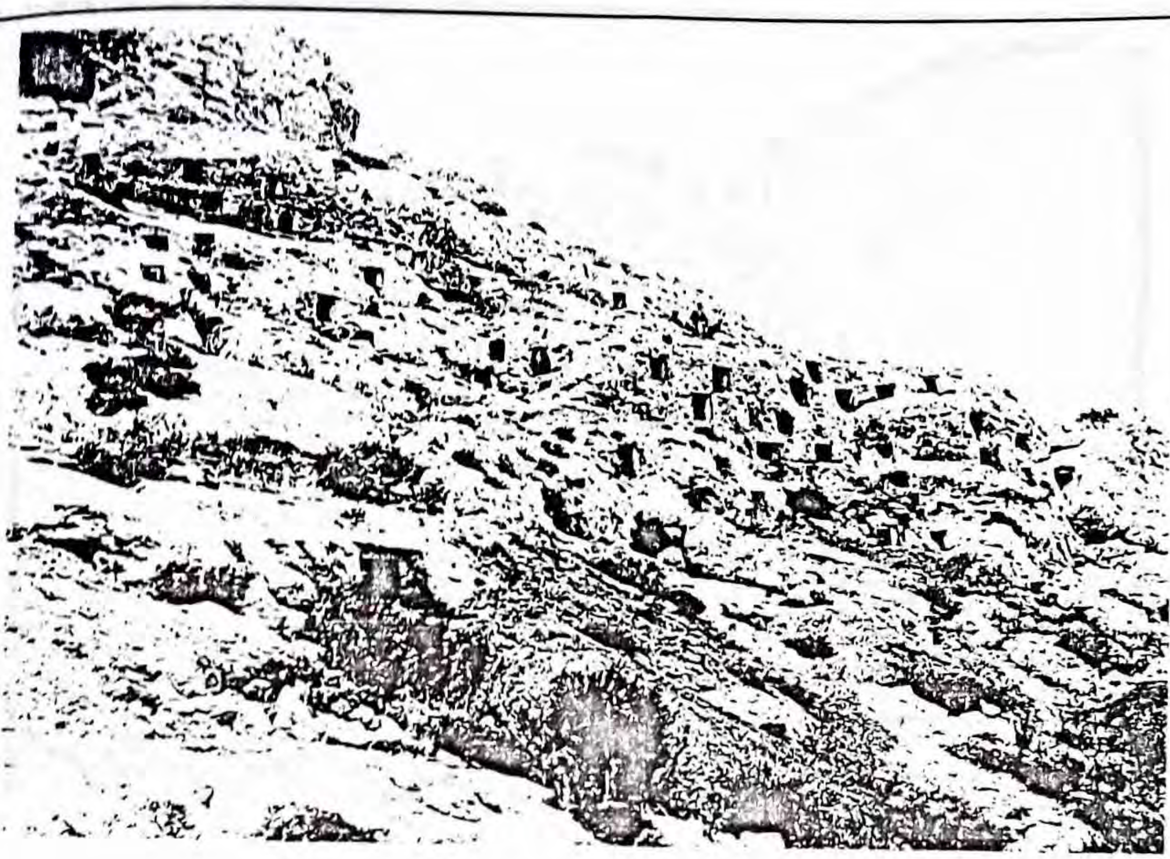
﴿ ملحق الصور ﴾



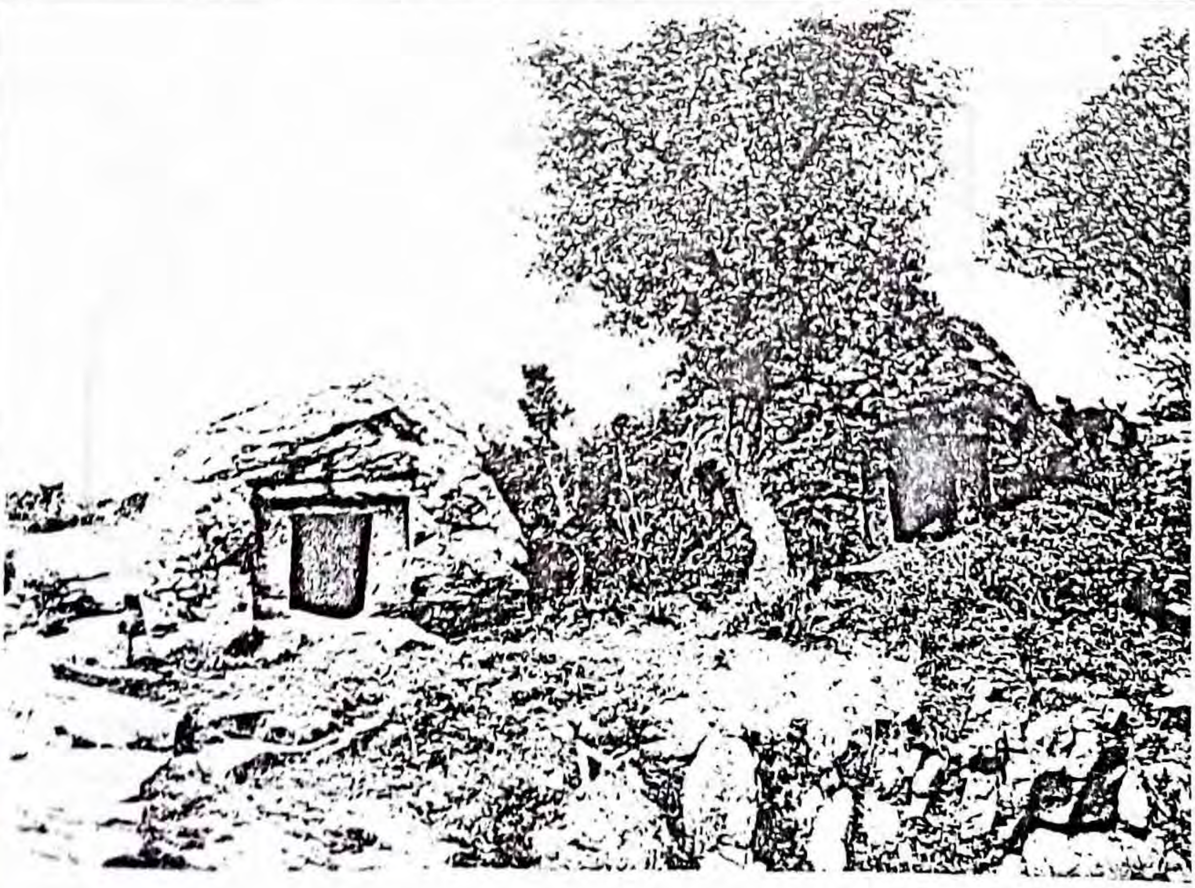
صورة رقم (1) مغارات مهينة في عين البيضاء



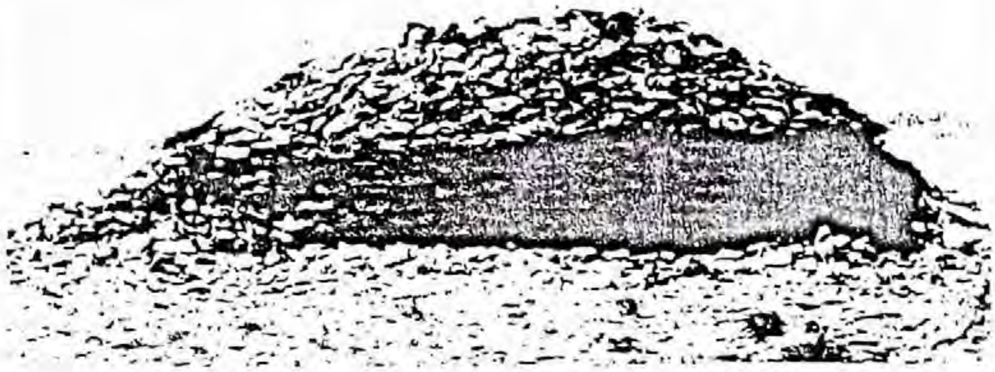
صورة رقم (2) مدفن أرضي مهيئ تحت صخر بسيلا



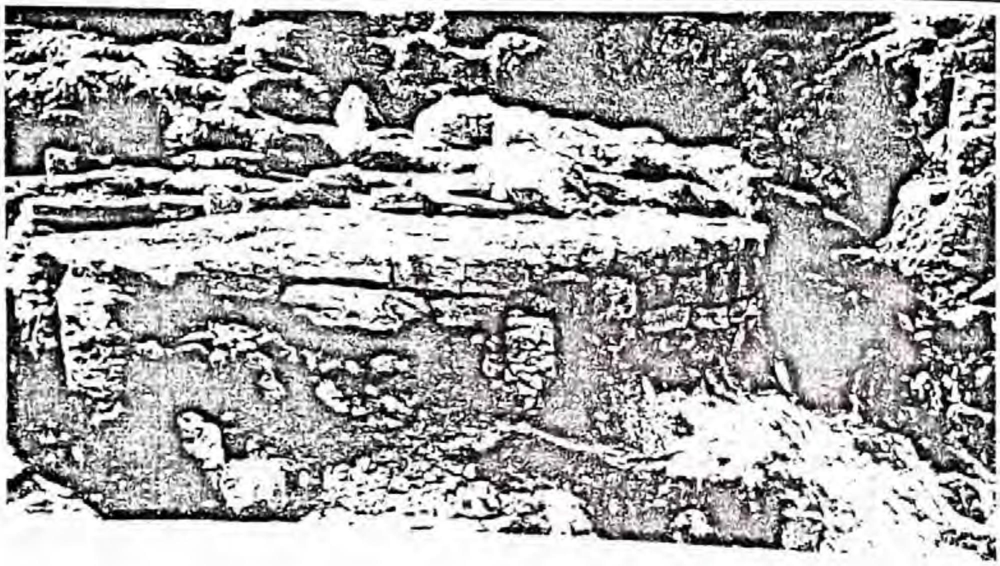
صورة رقم (3) مقبرة حانوتية في كاسبيل بتونس



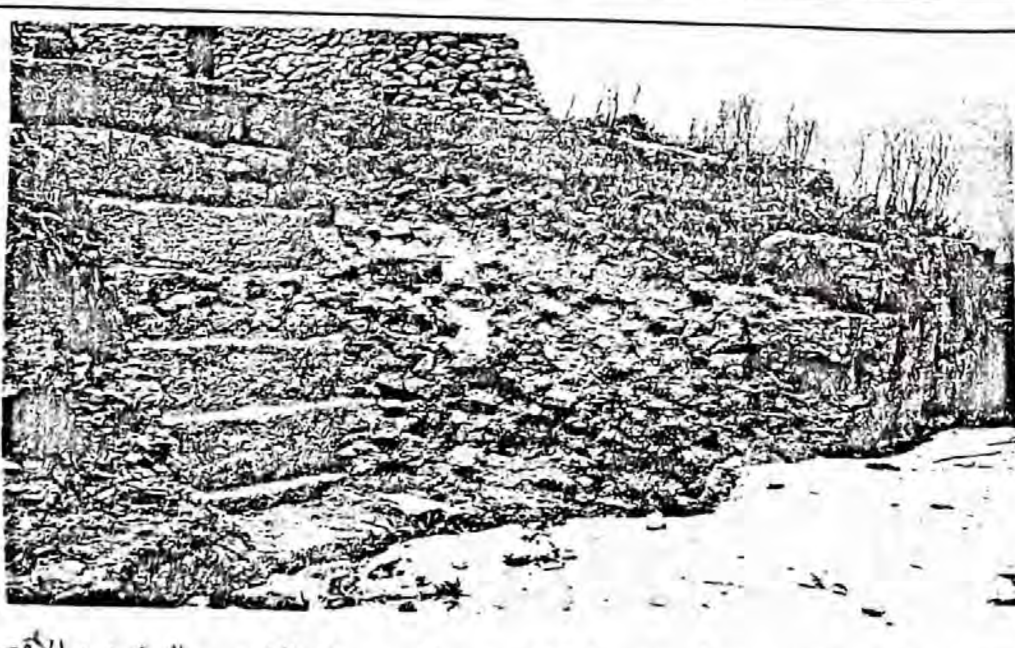
صورة رقم (4) حوانت محفورة في صخور منعزلة في سجنان - شمال تونس -



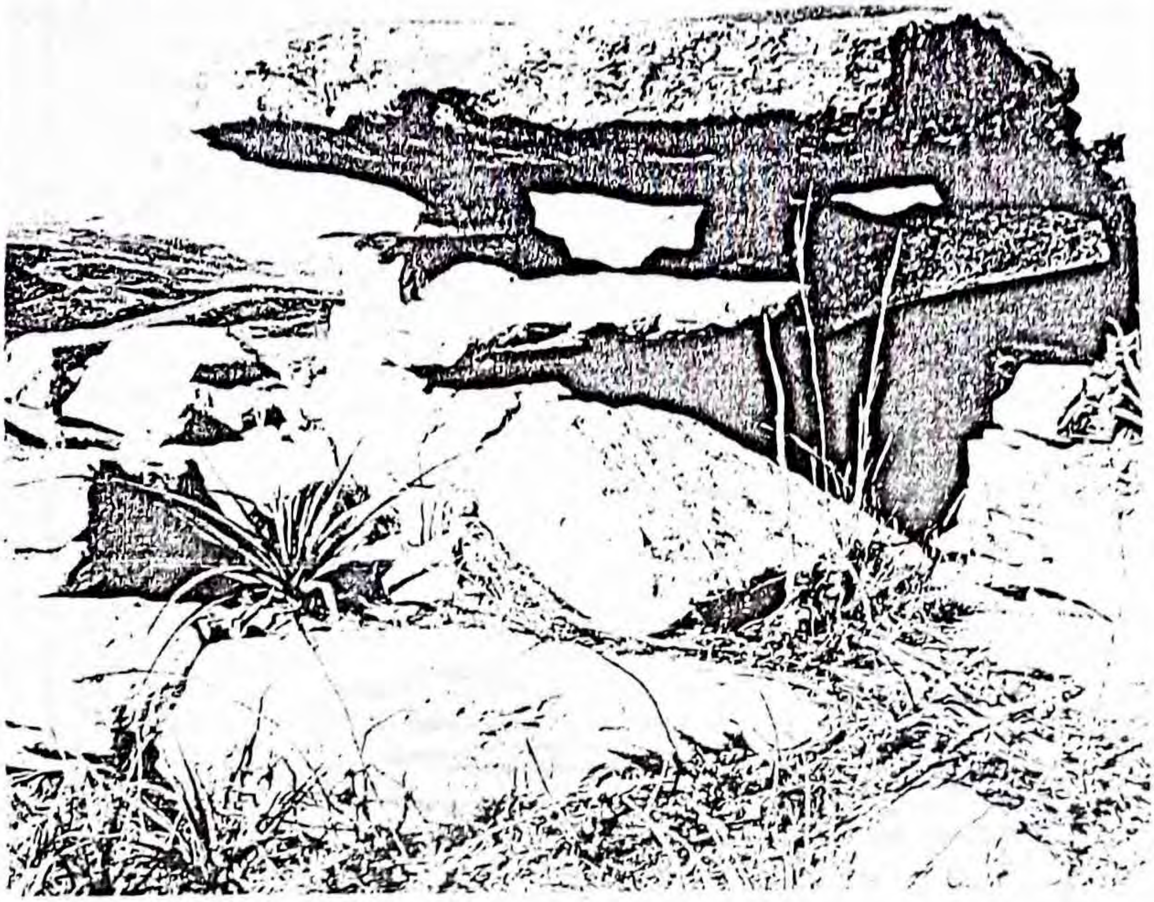
صورة رقم (5) بازينة ذات قاعدة أسطوانية بجبل مستيري - تبسة -



صورة رقم (6) بازينة تيديس



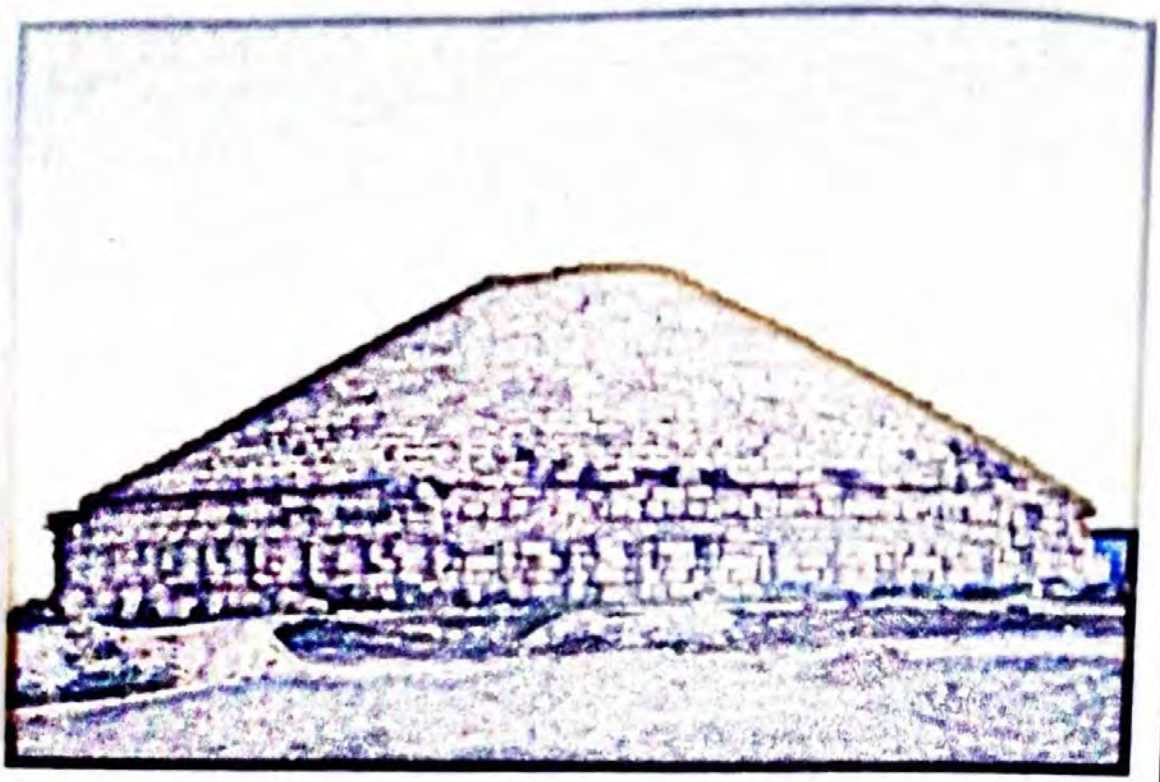
صورة رقم (7) بازينة أسطوانية ذات درجات بسوق الغور - المغرب الأقصى -



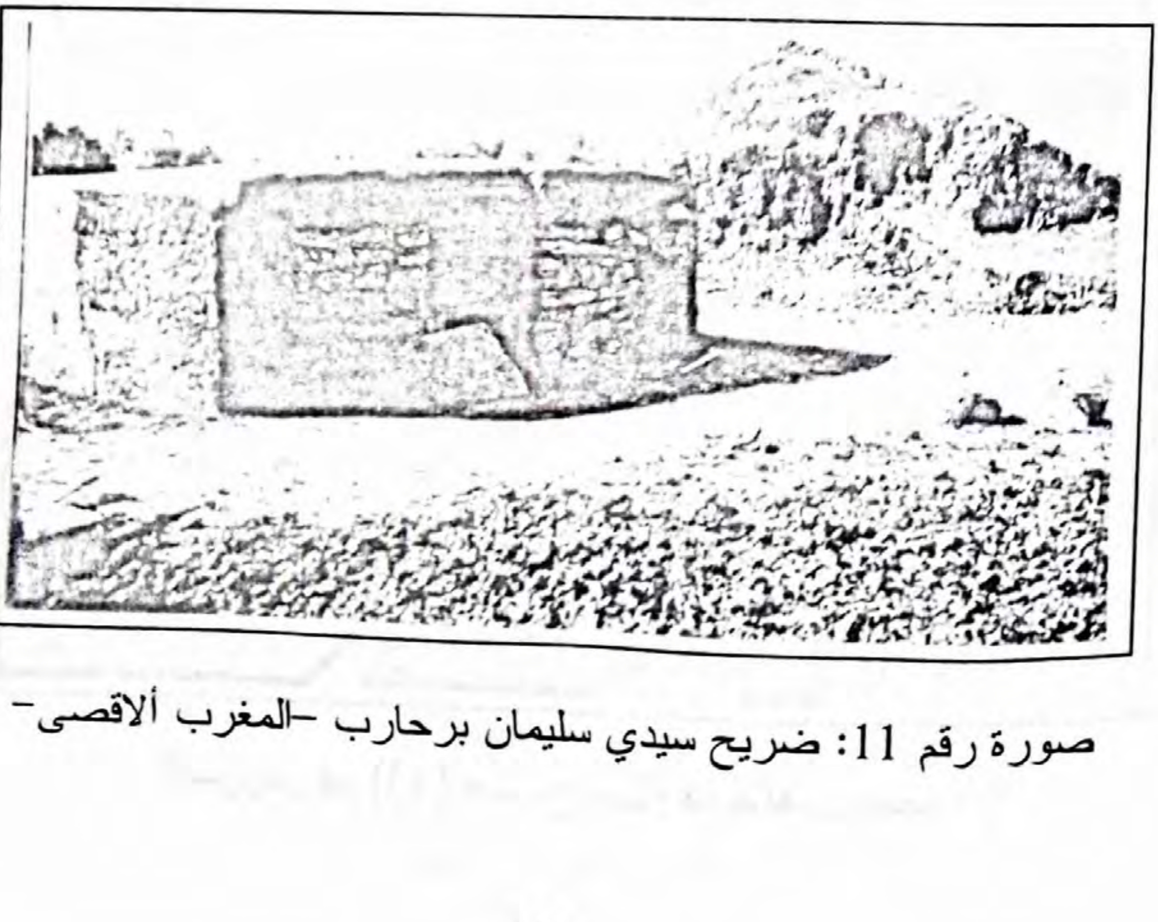
صورة رقم (8) إحدى مصاطب (دلمن) مقبرة بونوارة ـ قسنطينة ـ



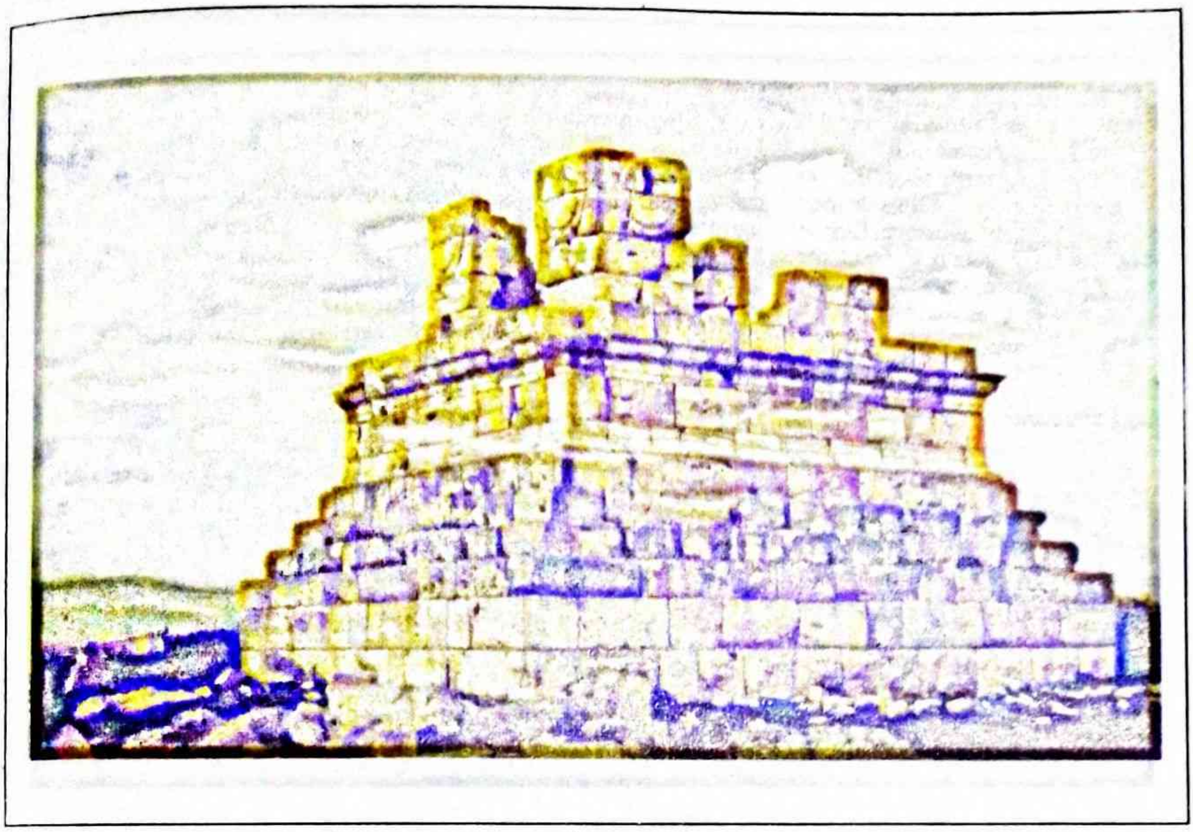
صورة رقم (9) إحدى مصاطب مشرع الصفا ـ تيارت ـ



صورة رقم 10: ضريح المدغسن



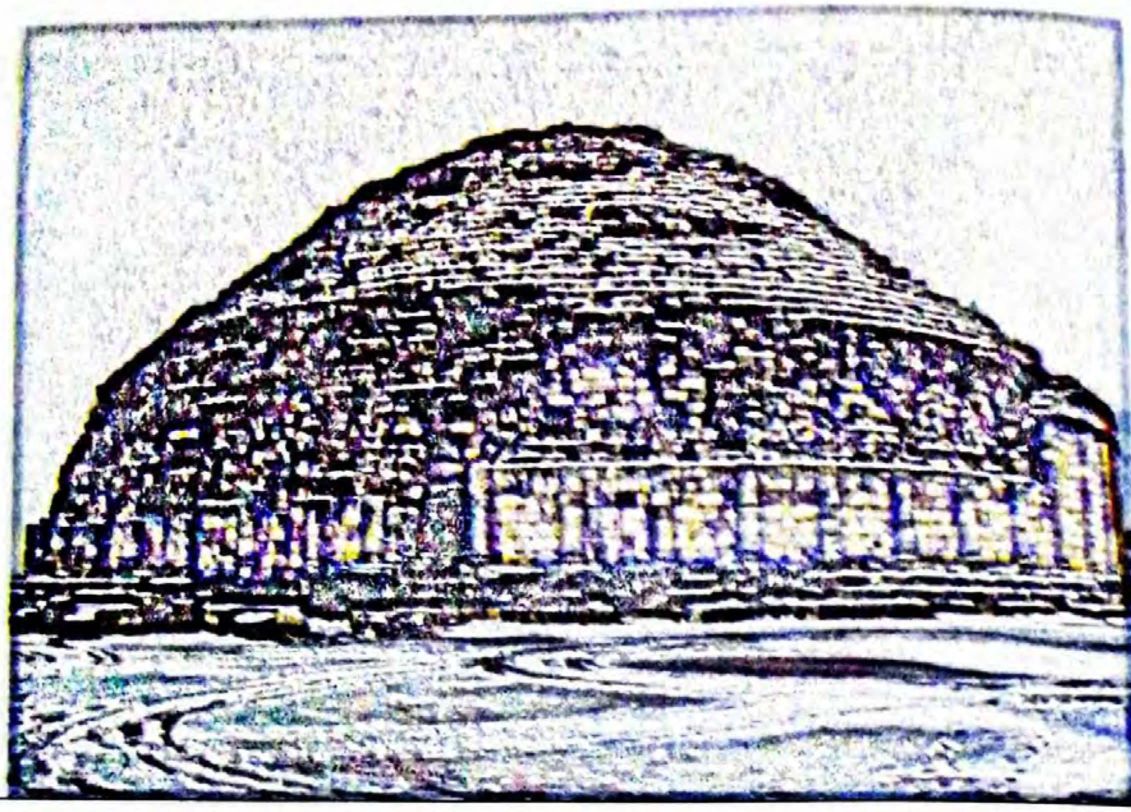
صورة رقم 11: ضريح سيدي سليمان برحارب –المغرب الاقصى–



الصورة رقم (12) صومعة الخروب الملقب بضريح ماسينيسا



الصورة رقم (13) ضريح عائلة صيفاقص بسيغا

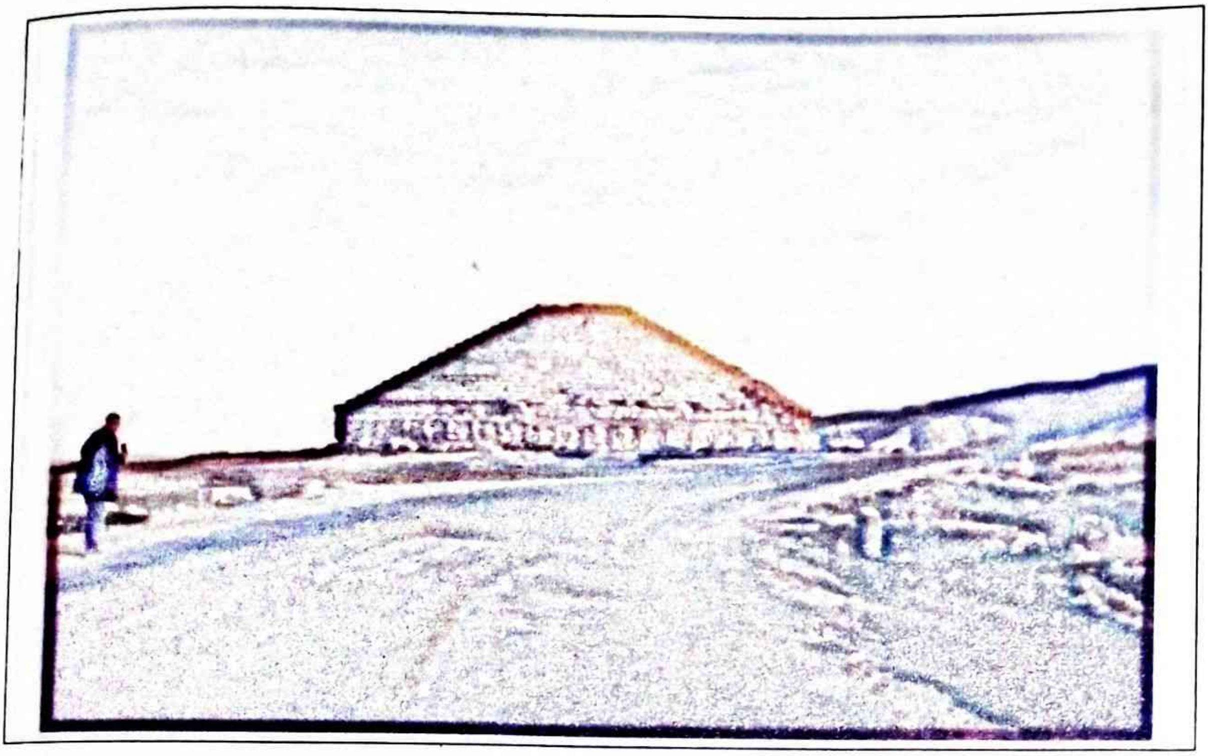


الصورة رقم (14) الضريح الملكي الموريطاني المعروف بقر الرومية ــ تيبازة ــ



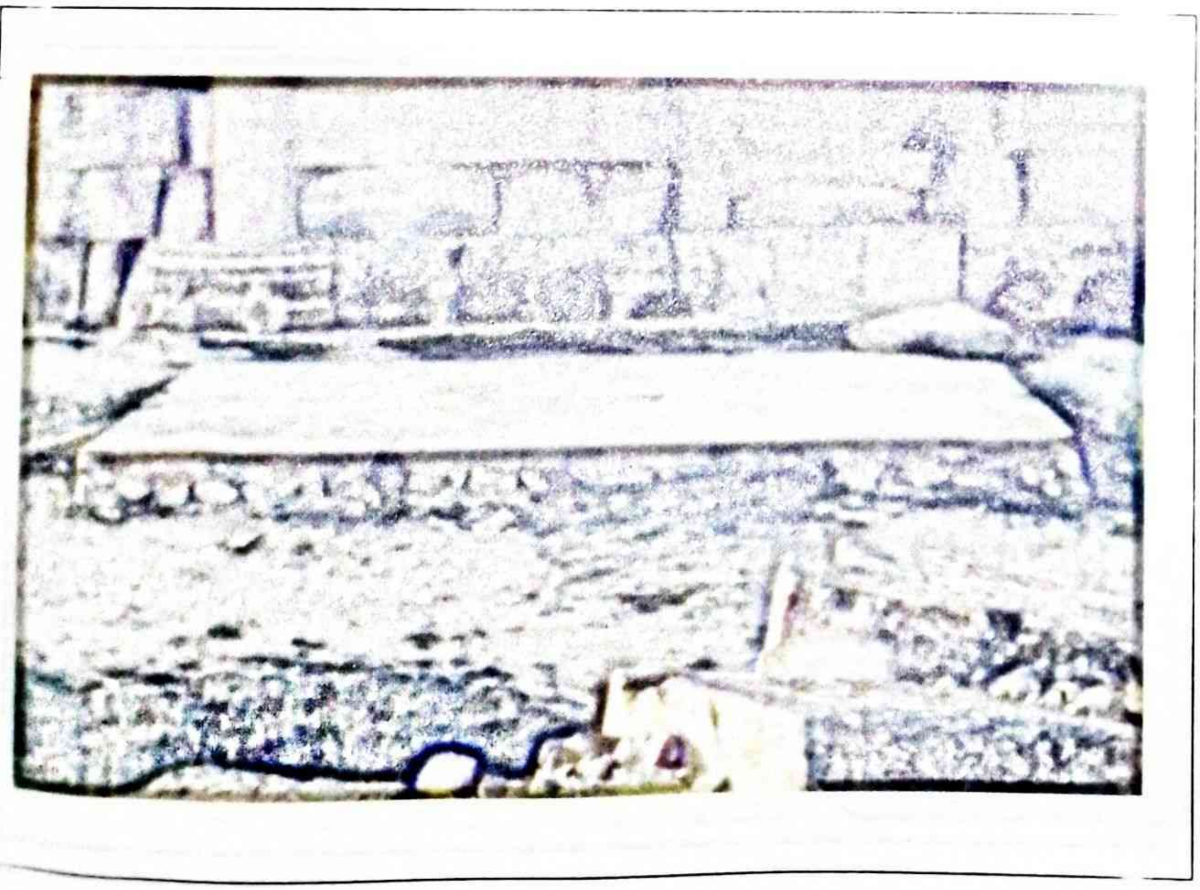
الصورة رقم (15) لجدار (C) بالقرب من تيارت

١

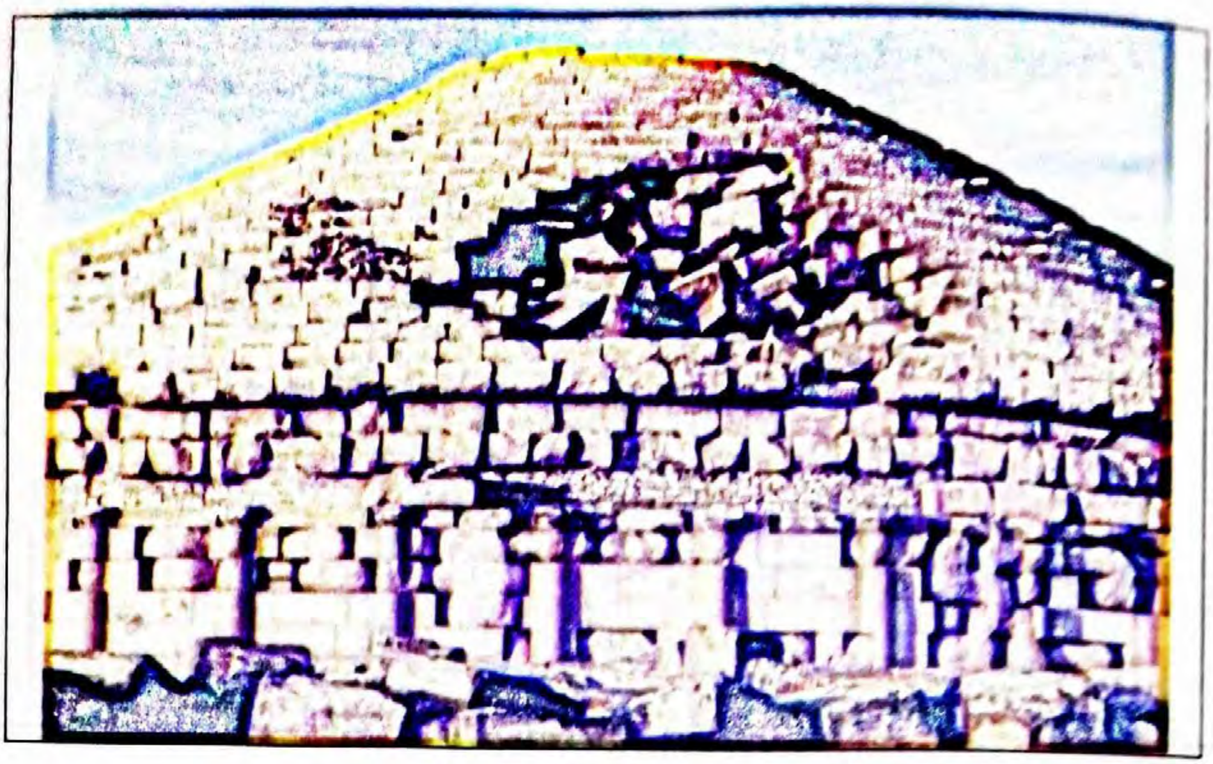


6

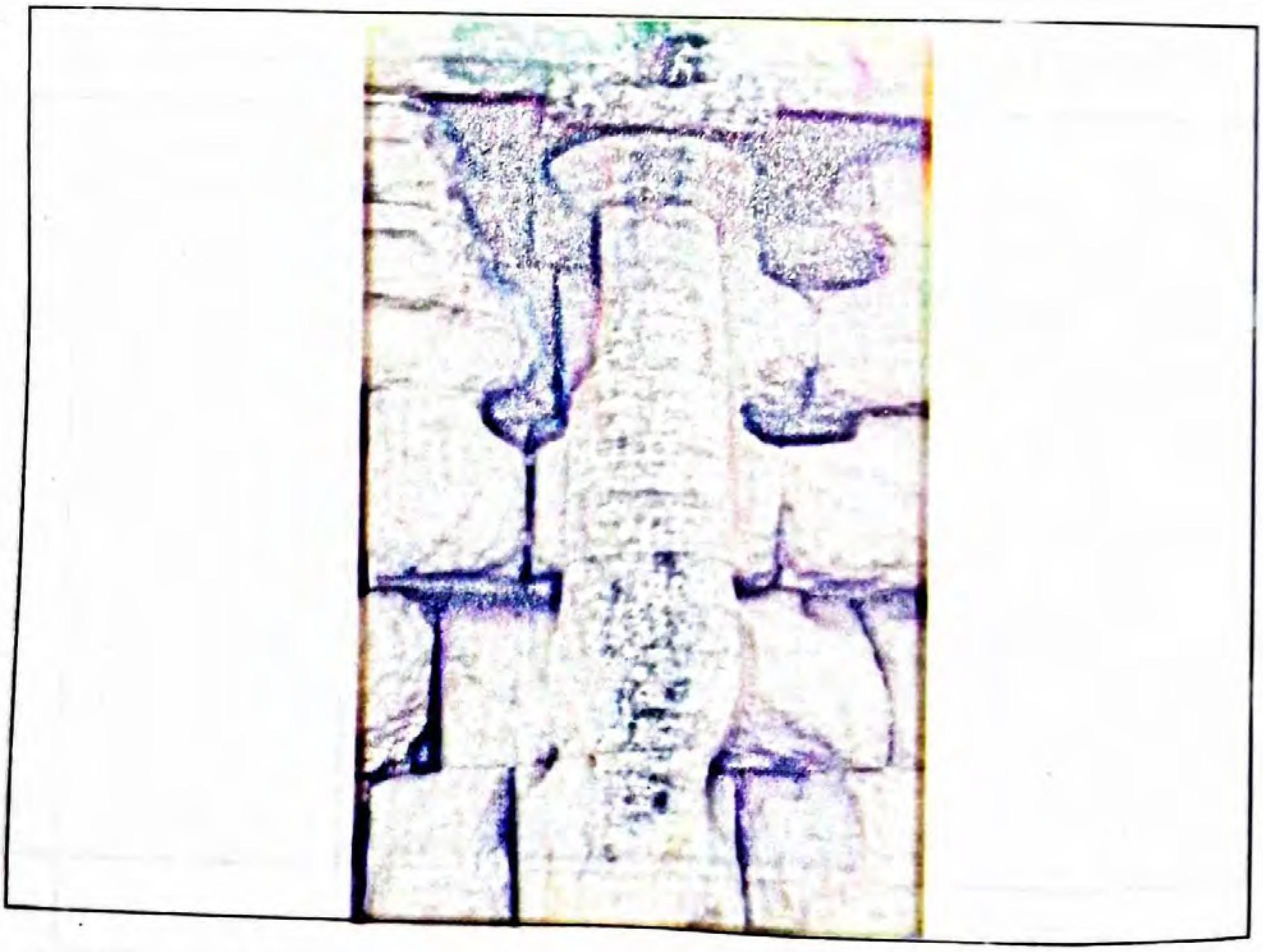
الصورة رقم (16) منظر عام لضريح المدغاسن



الصورة رقم (17) المنصة الشرقية (المبنى الأمامي) بالمدغاسن



الصورة رقم (18) فجوة كبيرة أحدثت في التاج المدرج بالمدغاسن



الصورة رقم (19) إحدى أعمدة المدغاسن الدورية وبجانبه آثار إستخراج مخالب التثبيت المصنوعة من الرصاص



الصورة رقم (20)) منظر جانبي للكورنيش ذات الحلق المصري
ــالمدغاسن ــ



الصورة رقم (21) أعمدة وجدارن التكسية الخارجية للقاعدة الأسطوانية
بالمدغاسن

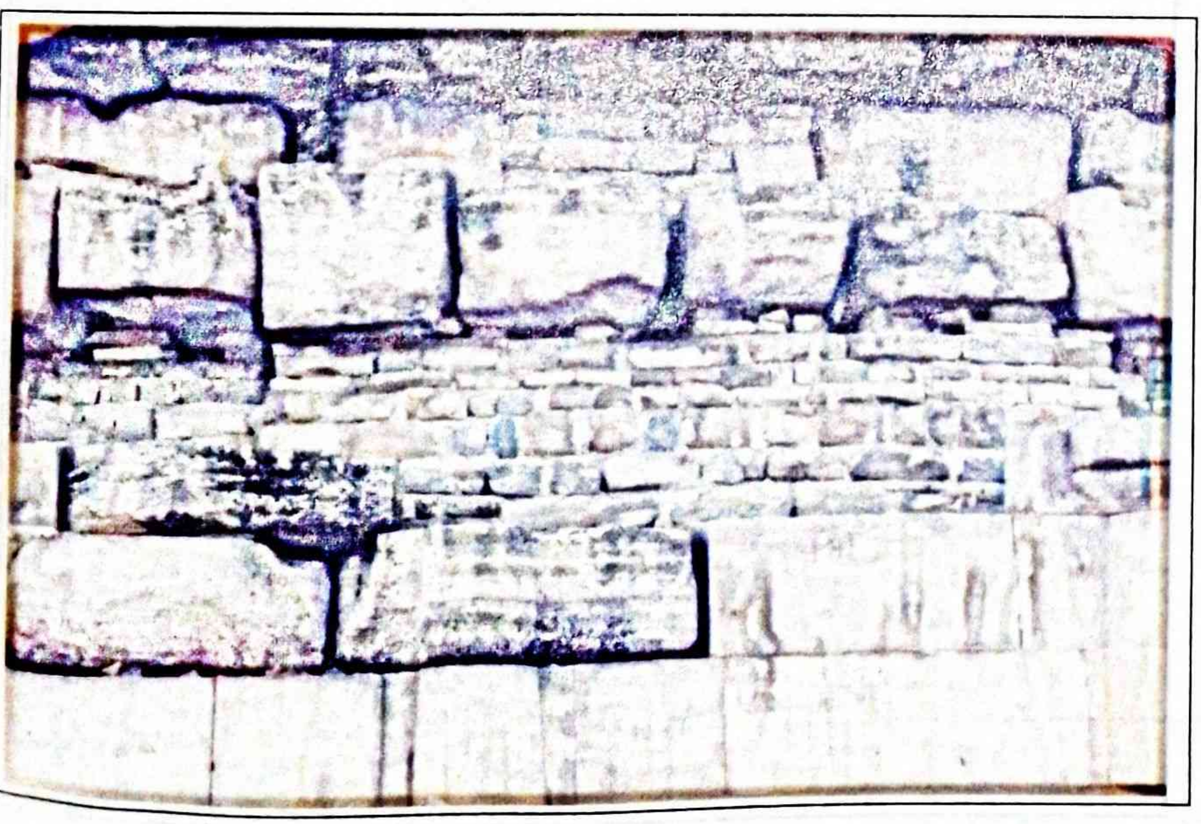


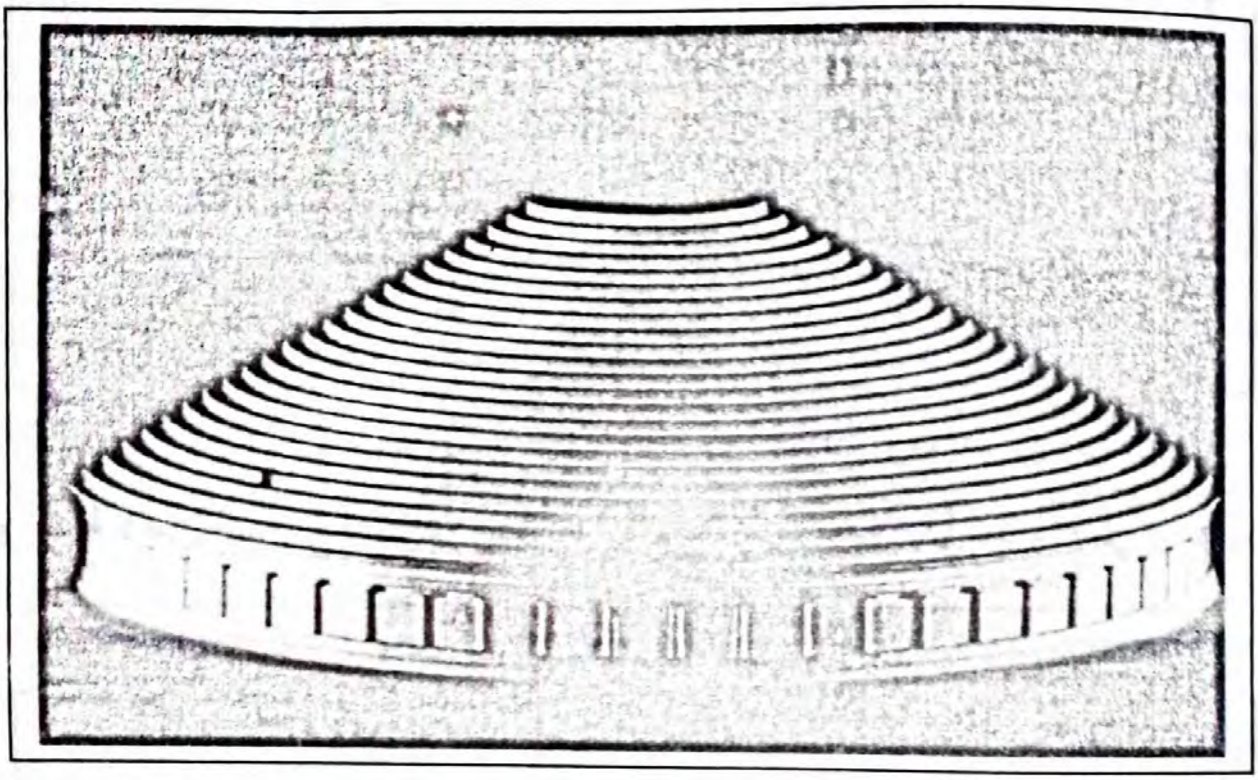
الصورة رقم (22) نتوء يقع في الجنوب الشرقي في محور مابين الأعمدة 10 ـــ 11 يعتقد أنه يمثل أحد الأبواب الوهمية الثلاثة للمدغاسن



الصورة رقم (23) حالة المدغاسن قبل القيام بأعمال الترميم

الصورة رقم (25) آثار آشغال الترميم في المدغاسن





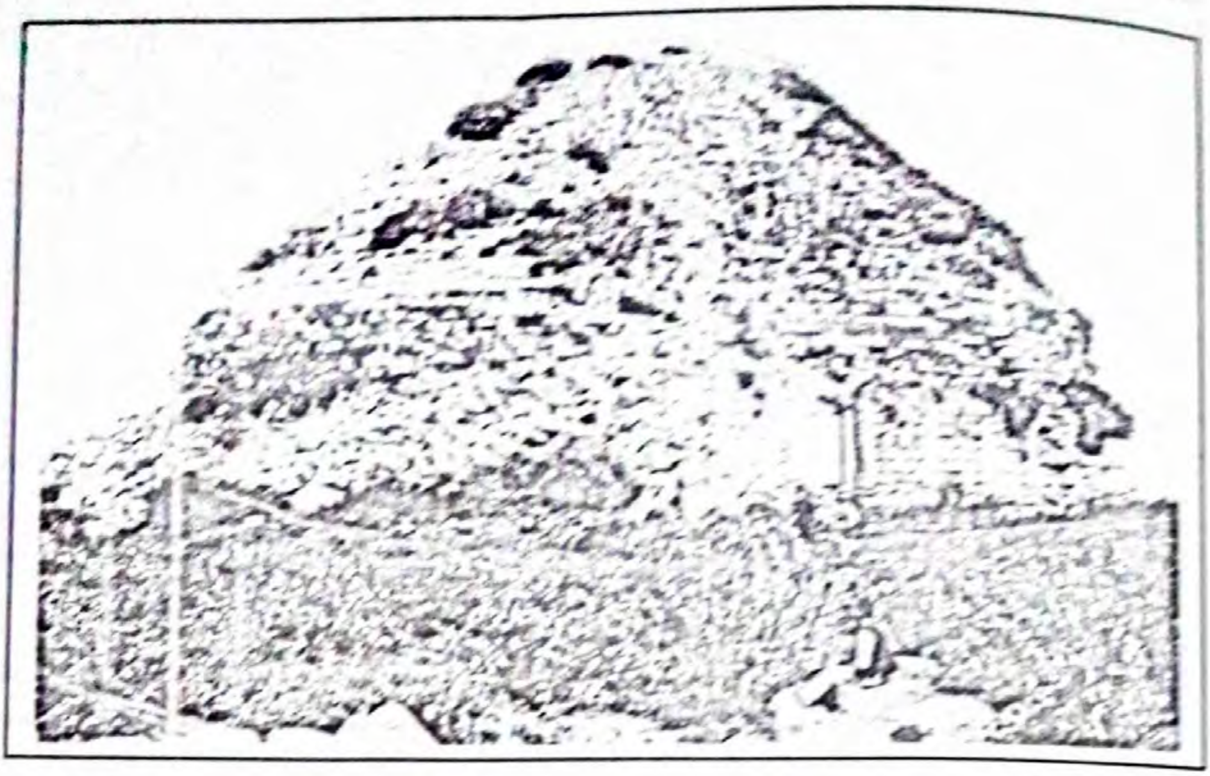
الصورة رقم (26) إعادة تشكيل المدغاسن حسب راكوب



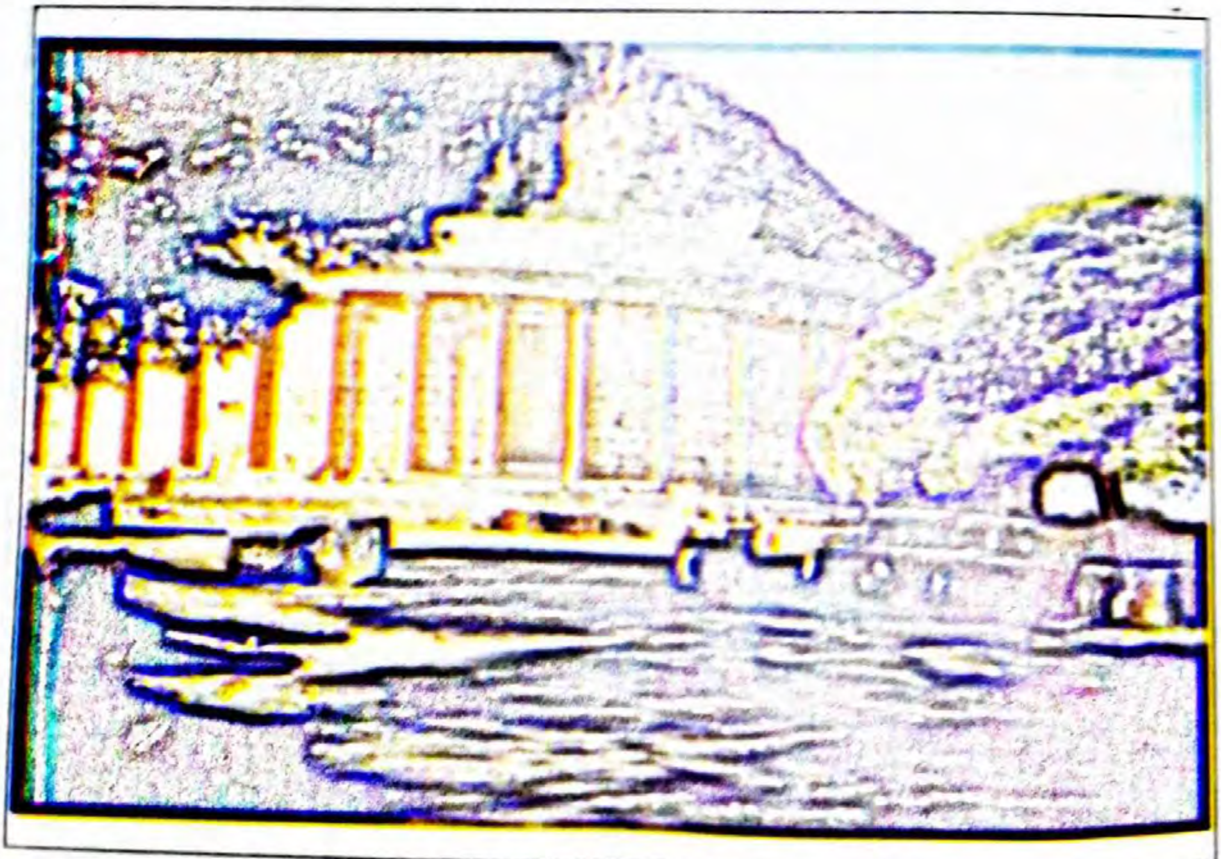
الصورة رقم (27) منظر لقمة الضريح الموريطاني ومن عليها نرى آفاق واسعة : من الشمال البحر ، من الغرب مدينة تيبازة وجبل شنوة الذي يحجب رؤية مدينة شرشال (قيصرية)



الصورة رقم (28) الباب الوهمي الشرقي لقبر الرومية حيث نشاهد بوضوح الزخرف الناتئ الذي يشبه الصليب وهو الذي جعل الفرنسيين والإسبان



الصورة رقم (29) الضريح الموريطاني قبل أعمال الترميم 1912

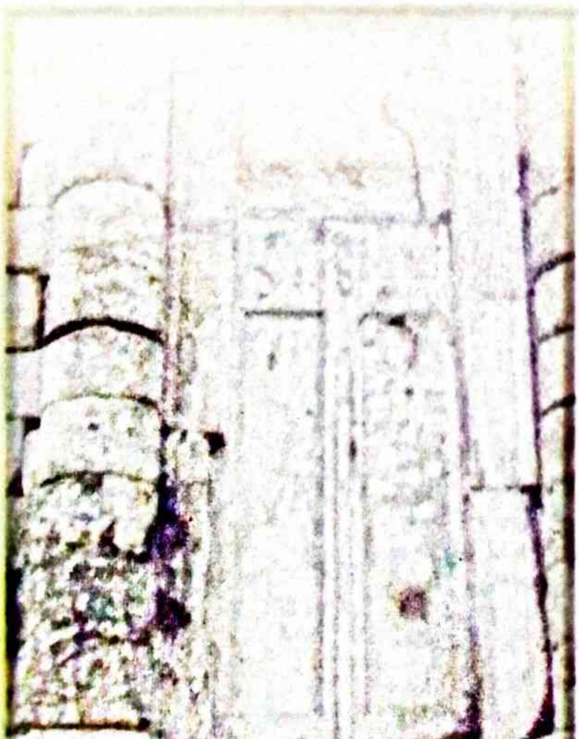


الصورة رقم (30) الواجهة الشرقية لقبر الرومية في حالة حفظ جيدة بفضل أشغال الترميم



17

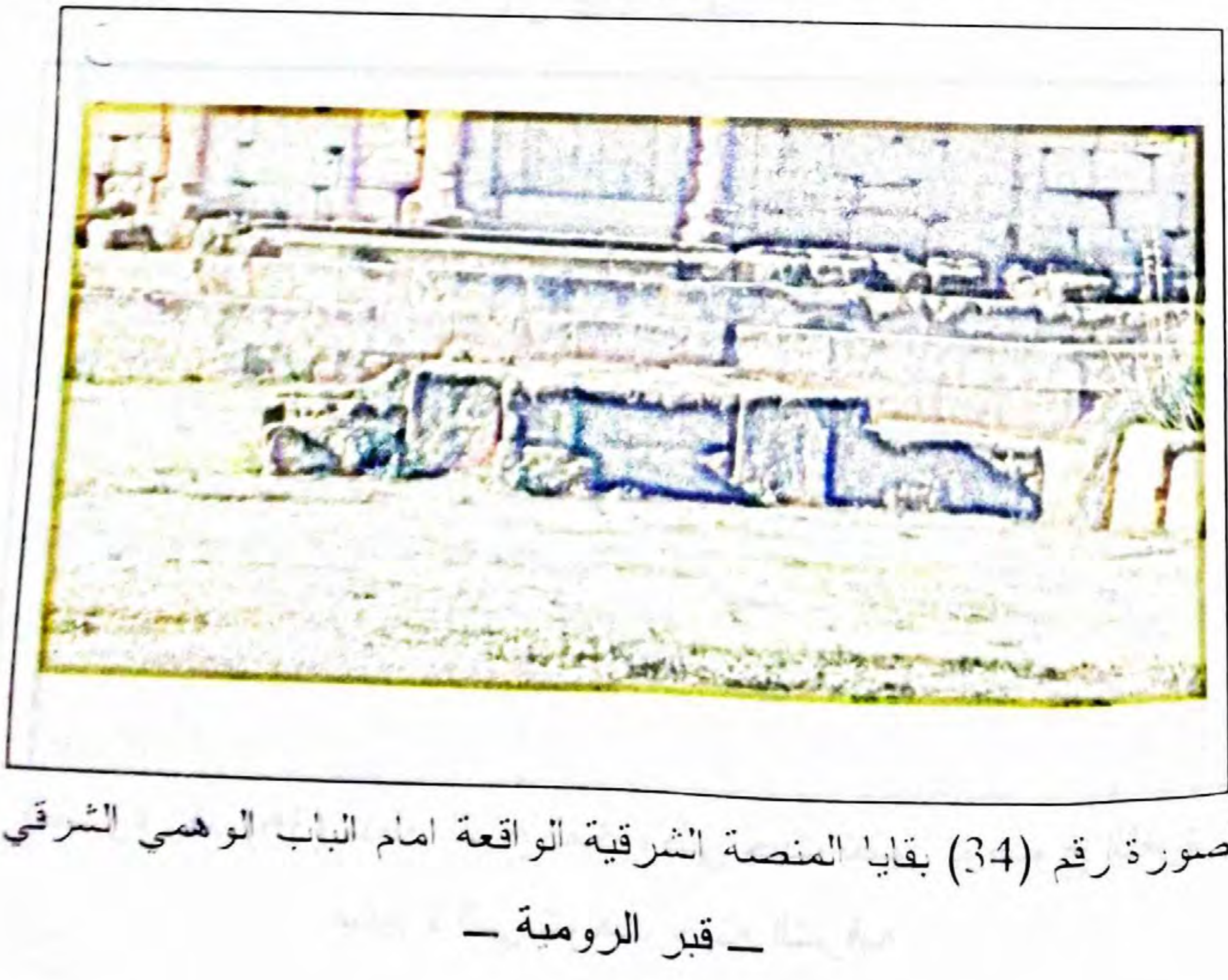
الصورة رقم (31) تهدم الباب الوهمي الغربي للضريح الموريطاني



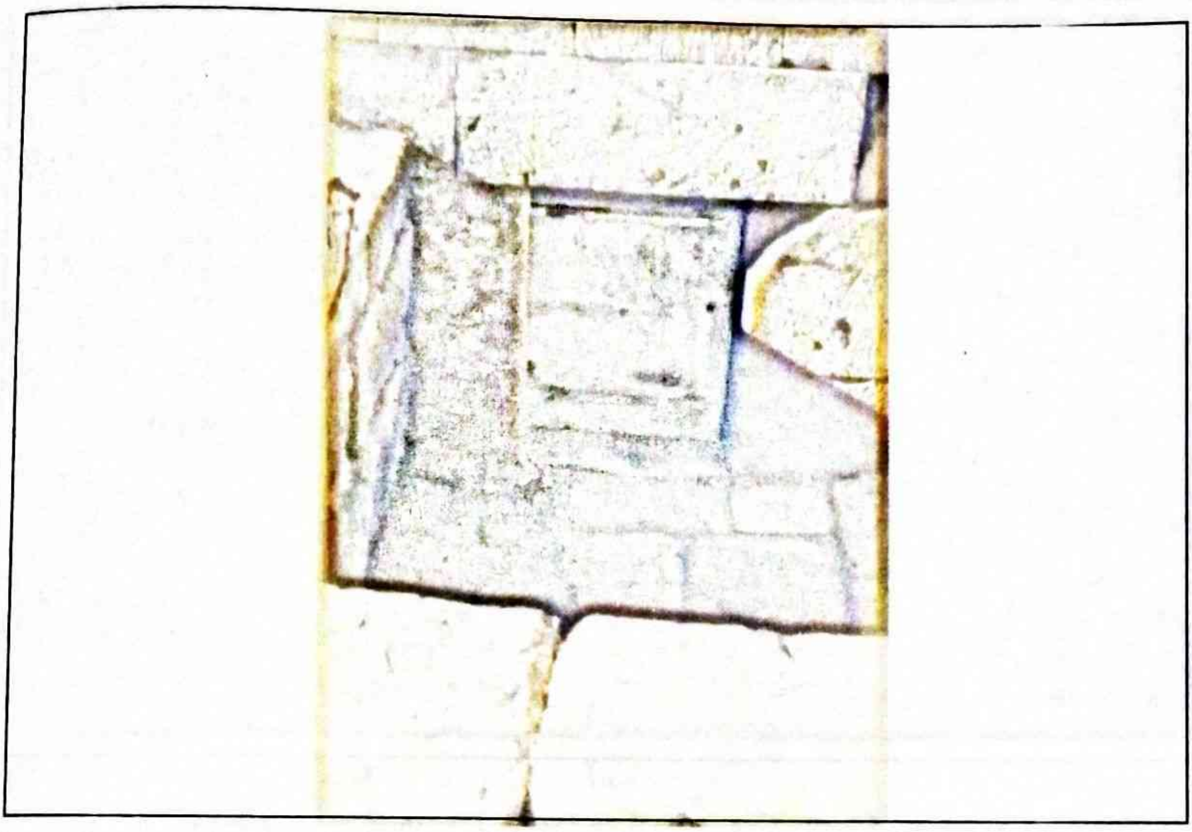
الصورة رقم (32) الباب الوهمي الشمالي لقبر الروميه



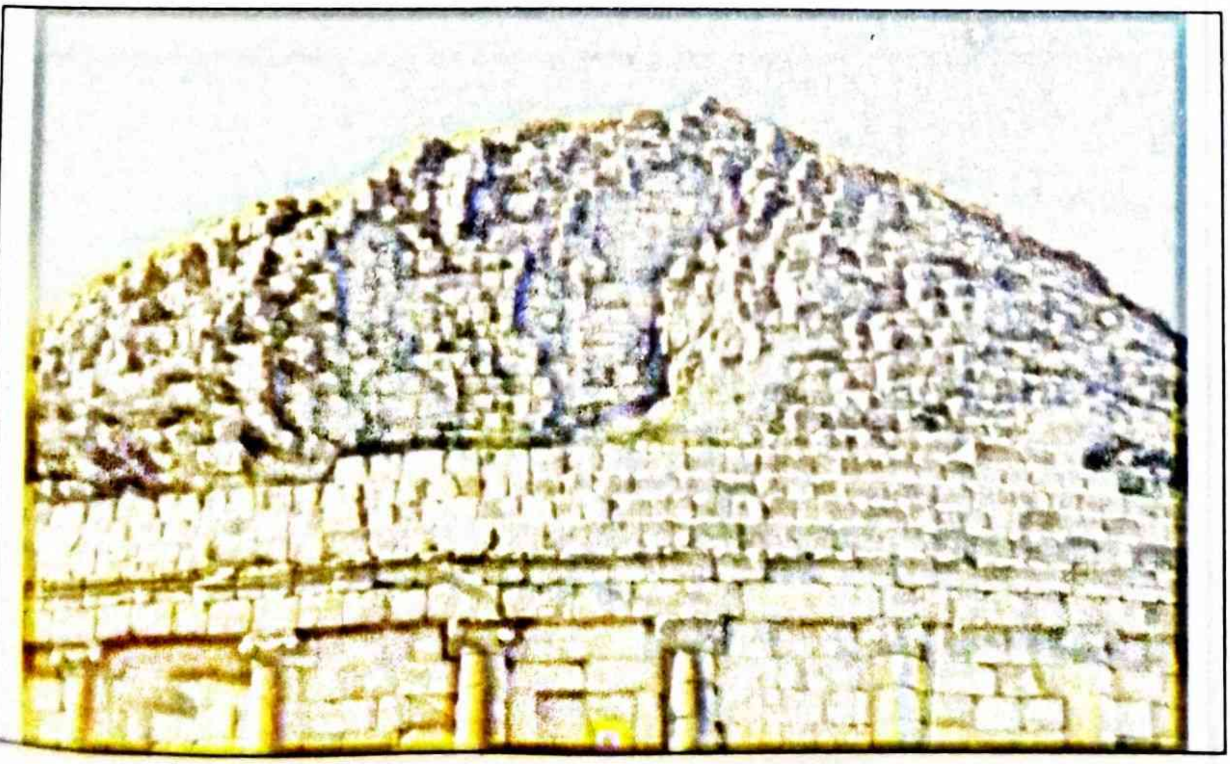
الصورة رقم (33) الجهة الجنوبية للضريح الموريطاني حيث نشاهد تضرر المعلم نتيجة سقوط أحجار التكسية الخارجية والأعمدة الأيونية



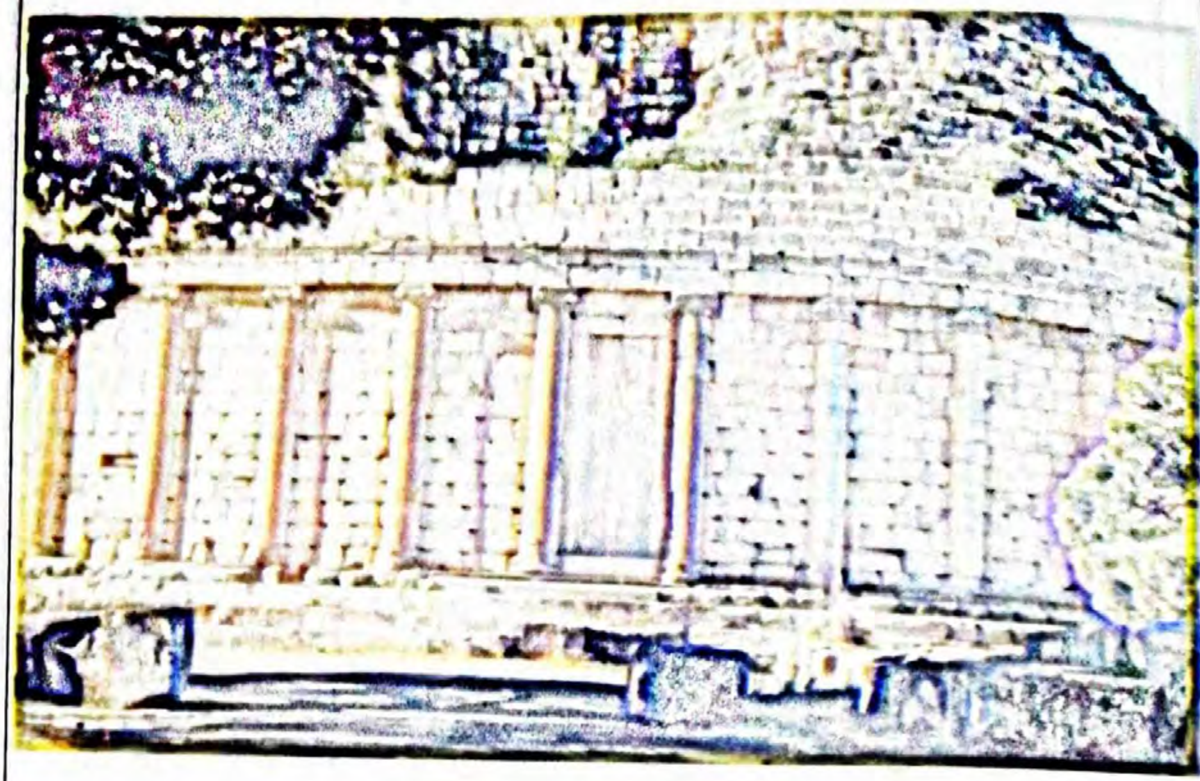
الصورة رقم (34) بقايا المنصة الشرقية الواقعة امام الباب الوهمي الشرقي
ـ قبر الرومية ـ



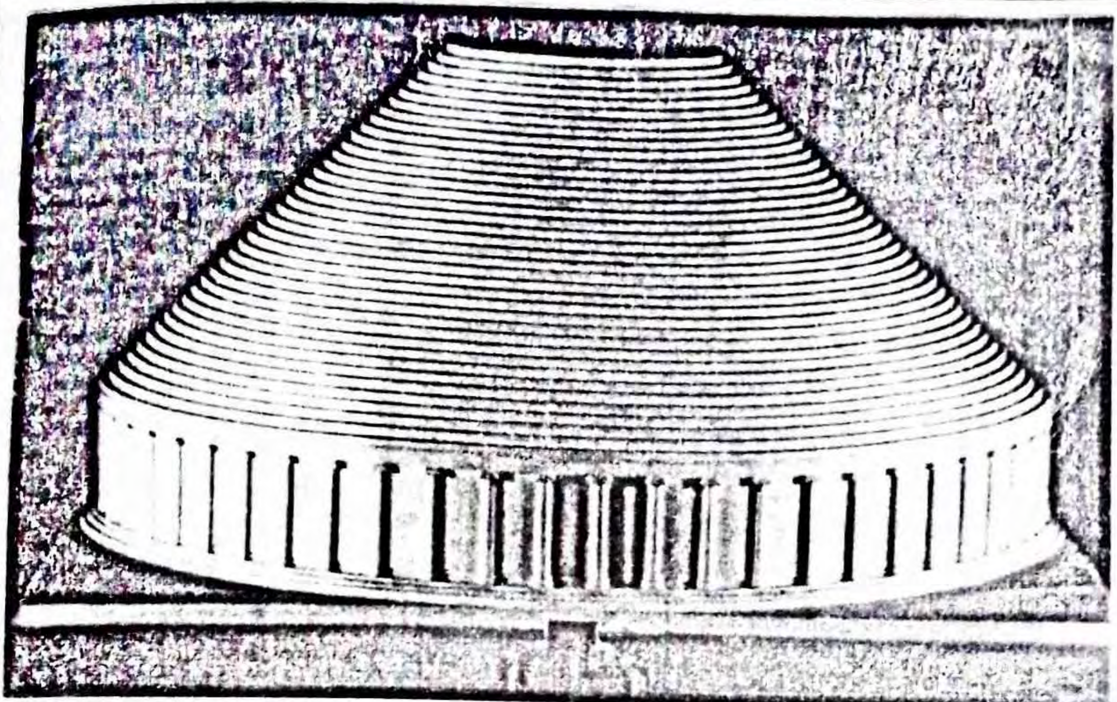
الصورة رقم (35) المدخل الرئيسي للضريح ، وقد أغلق بباب حديدي خوفا من عبث الناهبين



الصورة رقم (36) منظر للتاج المخروطي حيث تظهر بوضوح الثغرة الكبيرة التي شوهت جهته الشرقية



الصورة رقم (37) الجهة الشرقية لقبر الرومية بعد ترميمها



الصورة رقم (39) اعادة تشكيل الضريح الموريطاني حسب راكوب



(A)الصورة رقم (40) منظر من الجهة الشمالية الغربية يبين موقع لجدار

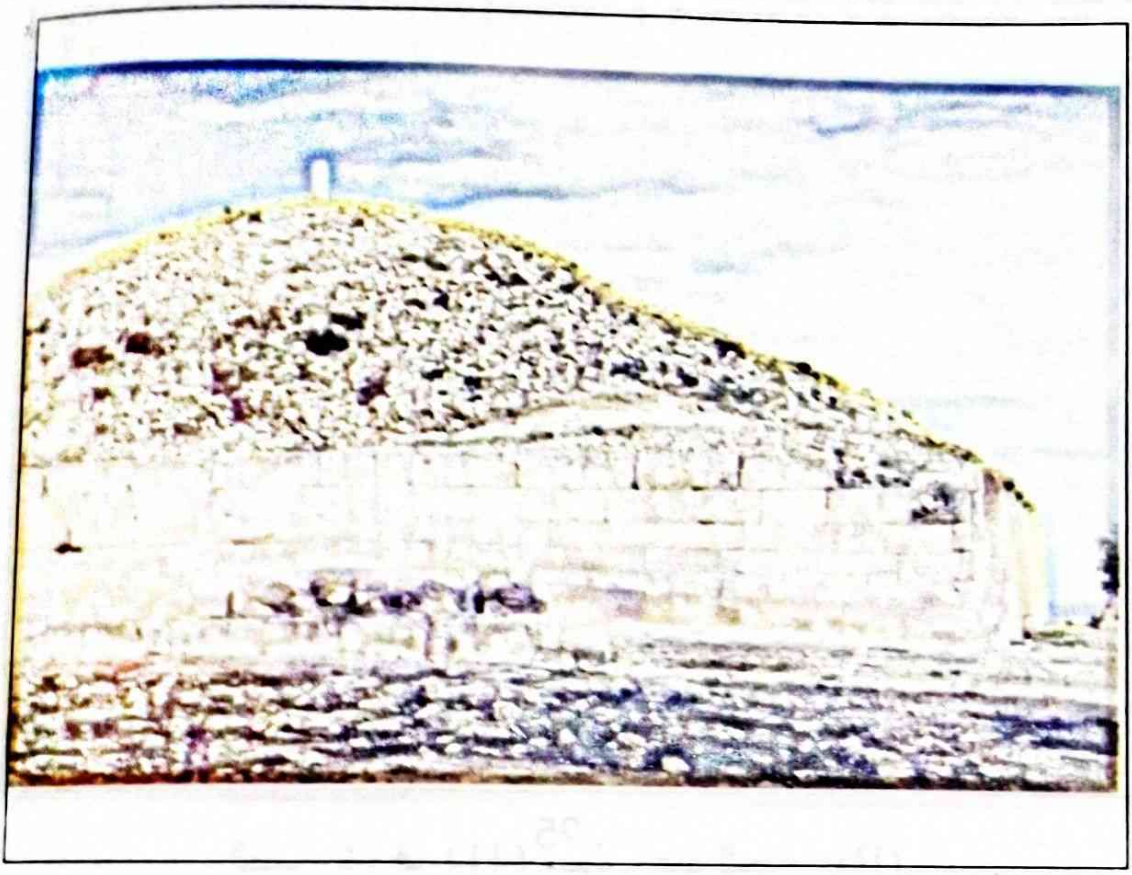
فوق مرتفع جبل لخضر



الصورة رقم (41) منظر[25] عام للجدار (B)



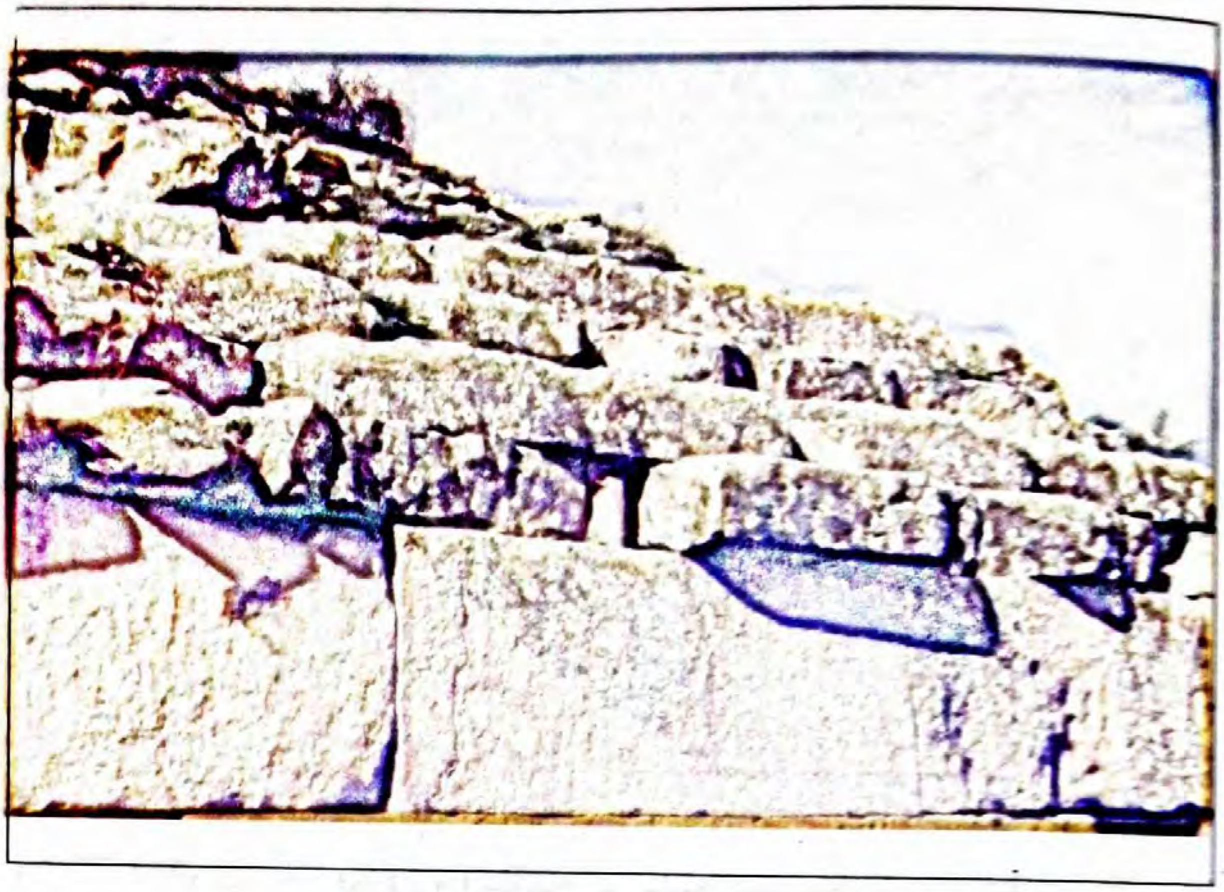
الصورة رقم (42) منظر[26] للجهة الجنوبية للجدار (A)



الصورة رقم (43) الواجهة الشرقية والجنوبية للجدار (A)



الصورة رقم (44) تقنية تقصيب جدران القاعدة المربعة بلجدار (A)

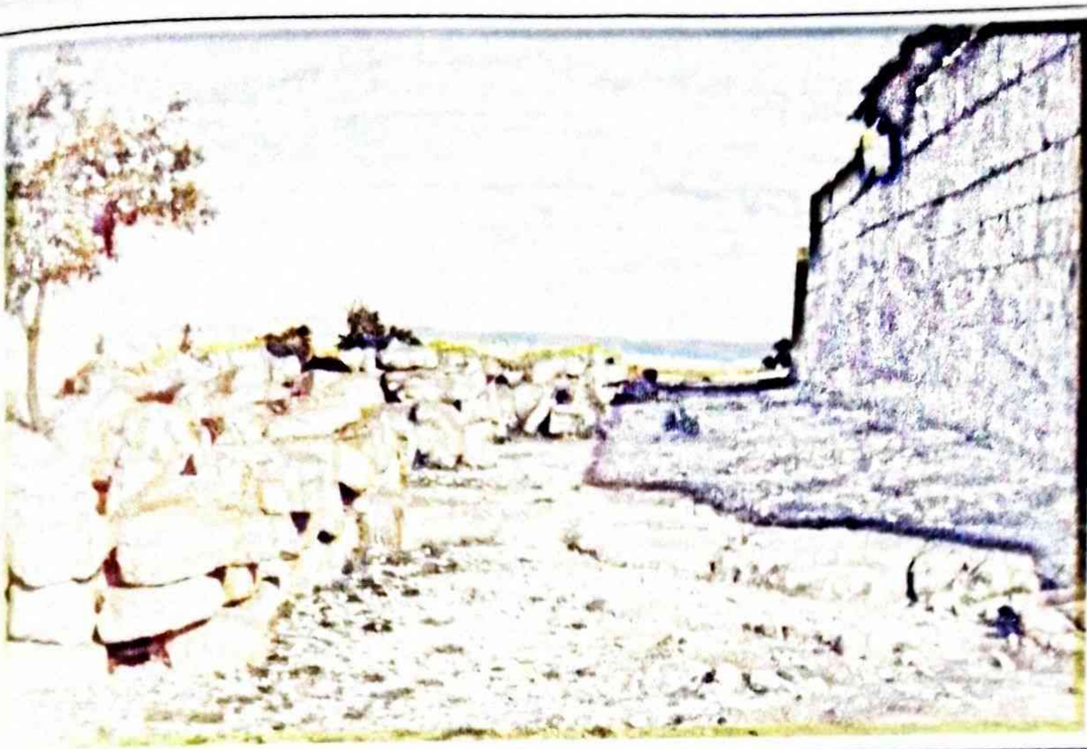


صورة رقم (45) الكورنيش والمدرجات الثلاثة الواقعة في الواجهة الشرقية

(A)هي ماتبقى اليوم من مدرجات التاج الهرمي المدرج في لجدار



الصورة رقم (46) منظر من جهة الجنوبية لجدار (A)



الصورة رقم (47) ساحة الواجهة الغربية للجدار (٨).

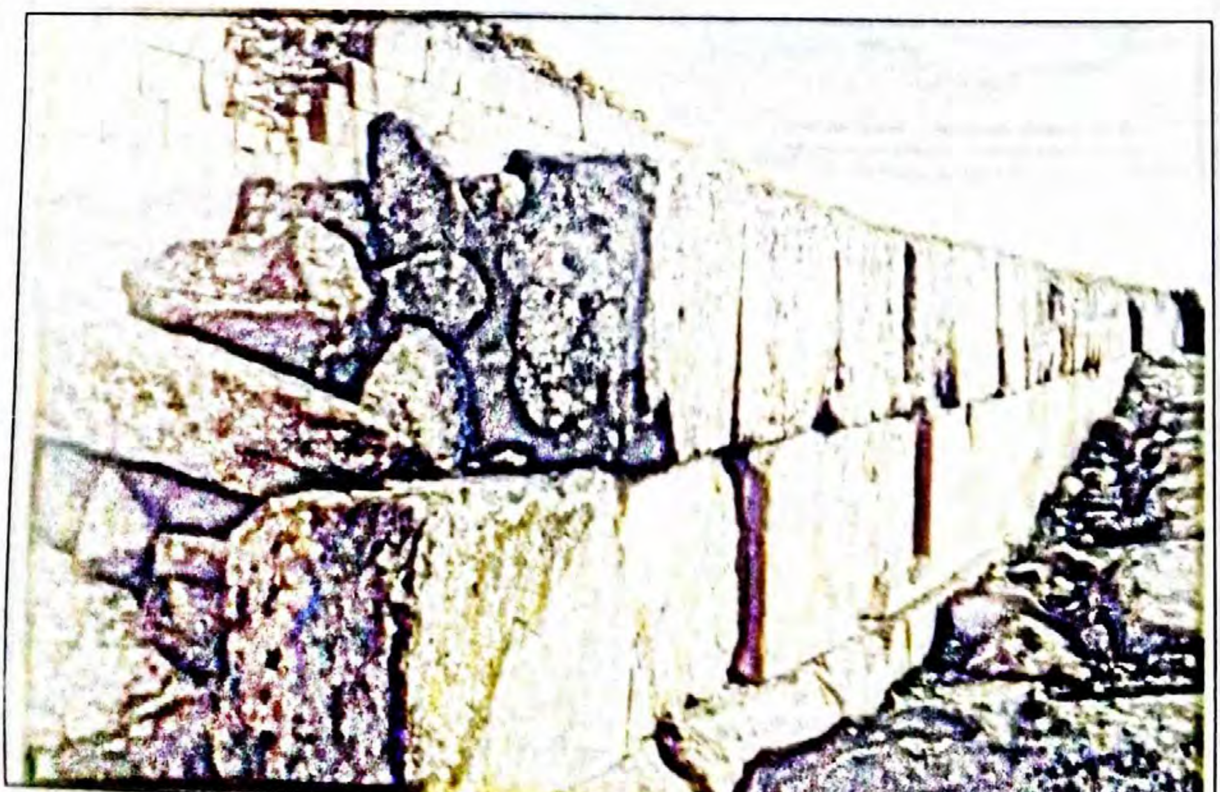


الصورة رقم (48) قناة لتصريف مياه الأمطار مهيئة على مستوى اسوار التسييج

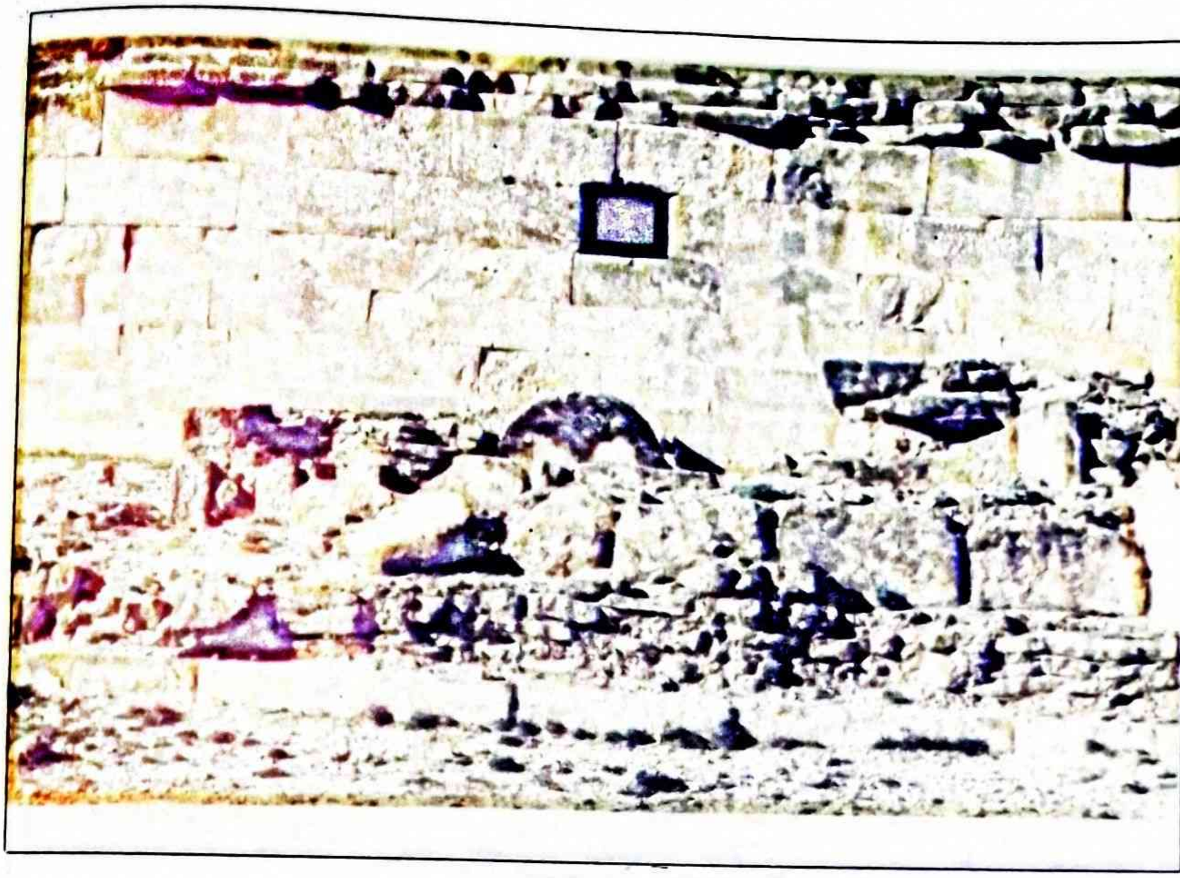


33

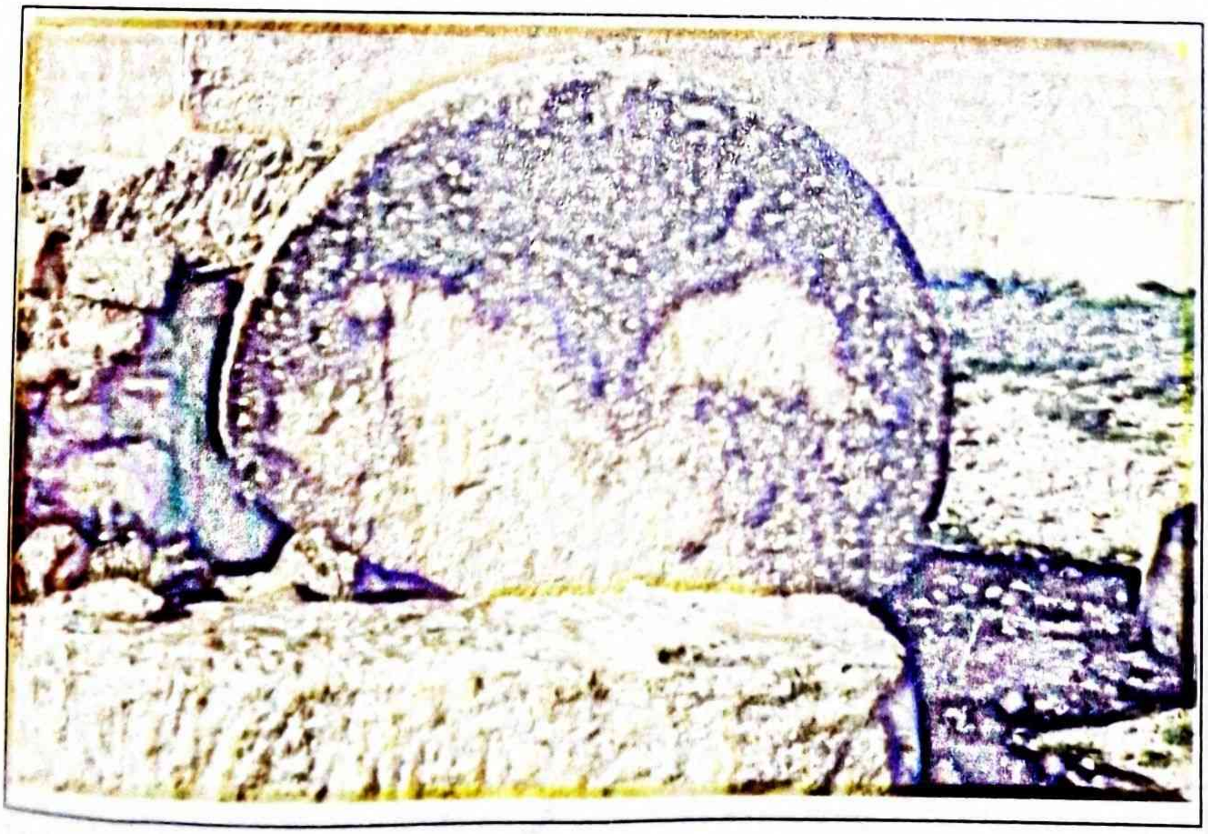
الصورة رقم (49) منظر عام للقسم الغربي من الجدار (A.)



الصورة رقم (50) تقنية بناء سور التسييج المحيط بالساحة



الصورة رقم (51)) بقايا المعلم الصغير بلجذار (٨.)



الصورة رقم (52)) القرص الحجري المستخدم لإغلاق باب المعلم الصغير



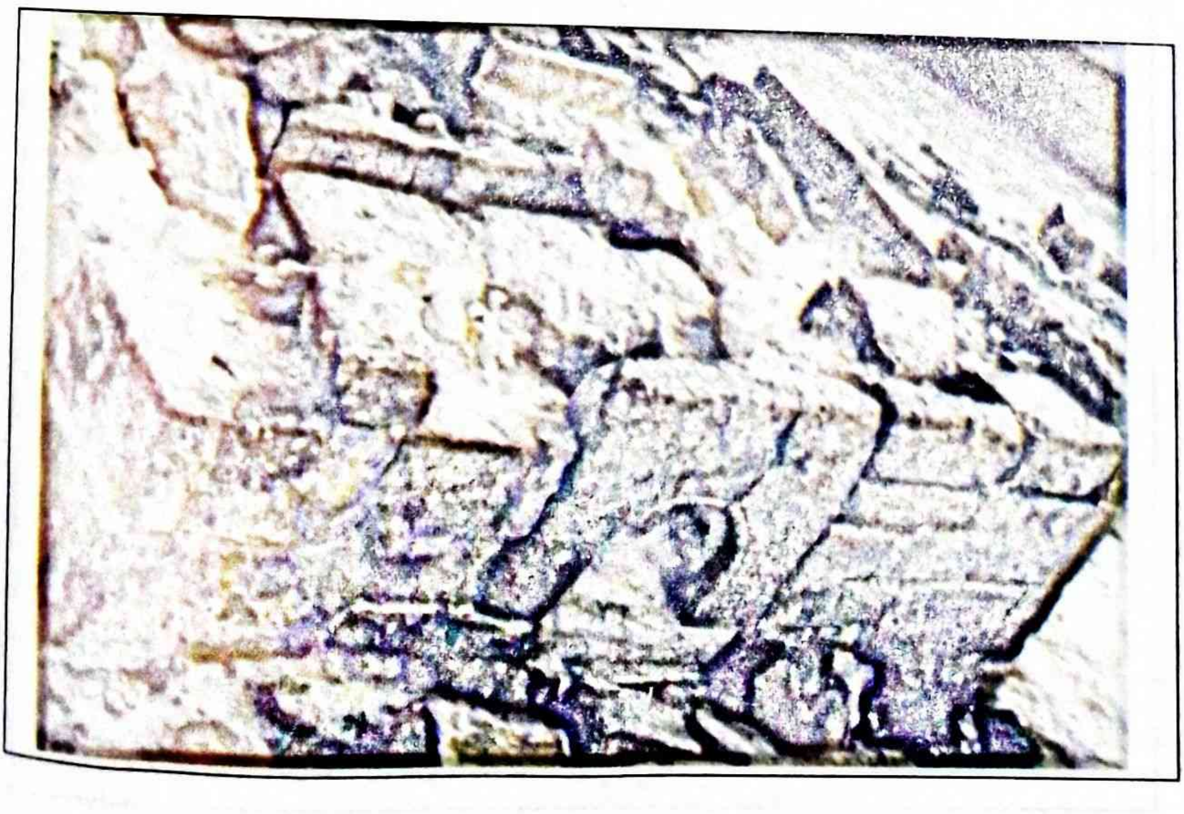
الصورة رقم (53) احواض ملتصقة بسور الجبهة الشرقية للجدار (A)



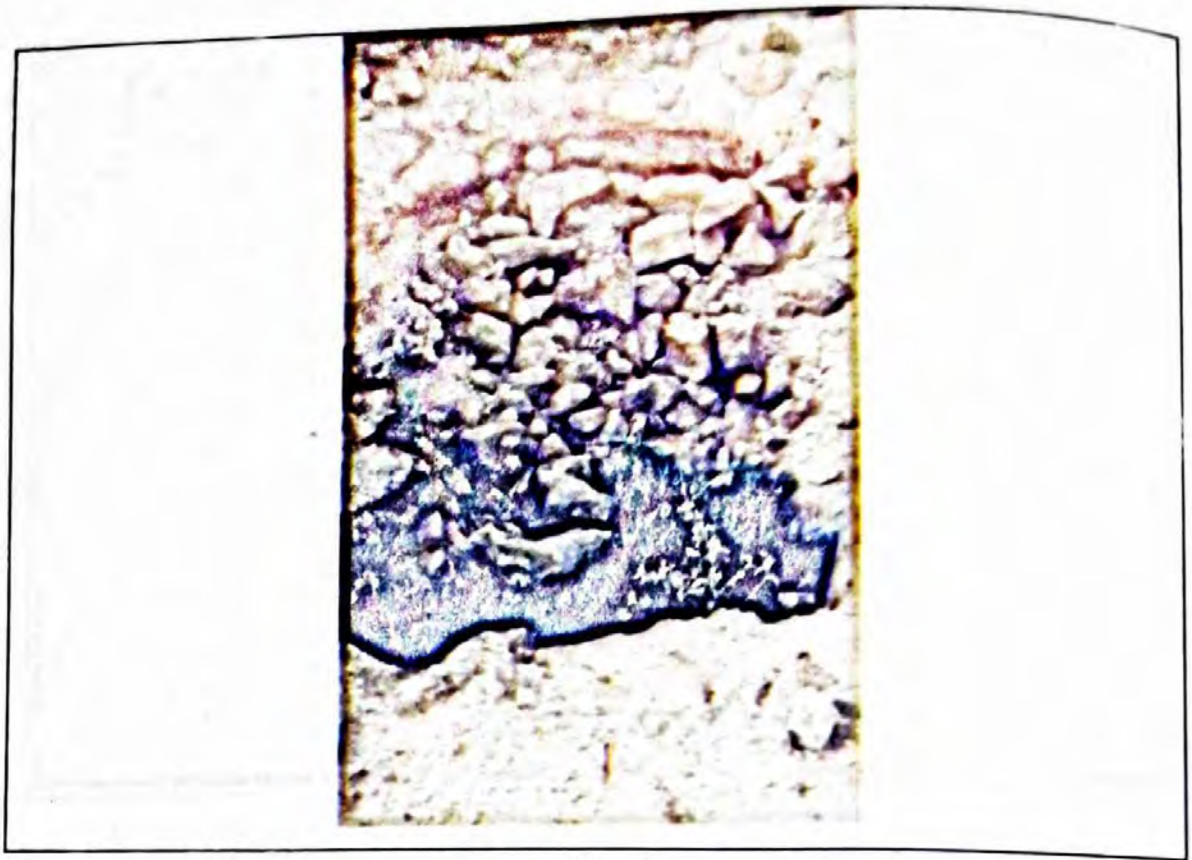
الصورة رقم (54)) المدخل الرئيسي المهيئ على مستوى التاج الهرمي في الجدار(A)



الصورة رقم (55) منظر للجدار (B) يبين تهدم تاجه الهرمي



الصورة رقم (56) بقايا المعلم الصغير الواقع في شرق لجدار (B)

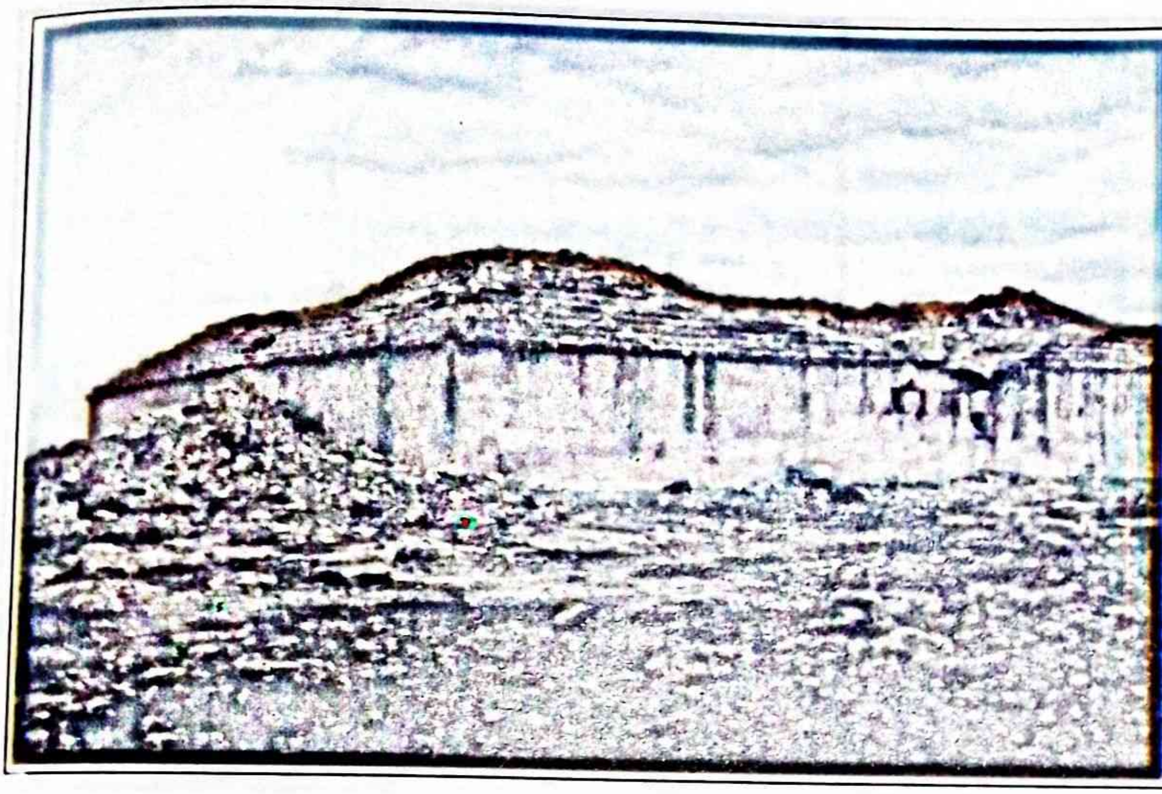


41

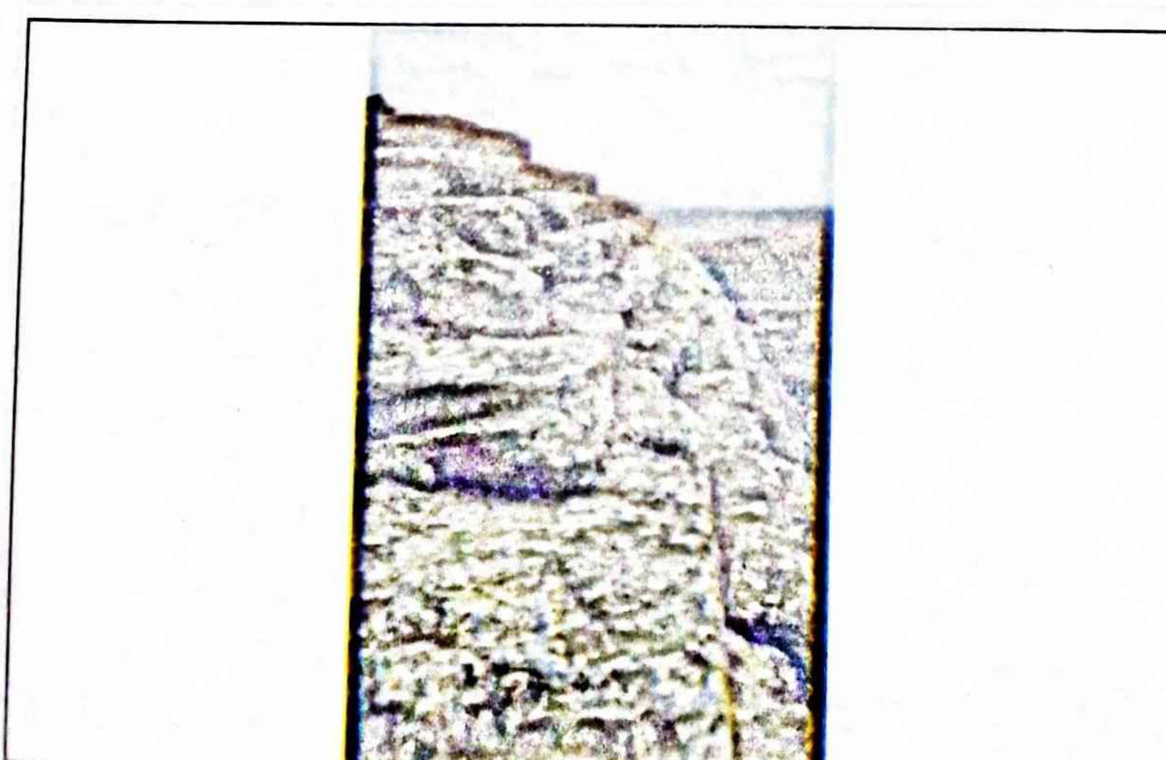
الصورة رقم (57) الغرفة الجنائزية المهدمة في جدار (B)



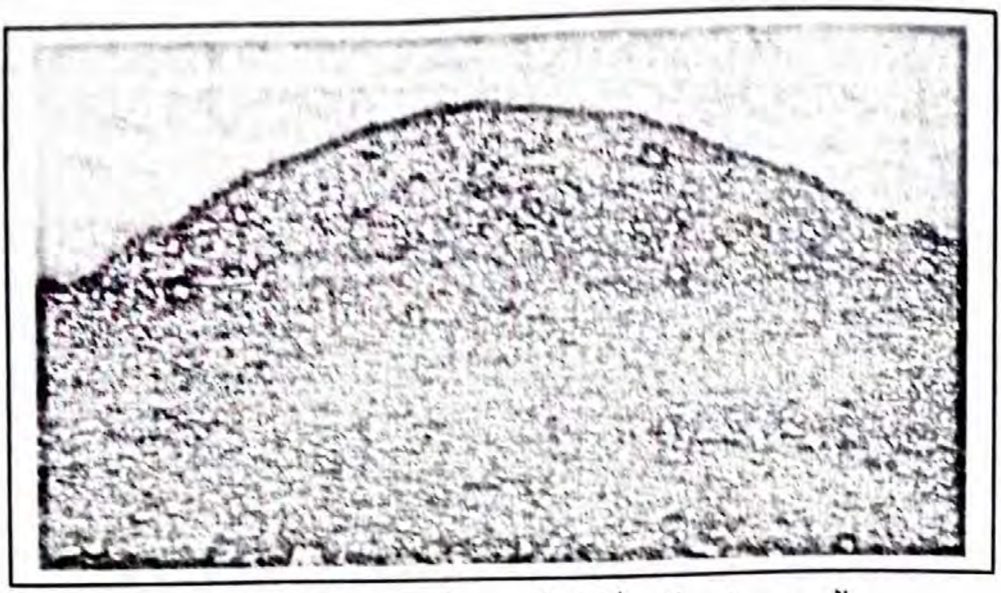
الصورة رقم (58) تراكم حجارة المدرجات على السور الجنوبي في لجدار (C)

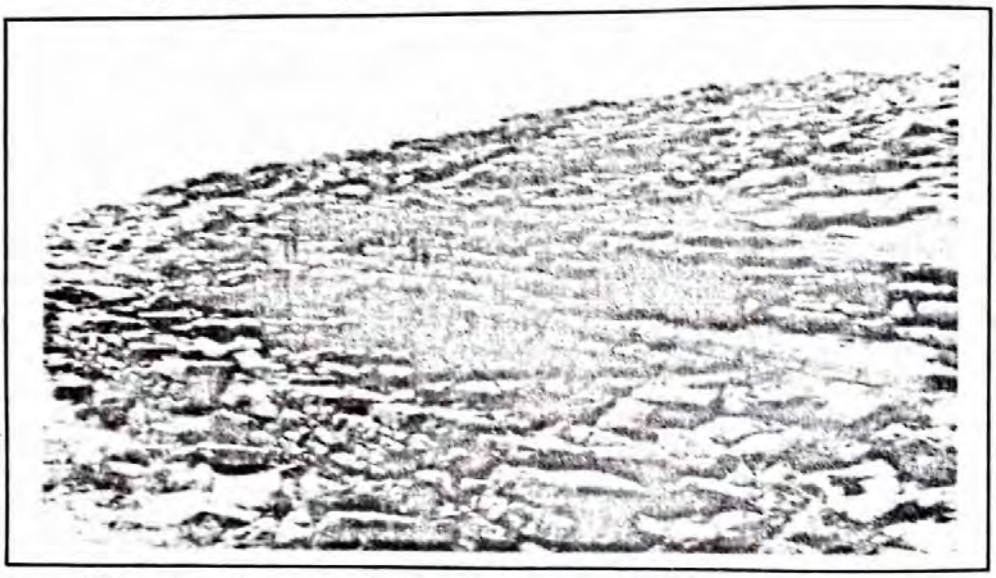


الصورة رقم (59) منظر جانبي للجدار (C) يبين الإنتشار الواسع االركام المتساقط

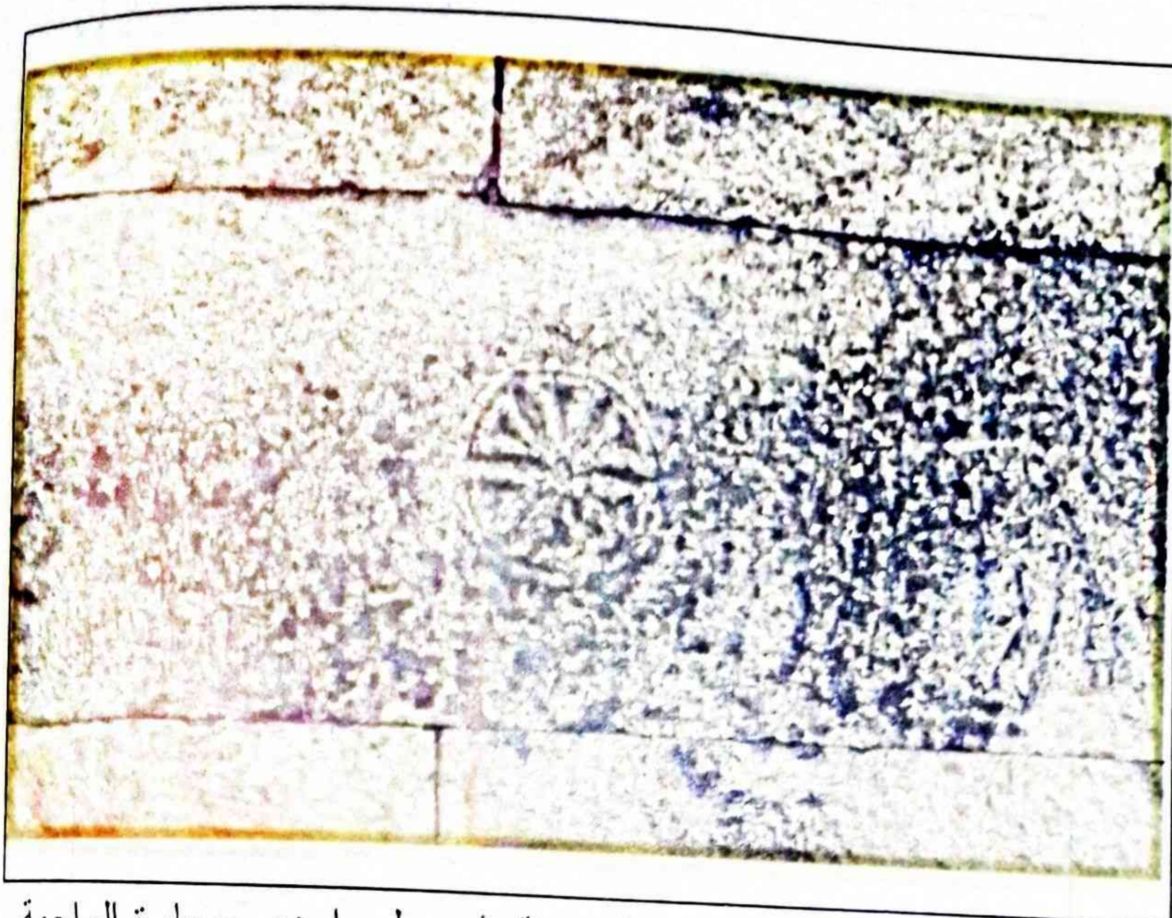


الصورة رقم (60) المدرجات التسعة الواقعة في الجهة الجنوبية والشرقية في لجدار (C)


الصورة رقم (61) منظر عام للجدار (F)


الصورة رقم (62) تهدم الواجهة الجنوبية للجدار (F)

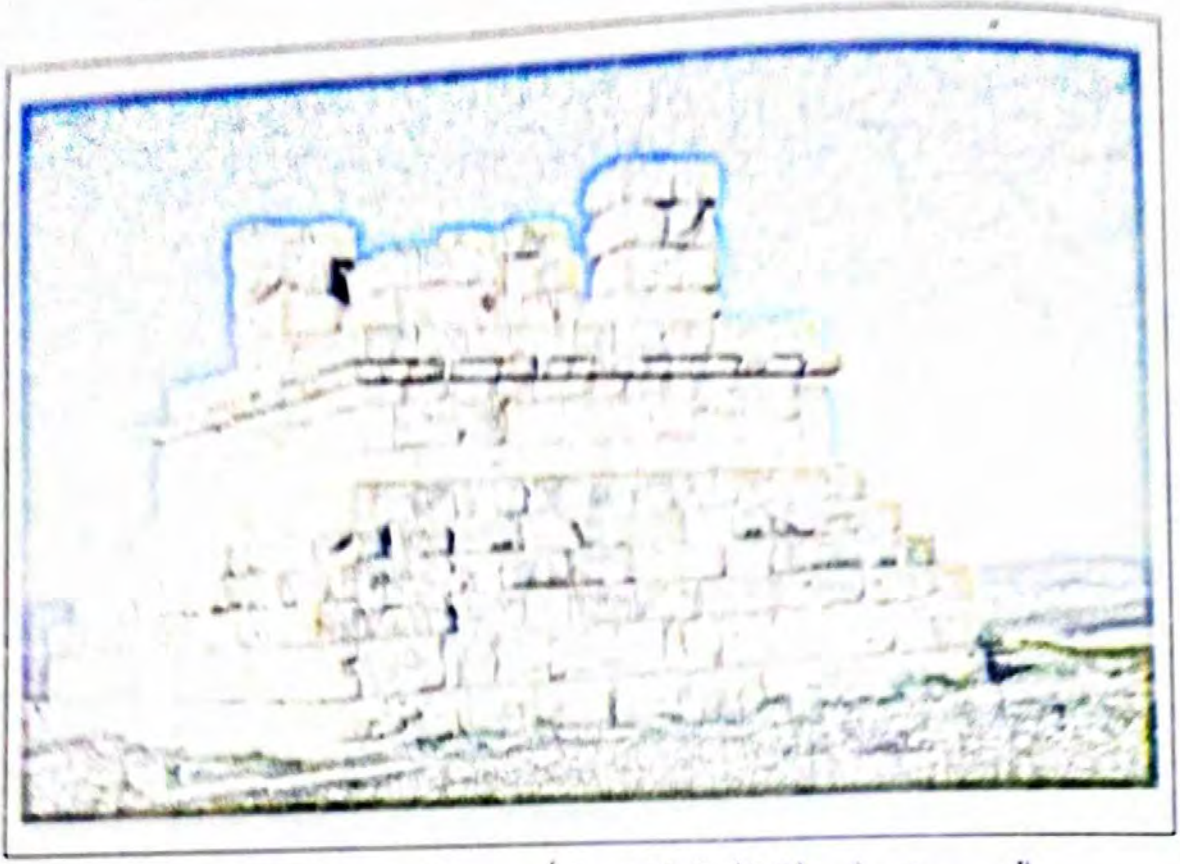

الصورة رقم (63) الثغرة التى تقود الى الغرفة (J) في لجدار (F)



الصورة رقم (64) صليب إغريقي منقوش على إحدى حجارة الواجهة الغربية للجدار (Λ)



الصورة رقم (65) صليب إغريقي آخر نقش في جدار الواجهة الغربية للجدار (A)



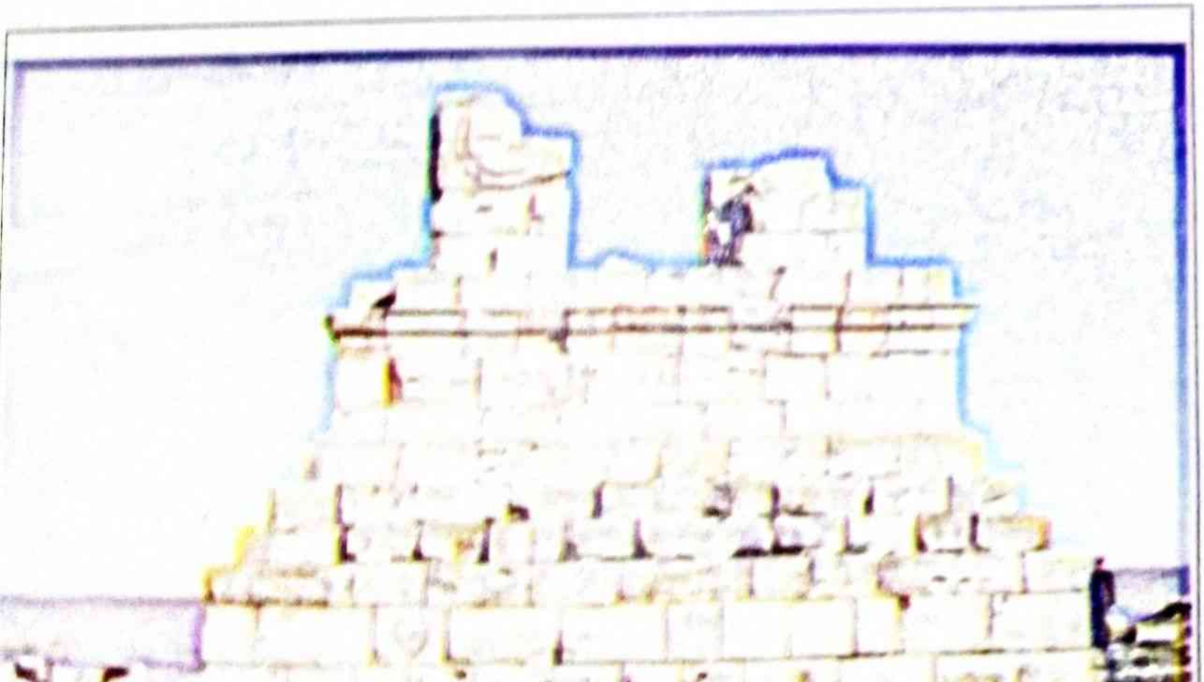
الصورة رقم (66) الطابق الأرضي لصومعة الخروب



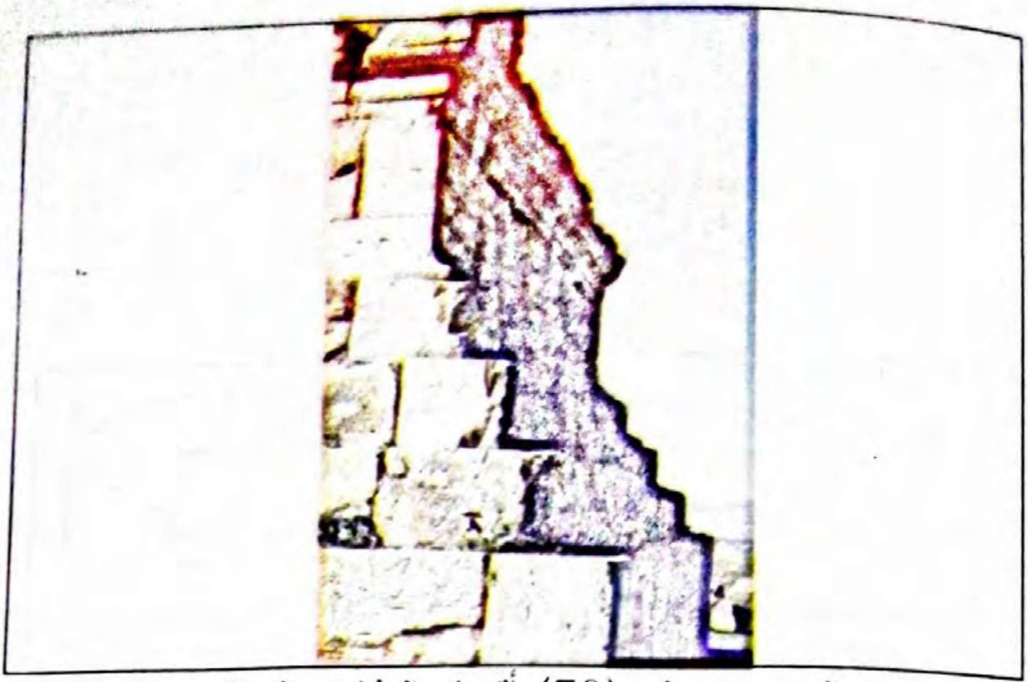
الصورة رقم (67) القطع الحجرية المختلفة التي تشكل الأقسام العلوية لضريح الخروب

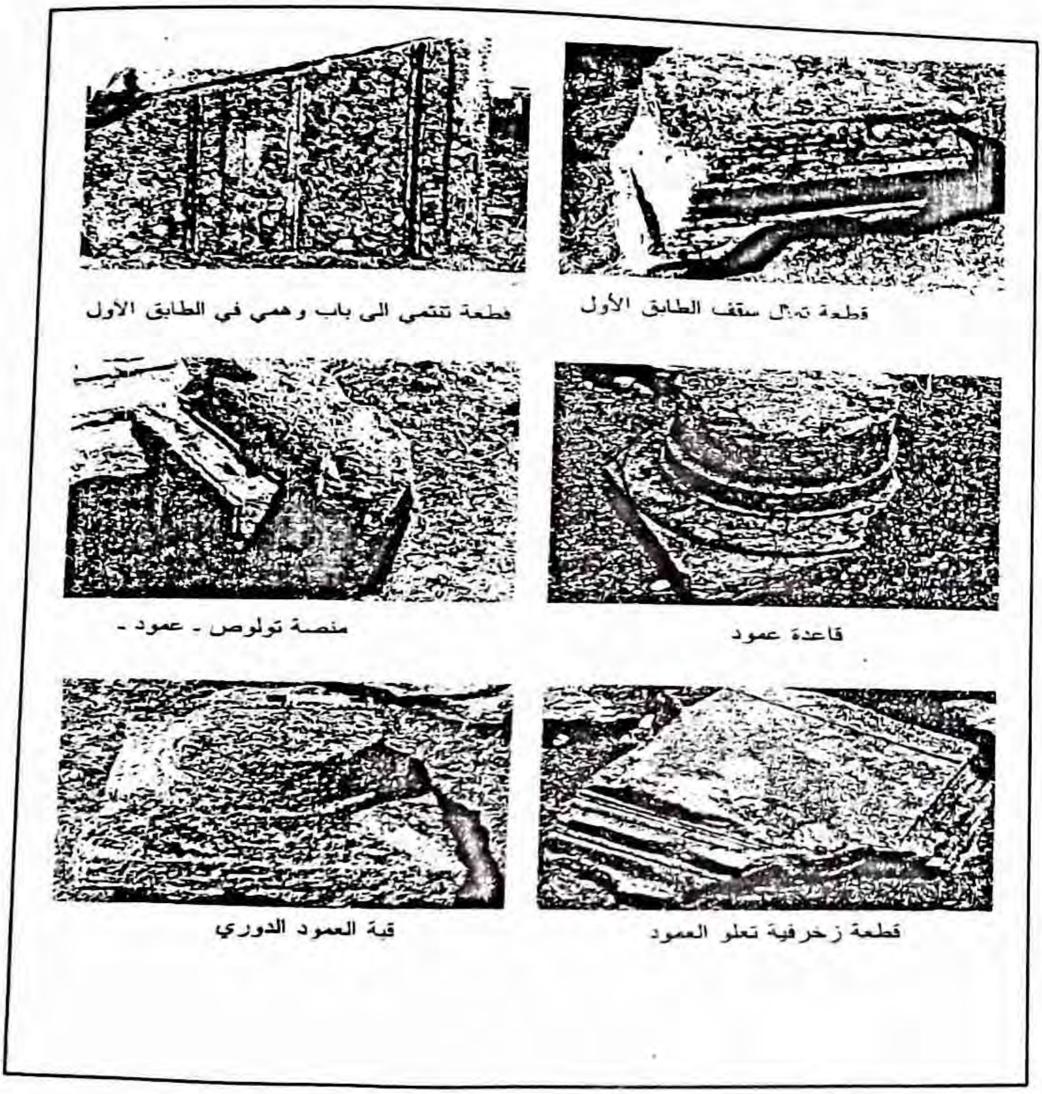


الصورة رقم (68) قاعدة إحدى الأعمدة الدورية لضريح الخروب



الصورة رقم (69) منظر للقاعدة السفلي لضريح الخروب


الصورة رقم (70) أقسام الطابق السفلي



قطعة تمثل سقف الطابق الأول

قطعة تنتمي الى باب وهمي في الطابق الأول

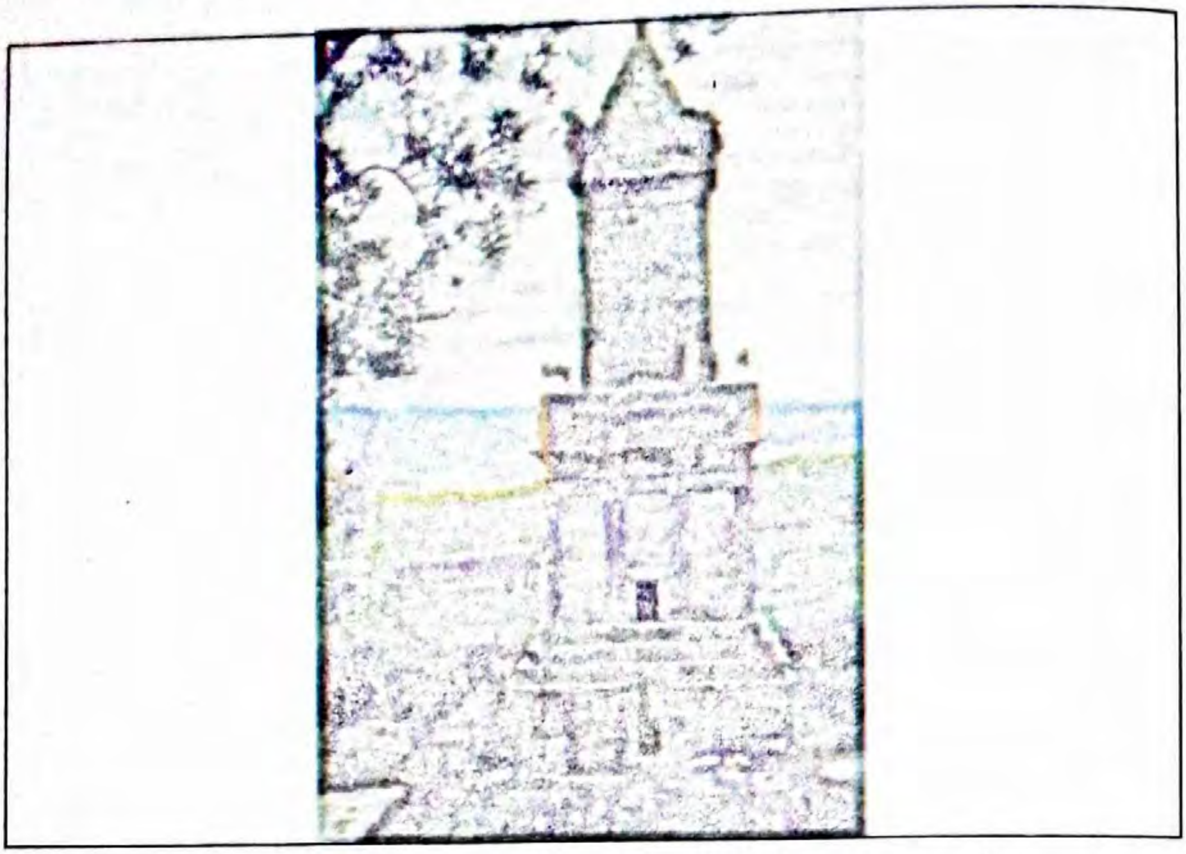
قاعدة عمود

منصة تولوص - عمود -

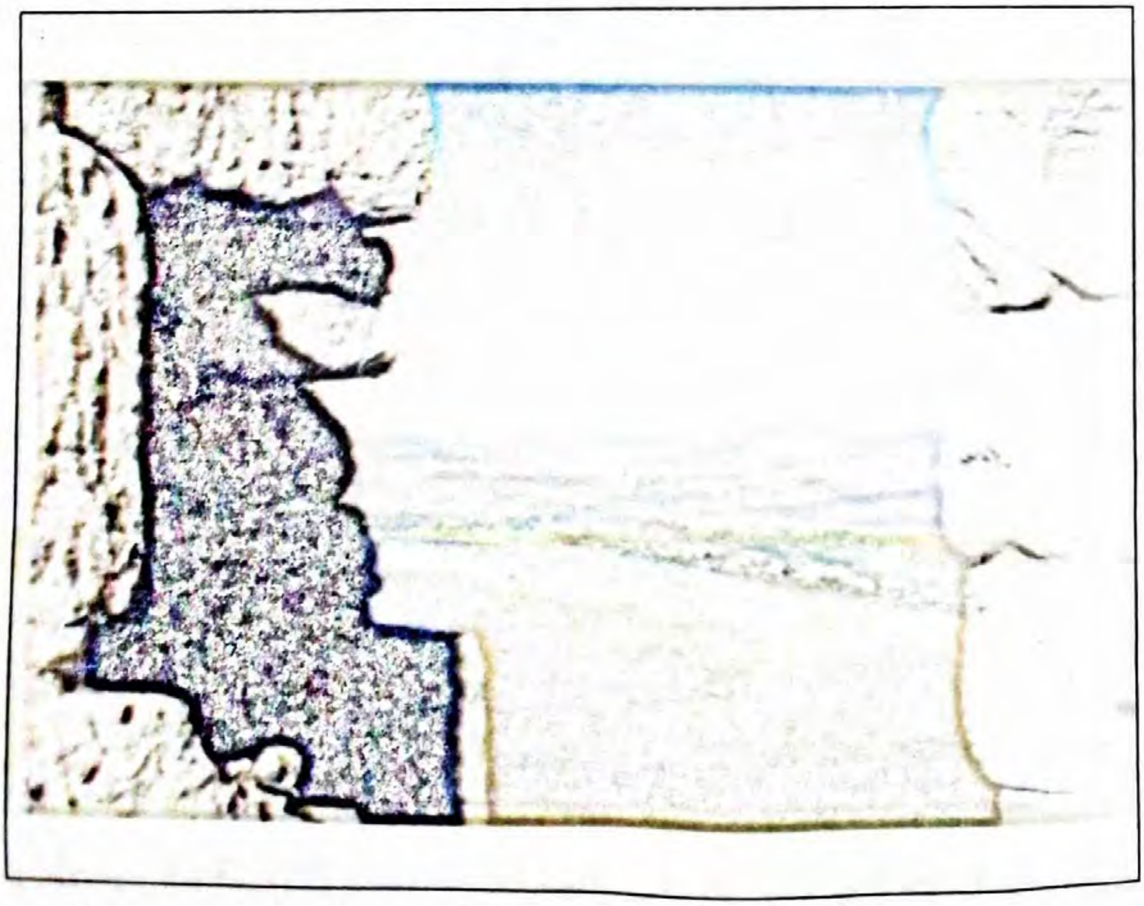
قطعة زخرفية تعلو العمود

قبة العمود الدوري

الصورة رقم (71) قطع هندسية متنوعة من ركام صومعة الخروب



الصورة رقم (73) منظر عام لضريح دوقة بتونس



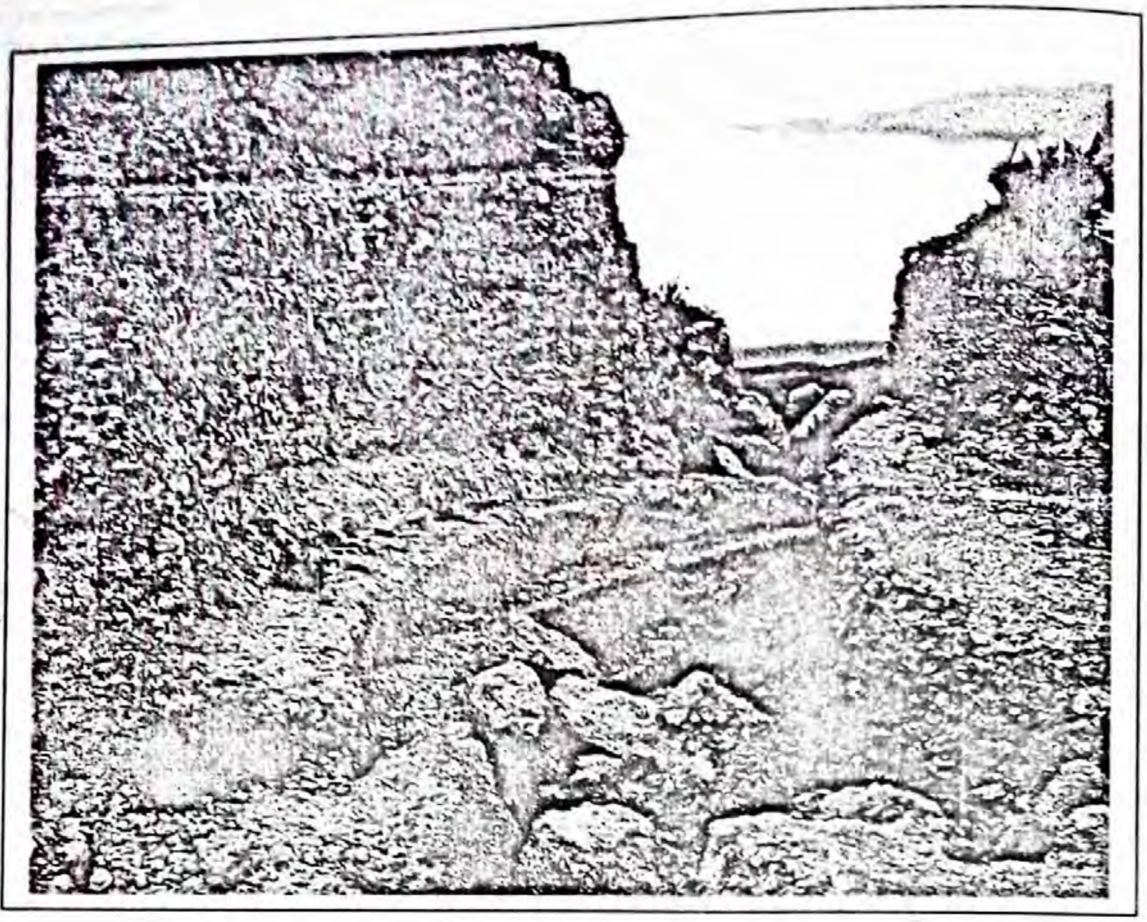
الصورة رقم (74) منظر عام لمدينة قسنطينة من على قمة ضريح الخروب



الصورة رقم (75) الجهة الجنوبية الغربية لضريح سيغا



الصورة رقم (76) ضريح هونشير بورغو بجزيرة جربة بتونس



الصورة رقم (77) ضريح سيغا عند إكتشافه



الصورة رقم (78) إحدى قاعات المدفن الأرضي المقبب بضريح سيغا

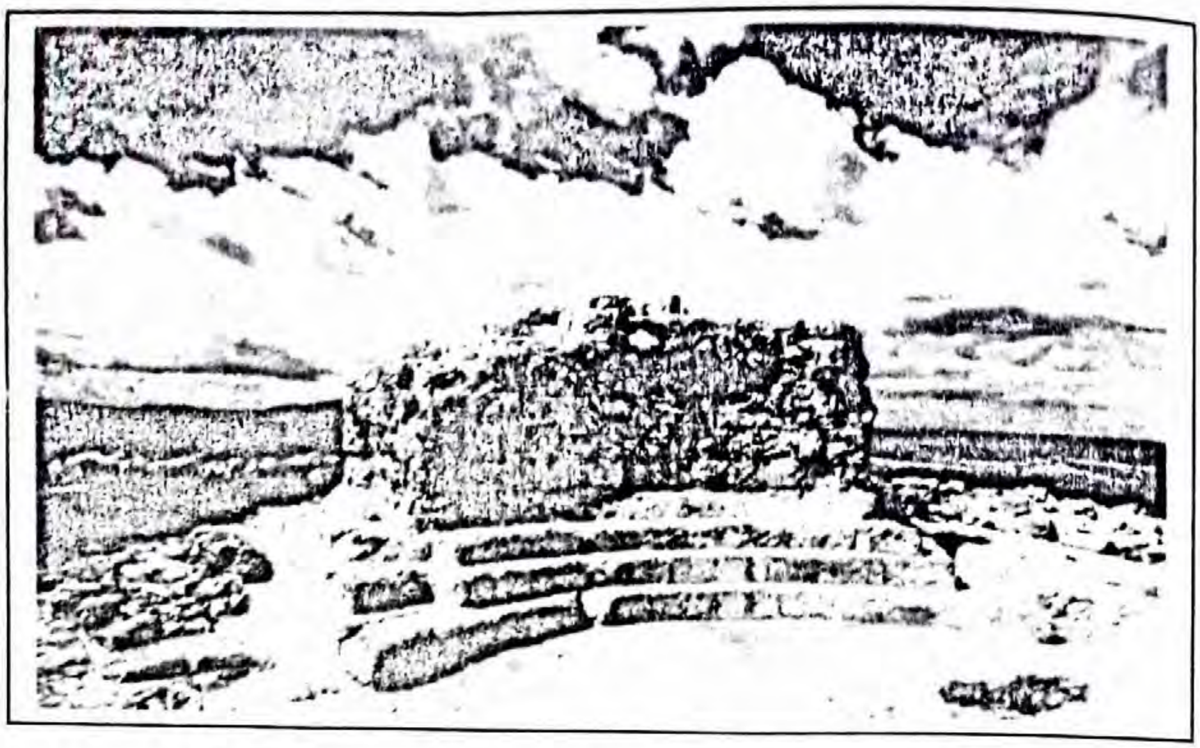


56

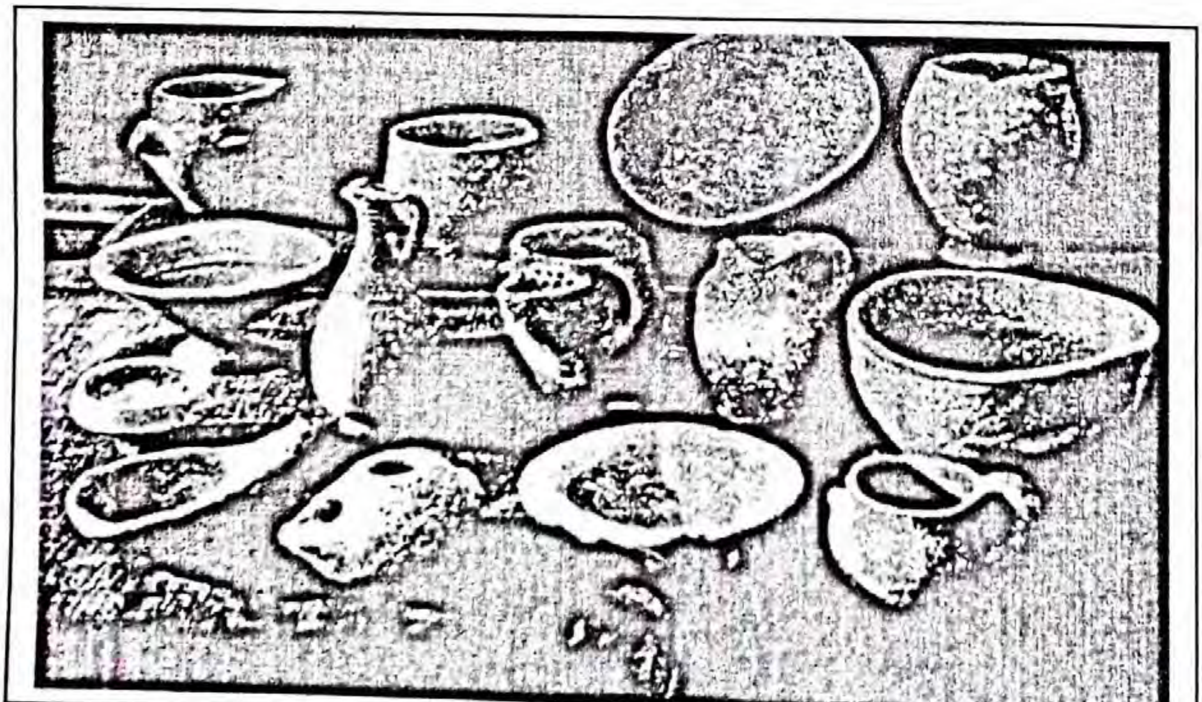
الصورة رقم (79) ضريح سيغا يغمره الركام الحجري قبل الكشف عن شكله الهندسي الحقيقي



الصورة رقم (80) الطابق السفلي هو ماتبقى اليوم من ضريح سيغا

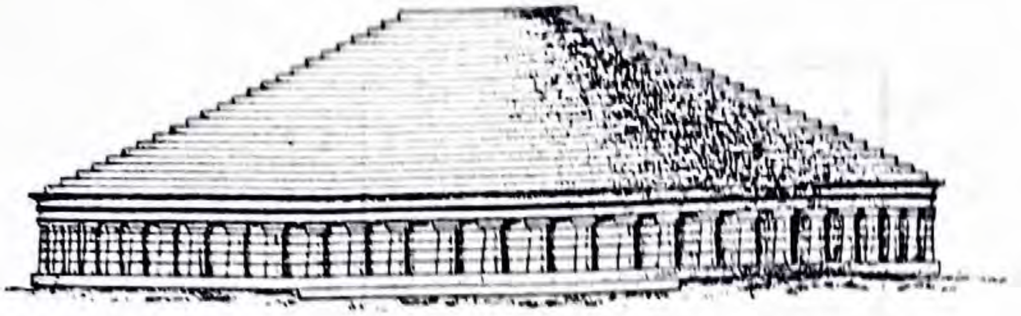


الصورة رقم (81) إعادة تشكيل الطوابق العلوية لضريح سيغا حسب راكوب

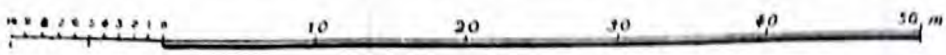


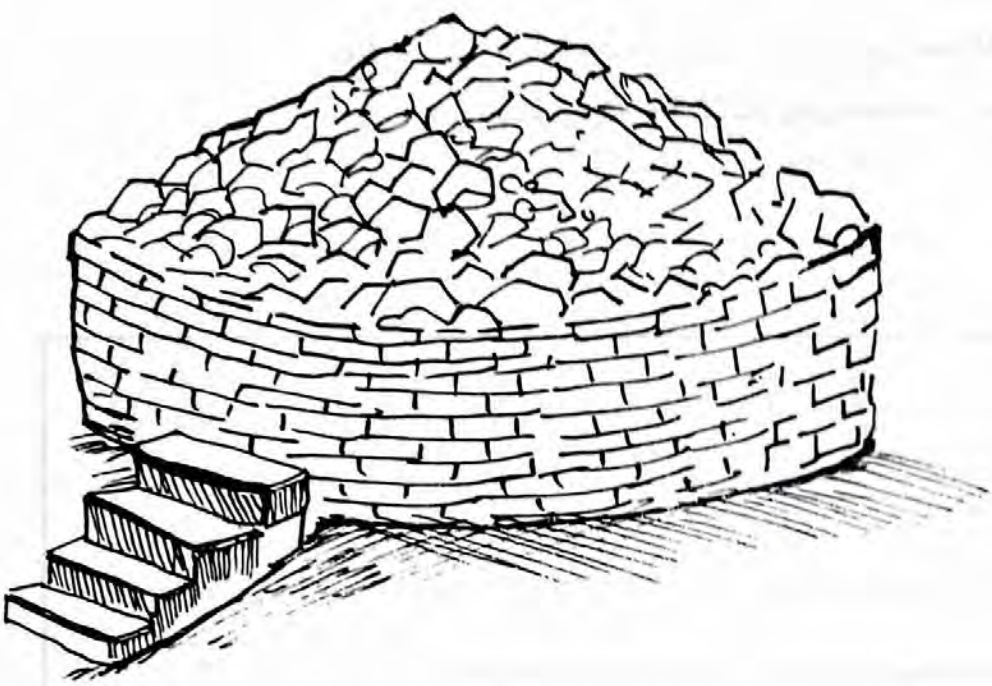
الصورة رقم (82) أواني فخارية متنوعة أكتشفت خلال حفريات ريقاس بمقبرة عين البيضاء

ملحق الأشكال



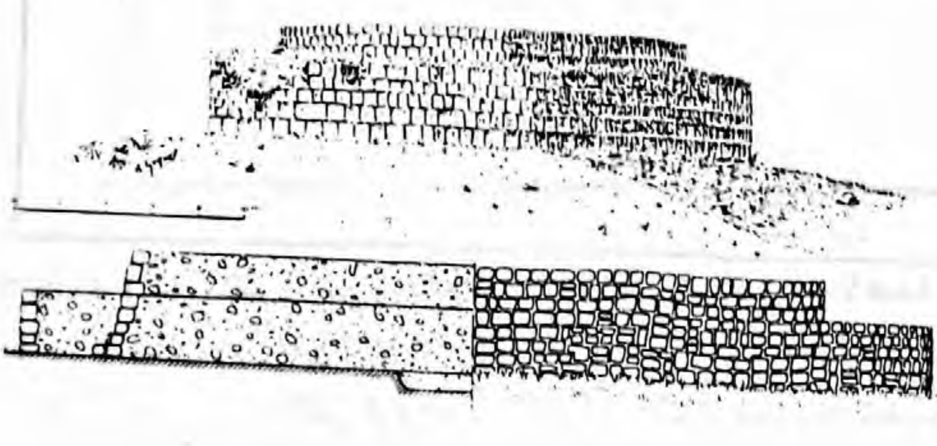
الشكل رقم (1) **بازينة المدغاسن** (حسب برونو Brunon, art. cit. pl. IX)





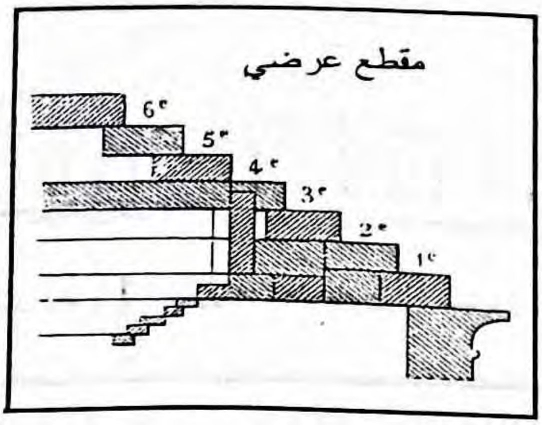
الشكل رقم (2) **بازينة ذات قاعدة أسطوانية بعين الصفراء شبيهة بالمدغاسن**

(حسب كامبس G. Camps, Nouvelles observations.. p. 481)

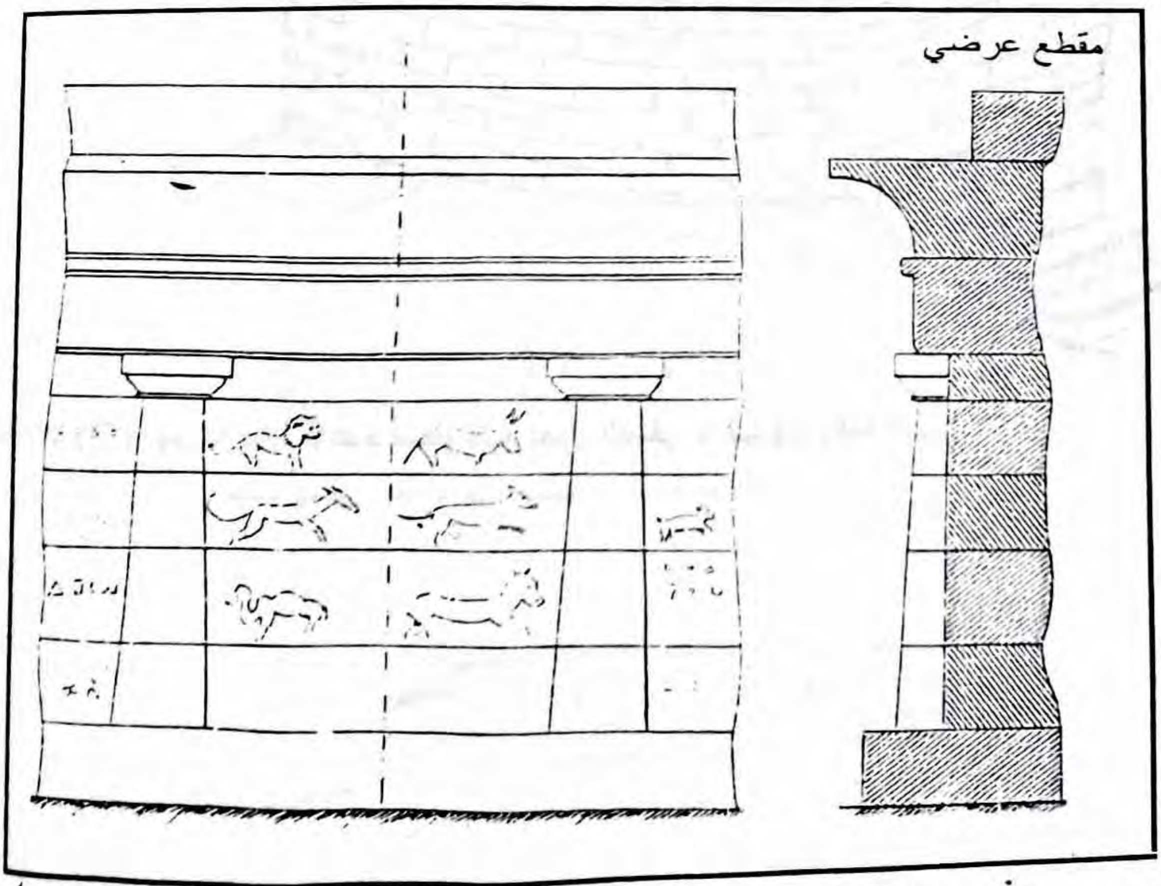


الشكل رقم (3) **بازينة ذات درجات بسوق الغور (المغرب الأقصى)**

(حسب لوكي A. Luquet)

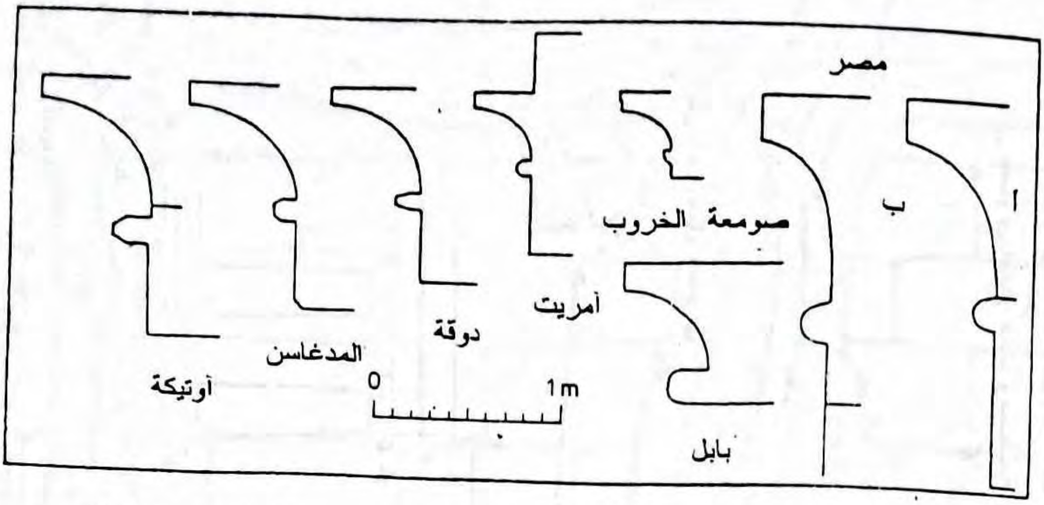


الشكل رقم (4) **مقطع عرضي يوضح موقع المدخل الرئيسي للمدغاسن المهيئ على مستوى الدرجة الثالثة والرابعة من المدرج**

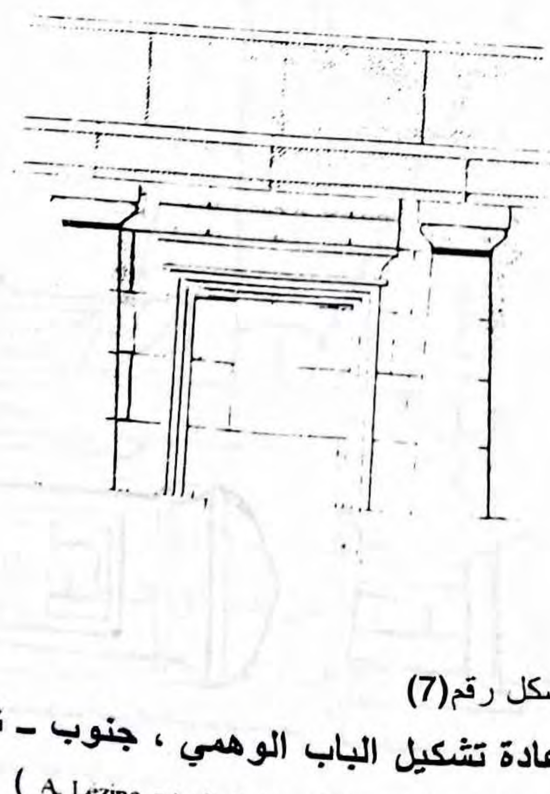


الشكل رقم (5) **منظر آمامي ومقطع عرضي جانبي لقسم مابين الأعمدة (المدغاسن)**

على الأول نشاهد بعض الرسومات الحيوانية والكتابات وفي الثاني نري من الأعلى الى الأسفل العناصر الهندسية التالية : كورنيش ذات عنق مصري ـ جانز الأعمدة ـ تاج يعلو عمود دوري ، ثم قاعدة يرتكز عليها العمود .



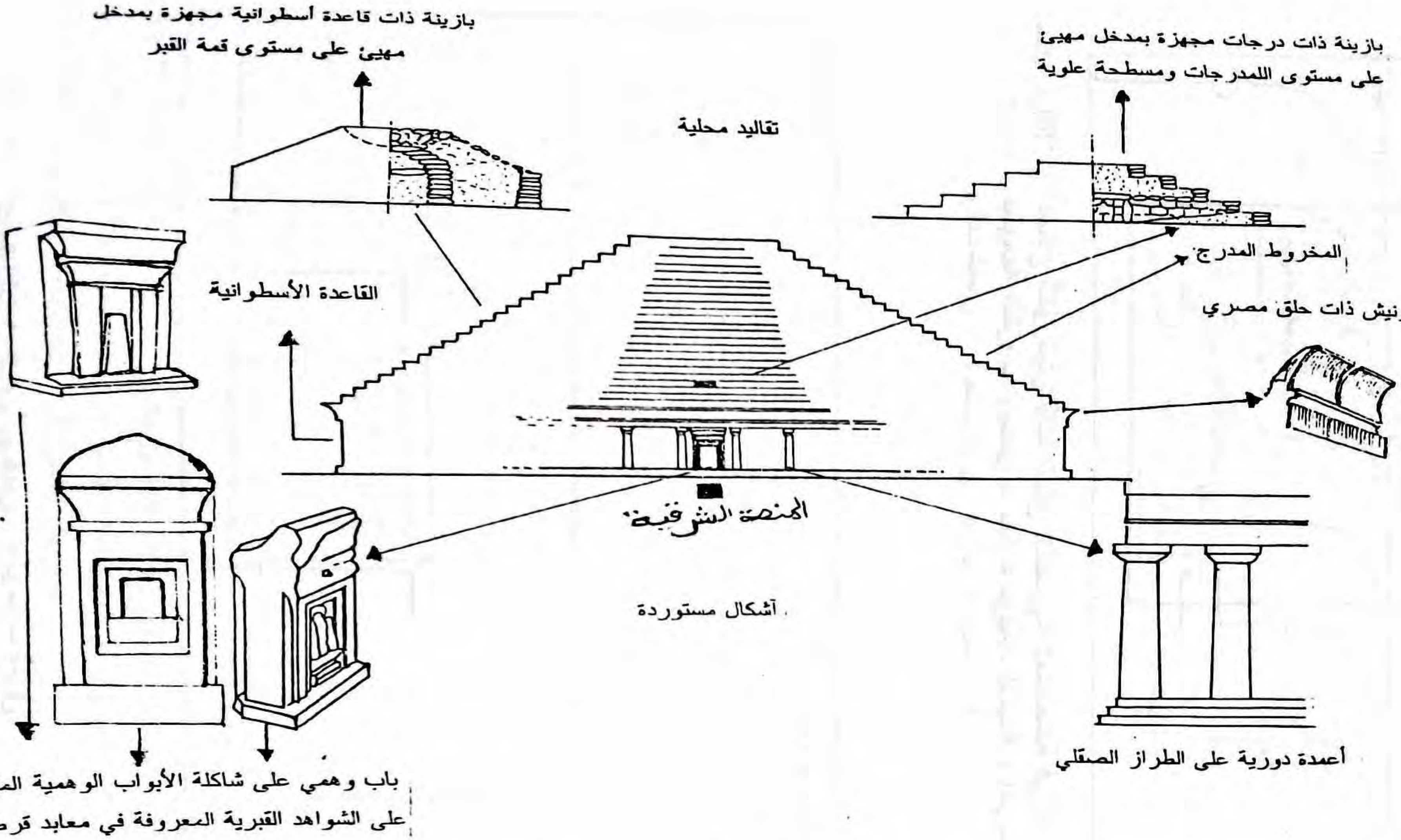
لشكل رقم(6) **نماذج للكورنيش ذات العنق المصرية المستعملة في : صومعة الخروب ، مصر ، بابل ، دوقة ، أوتيكة ، آمريت ، والمدغاسن** (حسب ليزين . A. Lezine, art. cit. p. 97)



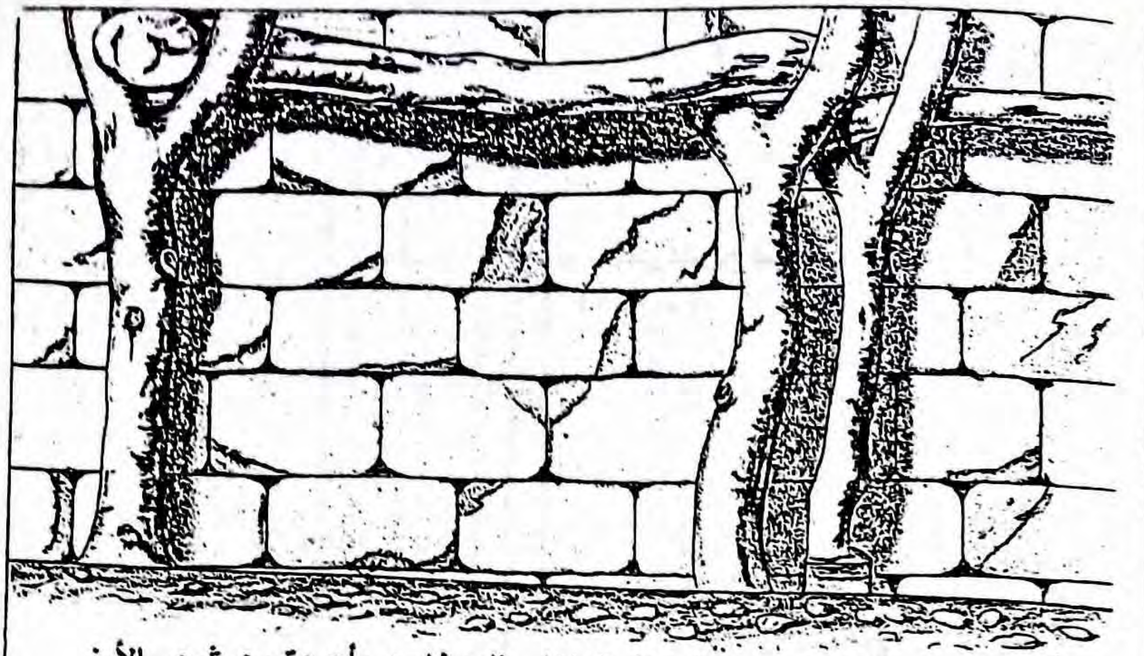
الشكل رقم(7)

إعادة تشكيل الباب الوهمي ، جنوب ـ شرق

(حسب ليزين A. Lezine, art. cit. P. 117-118)

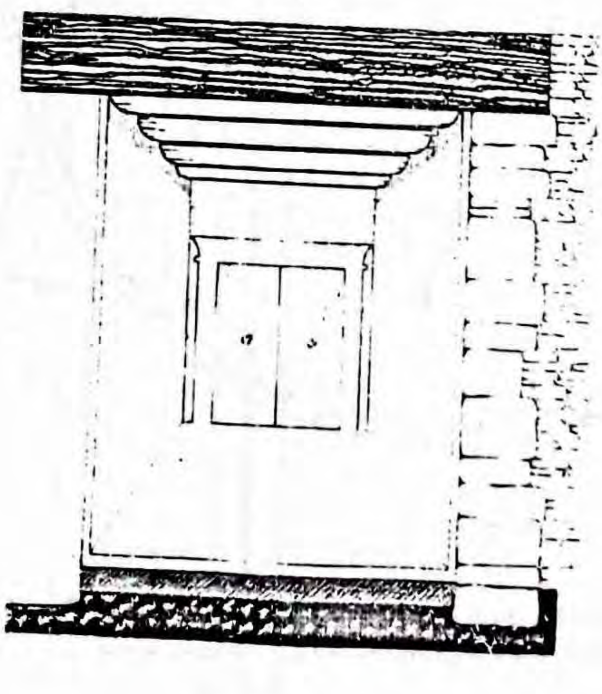


الشكل رقم (8) **الآصول الهندسية للمدغاسن**



الشكل رقم (9) **تحصين الرواق الداخلي للمدغاسن بأعمدة من شجر الأرز**

(حسب برونو . Brunon, art. cit., pl. VIII)



الشكل رقم (10)

إعادة تشكيل المرافق الداخلية

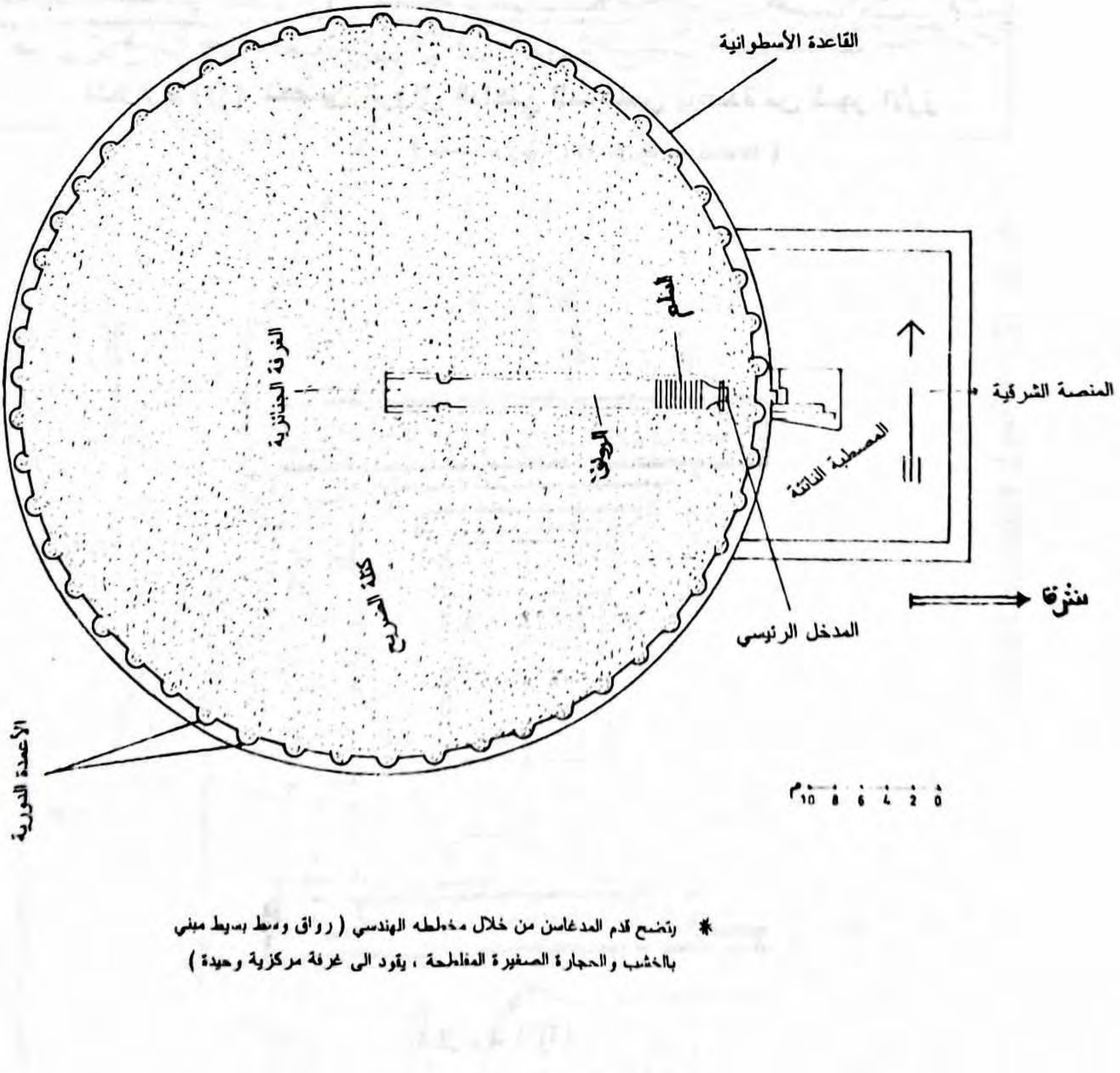
للمدغاسن : الرواق الداخلي ،

سقفه ، وأبواب الغرفة الجنائزية

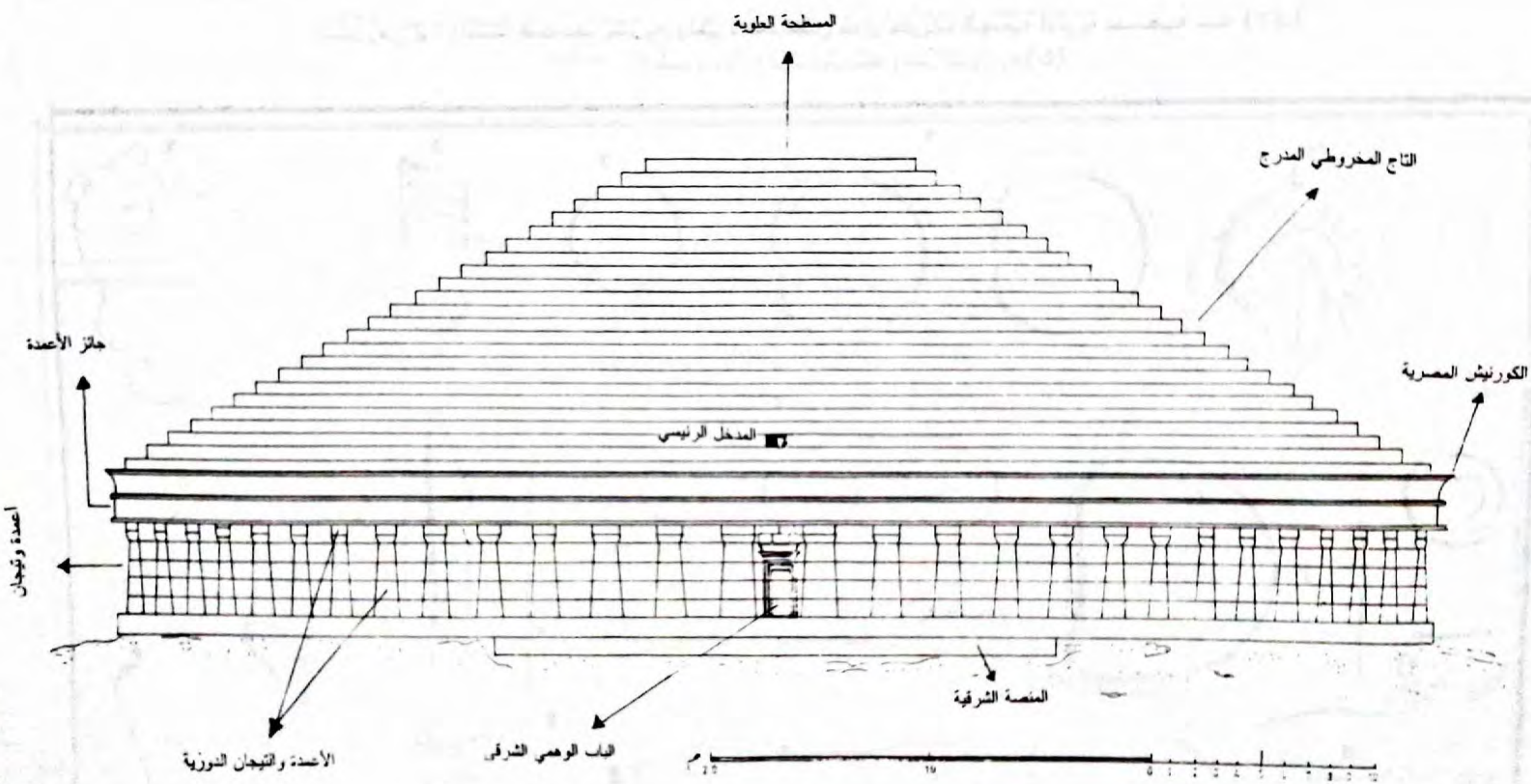
(حسب كامبس : G. Camps, nouvelles oservations... p. 503)

الشكل رقم (11 a) تصميم مسقطي لضريح المدغاسن

(حسب برولو)

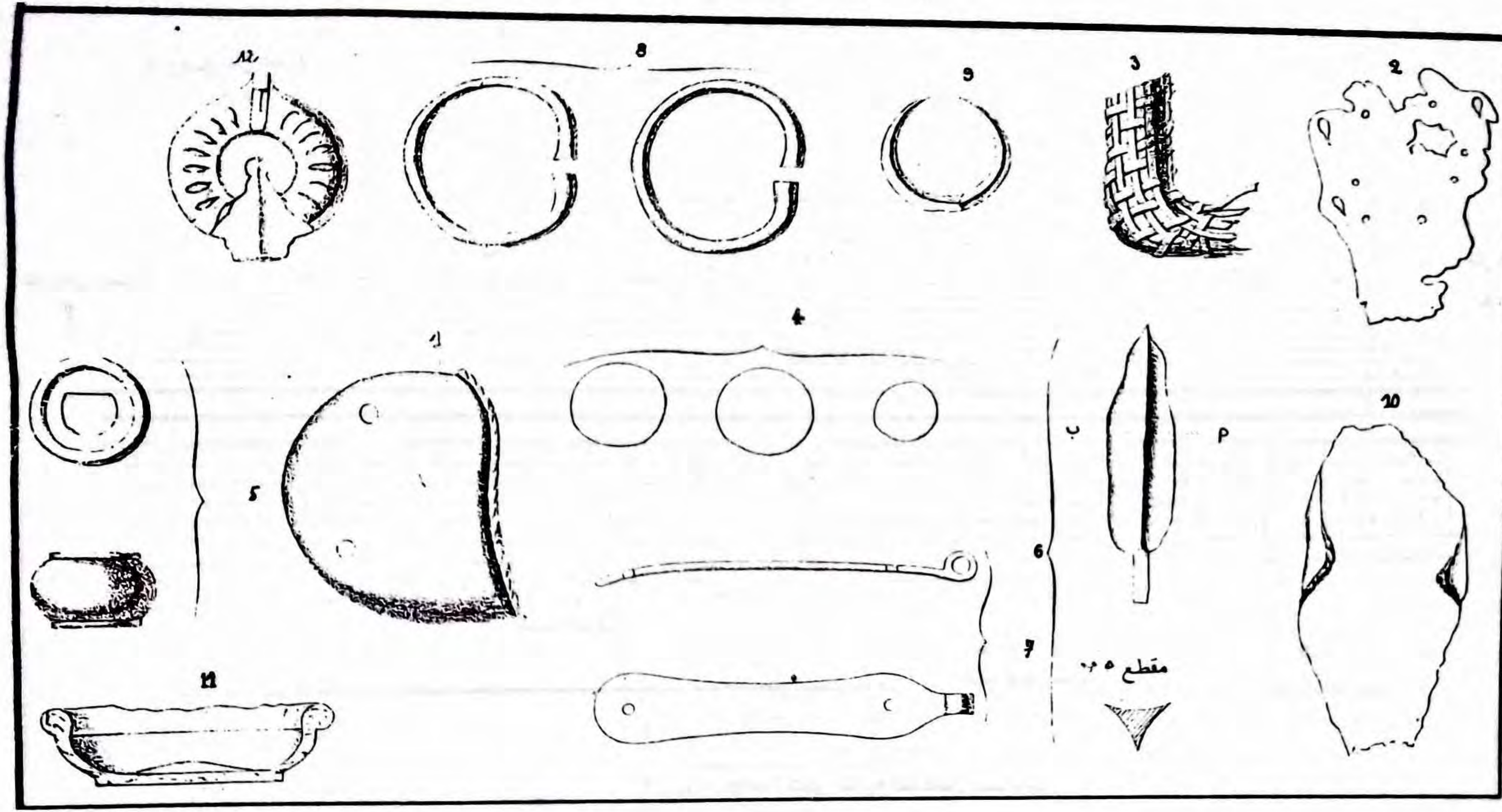


* يتضح قدم المدغاسن من خلال مخططه الهندسي (رواق وسط بسيط مبني بالخشب والحجارة الصغيرة المفلطحة ، يقود الى غرفة مركزية وحيدة)



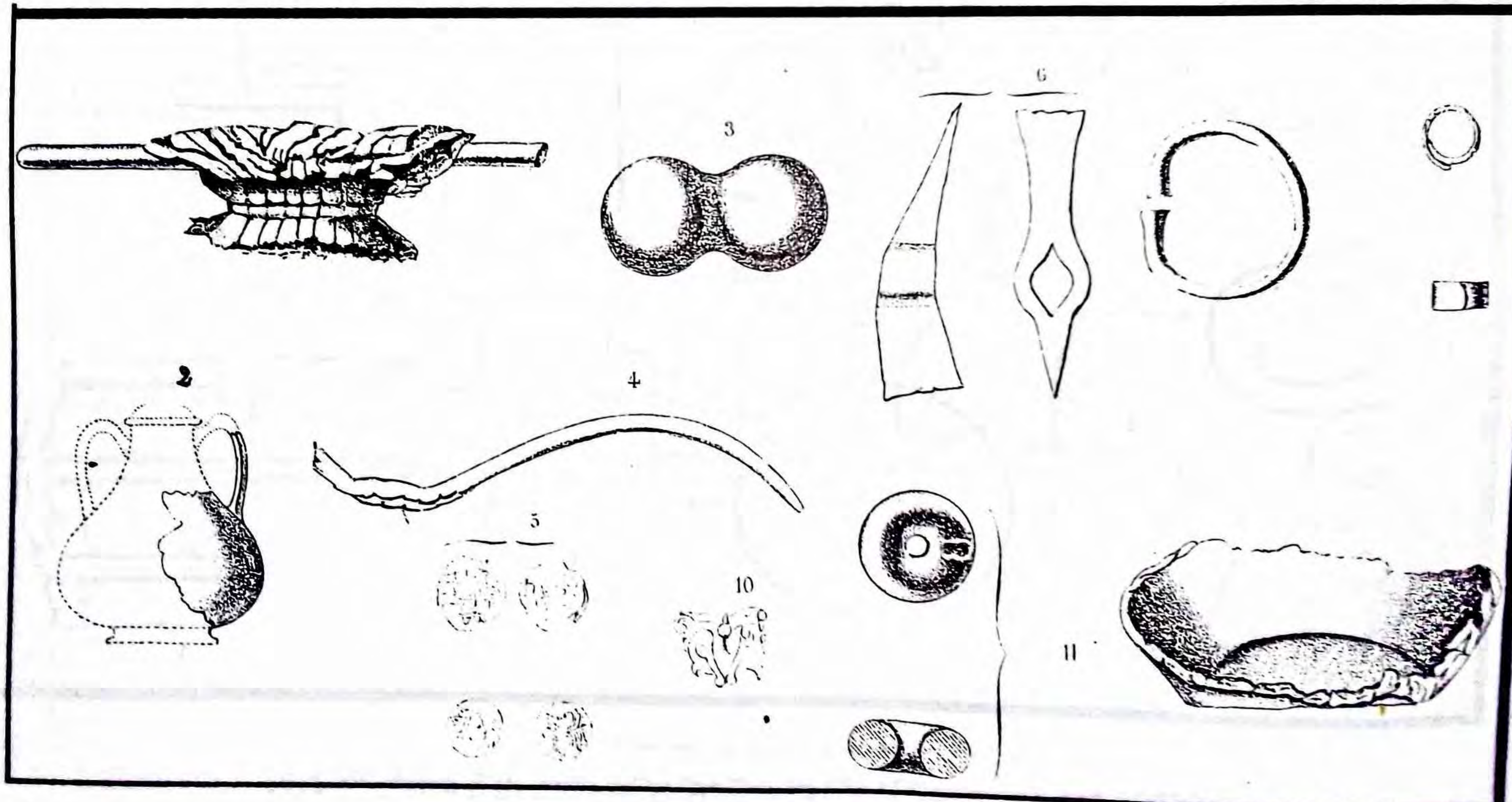
الشكل رقم(11 b)إعادة تشكيل ضريح المدغاسن (حسب برونو)

الشكل رقم(12)الأثاث المكتشف بضريح ومقبرة المدغاسن خلال حفريات الجمعية الأثرية لقسنطينة سنة 1873
(حسب برونو Brunon, art. cit. pl. X.) انظر الجدول رقم([illegible])



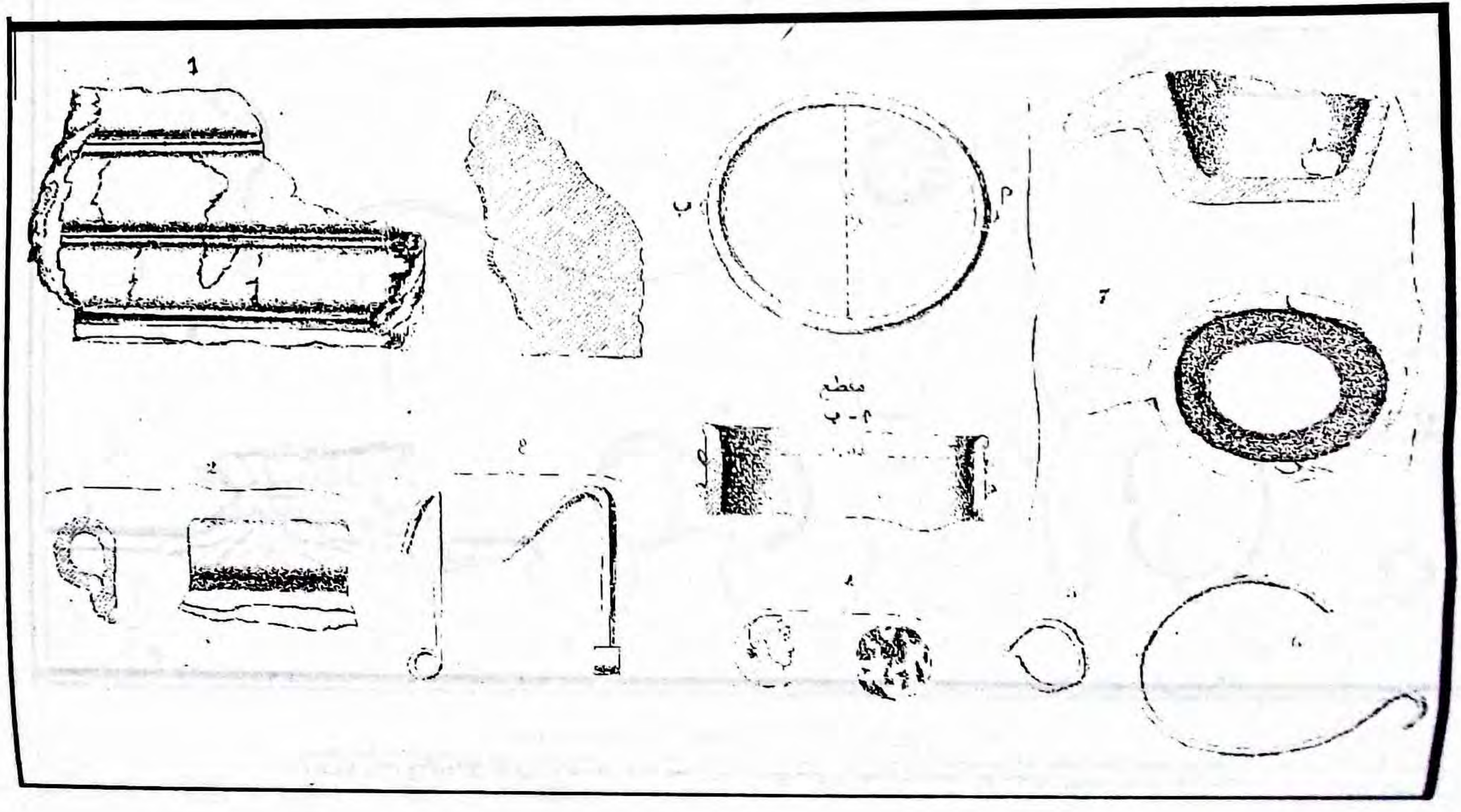
الشكل رقم (13) **الأثاث المكتشف بضريح ومقبرة المدغاسن خلال حفريات الجمعية الأثرية لقسنطينة سنة 1873**

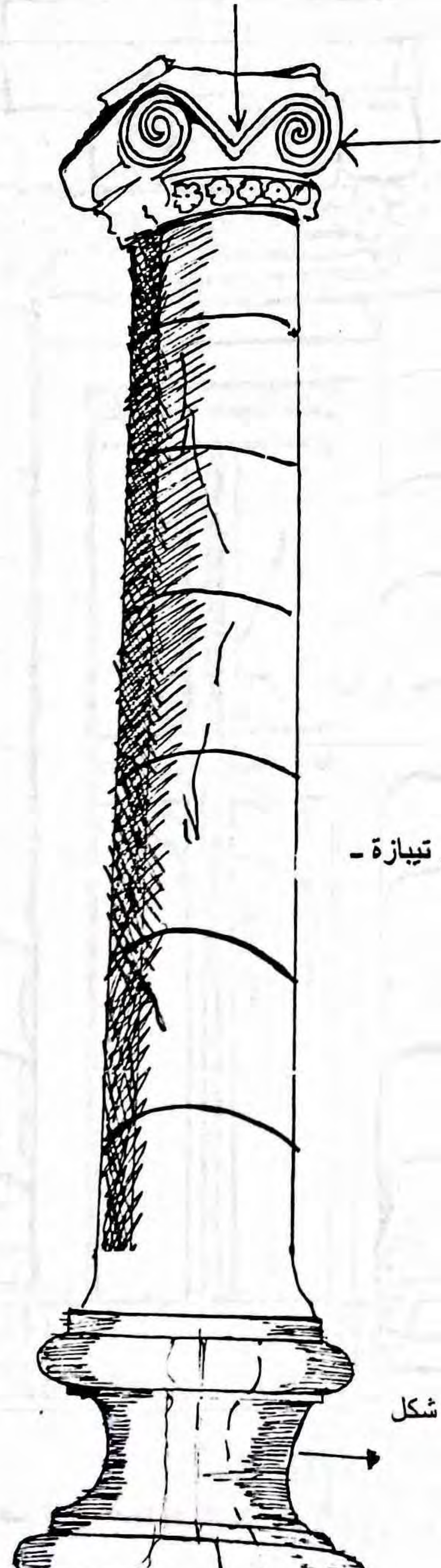
(حسب برونو Brunon, art. cit. pl. XI) انظر الجدول رقم ([illegible])



الشكل رقم (14) الأثاث المكتشف بضريح ومقبرة المدغاسن خلال حفريات الجمعية الأثرية لقسنطينة سنة 1873

(حسب برونو [illegible]) انظر الجدول رقم(4)



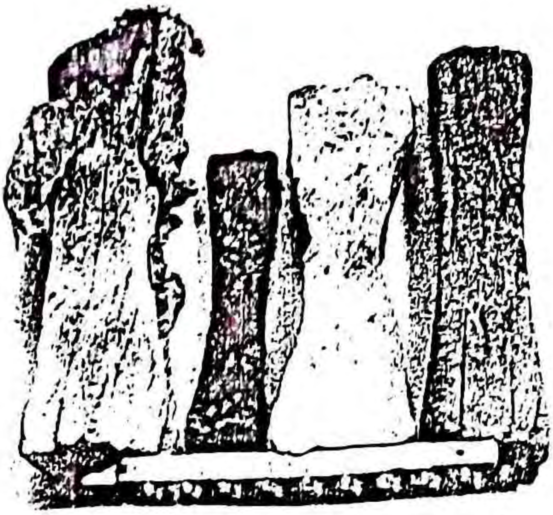


الشكل رقم (15)

عمود على الطراز الأيوني ـ قبر تيبازة ـ



الشكل رقم(16) **باب وهمي تؤطره أعمدة وتيجان على الطراز الأيوني ـ قبر تيبازة ـ**

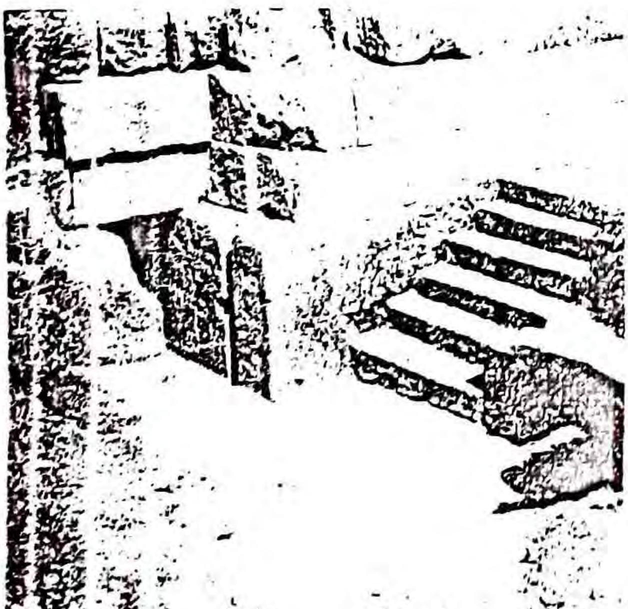


4 3 2 1

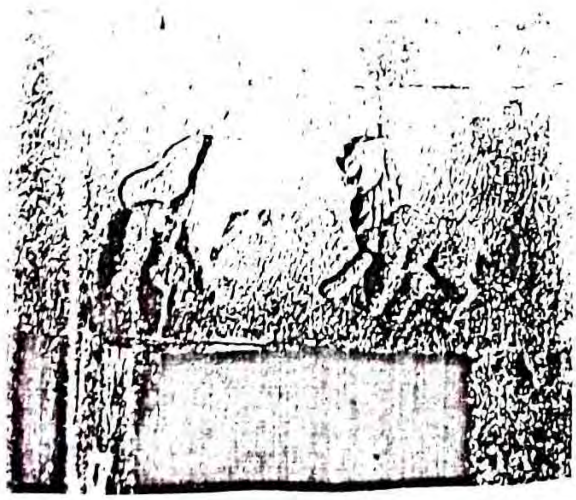
خشب رصاص حديد خشب مغلف بالرصاص

صورة رقم (17) الأنواع الأربعة من مخالب

التثبيت المستعملة في الضريح الموريطاني

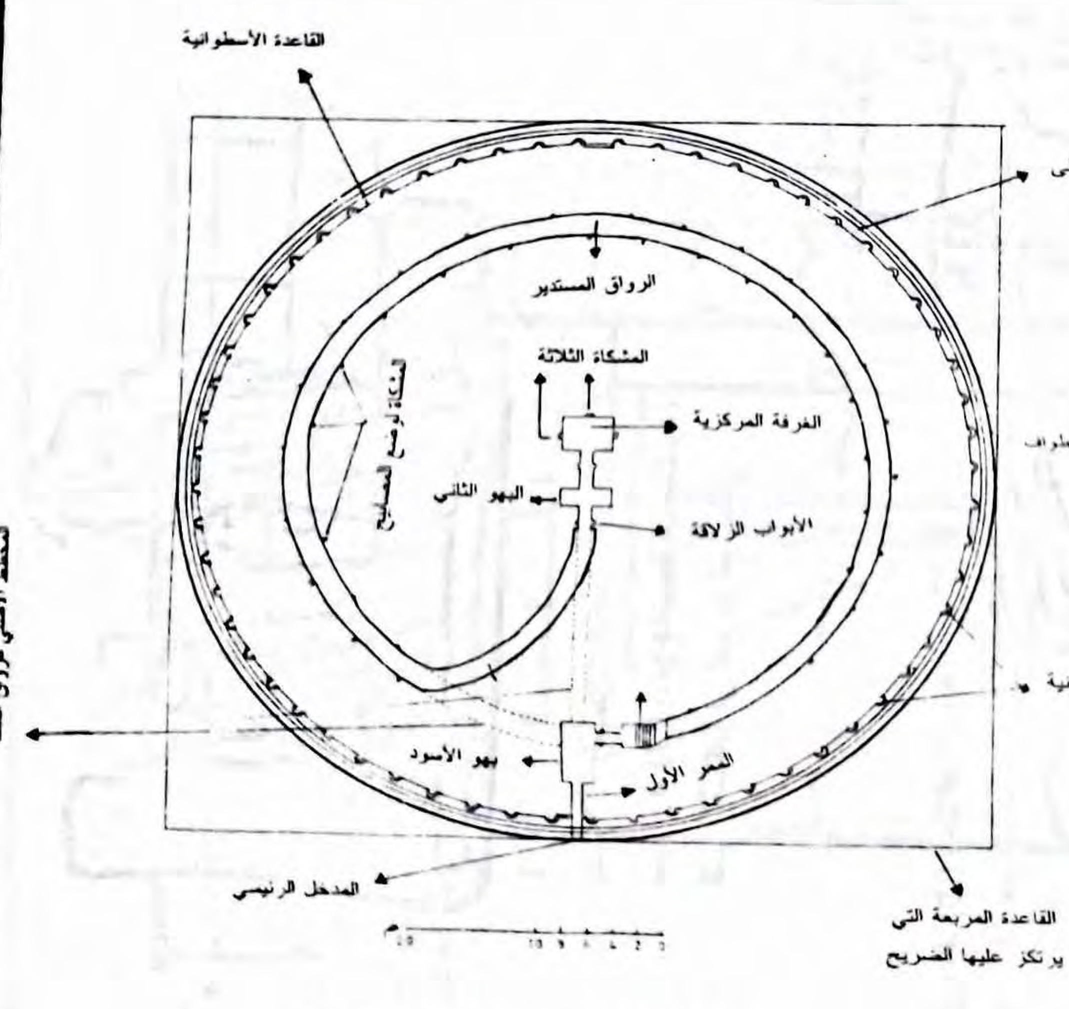


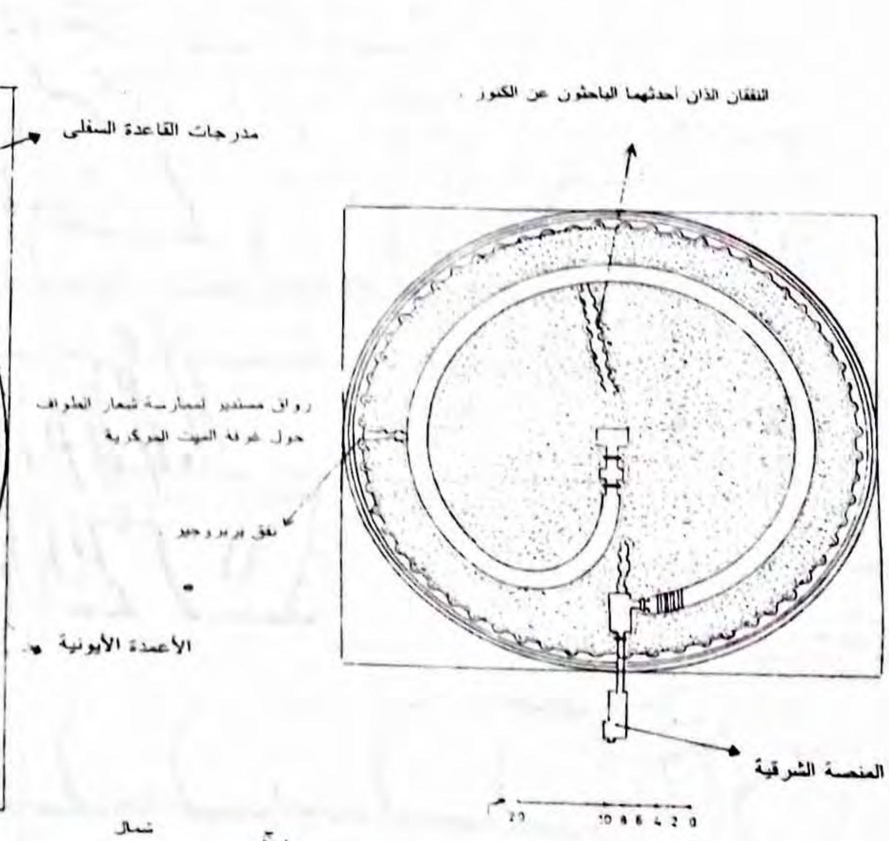
صورة رقم (18) مدخل قبر الرومية

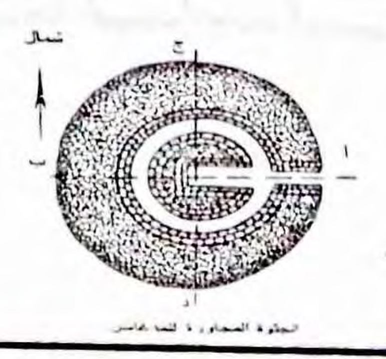


صورة رقم (19) نقش يمثل أسد

ولبوءة في بهو الأسود بقبر الرومية



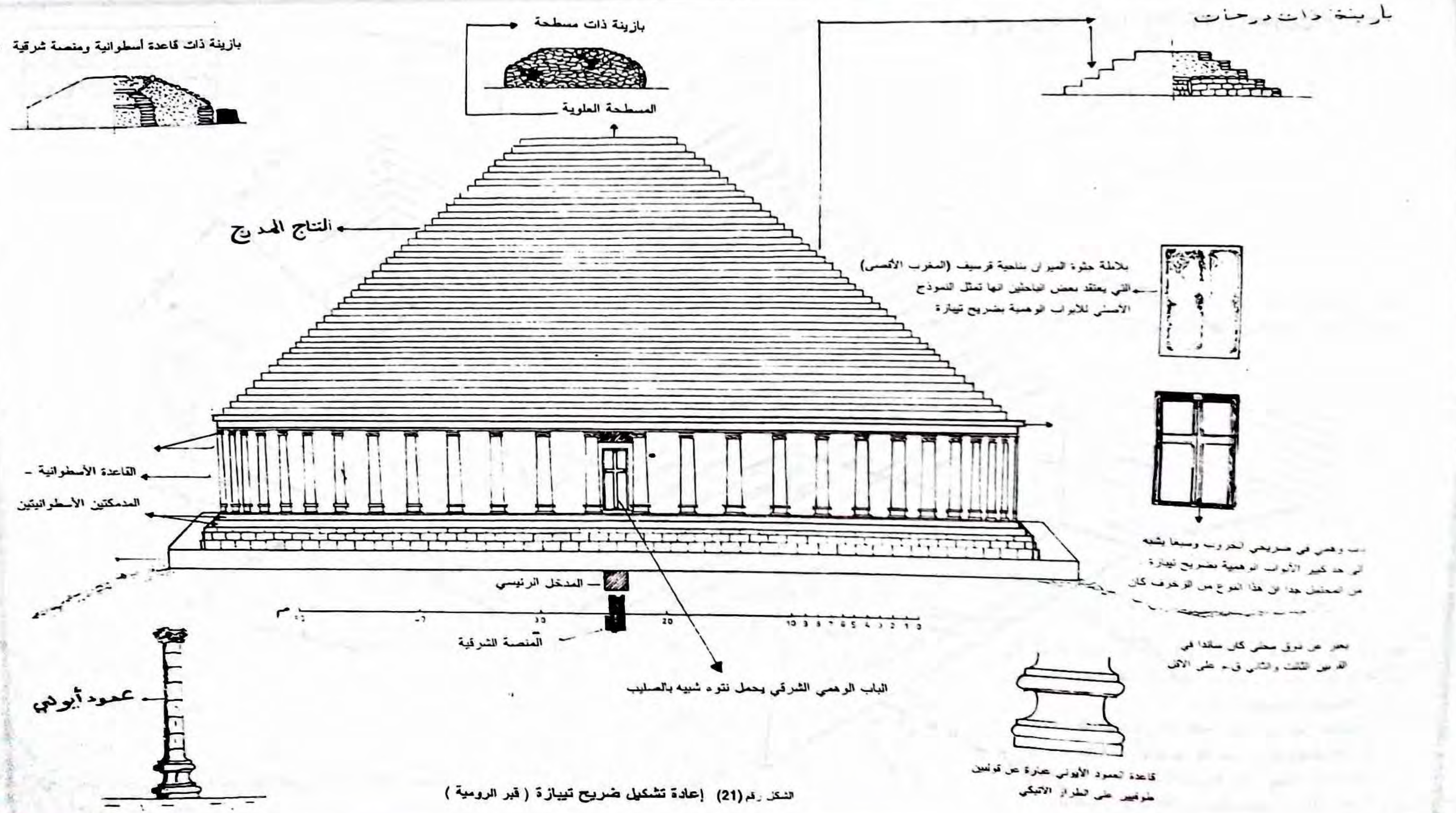




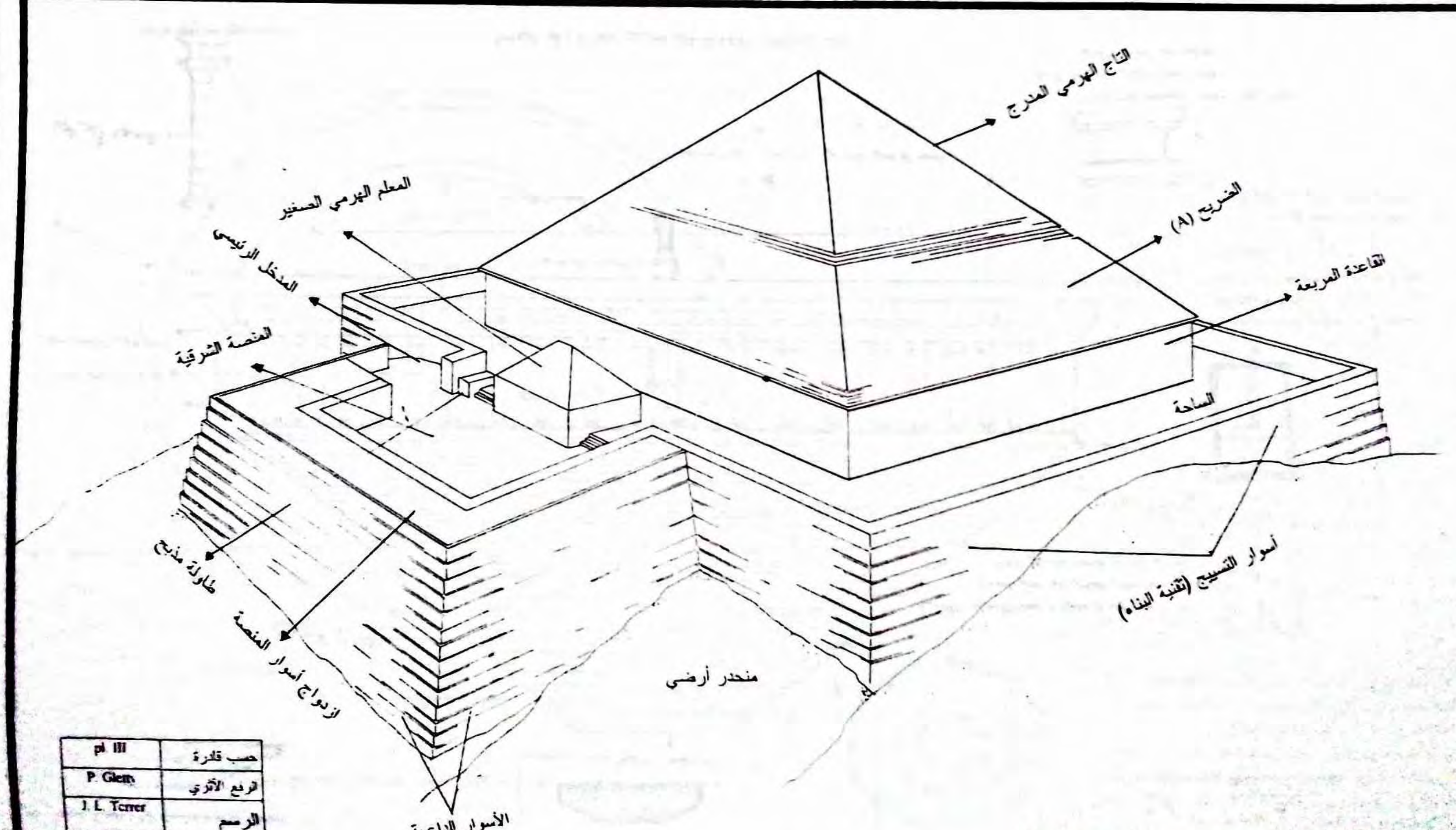
الشكل رقم (20) تصميم مسقطي لضريح تيبازة

يلاحظ تشابه بين مخططي قبر تيبازة والجثوة المجاورة للمدغاسن ، فكلاهما يتوفران على رواق مستدير لممارسة عادة الطواف حول غرفة الميت المركزية ، غير أنهما يختلفان فيمايلي :

- رواق قبر تيبازة غير كامل كما يؤدي مباشرة الى الغرفة المركزية
- رواق الجثوة المجاورة للمدغاسن كامل الإستدارة كما يرتبط بالغرفة المركزية عن طريق رواق وسط الذي يتصل هو الآخر بالمدخل الرئيسي المتمركز في الجهة الشرقية .

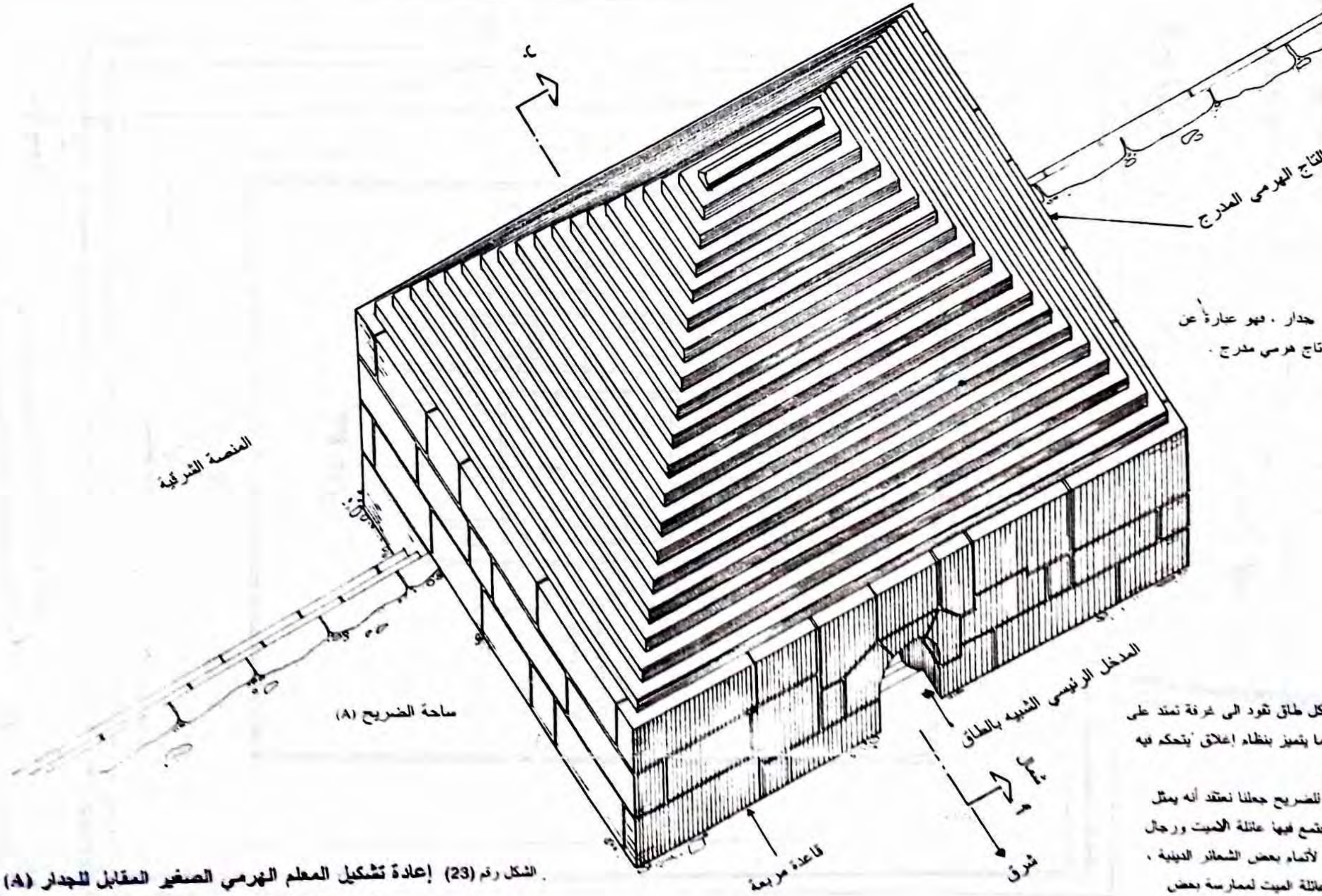


الشكل رقم(21) إعادة تشكيل ضريح تيبازة (قبر الرومية)



حسب قادرة	pl. III
الرفع الأثري	P. Gletts
الرسم	J. L. Terrer

شكل رقم(22)إعادة تشكيل لجدار (A) وملحقاته الشرقية

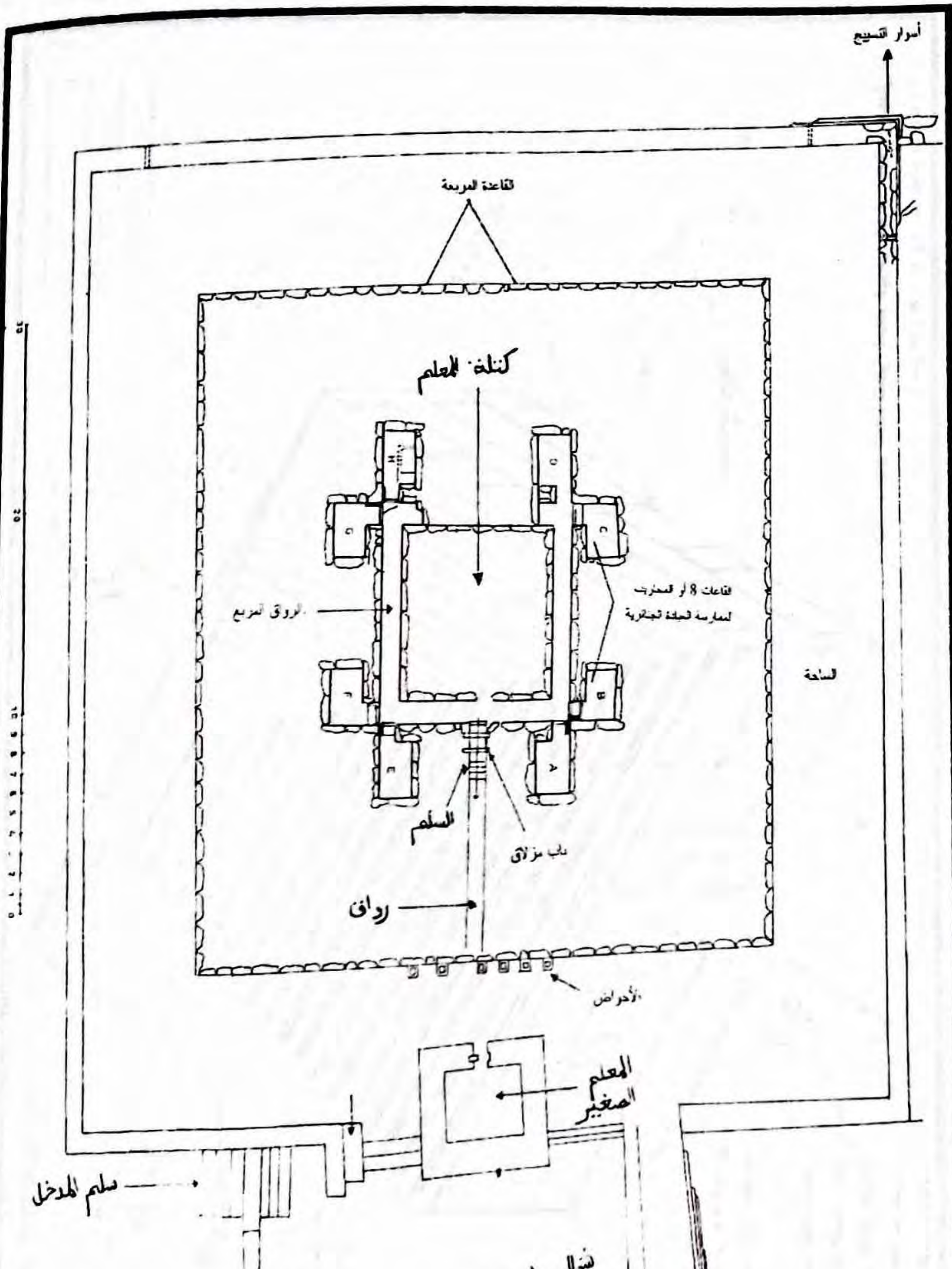


يشبه شكل هذا المعلم الخارجي أضرحة جدار ، فهو عبارة عن قاعدة مربعة مزدوجة الأسوار يعلوها تاج هرمي مدرج .

* مدخله عبارة عن فتحة صغيرة على شكل طاق تقود الى غرفة تمتد على جانبيها الطولانية مقعدات حجريان . كما يتميز بنظام إغلاق يتحكم فيه من الداخل بواسطة أسطوانية حجرية .

إن تهيئة هذا المبنى بهذا الشكل ومقابلته للضريح جعلنا نعتقد أنه يمثل قاعة ذات طابع شعائري ، ربما كان يجتمع فيها عائلة الميت ورجال الدين رفقة هذا الأخير ساعات قبل دفنه لأتمام بعض الشعائر الدينية ، أو كانت مجرد قاعة يقصدها أنصار وعائلة الميت لممارسة بعض الطقوس الجنائزية التي لها علاقة بطلب الشفاعة ، التوسل والدعاء .

الشكل رقم (23) **إعادة تشكيل المعلم الهرمي الصغير المقابل للجدار (A)**
(حسب قادرة F. Kadra, Les Djedars , Fig 64 p. 90)

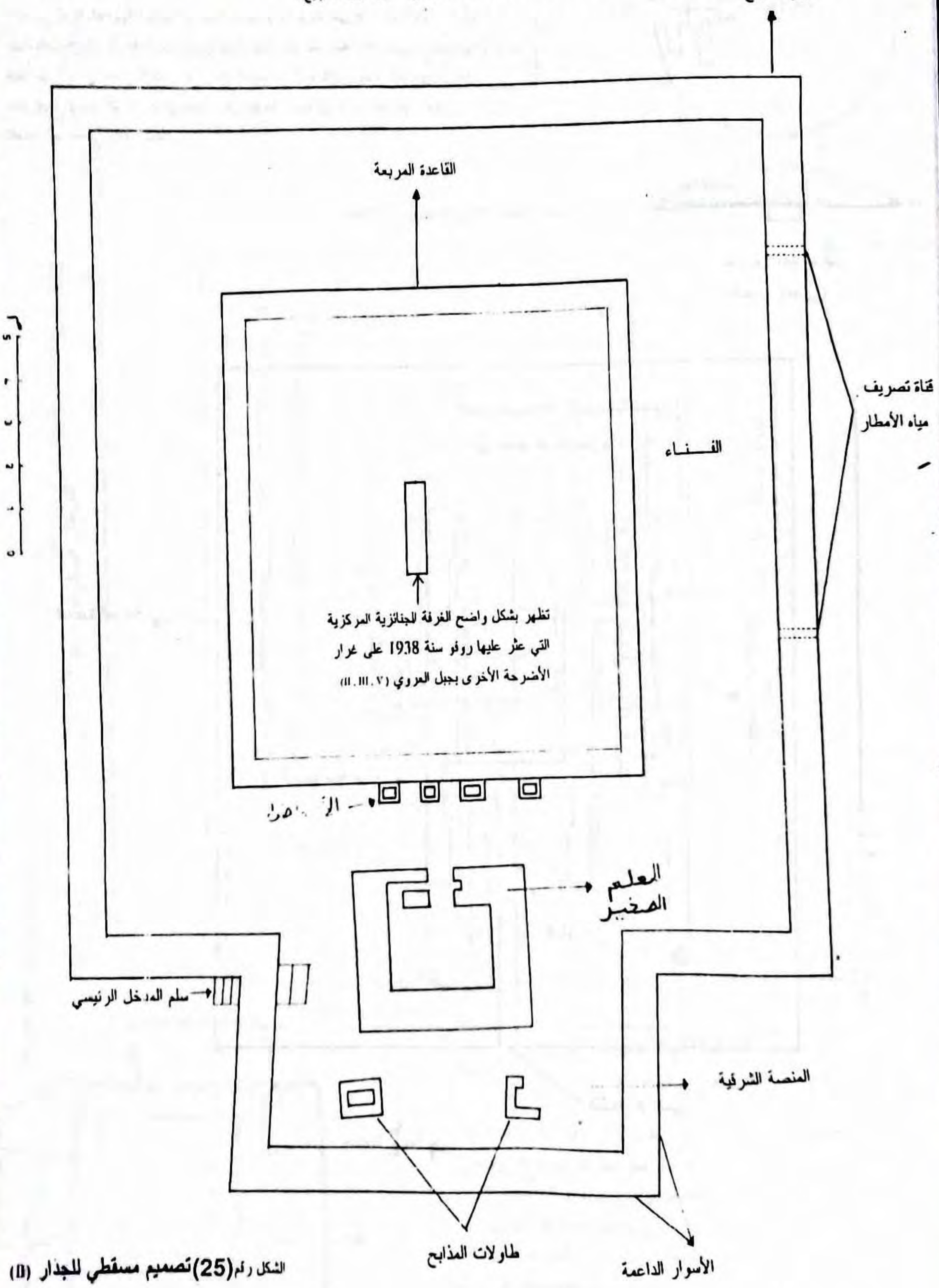


الشكل رقم (24)

تصميم مسقطي للجدار (A)

سب قادرة	11 م
مخطط رقم	07
الرفع الأثري	P Gletty
الرسم	J. L. Terrer

هناك تشابه واضح بين الملحقات الخارجية للجدار (٨) و (II) (أسوار التسييج ، الأحواض ، المعلم الهرمي الصغير ، المنصة الشرقية والمدخل الرئيسي ، غير ان لجدار (II) ينفرد بوجود مذبحين في أقصى شرق الضريح .

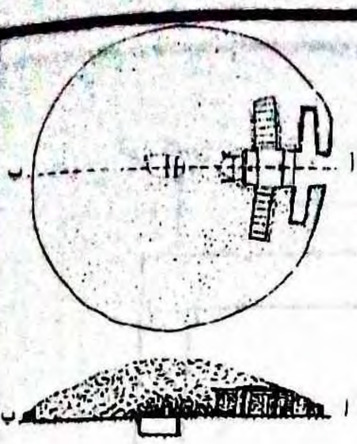


الشكل رقم(25) تصميم مسقطي للجدار (II)

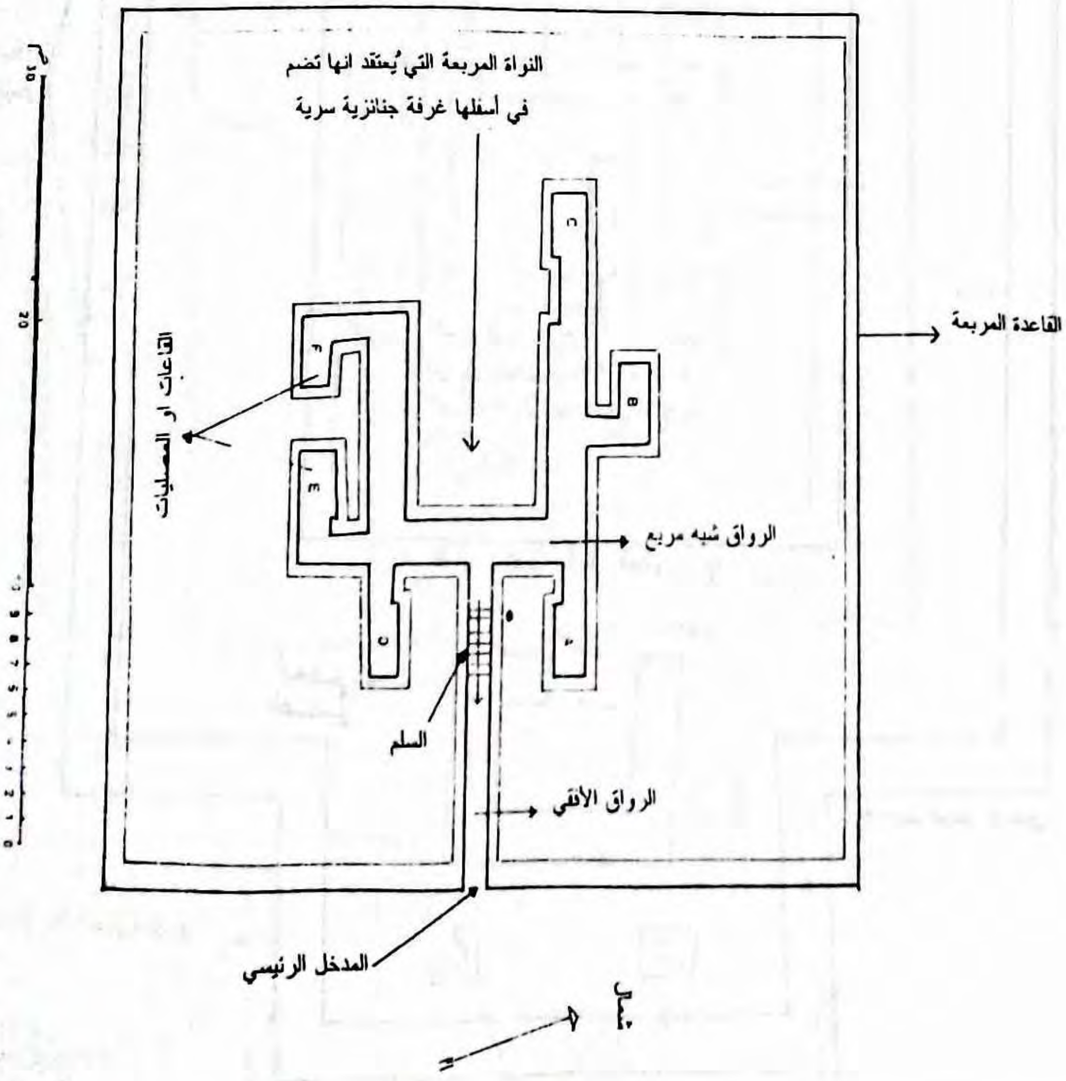
حسب قادرة	pl VIII
مخطط	رقم 119
الرسم	J. L. Terrer



يتضح ان هناك تشابه كبير بين مخططي لجدار (A) و (C) وجثوات ذات المصليات بتافيلالت ، فكلاهم يتوفر على رواق يحيط به غرف ومدخل يقع في الشرق . إن هذا التشابه الكبير جعلنا نعتقد ان الغرفة الجنائزية الحقيقية في الجدارين (A) و (C) توجد على غرار هذه الجثوات أسفل النواة المربعة وأن هذه القاعات والأروقة ليست غرف دفن كما إعتقد ذلك بعض الباحثين من قبل ، بل تمثل في نظري قاعات تمارس فيها العبادة الجنائزية كالنوم بجوار الميت والطواف على قبره ، ويزيد أكثر هذا الرأي العثور على الغرفة السرية في مركز الضريح ، أسفل القاعدة المربعة في بعض لجدار .



جثوة تاوز ذات مصليات
(المغرب الأقصى)

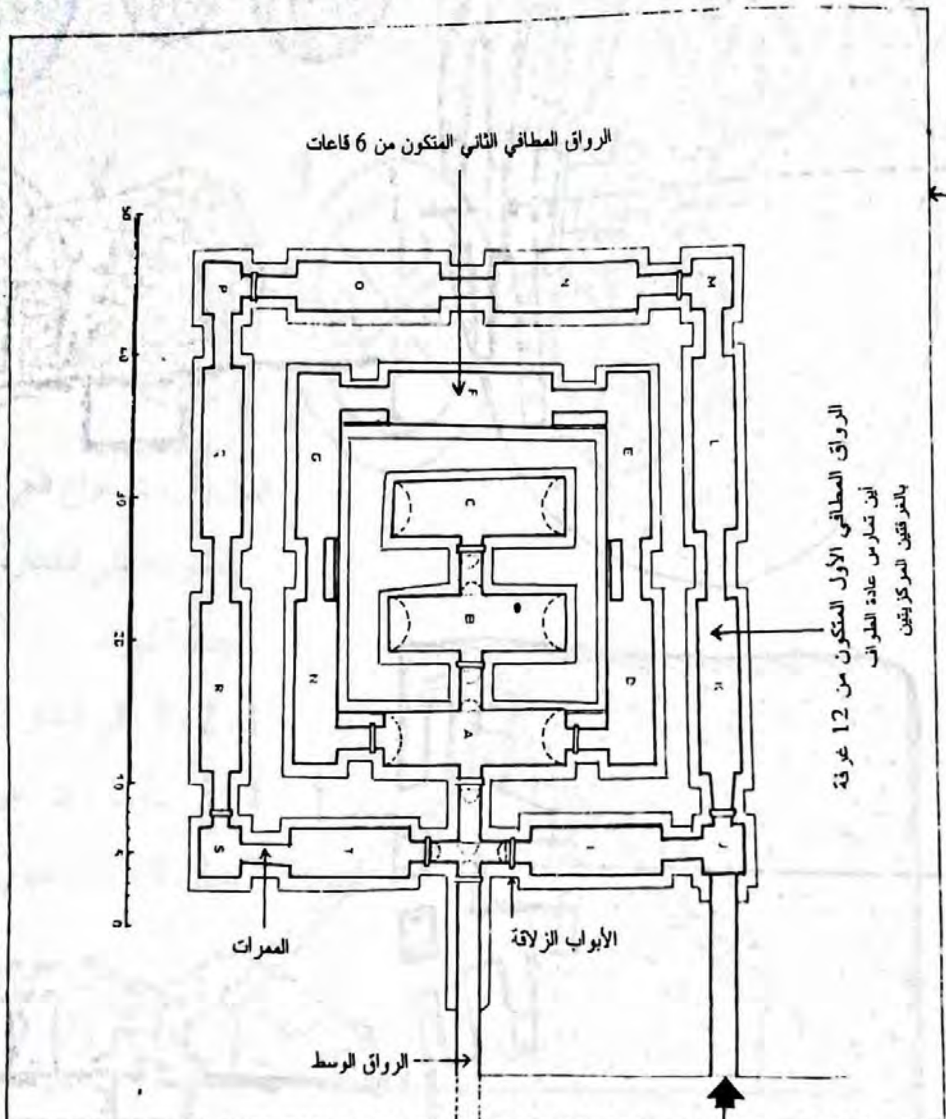


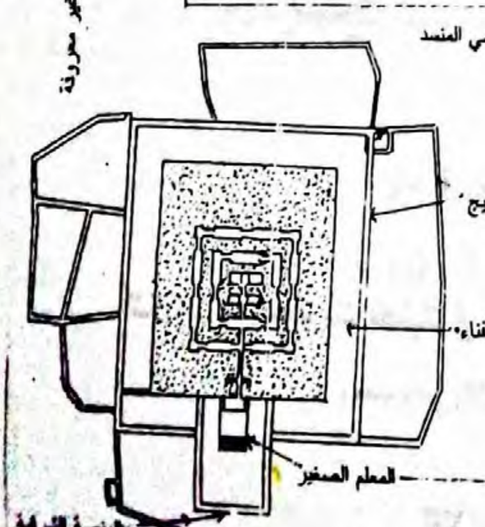
الشكل رقم (26) تصميم مسقطي للجدار (C)

حسب قدارة	[illegible]
مخطط	[illegible]
الرسم	J. L. Tarrus

الشكل رقم (27) تصميم مسقطي للجدار (F)

حسب قادرة	pl. XII
مخطط	رقم 194
الرقم الأثري	p. Gletty
الرسم	J. L. Terrer

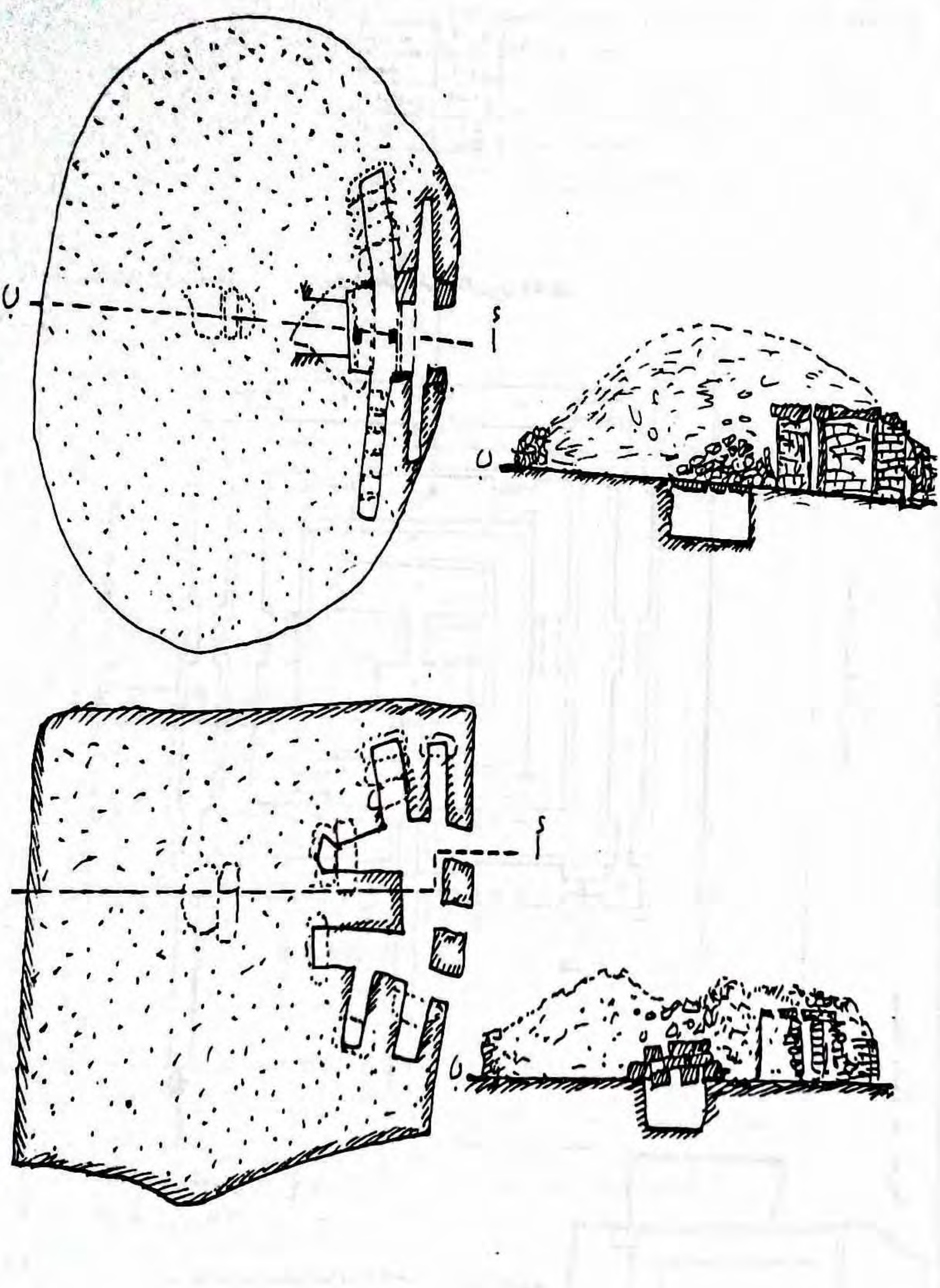




مخطط الضريح (F) (حسب دو لابلانشار)

وهنا إعتقد دولابلنشار وغيره خطأ ان هذا المعلم كان يمثل جسر معلق يقود الى المدخل الرئيسي الصغير في الجدارين (A) و (F) للضريح الذي يقع حسب رأيهم على مستوى التاج الهرمي.

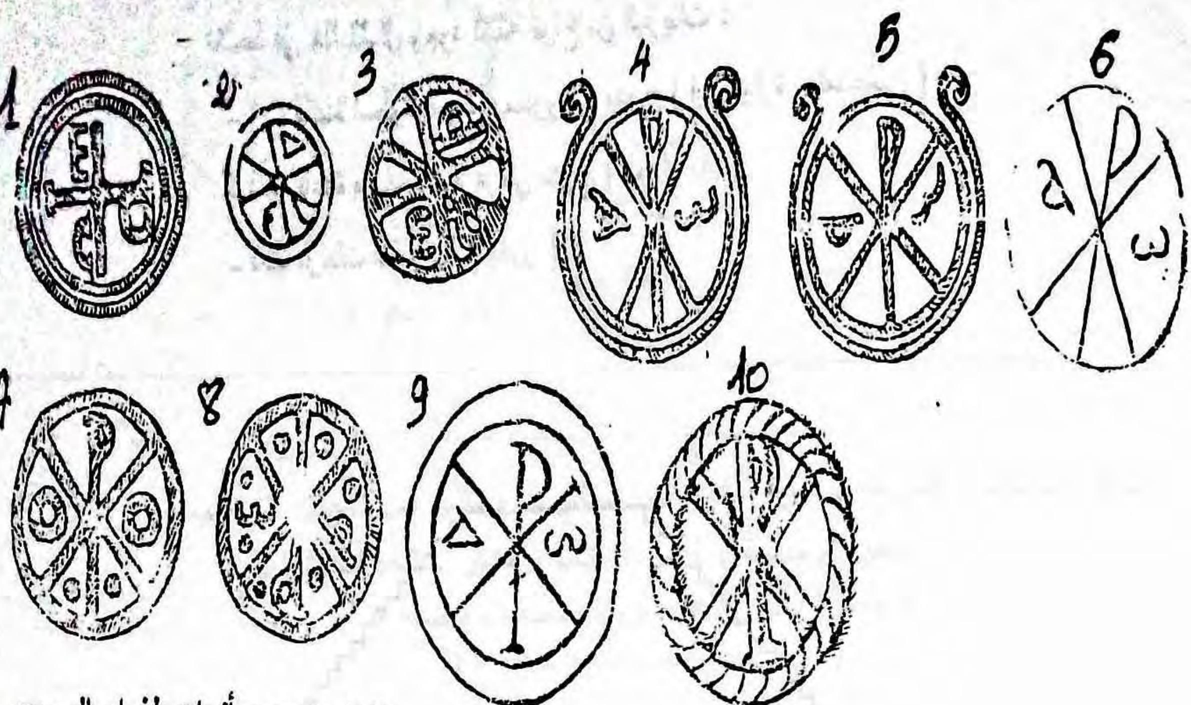
لقد أثبتت دراسة قادرة ان المعلم الصغير عبارة عن غرفة، تمارس فيها العبادة الجنائزية، جدرانها مربعة ويعلوها تاج هرمي مدرج على غرار الضريح، وأكثر من هذا تبين منذ حفريات روفو سنة 1938 ثم قادرة ان المدخل الرئيسي لهذا الضريح (F) مهيئ أسفل الوجهة الشرقية للقاعدة المربعة، على مستوى سطح الأرض وليس في المدرجات كما كان متصور.



الشكل رقم(28) معالم ذات مصليات أو محاريب في تاوز بتافيلالت (المغرب الأقصى)

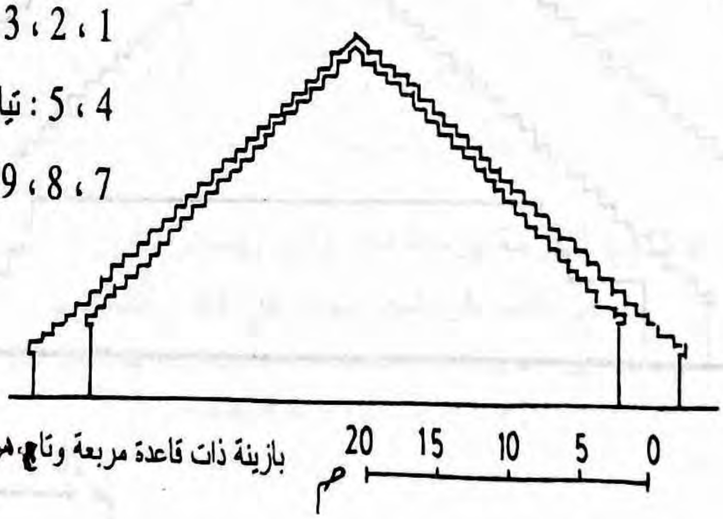
(حسب مونيي وآلان) (I)

(I), J Meunié et Ch. Allain. Quelques gravures et monuments funéraires de l'éxtréme sud-est marocain, Hésperis, t. XLIII, 1956, pp. 51-81. (Tumulus de Taouz et Beraber) .



الشكل رقم **(29) أنواع طغراء المسيح**
المنقوشه على الحجارة المنحوتة
بمنطقة تيارت

1 ، 2 ، 3 : في لجدار (F) بترناتن
4 ، 5 : تيارت ـ 6 : عين السرب
7 ، 8 ، 9 ، 10 : سيدي الحسني



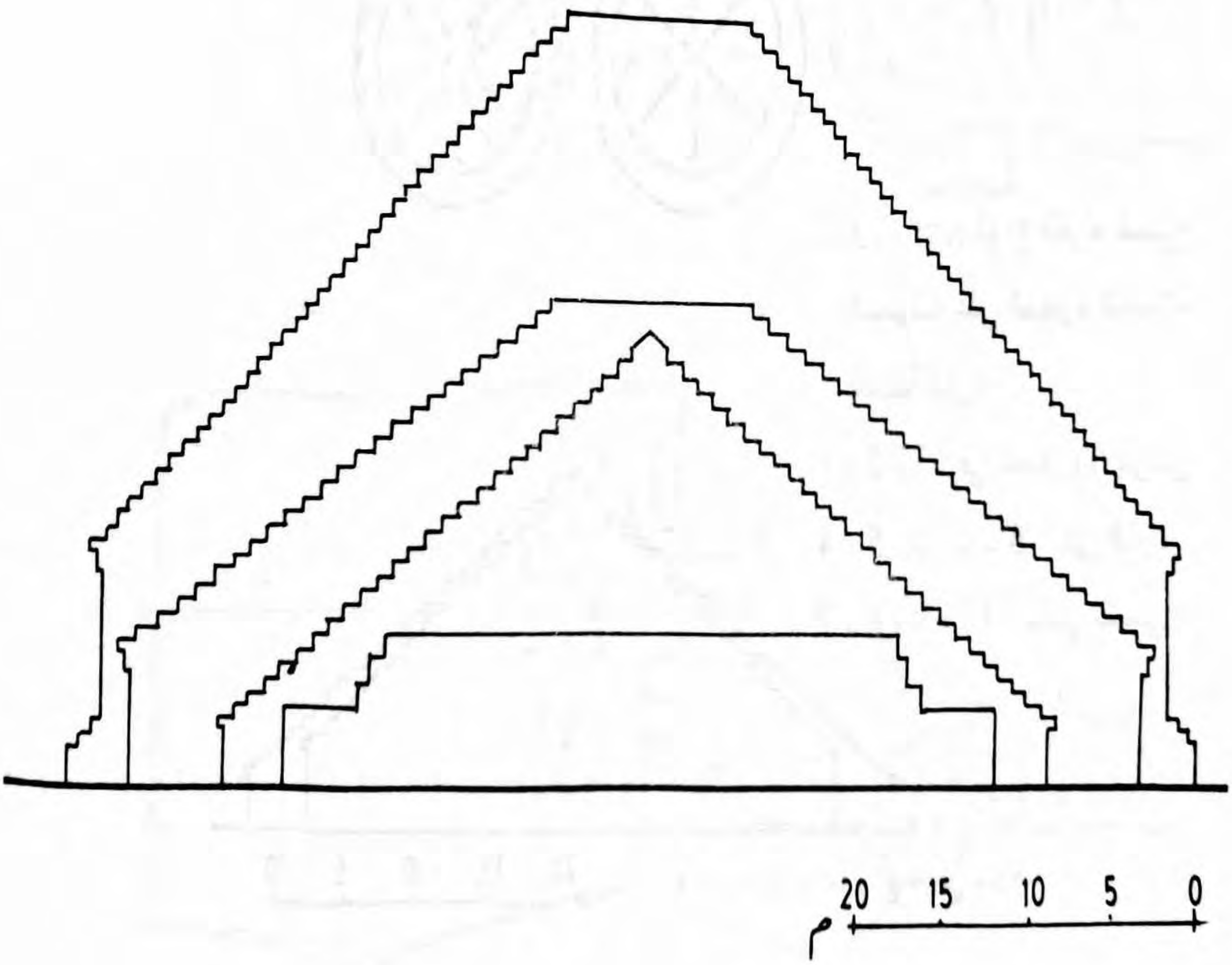
بازينة ذات قاعدة مربعة وتاج هرمي مدرج.

الشكل رقم **(30) تصميم مقارن لنماذج بعض لجدار**
من الأعلى الى الأسفل : (F) ، (A)

هنا يبدو لجدار (F) أكبر حجما وإرتفاعا من لجدار (A) ،
غير أن قاعدة هذا الأخير أكثر إرتفاعا من قاعدة لجدار (F).

نلاحظ في هذا الشكل وجود ثلاثة أنواع من البازينات :

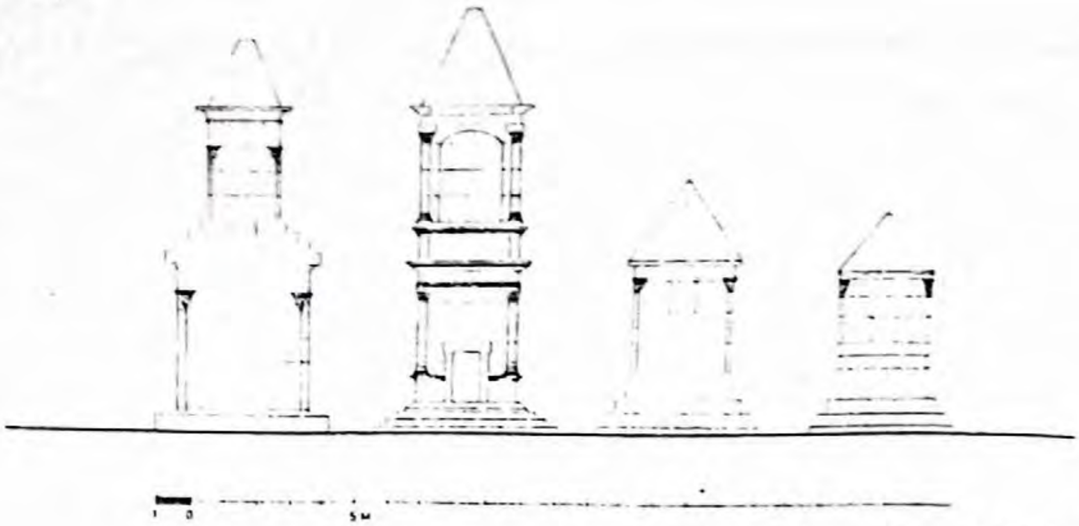
- ذات قاعدة أسطوانية وتاج مخروطي مدرج (قبر تيبازة ، المدغاسن)
- ذات قاعدة مربعة وتاج هرمي مدرج (لجدار (A))
- ذات درجات أسطوانية (الغور)



الشكل رقم (31) **تصميم مقارنٌ لأهم الأضرحة البازينية**

من الأعلى ألى الأسفل :ضريح تيبازة ،

المدغاسن ، لجدار (A) ، الغور

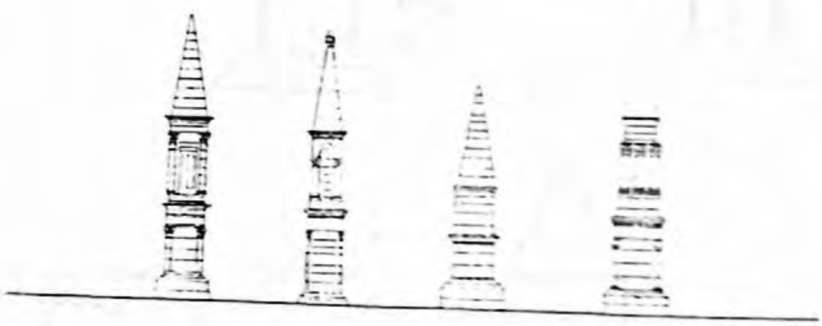


الشكل رقم (32) أضرحة برجية ذات تأثير فنيقي وروماني من اليمين الى اليسار :

قصر الرحاحة ، قصر آشنانا ، مكثر ، الجوف بتونس ،

(حسب بوانسون وسالومسون Poinssot et Salomonson) .

(عن راكوب . F. Rakob, op. cit. p. 169)



الشكل رقم (33) أضرحة برجية ذات تأثير روماني بغيرزة

في أقليم طرابلس شيدت في القرن الثالث م

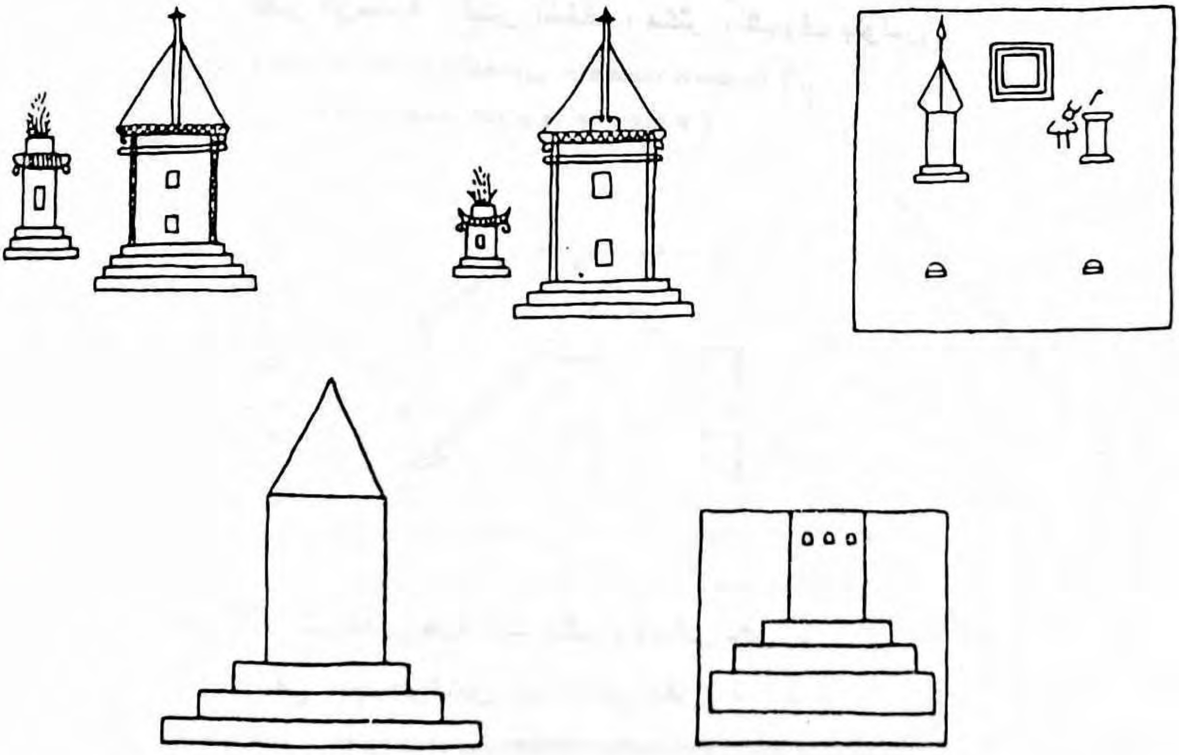
(حسب هاين . E. L. Haynes, The antiquités of Tripolitanie, 1955, fig. 21)

(عن راكوب . F. Rakob, op. cit. p. 169)



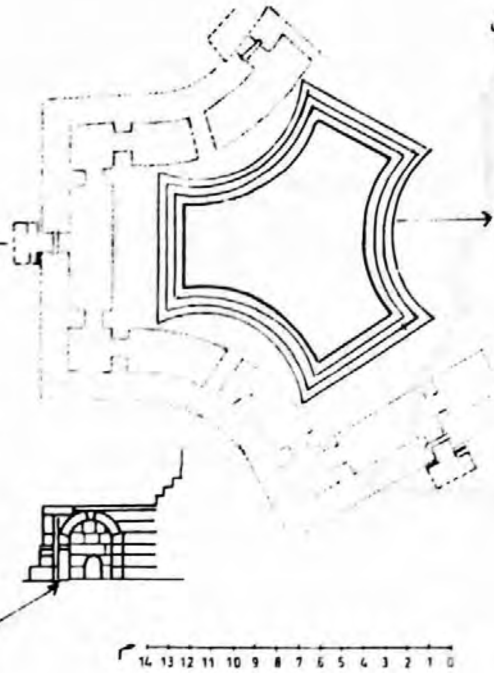
الشكل رقم (34) إعادة تشكيل الأضرحة البرجية المغربية من الي اليمين الى اليسار :

دوقة ، صبراتة ، الخروب و سيغا (G. Camps, Mausolées princiers.. p. 55)



الشكل رقم (35) أضرحة برجية ذات تصميم مربع مرسومة على جدران القبور الفنيقية بجبل مليزة بتونس

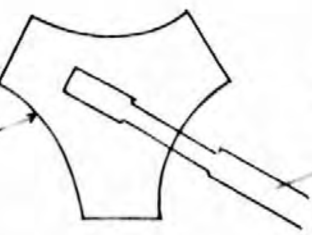
* يظهر هنا بوضوح عدم إكتمال تناظر المخطط الهندسي للمدفن القبوي ، الذي من المفروض انه صمم على شاكلة المخطط الخارجي .



تصميم مسقطي لضريح سيفا

(حسب فيمو G. Vuillemot, art. cit. p. 81, fig. 5)

* يلاحظ تشابه واضح بين مخططات أضرحة سيفا ، هونشير بورغو و صبراتة ، فكلاهم لـه تصميم سداسي الأضـلاع مـع جوانب منحنية ومستقيمة بإنتظام . غير انهم يختلفون من حيث المدفن القبوي ؛ ففي الأول عبارة عن سلسلة من الغرف تشبه تقريبا التصميم الهندسي الخارجي ، و في الثاني عبارة عن غرفة جنائزية واحدة مهيئة أسفل القاعدة السفلى . اما في الثالث فلا ندري إن كانت القاعات العلوية تمثل غرف جنائزية ام لا .



تصميم مسقطي لضريح هونشير بورغو

(حسب اكاري J. W. Akary, op. cit.)

الشكل رقم **(36)**



تصميم مسقطي لضريح صبراتة

(حسب دي فيتا Di Vita, ibid.)

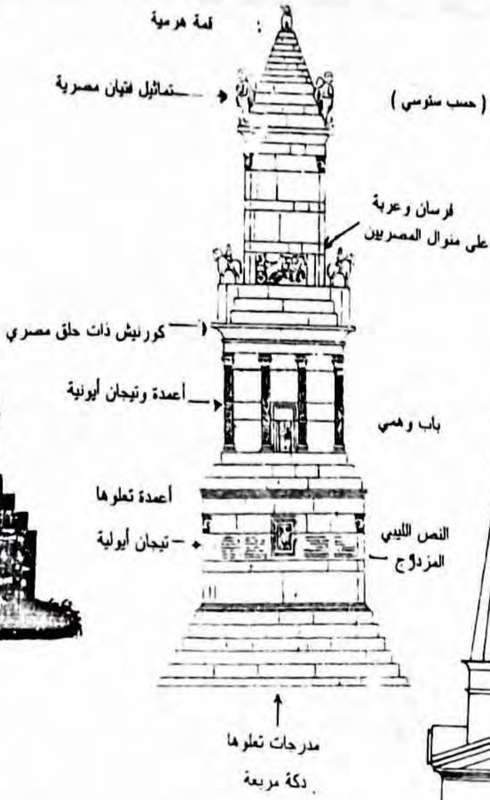




0 5m

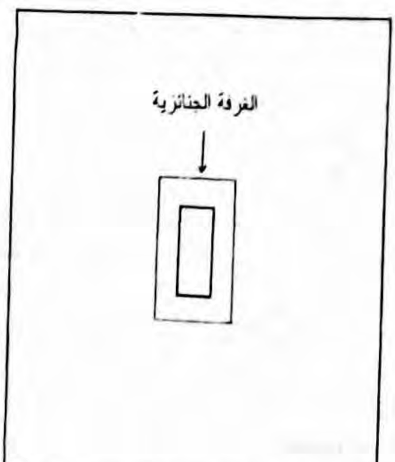
إعادة تشكيل ضريح الخروب

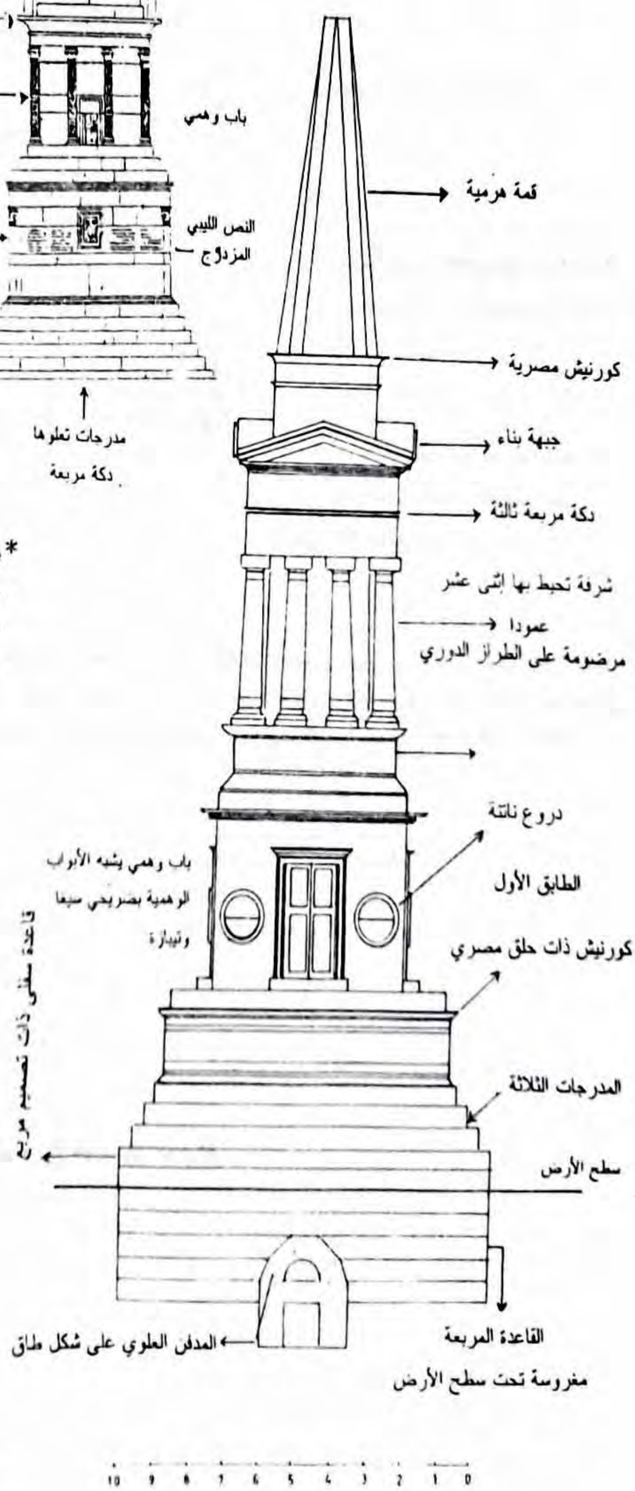
(حسب رفوازي Ravoisie op. cit p. 61-64. Fig. 79)



إعادة تشكيل ضريح دوقة (حسب سنوسي)

* يلاحظ هنا تشابه واضح بين ضريحي الخروب ودوقة من حيث الشكل الخارجي : قاعدة ذات تصميم مربع ، مدرجات تعلوها دكة مربعة . غرفة او شرفة تحيط بها اعمدة أيونية او دورية ، كورنيش مصرية ، باب وهمي و قمة هرمية . غير انهما يختلفان من حيث تعدد وتنوع عناصر الزخرفة في ضريح دوقة .



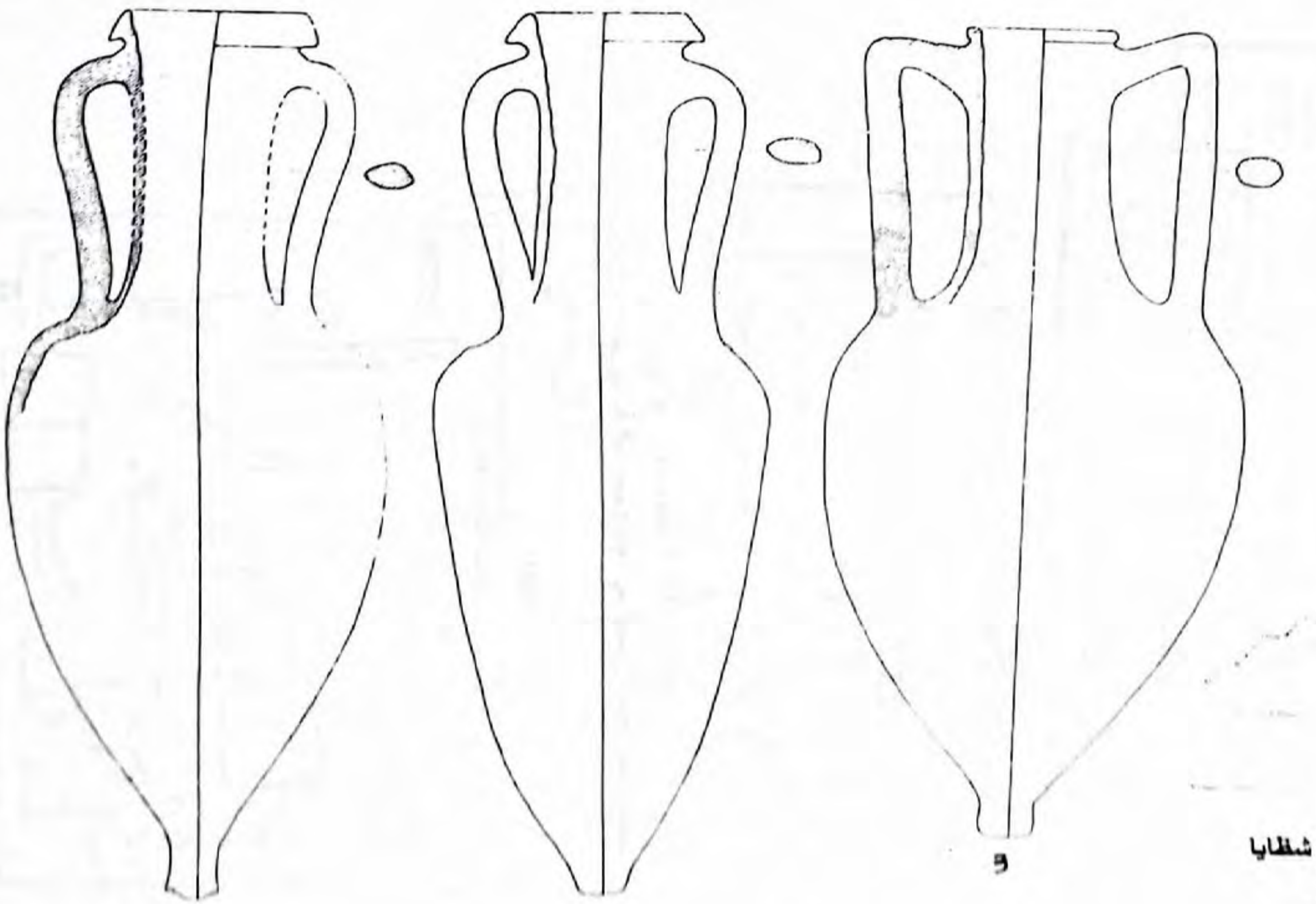


يلاحظ هنا تشابه كبير بين اعادة تشكيل كل من رفوازي وراكوب فيما يخص الطابق الأول والثاني (أبواب وهمية ، شرفة تحيط بها اعمدة على الطراز الدوري ، حامل أعمدة تعلوها جبهات بناء) غير انهما يختلفان من حيث عدد الأعمدة الدورية والقمة الهرمية . فإذا كان راكوب قد اقترح إعتمادا على دراسته الأثرية اثنى عشر عمودا دورية على أربعة جوانب فإن رفوازي اكتفى بثمانية فقط ، الى جانب هذا ورد في شكل راكوب دكة مربعة تنتهي بكورنيش مصرية ، تعلوها قمة هرمية شبه مدببة على شاكلة الأعمدة الرومية المنتشرة في بلاد المغرب والبلاد المتوسطية ، بينما اقترح رفوازي [illegible]

إعادة تشكيل صومعة الخروب

(حسب راكوب F. Rakob op. cit p. 161. fig. 88)

الشكل رقم (37)



1 2 3



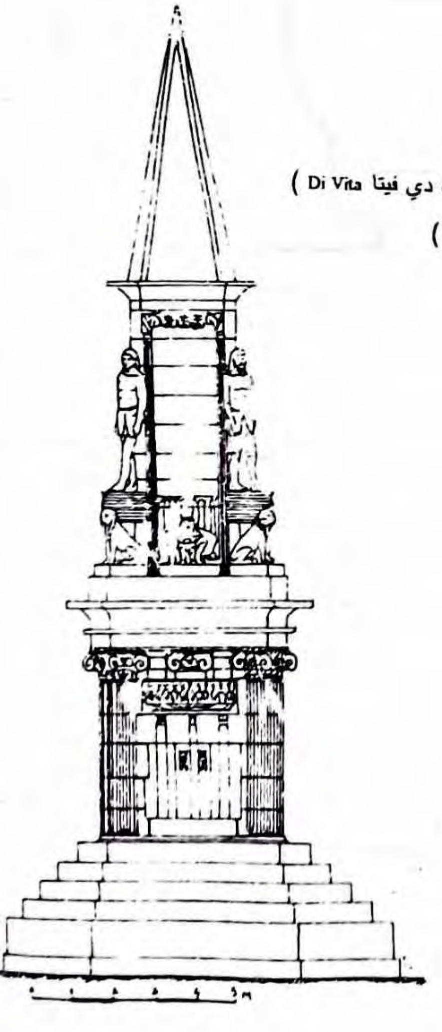
جزء من ختم رودسي عثر عليه من بين شظايا الدنان المكسرة في صومعة الخروب

الشكل رقم (38) فخار صومعة الخروب .

نوعان من المرمدات أحدهما (1 ـ 2) ايطالي من صنف لومبو غليا Lamboglia 1 و 4

والثاني (3) رودسي (N. Lamboglia, Sulla chronologia dell 'anfore romane, in Rev. El., p. 241)

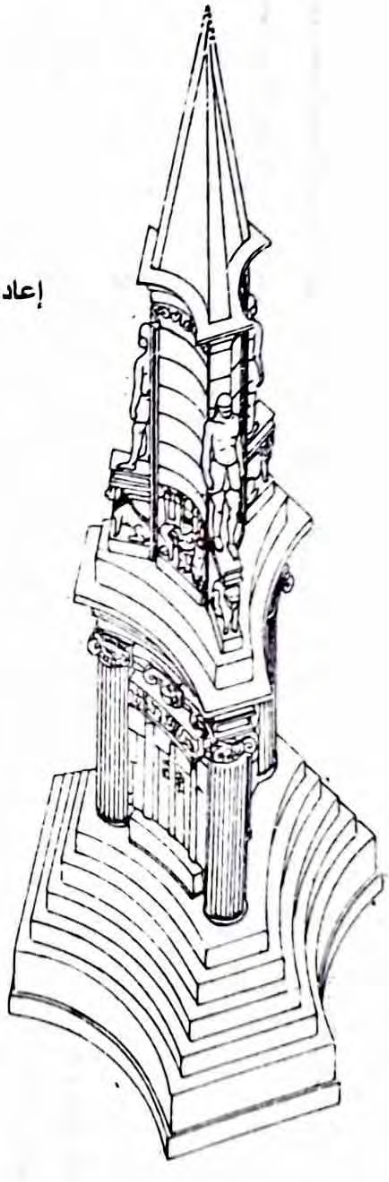
(عن راكوب : F. Rakob, op. cit. p. 341)

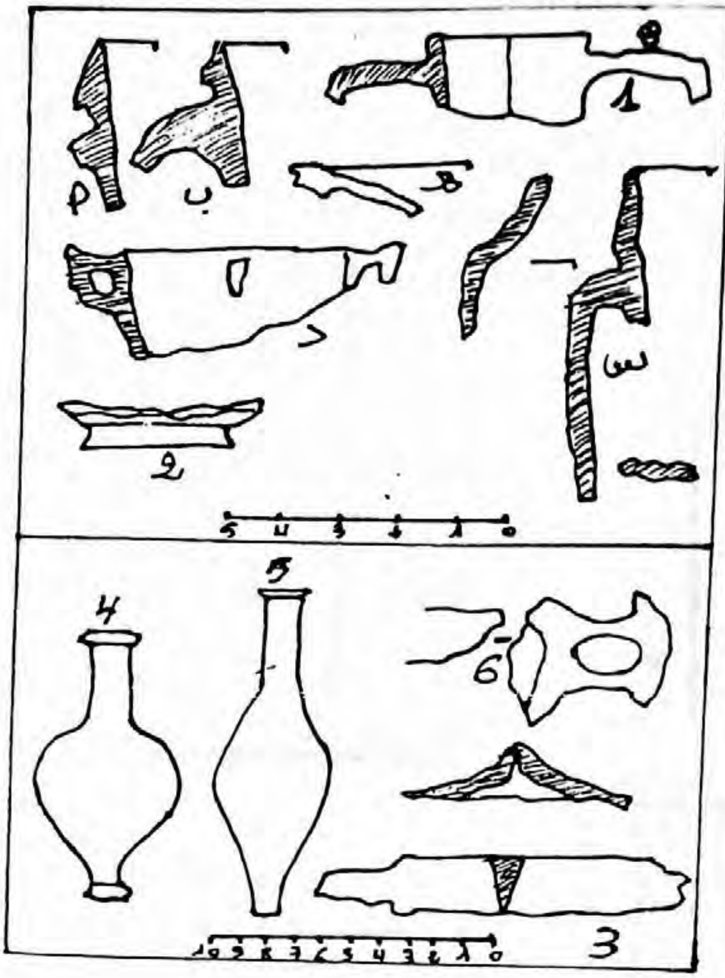


الشكل رقم(39)

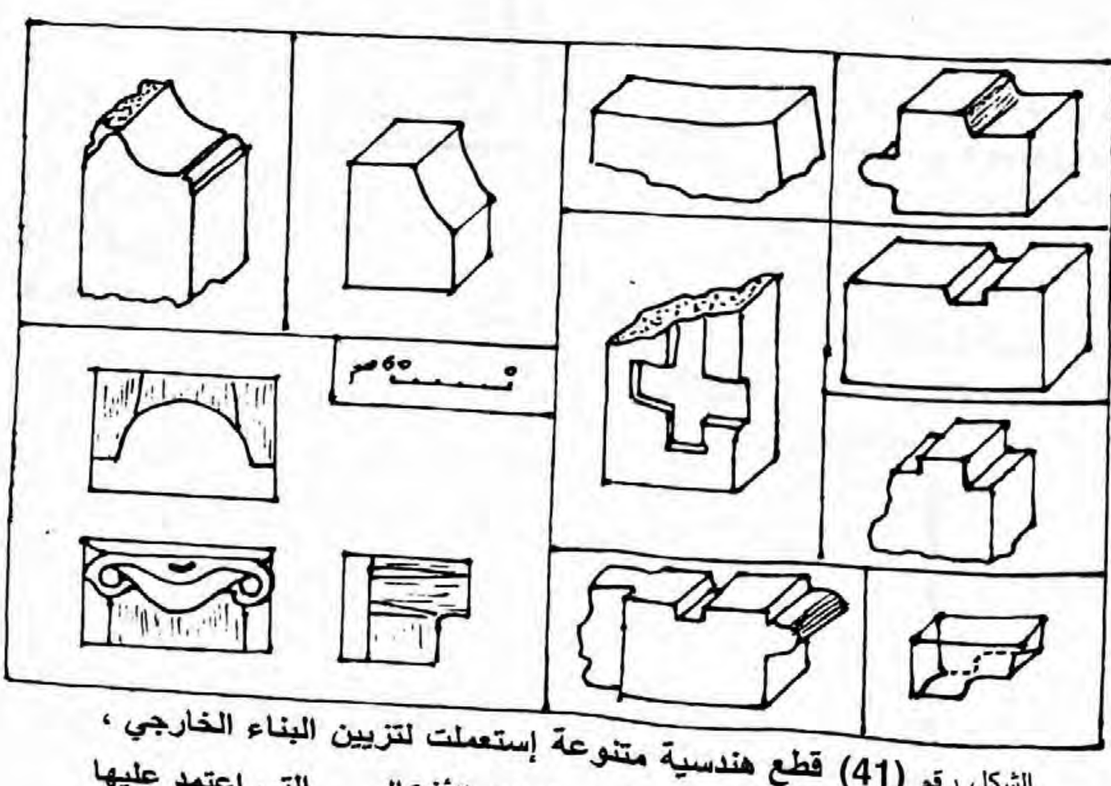
إعادة تشكيل ضريح صبراتة (A) (حسب دي فيتا Di Vita)

(عن راكوب F. Rakob, op. cit. p. 148)

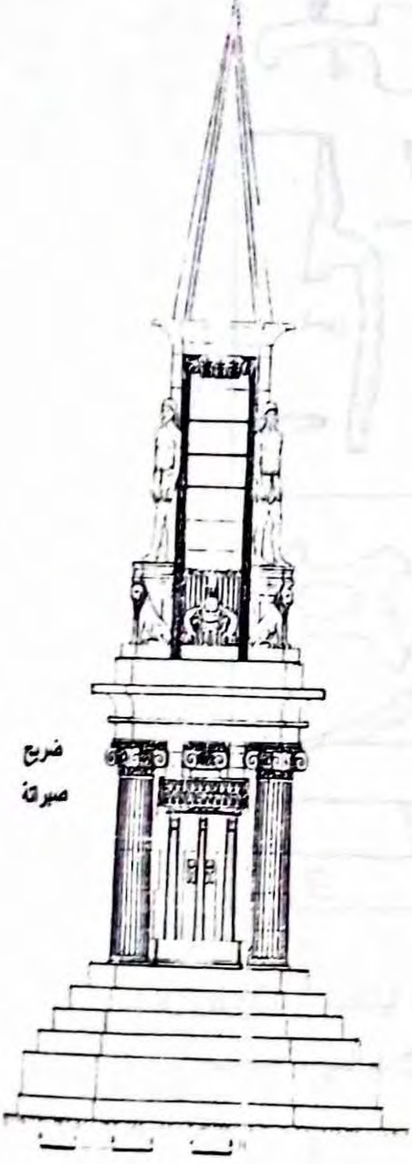


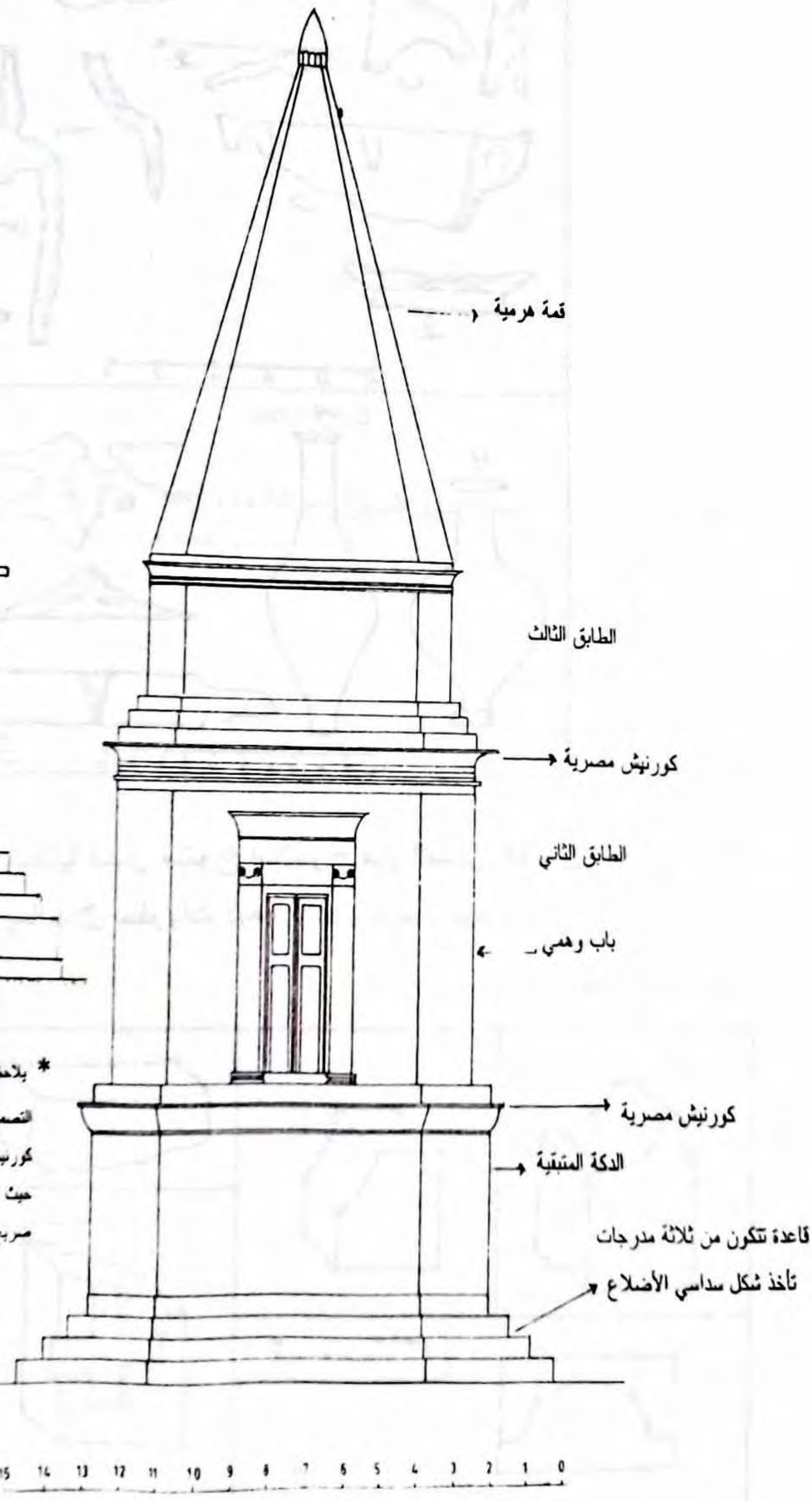


الشكل رقم **(40)** **شظايا فخار متنوع إستخرج من المدفن القبوي بضريح سيغا خلال حفريات فيمو** (G. Vuilemot, art. cit. p. 87)



الشكل رقم **(41)** **قطع هندسية متنوعة إستعملت لتزيين البناء الخارجي ، ُعثر عليها من بين الركام ، وتعد من بين الأشكال التي إعتمد عليها الباحثين في إعادة تشكيل ضريح سيغا**



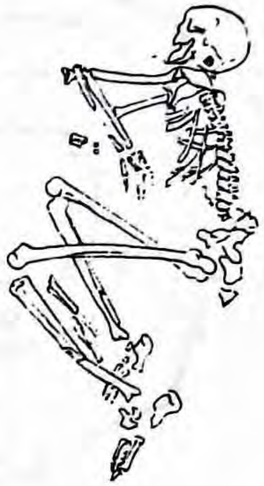


* يلاحظ تشابه كبير بين ضريحي سيغا وصبراتة من حيث : التصميم السداسي ، مدرجات تعلو القاعدة السفلى ، باب وهمي ، كورنيش مصرية ، وقمة هرمية مدببة . غير أنهما يختلفان من حيث العناصر الزخرفية التي تميز ضريح صبراتة ، وتنعدم في ضريح سيغا .

الشكل رقم(42) إعادة تشكيل ضريح سيغا

(حسب راكوب F. Rakob, op. cit p150, fig. 71)





الشكل رقم(43)

الوضعية المنطوية

بإحدى جثوات تافيلالت

(حسب كامبس .Ibid., p. 3)

هيكل عظمي يمثل الوضعية

المنطوية بجثوة تافيلالت - حسب حفريات جاك موني

(Meunie (J.) , La nécropole de foum - Rjam , pp. 95-142 .)

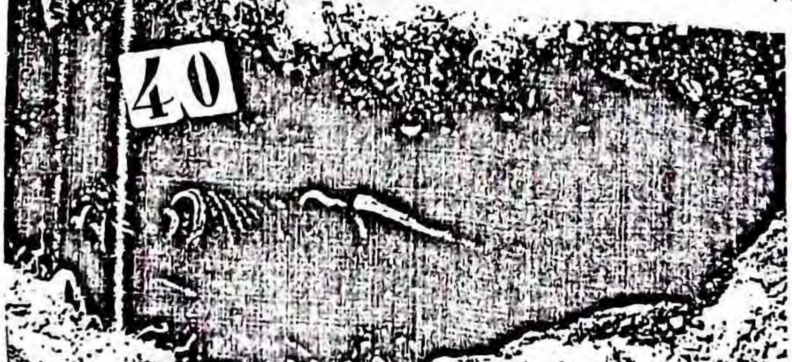




الشكل رقم(44)

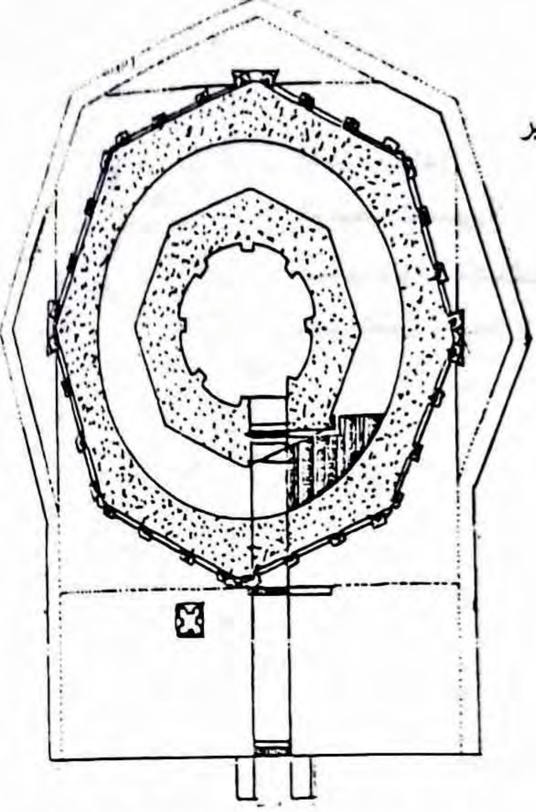
الوضعية المنكمشة بجثوة فزان

(حسب كامبس) G. Camps, sur une pratique funéraire protohistorique... p. 2



الشكل رقم(45) هيكل عظمي يمثل الوضعية الممدة

حفريات جاك موني - عن : (Reygasse, (M.) , op. cit. p. 11)



المعالم ذات الأروقة المطافية (بلاد قيطون)

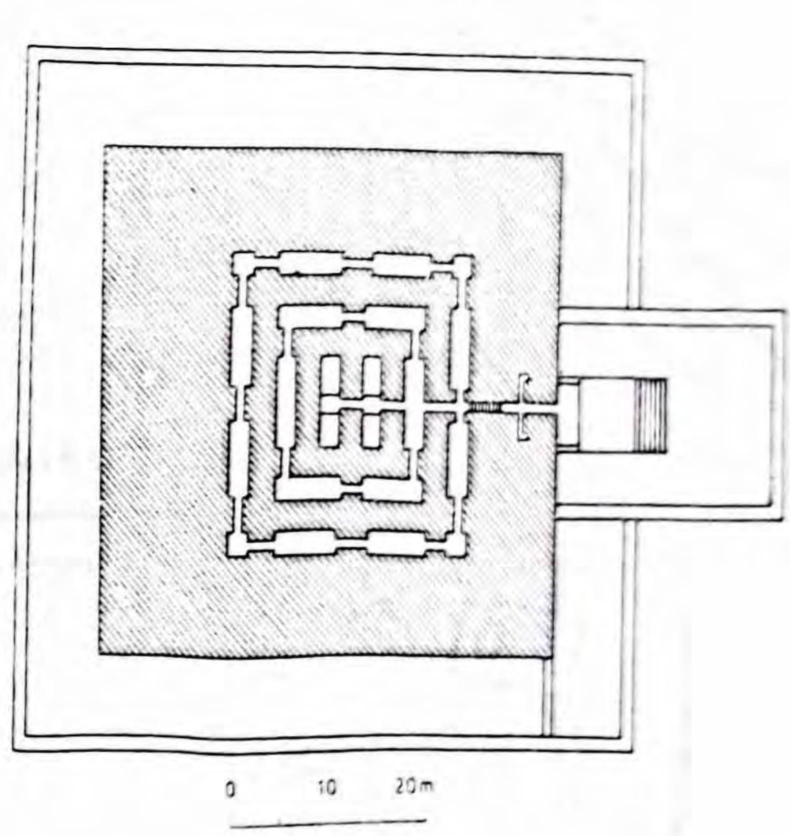
(St. Gsell, Les monuments... t. II, pp. 412-417 ، حسب غزال)



المعالم ذات الأروقة المطافية (الجثوة المجاورة للمدغاسن)

(Brunon, art. cit. p. 337 pl. XXV حسب برونو)

الشكل رقم (46)



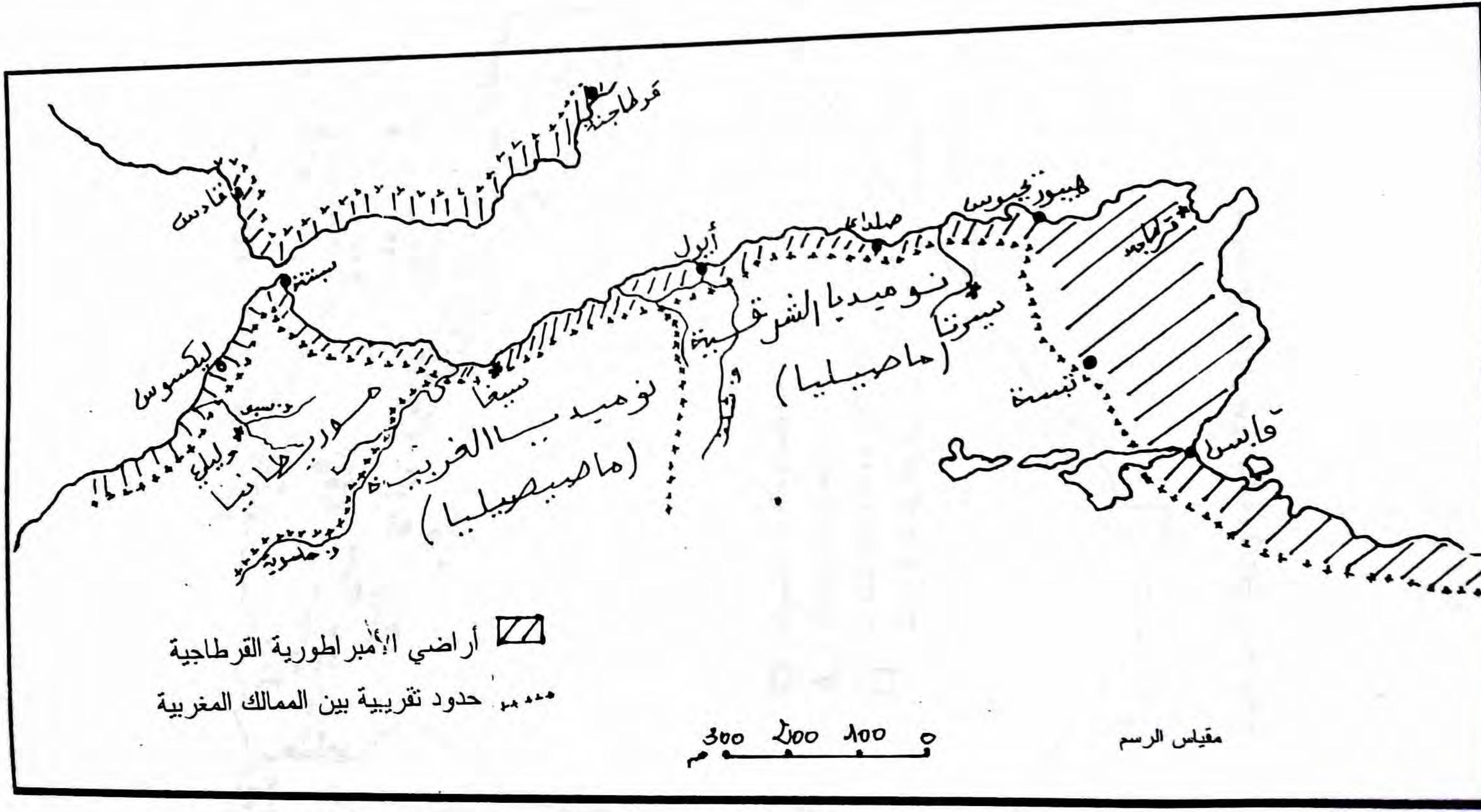
المعالم ذات الأروقة المطافية (لجدار (F))

(St. Gsell, op. cit. pp. 424 et Fig. 176 حسب غزال)

﴿ ملحق الخرائط ﴾

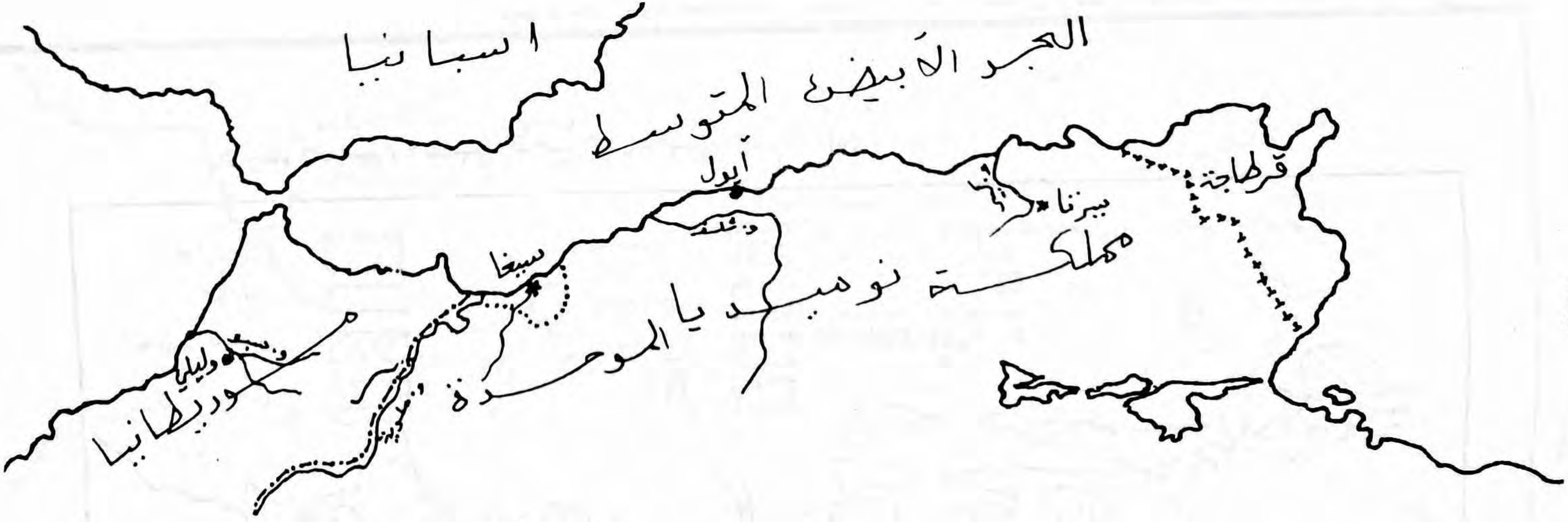


خريطة رقم (1) التوزيع الجغرافي لأهم البازينات في المغرب



خريطة رقم (2) **بلاد المغرب قبل الحرب البونية الثانية (218 ق.م)**

عن م. ب. شنيتي الإحتلال الروماني لبلاد المغرب... ص. 163 .



• ملاحظة : حدود تقريبية

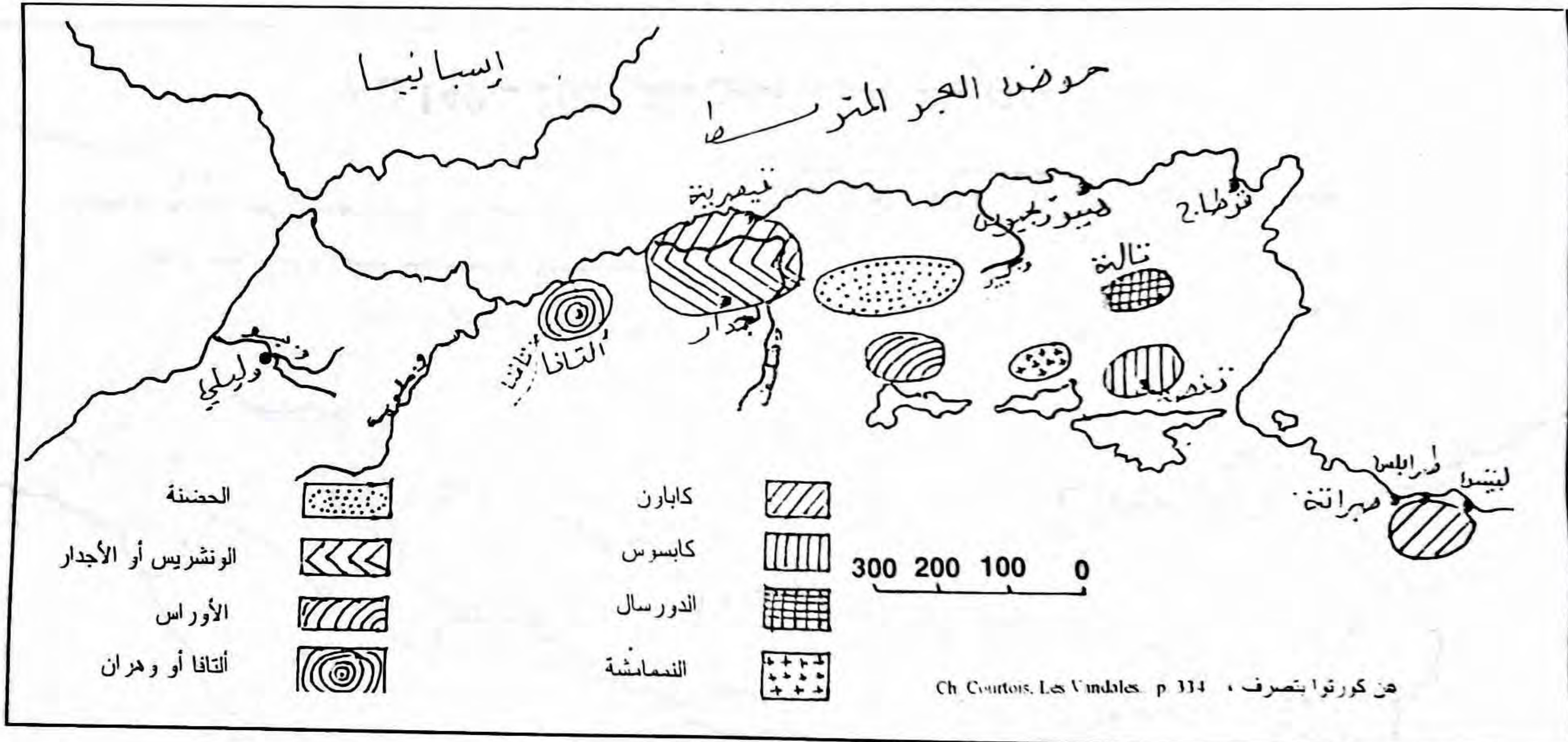
+++ حدود أراضي قرطاجة

-.-.. مملكة ماصيصيليا المبتورة تحت حكم فرمينا

..... حدود بين موريطانيا ونوميديا الموحدة بعد توسعات ماسينيسا

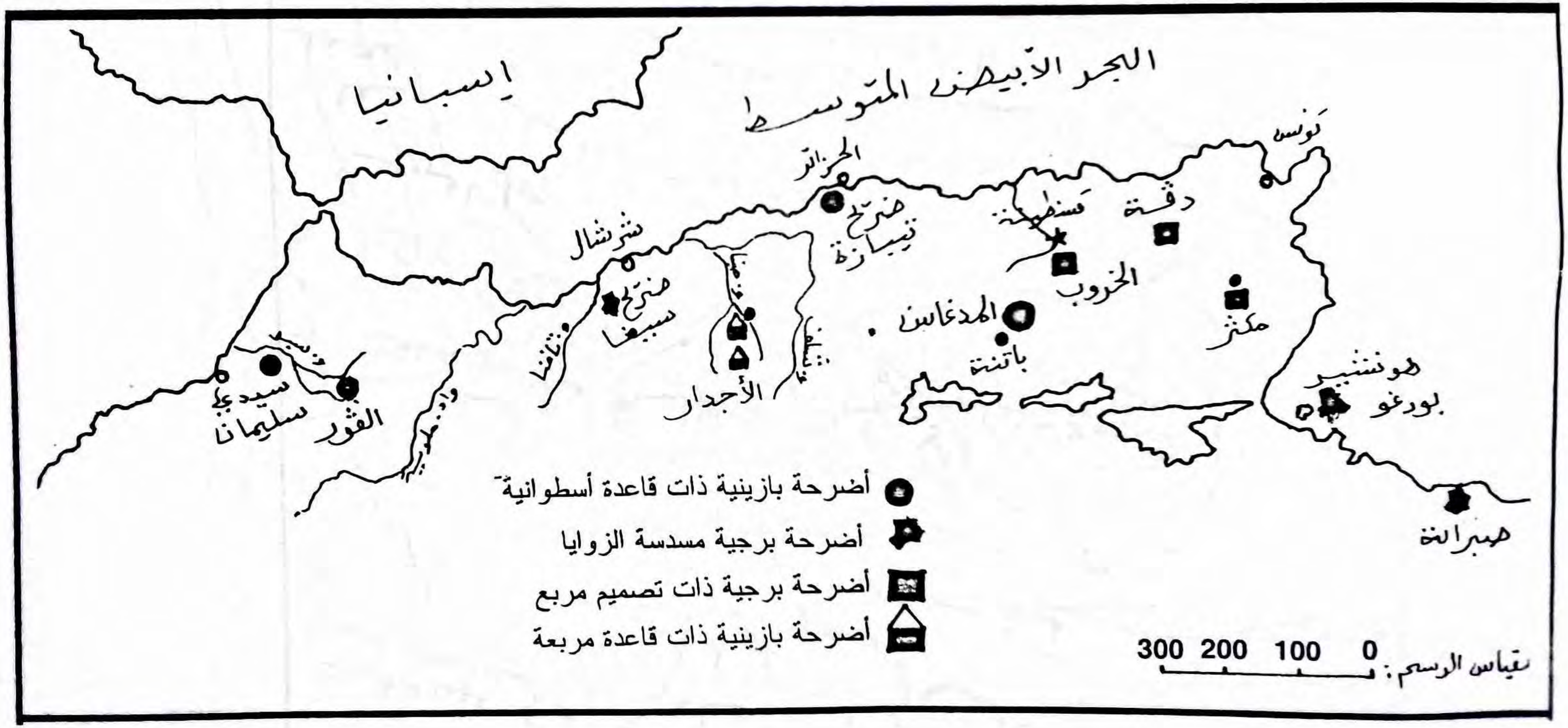
مقياس الرسم 0 100 200 300

خريطة رقم (3) **بلاد المغرب مابين سنتي 202 - 149 ق.م**

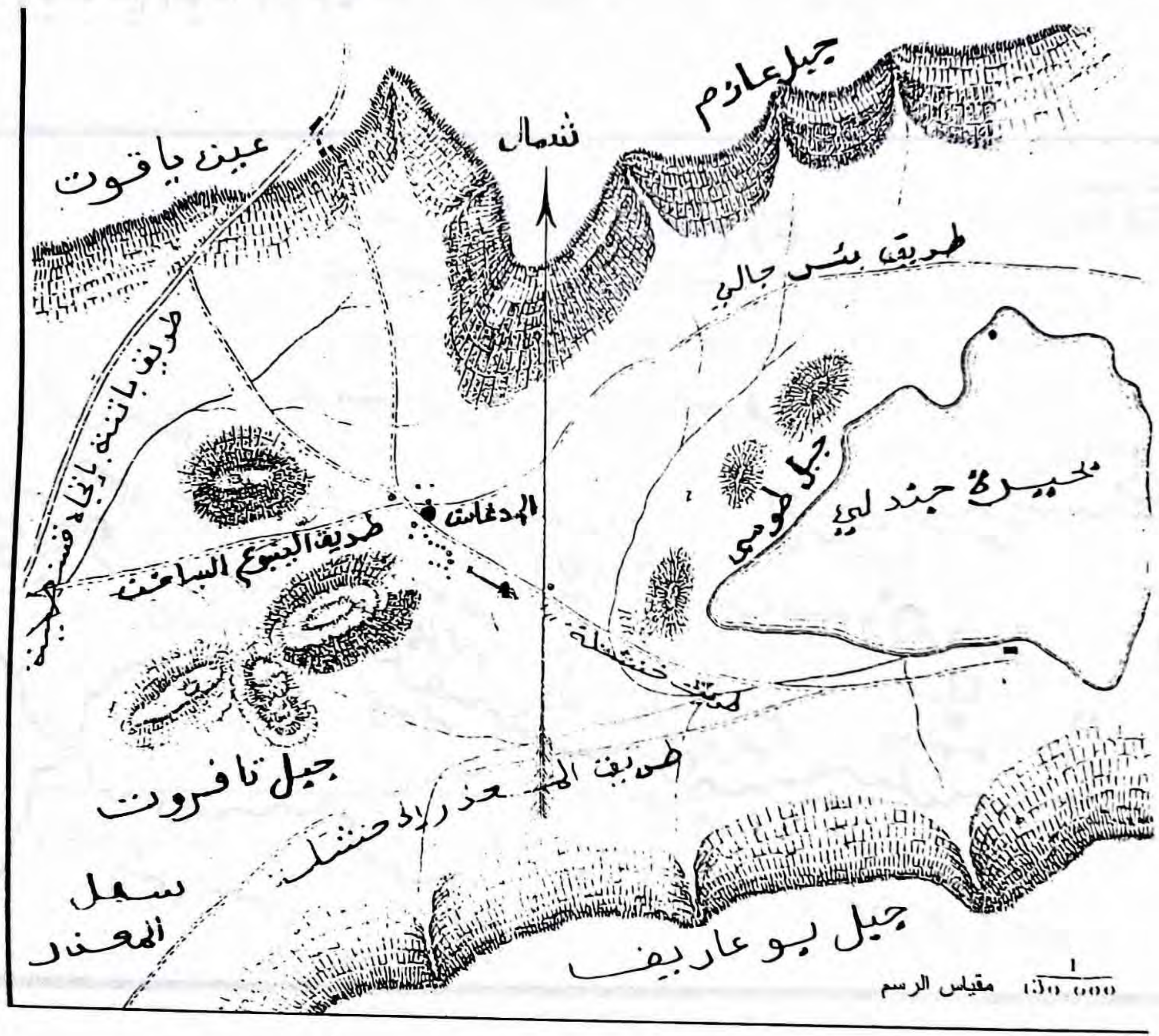


خريطة رقم (4) الإمارات المغربية في القرنين الخامس والسادس ميلادي

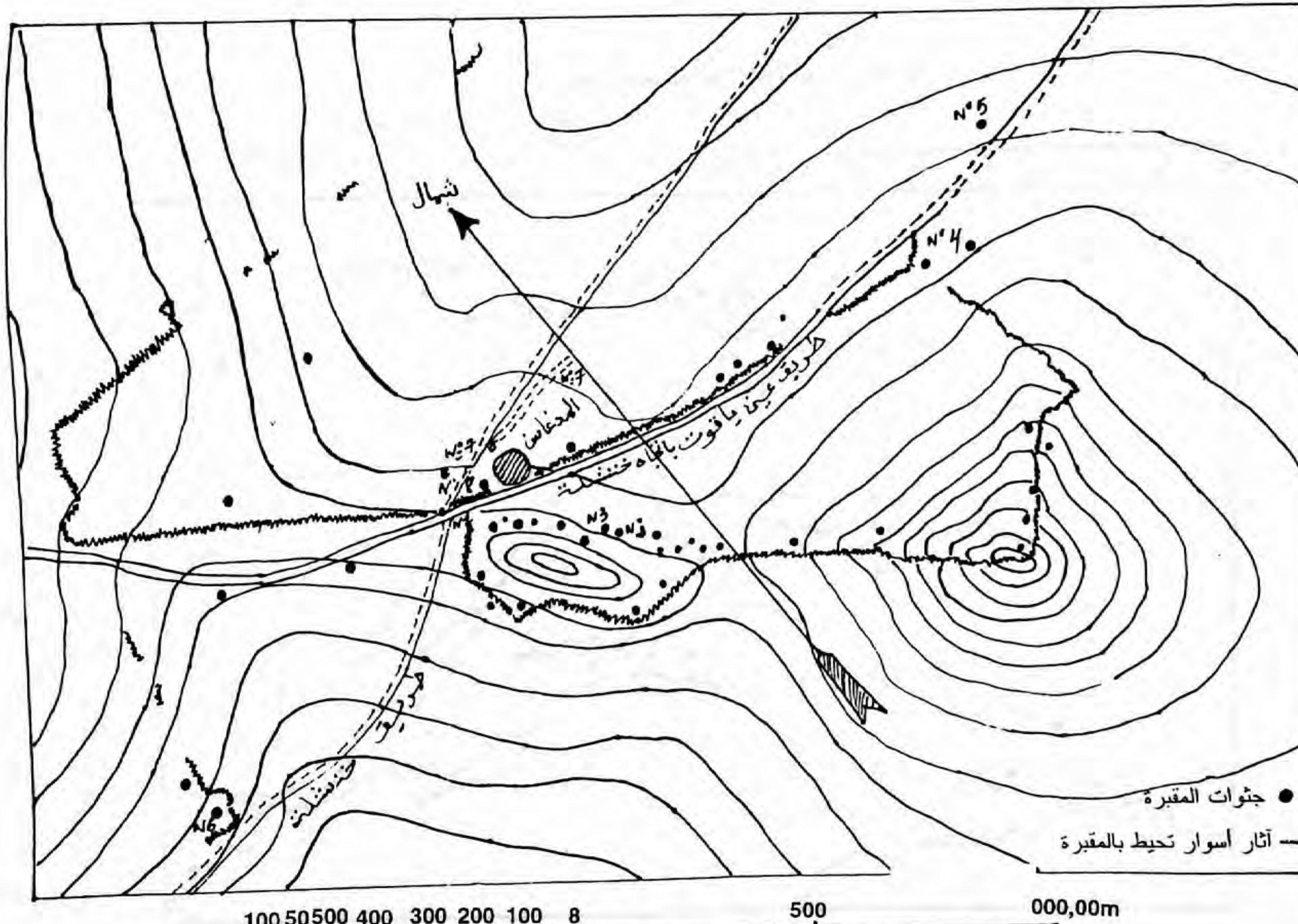
* لايمكن لعدة إعتبارات تبني هذه الحدود الجغرافية ، منها عدم توفر دلائل قاطعة أثرية وتاريخية ، تذبذب نفوذ الزعماء الذين وردوا في نصوص بروكوب نتيجة دخولهم في صراع عسكري داخلي من جهة وضد الغزاة البيزنطيين من جهة الأخرى .



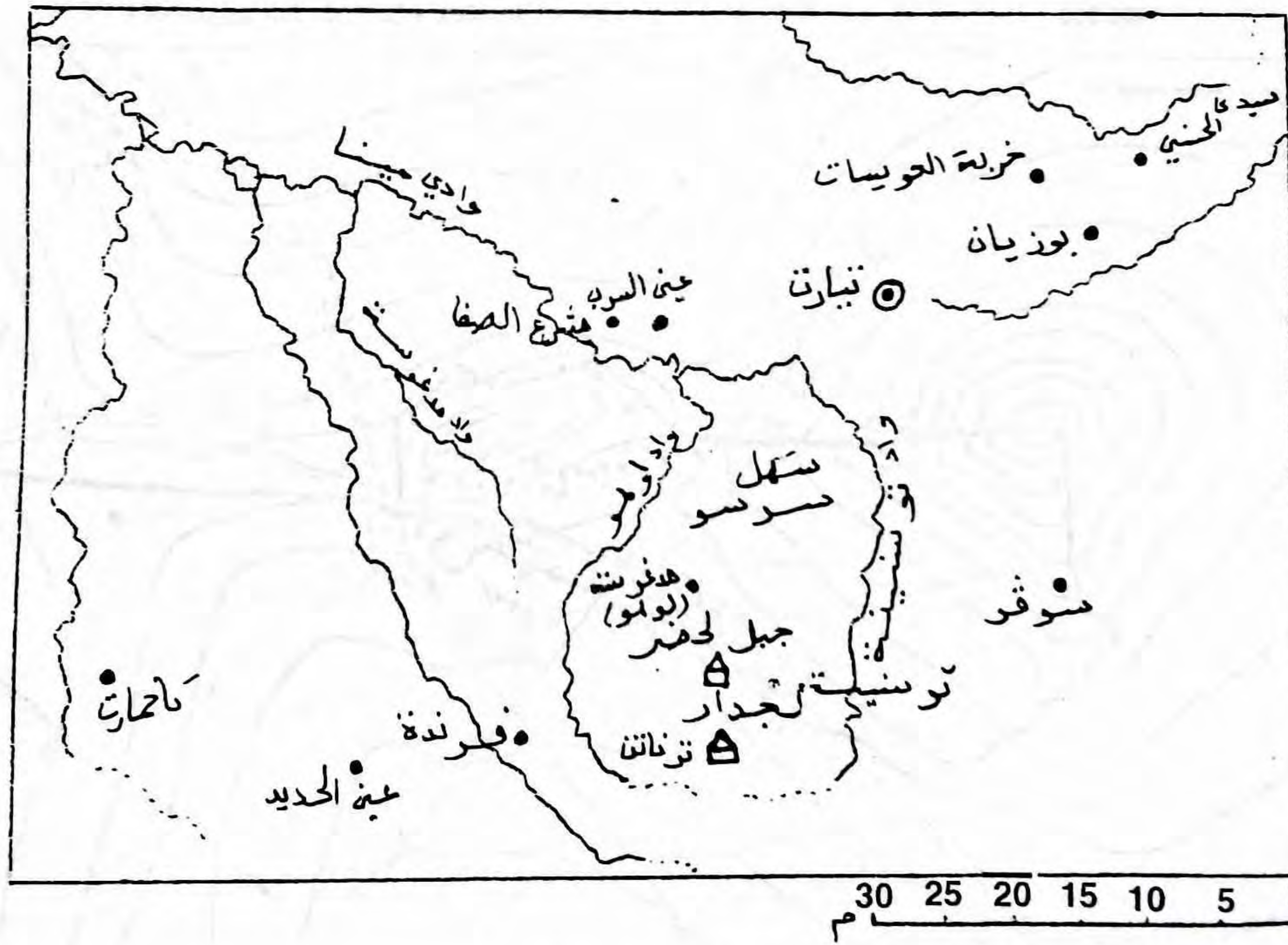
خريطة رقم (5) **التوزيع الجغرافي للأضرحة البازينية والبرجية في المغرب**



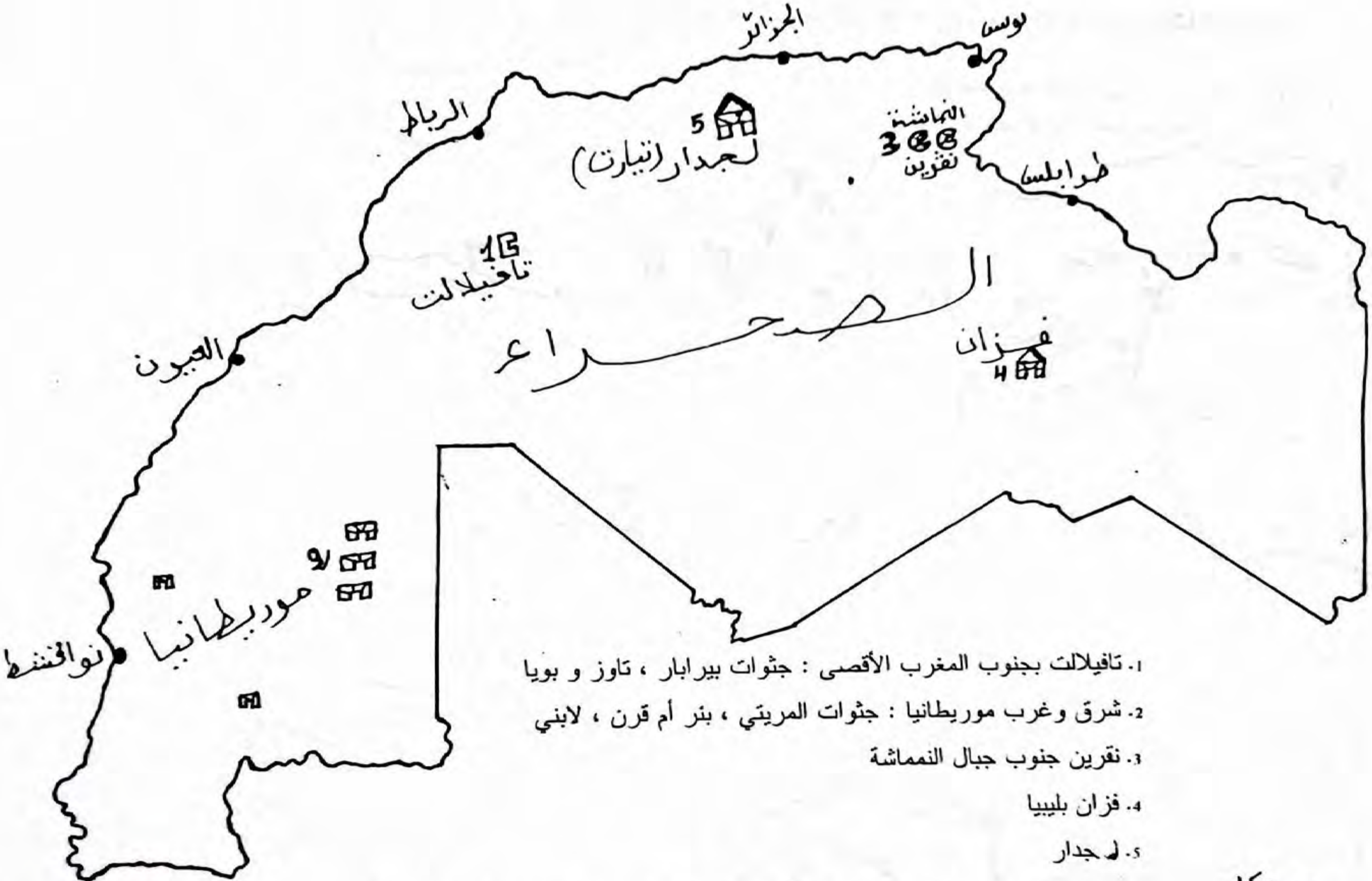
خريطة رقم (6) **موقع مقبرة المدغاسن** (حسب برونو . Brunon, art. cit. pl. III)



رقم (7) خريطة توبوغرافية لمقبرة المدغاسن (حسب برونو Brunon, art. cit. pl. II)



خريطة رقم (8) موقع معالم لجدار

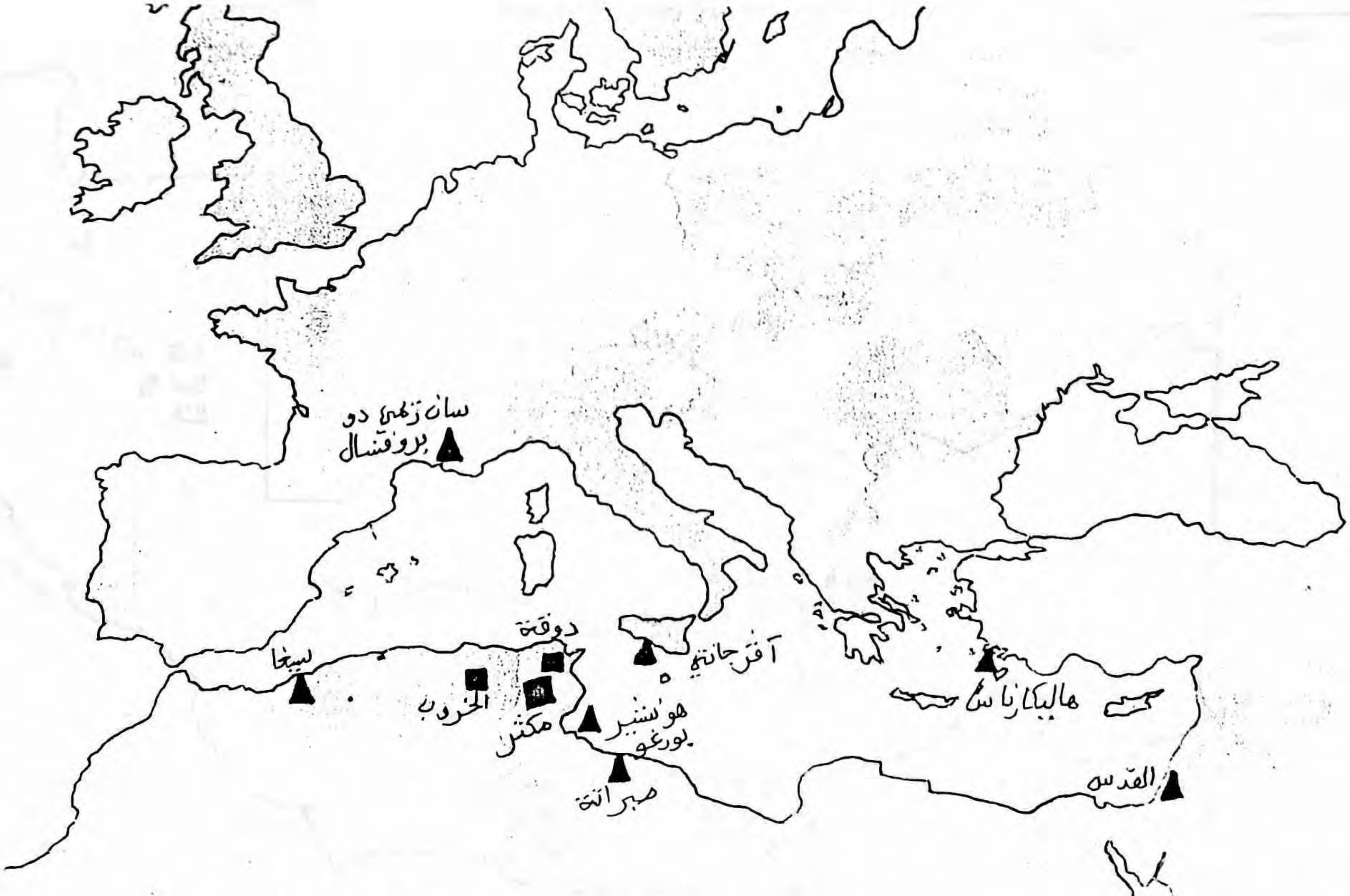


1. تافيلالت بجنوب المغرب الأقصى : جثوات بيرابار ، تاوز و بويا
2. شرق وغرب موريطانيا : جثوات المريتي ، بئر أم قرن ، لابني
3. نقرين جنوب جبال النمماشة
4. فزان بليبيا
5. لجدار

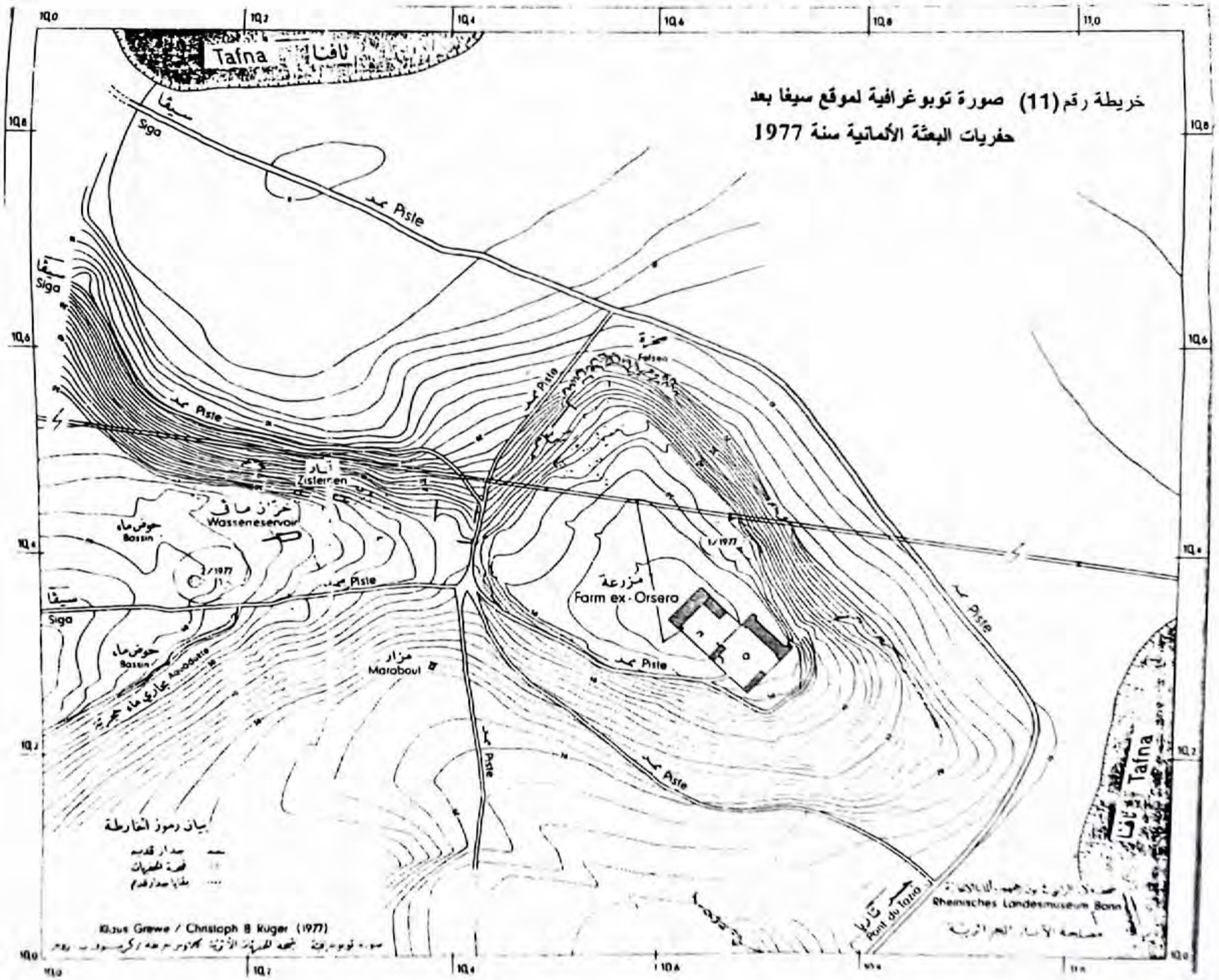
مقياس الرسم

0 200 500 1000 كلم

خريطة رقم (9) **التوزيع الجغرافي للمعالم ذات المصليات في المغرب**



خريطة رقم (10) التوزيع الجغرافي للأضرحة البرجية في حوض البحر الأبيض المتوسط



خريطة رقم (11) صورة توبوغرافية لموقع سيغا بعد حفريات البعثة الألمانية سنة 1977

﴿ خـــاتـمـــة ﴾

1 ـــ المدافن :

لقد تبين من خلال دراسة المدافن القديمة انها كثيرة ومتنوعة ، بعضها قديم جدا قد يرجع الى ماقبل النيوليتي وبدايته ، غير ان اغلبها شُيد خلال فترات فجر التاريخ، وهي الفترة التي تتوسط نهاية النيوليتي ومجيئ الفنيقيين الى سواحل بلاد البربر في نهاية الألف الثانية ق.م ، كما ان معظمها استمر استعماله طوال العهد التاريخي ، اين عرف بعضه تطورات جوهرية مست شكله الهندسي العام ومخططه الداخلي. وعلى هذا الأساس رأينا ان مدافن هذه الفترة تنقسم بصفة عامة الى ثلاثة مجموعات رئيسية :

- **المدافن البدائية** : كالمغارات الطبيعية والمهيئة ، الحوانت والملاجأ تحت الصخور .
- **مدافن فجر التاريخ** : كالجثوات ، البازينات ، المصاطب (الدلمن)، القبور القلاعية (الشوشات) والدوائر الحجرية (كروملاش) .
- **مدافن العهد التاريخي** : وتضم على الخصوص الأضرحة الكبرى .

على الرغم من كثرة وتنوع المدافن القديمة ، الا انه اتضح ان هناك صعوبات عديدة حالت دون امكانية تأريخها ، ابرزها انتهاكها منذ زمن بعيد مما نتج عنه ضياع اثاثها الجنائزي ، تهشم عظام الأموات وتدهور بناءها العام . لقد دفعت هذه الوضعية الكثير من الباحثين الى تبني تواريخ تقريبية قد تخطأ وقد تصيب ، اقيمت في مجملها على اساس ملاحظة تطور اشكالها الهندسية ومقارنتها بمدافن شبيهة بها في اوروبا وجزر البحر المتوسط وجنوب الصحراء .

- وتعتبر البازينة التي تطورت عن الجثوة النموذج الأصلي للأضرحة الأسطوانية الهرمية وتنقسم الى ثلاثة انواع هي :
- بازينة ذات قاعدة اسطوانية وجذع مخروطي .
- بازينة ذات مدرجات .

بازينة ذات قاعدة مربعة وتاج مدرج .

الأولى والثانية شكلت النموذج المحتذى لقبر الرومية ، المدغاسن والغور ، والثالثة النموذج الحقيقي للجدار اذا كان النوع الأول والثاني ينتشر بكثرة قي الشرق الجزائري والغرب التونسي والأطلس الصحراوي ، فإن النوع الثالث يشغل نطاق واسع في غرب بلاد المغرب ، يمتد من شمال المغرب الأقصى الى اقصى جنوبه .

شهدت بلاد البربر خلال الحرب البونية الثانية بروز ممالك مستقلة امتدت على رقعة جغرافية واسعة ، بعضها حكم قبل الفترة الرومانية ، وهي نوميديا الشرقية والغربية وموريطانيا ، والبعض الآخر ظهر خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية ، وهي الممالك النوميدية والمورية .

يبدو ان اشارة المصادر القديمة اليها كانت عابرة ، فنحن نجهل الكثير عنها : اصولها ، تاريخ نشأتها ، حدودها الجغرافية وسلالاتها الحاكمة .

تكمن اهمية هذه الدويلات ، ان في ظل حكمها شيدت الأضرحة الكبرى المعروفة ، ومن اجل ملوكها بنيت ؛ شيد هؤلاء نوعان من الأضرحة ، بعضهم فضل ان يكون قبره عبارة عن جثوة او بازينة محلية كبيرة ، مكسوة برداء يحمل اشكالا هندسية مستوحاة من الفن الهلنستي ـــ الفنيقي والمصري ، والبعض الآخر اراد ان يكون ضريحه على منوال الأضرحة الإغريقية ـــ الفنيقية الشائعة الإستعمال في حوض البحر المتوسط منذ القرن الرابع ق. م .

لقد اتضح اذن من هذه الدراسة ، ان هناك نوعان من الأضرحة الكبرى ، احدهما محلي مستوحى من جثوات وبازينات فجر التاريخ ويمثله كل من : المدغاسن ، قبر الرومية ، لجدار ، بلاد قيطون ، الغور وتين هينان بأباليسة ، والثاني برجي مستورد يستمد شكله العام من الهندسة الإغريقية ــــ الفنيقية ويمثله كل من : صومعة الخروب ، اضرحة : دوقة ، مكثر ، سيغا ، هونشير بورغو وصبراتة .

يظهر ان كلا النوعين ينقسمان بدورهما الى قسمين ، ففي **الأضرحة الأسطوانية ــــ الهرمية** يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين هما :

- اضرحة ذات قاعدة اسطونية ومخروط مدرج مثل : المدغاسن ، الضريح الموريطاني والغور .
- اضرحة ذات قاعدة مربعة وتاج هرمي مدرج ، وتمثله لجدار .

اما في **الأضرحة البرجية** ، فنميز كذلك بين نوعين بارزين هما :

- اضرحة ذات قاعدة مربعة تعلوها عدة طوابق وتنتهي بقمة هرمية ، تمثله كل من : صومعة الخروب ، ضريحي دوقة ومكثر .
- اضرحة ذات تصميم سداسي الزوايا مع جوانب منحنية ومستقيمة بإنتظام ، ونجد مثله في كل من : سيغا ، هونشير بورغو وصبراتة (A,B) .

الى جانب هذا يبدو ان كلايهما تزامن بناءهما معا ، فبإستثناء لجدار جبل العروي والغور التي شيدت مابين القرن السادس والسابع ميلادي ، تقريبا جل الأضرحة الكبرى بنيت في الفترة مابين نهاية القرن الرابع ق.م والقرن الخامس ميلادي . ويلاحظ ان الأضرحة المستديرة ــ الهرمية استمر تشييدها حتى الفترة التاريخية المتأخرة ؛ فإذا كان النموذجان الأولان وهما المدغاسن وقبر الرومية ، قد شيدا قبل الفترة الرومانية أي من نهاية القرن الرابع الى القرن الأول ق.م ، فإن الأضرحة الأخرى : بلاد قيطون ، اباليسة ، الغور

ولجدار ، ببنيت في نهاية الهيمنة الرومانية والإحتلالين الوندالي والبيزنطي ، أي في الفترة مابين القرن الخامس والقرن السابع ميلادي .

مثلها مثل المعالم الجنائزية القديمة ، تفتقر معظم الأضرحة الكبرى الى عناصر التأريخ بسبب انتهاكها منذ امد بعيد ؛ لقد ترتب عن اعمال السلب والنهب زوال الأثاث الجنائزي وتهديم اقسامها العلوية ، واحداث فجوات عميقة في بعضها وهو ما حال في غالب الأحيان دون ظبط تواريخ بناءها والتعرف على اشكالها الهندسية الأصلية وكذا الشعائر الجنائزية المرتبطة بها .

من جهة اخرى سمحت دراسة هذه الأضرحة من استنتاج ملاحظتان هامتان هما :

* شيوع استعمال بعض العناصر الهندسية والزخرفية الشائعة عند حضارات العالم القديم ، وهو ما نلمسه بوضوح في كلا النوعين ؛ ففي الأضرحة المستديرة نسجل انسجاما كبيرا بين الأشكال المعمارية المحلية (قاعدة اسطوانية وتاج مدرج) والهندسة الزخرفية الإغريقية — الفنيقية ـــ المصرية (اعمدة وتيجان على الطراز الأيوني والدوري ، نضد بناء وابواب وهمية على الطراز الفنيقي ، وكورنيش ذو حلق مصري) . اما في الأنواع البرجية المستوردة ، فتتجلى ظاهرة فنية اخرى يمكن وصفها بالمزج بين العناصر الهندسية والزخرفية الأجنبية ، حيث نجد في غالب الأحيان جنبا الى جنب الأعمدة والتيجان الأيونية ، الأيولية والدورية والزخرفة الإغريقية : نضد البناء ، لوحات الجبهة الفنيقية ، الكورنيش ، تماثيل الأسود والفتيان المصرية . يبدو ان تبني هذا المزج الهندسي يدل بوضوح على وجود ورشات بناء محلية ، ومهندسين بربر كانوا على اطلاع واسع بمختلف فنون العمارة الأجنبية

ومتفتحين ايضا على الهندسة المعمارية الشائعة في حوض البحر المتوسط والعواصم الشهيرة من العالم القديم .

* تطور الأضرحة المستديرة ــ الهرمية ، و مس ذلك على الخصوص :

- **المخططات الداخلية** : بعدما اقتصر المدغاسن على رواق واحد يقود الى غرفة جنائزي مركزية ، تبرز في قبر الرومية البهاوي والرواق المستدير المحيط بالغرفة المركزية ، ثم تظهر النواة المركزية وتعدد الأروقة والغرف في لجدارين (A , C) ، والرواقان المركزيان المربعان اللذان يحيطان بالغرفتين المركزيتين في لجدار (F) .

* **لملحقات الخارجية** : فمن مبنى امامي شرق المدغاسن ، قبر تيبازة وبلاد قيطون الى بناءات خارجية متطورة في لجدار : فناء ، اسوار التسييج ، المعلم الصغير ، المنصة الشرقية ، الأحواض ، المذابح او طاولة القرابين .

* ظاهرة التمسك بالتقاليد الهندسية المحلية القديمة التي تجلت بوضوح في الأضرحة المستديرة ــ الهرمية ؛ فالمنصات الشرقية والشكل العام لهذه المعالم ، ما هي في الحقيقة الا نماذج مكبرة متطورة عن الجثوات والبازينات القديمة . وهذا ان دل على شيئ انما يدل على رغبة البربر في الحفاظ على التقاليد المحلية من جهة ومزجها بعناصر هندسية وزخرفية اجنبية حتى تواكب موضة ذلك العصر من جهة اخرى .

2 ــــ الشعائر والعبادة الجنائزية :

لقد تبين من دراسة هذا الفصل ، ان مظاهر الحياة الدينية في العهود التاريخية ما هي الا امتداد لتلك التي كانت سائدة في ازمنة النيوليتي وفجر التاريخ ، كما انها لم تكن من مميزات البربر وحدهم بل اشترك معهم في

ممارستها الكثير من الشعوب الأخرى ، سواء في بلدان البحر المتوسط او في الشرق . فعبادة مشاهير الموتى ، الإله المصري آمون اله الشمس ، بعل ـــ حمون ، تانيت ، ومختلف الظواهر الطبيعية التي آلهها المغاربة منذ القدم ، ماهي الا آلهة وثنية كانت تعبد ايضا عند الفنيقيين والمصريين والإغريق .

اما عن الشعائر والعبادة الجنائزية الممارسة في الأضرحة الكبرى ، فتقريبا جلها كان معروفا عند بربر فجر التاريخ ومجتمعات كثيرة من العالم ؛ فوضعيات الدفن المختلفة ، طرق الدفن المتنوعة ، الحرق ، مظاهر الإيمان بالحياة بعد الموت ، الأحمر الجنائزي ، التوجيه نحو الشرق ، الإحتفالات الدينية ، التضحيات وتقديم القرابين ، معظمها عادات وممارسات مثلما كانت معروفة عند البربر في الفترتين المبكرة والتاريخية ، عرفتها الشعوب الأخرى ايضا . ومن هنا نستنتج ان الحياة الدينية السائدة عند البربر في الحقبة القديمة إكتست الصبغة العالمية ، كما تدل من جهة اخرى على تفتح السكان المحليين على حضارات الأمم المعاصرة لهم وتأثيراتهم في المجال الديني .

غير ان ما يميز الحياة الدينية في العهود التاريخية ، هو تطور بعض الشعائر الجنائزية وبروز ممارسات دينية لم تكن معروفة من قبل ، نتيجة تطور مخططات الأضرحة الداخلية وملحقاتها الخارجية . بعدما كان استعمال الأحمر الجنائزي مقتصرا على الميت فحسب ، اصبح استخدامه يشمل بالإضافة الى ذلك بعض الأضرحة ، قبوها وملحقاتها الشرقية ، كما يمكن ان يوضع في اواني فخارية تحت تصرف الميت لتلوين نفسه في بداخل قبره .

اما عقيدتي الإيمان بالحياة بعد الموت وعبادة الشمس التي تجلت مظاهرها في الكثير من المدافن القديمة ، فلم تعد تمارس في الأضرحة المتأخرة

كالجدار نظرا لإنتشار المسيحية وتبني بناتها هذا الدين ، على الأقل منذ القرن الخامس م .

اذا كان الإغريق والفنيقيين والمصريين قد استغنوا عن الوضعية المنطوية منذ زمن مبكر ، فقد ظلت تستعمل عند البربر حتى فترة متأخرة ، و حتى المسيحية لم تستطع ازالتها مثل مايشهد على ذلك هيكلي لجدار (B) وتين هينان بضريح اباليسة ، وفي اعتقادي ان الإسلام وحده هو الذي تمكن من اشاعة استعمال الوضعية الممددة بدل المنطوية او المنكمشة ، كما ان عادة الحرق التي لم تكن معروفة عند النوميديين الشرقيين ، اصبحت تمارس بشكل اوسع ابتداء من القرن الرابع تحت تأثير الموريين والفنيقيين .

الى جانب هذا ، ظهرت الى الوجود بعض العادات المرتبطة بالعبادة الجنائزية كالطواف ؛ فقد اصبح هذا الشعار معروفا تقريبا منذ القرن الرابع ق.م عند النوميديين الشرقيين ، وتجلى ذلك في الرواق المستدير بالجثوة المجاورة للمدغاسن ، ثم اتسعت نطاق ممارسته عند الموريين ، في قبر الرومية ثم بلادقيطون ، ليأخذ شكلا اكثر تعقيدا في الرواقان المربعان بالجدار (F) .

ان توفر لجدار على ملحقات خارجية متطورة ــــ فناء يحيط بالضريح ، اسوار التسييج ، المعلم الصغير ــــ توحي بممارسة شعائر جنائزية معقدة يصعب التعرف عليها بدقة ، كما ساعد وجود المحاريب في لجدار (A , C) ، والمسطحات العلوية بالمدغاسن وقبر الرومية ، على تبلور شعارعادة النوم بجوار قبر الميت ، وهي عادة كانت معروفة عند السكان البربر منذ القرن الخامس ق. م .حسب المؤرخ الإغريقي هيردوت .

بيليوغرافيا البحث

I ـــ المصادر:

أ) ـــ باللغة العربية :

ـــ ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر .**
(7 مجلدات) ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1968 .

ـــ البكري ، عبدالله ، **المسالك والممالك** ، كتاب ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب .**

ب ـــ باللغة الأجنبية : Les Sources

1. Diodore de Sicile, **Bibliothèque historique** , Trad. F.Hoefev, 3ème éd., Ha chette, Paris, 1843 .
2. Hérodote, **Histoire**, trad. A. Barguet, éd. Gallimard, Paris, 1964 .
3. Marmol, **Déscription genérale de l'Afrique**, Malaga, 1873, Grenade, 1879 .
4. Polybe, **Histoire**, trad. D. Roussel, éd. Gallimard, Paris, 1970 .
5. Pline l'Ancien, **Histoire naturelle**, trad. J. Beaujeu, 1950 .
6. Pomponuis Méla, **Geéographie**, trad. L. Baudet, éd. Panckoucke, Paris, 1843 .
7. Procopius, **Guerre des Vandales**, trad. Dureau de la Malle, dans l'Algérie ou manuel algérien, éd. Firmin didot, Paris, 1852 .
8. Salluste, (C.), **Guerre de Jugurtha**, trad. F. Richard, éd. Garnier Flammarion, Paris, 1966 .
9. Shaw, (Th.), **Voyage en Barbarie et au levant** . Trad. française, la Haye, t. I, 1743 .

10.Shaw, (Th.), **Voyages ou describtions relatives à plusieurs parties de la barbarie et au levant** , la Haye, 1734 .
11.Strabon, **Géographie** , (4 vol.), trad. A. Tardieu, éd. Hach. Paris, 1867-1890 .
12.Tite Live, **Histoire romaine**, (10 vol.), trad. E. Lassere, éd. classique Garnier, Paris, 1943-1958 .

II ـــ المراجع:

بالعربية :

*** الكتب :**

1-شنيتي، محمد البشير ، **الإحتلال الروماني لبلاد المغرب**، الجزائر : م. و. ك.، 1985 .

2- شنيتي ، محمد البشير ، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور ، جزئين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1999 .

3-اليونيسكو، **تاريخ إفريقيا العام**، المجلد الأول، **المنهجية وعصر ما قبل التاريخ**، باريس : جين آفريك، 1980 .

4-ـــ، ـــ، المجلد الثاني، **إفريقيا القديمة**، باريس : جين آفريك، 1980 .

5-الناظوري، رشيد، **جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**، (جزءان)، بيروت : دار النهضة العربية، 1976

6-جوليان، شارل آندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، (جزءان)، تعريب : محمد مزالي و بشير بن سلامة، تونس : الدار التونسية للنشر، 1969 .

7-حارش، محمد الهادي، **التاريخ المغاربي القديم**، الجزائر : م. ج. ط.، 1995 .

8-غانم، محمد الصغير، **التوسع الفنيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط،** الجزائر : م. و. ك.، 1992 .

* **المقالات :**

1ـ شنيتي، م. البشير، **تاريخ الجزائر القديم من خلال المصادر القديمة .** مجلة التاريخ، م. و. د. ت.، العدد 20، الجزائر، 1985، ص. 7-19 .

2- الشيخ : ابو زاهر، زهير الزهيري الإدريسي، **الجدار او الأجدار .** مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد 20، 1985، ص. 83-85 .

3- الصفدي، هشام، **نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر .** مجلة الأصالة، العدد الخاص بالذكرى العاشرة للإستقلال، الجزائر، 1972 .

4- ـــ، ـــ، **حول آصول عبادة آمون في المغرب القديم .** مجلة الدراسات التاريخية، العدد 4، الجزائر، 1988، ص. 11-18 .

5- غانم، م. الصغير، **نقيشة مسيبسا الآثرية** ، دراسة مقارنة . مجلة سيرتا، معهد العلوم الإجتماعية بجامعة قسنطينة، العدد 4، قسنطينة، 1880، ص. 2-14 .

٭ <u>باللغة الأجنبية</u> :

* <u>الكتب</u> :

<u>Les Livres</u>

1- Akari, (J.W.), **Bourgou (Henchir, Mausolée),** Encyclopédie Berbère, X, 1991, Alger, 1983 .

2- Berbrugger, (A.), **Le tombeau de la chrétienne, Mausolée des Rois maurétaniens de la dernière dynastie**, Alger: Arnolet, 1867 .

3- _, **L'Algérie historique, pittoresque et monumentale**, Paris, 1843 .

4- Balout, (L.), **Préhistoire de l'Afrique du Nord**, Paris: A. M. G., 1955 .

5- Bourguinat, (J.R.), **Histoire des monuments mégalithiques de Roknia**, Paris, 1868 .

6- Basset, (H.), **Le culte des grottes au Maroc**, Alger, 1920 .

7- Courtois, (Ch.), **Les Vandales et l'Afrique**, Paris: Arts et Métiers graphiques, 1955 .

8- Caisse, (A.), **Le tombeau de Juba II**, dit le tombeau de la chrétienne, Blida, 1892 .

9- Christofle, (M.), **Le tombeau de la chrétienne**, Paris: Arts et Métiers graphiques, 1951 .

10-Cintas, (P.), **Manuel d'archéologie punique**, (2 vol.), Paris: Picard, 1970-1976.

11-Chabot, (J.), **Recueil des inscriptions libyques**, Paris, 1940 .

12-Camps, (G.), **Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara**, Paris, 1974 .

13- _, _, **Aux origines de la Berbèrie, rites et monuments funéraires protohistoriques de l'Afrique du Nord**, Paris : A. M. G., 1961 .

14- _, _, **Aux origines de la Berbèrie, Massinissa ou début de l'histoire**, Alger : Imprimerie officielle, 1961 .

15-Durnon, (R.), **Autour du tombeau de la chrétienne**, Paris: Charlot, 1931 .

16-Delamare, (A.), **Exploration archéologique de l'Algérie pendant les années 1840-1845**, Paris, 1850 .

17-Diehl, (Ch.), **L'Afrique byzantine, Histoire de la domination byzantine en Afrique**, Paris: Leroux, 1896 .

18- Dalloni, (M.), **Mission au Tibesti,** t. II, Paris, 1935 .

19- Decret, (F.) et Fantar, (M.), **L'Afrique du Nord dans l'antiquité**, Paris: Payot, 1981 .

20- Douté, (E.), **Magie et religion dans l'Afrique du Nord**, Alger, 1909 .

21- Dermenghem, (E.), **Le culte des Saints dans l'Islam Maghrébin**, Paris, 1954 .

22- Fantar, (M.), **Eschatologie phénicienne, punique,** Tunis: Institut Nationale d'Archéologie et d'Arts, 1970

23- Fevrier, (P.A.), **Arts de l'Algérie antique**, Paris: Boccard, 1971 .

24.Fournel, (H.), **Richèsses minérales de l'Algérie**, (2 tomes), Paris, 1949 .

1- Gardel, (G.), **Les Touareg, Ajjer**, Alger, 1961 .

2- Grimal, (P.), **Les fouilles de Siga**, Paris, 1973 .

3- Gsell, (St.), **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**, (8 tomes), Paris, 1928 .

4- ____, ___, **Les monuments antiques de l'Algérie**, (2 vol.), Paris : Font., 1901 .

5- ____, ___, **Atlas archéologique de l'Algérie**, (2 vol.), Alger-Paris : Jourdan et Fontemoing, 1911 .

6- ____, ___, **Promenades archéologiques aux environs d'Alger**, Alger, 1896 .

7- ___, ___, **Chronique archéologique africaine**, t. XV-XXIV, Alger, 1882 .

8- ___, ___, **Hérodote, textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord**, Alger-Paris: A. Jordan et E. Leroux, 1916 .

9- ___, ____, **Recherches archéologiques en Algérie**, Paris: Leroux, 1893 .

10- Judas, (A.), **Notes sur l'origine du Kber-Roumia dit le tombeau de la chrétienne** .

11- Kadra, (F.K.), **Les Djedars, Monuments funéraires Berbères de la région de Frenda**, Alger : O. P. U., 1983 .

12- Lethilleux, (J.), **Les sites romaines en oranie**, (Manuscrit inédit), 1920 .

13- Le Glay, (M.), **Saturne africain**, (2 vol.), Paris: Boccard, 1966 .

14- Picard, (G.Ch.), **Les religions de l'Afrique antique**, Paris, 1954 .

15- Pallary, (P.), **Instructions pour les recherches préhistoriques dans le nord-**
ouest de l'Afrique, Alger, 1909 .
16- Poinssot, (L.), **Les ruines de Dougga**, Tunis: I. N. A. A., 1958 .
17- Reniers, (F.), **Métrologie du tombeau de la chrétienne**, Charbourg, 1953 .
18- Reygasse, (M.), **Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du Nord**, Paris, 1950 .
19- Reinsches landesmuseum Bonn, **Die Numider**, Heinz, Gunter, Horn und Christoph, B. Ruget, Rudolf Verlag, GnbH, Bonn, 1979 .
20- Ravoisier, (E.), **Exploration scientifique de l'Algérie**, Paris: Beaux-Arts, 1846.
21- Ruhlman, (A.), **Les recherches de préhistoire dans l'extrème sud marocain**, Publ. du service des antiquités du Maroc, T. V., 1939 .
22- Tissot, (Ch.), **Géographie comparée de la province romaine d'Afrique**, t. I, Paris, 1884 .
23- Temple et Fable, **Relation d'une éxcursion à Constantine**, Paris, 1838 .
24- Toutain, (J.), **Les cultes paiens dans l'Empire romain**, vol. 25, Paris: Bibliothèque de l'école des hautes études, sciences religieuses, 1920 .
25- Vaufrey, (R.), **Le Capisien des environs de Tebéssa**, t. I, 1936-1937 .
26- Weissen, (M.), **L'ame archaique de l'Afrique du Nord** .
27- Warmington, (B.H.), **Carthage**, London, 1960 .

Les Articles

* المقالات :

28-Audollent, (A.), **Mission épigraphique en Algérie** . Mélanges d'archéologie et d'histoire, Ecole française de Rome, 1890, pp. 397-588 .
29-**Azéma de Montgravier**, dans Revue de bibliographie analytique, t. V, 1844, pp. 182-192 .
30-A-C, **Le mausolée du Roi Aradion** . Annuaire de la Société archéologique de Constantine, 1854-1855, pp. 180-181 .

31-Brunon, (C.), **Mémoire sur les fouilles éxcutées au Médracen** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const., t. 16, 1873-1874, pp. 303-350 .

32-Berbrugger, (A.), **Le tombeau de la chrétienne d'aprés Shaw et Bruce** . Rev. afric. t. X, 1866, pp. 441-450 .

33-________, __,**Rapport des travaux éxcutées au tombeau de la chrétienne** . Rev. t. XI, 1867, pp. 39-48 .

34-________, __, **Chronique archéologique** . Rev. afric., t. VIII, 1864, pp. 390-392 .

35-________, __,**Compte rendu bibliographique du premier volume, de l'annuaire archéologique de Const**. Paru dans Rev. afric. t. I, 1856, pp. 232-240 .

36-Bernard, (H.), **Les Djedars de la haute Mina** . Rev. afric. t. I, 1856-1857, pp. 50-52 .

37-Bordier, (Srgt.), **Les Djedars** . Rev. afric. t. IX, 1865, pp. 476-480 .

38-Beecker, (H.), **Essai sur le Médracen** . Annuaire de la Soc. archéol.de Const., 1854, pp. 108-118 .

39-Bonnel, **Monument gréco-punique de la soumaa, (Les fouilles de 1915-1916, faites par le service des monuments historiques de l'Algérie)** . R. N. M. S. A. de Const. t. XLIX, 1915, pp. 167-178 .

40-Ballu, (A.), **Résultat des fouilles opérées par la société des monuments historiques, (Le mausolée de Khroubs)** . B. A. C;, p. 226-229 .

41-Battistini, (E.), **Note sur les deux tumili de la région de Negrine** . Rec. de la Soc. de préhist. et d'archéol. de Tebéssa, 1936-1937, pp. 183-195 .

42-Boncor, (G.), **Les colonies agricoles préromains de la vallée du Bétis** . Rev. archéol. 3ème serie, t. XXXV, pp. 126-159, 232-325, 376-391 .

43-Bonniart, (F.), **Sur quelques peintures rupestres des chambres sépulcrales creusées dans le roc en Tunisie septentrionale** . B. A. C. T. H., 1928-1929, pp. 299-304 .

44-Chappelle et Monod, **Note sur la grande sépulture d'el-Mreiti, (Mauritanie)** . Bull. du comité d'études historiques de l'A. O. F, 1937, pp. 507-521 .

45-Camps, (G.), **Nouvelles observations sur l'architecture et l'age du Médracen, Mausoléé Royal de Numidie** . C. R. A. I. B. L., 1973, pp. 470-517 .
46-_____ ___, **Les Mausolées princiers de Numidie et de Maurétanie** . Rev. mensuelle, Archéologia, N° 298, Fevrier, 1994, Dijon, pp. 50-59 .
47-_____ ___, **Origines du Royaume Massyle** . R. H. C. M., Faculté des lettres, t. III, 1967, pp. 29-38 .
48-_____, ___, **Données nouvelles sur les tombeaux du Djebel Mistiri**, d'aprés une note de M. Latapie .Lybica, t. 6, 7, 1958-1959, pp. 229-242 .
49-_____, ___, **Un mausolée marocain : La grande bazina de souk el-Gour** . Bull. d'archéologie marocaine, t. V, 1960, pp. 47-92 .
50-_____, ____, **Le tombeau de Tin-Hinan à Abaléssa** . Travaux de l'Institut de recherches sahariennes, t. 24, 1965, pp. 65-83 .
51-_____, ____, **Du nouveau sur l'archéologie du Fezzan** . Travaux de l'I. T. R. S., t. XIII, 1965, pp. 189-198 .
25._____, _____, **Sur trois types peu connues de monuments funéraires nord-africains** . B. S. P. F., t. LVI, 1959, pp. 101-106 .
1-_____, _____, **Les monuments à deambulatoire de l'Afrique du nord ane-islamique** . Atti del 1er Cngresso internationale di studi nord-africain, Cagliari, 1965, pp. 37-43 .
2-_____, _____, **Sur une pratique funéraire protohistorique en Afrique du Nord** . Extrait du Bull. N° 10, (Travaux de 1960), Juillet 1961, Société d'études et de recherches préhistoriques et Z. P. P., Les Eyzies, pp. 1-11 .
3-_____, _____, **Les dolmens de Beni-Messous** . Libyca, Anthrop. Archéol. Préhist., t. I, 1953, pp. 329-372 .
4-Cintas, (P.), **Tombeaux puniques découvertes à Tebourba** . B. A. C., 1946-1949, p. 863-869 .
5-Carcopino, (J.), **Un empreur Maure inconnu d'aprés une inscription latine récement découverte dans l'Aurès** . R. E. A., t. XLVI, N° 12, Janvier-Juin, 1944, pp. 94-120, pl. III.
6-_______, ____, **Encore Masties, l'empreur inconnu** . Rev. afric., 1956, pp. 339-348 .
7-Compardou, (J.), **Notes archéologiques sur la région de Taza** . B. S. G. A. d'Oran, t. XLI, 1921, pp. 173-195 .

8-__________, __,**La grotte de Kifa bel Ghomari** . B. S. G. A. d'Oran, t. XXXVII, 1917, pp. 5-26 .

9-Capella, **Le Médracen** . Bull. archéol.et hist. de la Soc. archéol. du Tarn et garone, t. VII, 1879, p. 81 .

10-Chabassière, (J.), **Ruines et dolmens de Fortas et de ses contrefors** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const., t. XXIV, 1886-1887, pp. 96-138 .

11-__________, ___, **Notice sur le Médracen** . Rev. afric. t. XII, 1868, pp. 117-120 .

12-Cahen, (Ab.), **Le Médracen, Rapport de fouilles** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const., t. XVI, 1871-1873, pp. 1-17 .

13-Cadenat, (P.), **Inscriptions latines de la région de Tiaret** . Libyca archéol. épigraph. t. I, Avril-Oct., 1953, p. 173-175 .

14-______, _____, **Vestiges paléo-chrétiens dans la région de Tiaret** . Libyca archéol. épigraph., t. V, 1er semestre, 1957, pp. 79-86 .

15-De la Blanchère, (R.), **Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie césarienne** . Archives des missions scientifiques et littéraires, 3ème serie, t. X, 1883, pp. 77-99 et 127-129 .

16-Demaeght, (L.), **Notes géographiques, archéologiques et historiques conçernant la partie de Maurétanie césarienne, correspondant à la province d'Oran** . B. S. G. A. d'Oran, t. VII, 1887, pp. 279-282 .

17-De Laurière, **Deux mausolées africains, le Médracen et le tombeau de la chrétienne** . Bulletin monumentale, 5ème serie, t. II, 1874, pp. 305-346 .

18-Di Vita, (A.), **il mausolée-hellenistico, B. di Sabratha** . R. M. A. I., t. 83, 1976, pp. 273-285 .

19-Débruge, (A.), **Fouilles à la Meskiana** . Bull. mensuelle de la société archéologique de Constantine, N° 28, oct. 1931, pp. 305-307 .

20-Débruge, (A.) et Mercier, (E.), **La station préhistorique de Mechta Chateaudun** . R. N. M. S. A. de Const. t. XLVI, 1912, pp. 287-307 .

21-Denis, (Let.), **Les dolmens de Tunisie centrale** . B. S. G. A. d'Oran, t. XV, 1895, pp. 273-280 .

22-Doumengue, (F.), **Contribution au préhistoire de la région d'Oran** . C.r. du XXVII, Congrés de l'A. F. A. S., Nantes, 1898, pp. 574-583 .
23-Du Puygadeau, (O.) et Senones, (M.), **Le cimtière de Bir um Garn** . Journal de la Société des africainistes, t. XVII, 1947, p. 51-56 .
24-Desanges, (J.), **Les territoires Gétules de Juba II** . R. E. A., t. 66, 1964 .
50.______, ___, **Le monument romain de Ksar-Sbahi** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const., t. LVII, 1926, pp. 255-258 .
1-Deyrolle, (Dr.), **Hypogées ou Haouanet souterains de Kalaa es snam** . Bull. de la société archéologique de Sousse, 1908, pp. 154-157 .
2-______, ____, **Haouanet de Sidi Ali Djebali** . B. S. A. S., 1904, p. 86 .
3-______, ____, **Menhir et cupules en rapport avec les Haouanet tunisiens** . B. S. P. F., t. II, 1905, p. 27-31 .
4-______, ____, **Haouanet à lits et à faces humains** . Bull. de la Soc. archéol. de Sousse, t. II, 1901, p. 154-159 .
5-Estaunie, (D.), **Découvertes de stations préhistoriques à Ami-Moussa** . B. S. P. F., t. IX, 1912, pp. 383-385 .
6-Fevrier, (J.G.), **L'inscription du mausolée dit d'Atéban (Dougga)** . Karthago, 10, 1959, p. 53-57 .
7-______, ____, **La stèle de Micipsa** . B. A. C., 1949, pp. 652-655 .
8-______, ____, **L'inscription funéraire de Micipsa** . Rev. d'Assyrologie et d'Archéologie oriental, t. XLV, Paris, 1955 .
9-Feron, (J.), **L'inscription du mausolée de Dougga** . Africa, t. III, IV, 1969-1970, pp. 83-110 .
10-Foy, (C.), **Note archéologique sur le Médracen** . Annuaire de la Soc. archéol. de Const. t. III, 1856-1857, pp. 58-69 .
11-Féraud, (L.), **Recherches sur les monuments dits celtiques dans la province de Constantine** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Constantine, t. XIII, 1864, pp. 108-132 .
12-Faidherbe, (G.), **Recherches anthropologiques sur les tombeaux mégalithiques de Roknia** . Bull. de l'Academie d'Hipponne, t. IV, 1867, pp. 1-76 .

13-Gobert, (E.G.) et Cintas, (P.), **Les tombes de Jebel Mléza** . Rev. tunisienne, t. XXXVI, 1939, pp. 135-198 .
14-Guénard, (E.), **Les Djedars de Frenda**, (Algérie) . B. S. G. A. d'Oran, t. II, 1881-1882, pp. 264-272 .
15-Gsell, (St.) et Graillot, (R.), **Exploration archéologique dans le département de Constantine, ruines romaines au nord de l'Aurès** . M. E. F. R., t. XIV, 1894, pp. 17-86 .
16-Gautier, (E.F.), **Etude d'ethnogrphie saharienne** L'Anthropologie, t. XVIII, 1907, pp. 36-68 .
17-Gsell, (St.), **Le Christianisme en oranie avant la conquete Arabe** . B. S. G. A. d'Oran, Bull. du ciquantenaire, 1928 .
18-____, ____, **Le tombeau de la chrétienne** . C. r. du XIV° Congrés de l'A. F. A. S., Carthage, 1896, t. II, pp. 776-778 .
19-____, ____, **Marques du tombeau de la chrétienne** . Bull. archéol. du comité, 1899, pp. 441-443 .
20-____, ____, **Notes d'archéologie algerienne** . B. A. C., 1899 .
21-Gautier, (E.F.), **Les premières résultas de la mission Frobenuis** . Rev. afric., t. LXII, 1921, pp. 47-61 .
22-Horlaville, **Compte rendu sur le livre de Christofle** . B. A. C., 1953, p. 21-26 .
23-Joly, (A.) et Joleaud, (L.), **Ruines et vestiges anciens relevés dans la province de Constantine** . R. N. M. S. A. de Const., t. XLV, 1911, pp. 19-36 .
24-Kadra, (F.K.), **Note complémentaire sur les Djedars de la region de Frenda** . Bull. d'archéologie algerienne, pp. 227-231 .
25-Lézine, (A.), **Architecture punique** . Rec. de documents publ. de l'université de Tunis, 1960, pp. 1-118 .
77.Leclerc, (H.), **Note sur le Médracen** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const., 1864, p. 133 .
1-Letourneux, (A.), **Sur les monuments funéraires de l'Algérie centrale** . Archiv. fur Anthropologie, 1868, pp. 307-320 .
2-Longpérier, (A.), **Les tumulus de Djebel Akhdar dans la province d'Oran** . Rev. archéologique, t. I, 1845, pp. 565-572 .
3-Le Du, (R.) et Serée de, (R.), **Le gisement capisien de Bekaria** . Libyca, Anthrop. Archéol. Préhist., t. I, 1953, pp. 141-155 .
4-Le Du, (C.), **Les tombeaux ronds du Djebel Mistiri** . C.r. du 4ème Congrés de la féderation des Savantes de l'Afrique du Nord, 1938, pp. 565-587 .

5-_____, ___, **Promenades archéologiques dans les environs de Tebéssa** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const., t. 18, 1876, pp. 382-427 .

6-Lapeyere, **Anciennes sépultures de la région des Salines** . Bull. de la Soc. archéol. de Sousse, 1934, pp. 25-31 .

7-Logeart, (F.), **Grottes funéraires, Hupogées et caveaux sous roches de Sila, (Fouilles de 1933-1934)** . Recueil des Notes et Mémoires de la société archéologique de Constantine, t. LXII, 1935-1936, pp. 69-105 .

8-______, ___, **Nouvelles inscriptions libyques de la commune mixte d'Ain-Mlila** . Rev. afric. t. LXXVIII, 1936, pp. 441-450 .

9-Letourneux, (A.), **Catalogue des monuments préhistoriques de l'Algérie** . Bull. de la société algerienne de climat., t. VI, 1869, pp. 63-73 .

10-Molinier, (V.), **Le Médracen** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const. t. XXVIII, 1893, pp. 45-77 .

11-Mercier, (E.), **Sur le Médracen** . Bull. de l'Academie d'Hipponne, t. XXV, 1889, p. IXXXII .

12-Mélix, (C.), **Les monuments mithriques de l'Algérie, le Médracen, le Kbour-Roumia, les Djedars** . Bull. de l'Academie d'Hipponne, t. 23, 1888, pp. 86-119.

13-**Messerer**, dans comptes rendus de l'Academie d'Hipponne, t. VII, 1894, p. V, p. XI .

14-Malik et Chermat, (M.), **Beni-Saf, au passé et au présent** . Reportage du quotidien Le Matin, du 18 au 24 septembre 1995 .

15-Margat, (J.) et Camus, (A.), **Nécropole de Bouia au Tafilalet** . B. A. M., t. III, 1958-1959, p. 353 .

16-Meunié, (J.) et Alain, (Ch.), **Quelques gravures et monuments funéraires de l'extrème sud-est marocain, (Tumulus de Taouz et Beraber)** . Hesperis, t. XLIII, 1956, pp. 51-86 .

17-Meunié, (J.), **La nécropole de Foum le Rjam, tumili du Maroc présaharien** . Hespéris, t. XLV, 1958, pp. 95-142 .

18-Marcillet, (J.J.), Les inscriptions d'Altava . Publication des annales de la faculté des lettres d'Aix-en Provence, nouvelle serie, N° 65, 1968, p. 15-16 .

19-Mougel, (M.A.), **Rapport sur le Médracen**, (sic) et le Kbour er-Roumia . Bull. de l'Academie d'Hipponne, t. XII, 1876, pp. 71-109 .

20-Poinssot, (L.), **La réstauration du mausolée de Dougga** . C. R. A. I. B. L., 1910, pp. 780-787 .

21-______, ___, **Les fouilles de Dougga en 1908-1919** . Nouvelles archives des missions, t. II, fasc, 2 .

22-Poinssot, (L.) et Salomonson, (J.), **Le mausolée libyco-punique de Dougga, et les papiers du compte Borigia** . C. R. A. I. B. L., 1959, p. 141-146 .

23-Petit, (C.), **Notes sur les tumili d'Ain Sefra** . Bull. de la Soc. de géogr. et d'archéol. d'Oran, t. 25, 1905, pp. 285-295 .

24-Pallary, (P.), **Note sur la classification et la terminologie du préhistorique algerien** . C.r. de la XXIII session de l'A. F. A. S., Besançon, 1893, pp. 679-682.

103.______, ___, **Les monuments mégalithiques de l'arondissement de Mascara** . Materiaux, t. XXI, 1887, pp. 451-459 .

1-______, ____, **Recherches palethnologiques dans le nord du Maroc** . C. r. de la XXXXI ème de l'A. F. A. S., Montauban, 1920, pp. 911-917 .

2-______, _____, **Recherches** sur le littoral du Maroc en 1907 . L'Anthropologie, t. 19, 1908, p. 179-181 .

3-_______, ______, **Monographie paleoethnologique de l'arondissement d'Oran** . Bull. de la Soc. d'Anthrop. de Lyon, t. XI, 1892, pp. 285-306 .

4-Pauphilet, (D.), **Monument megalithique de Maktar** . Karthago, t. IV, 1953, pp. 51-82 .

5-Paskoff, (R.), **Notes sur quelques vestiges archéologiques des environs de Berguent**, (Maroc oriental) . Libyca, Archéol. Préhistoire, Ethnographie, t. 8, 1960, p. 295-297 .

6-Piganiol, (A.), **La religion et les mouvements sociaux dans le Maghreb antique** . C. H. M., t. 3, 1956-1957 .

7-Payen, (C.), **Lettres sur les tombeaux circulaires de la province de Constantine**. Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const. t. XIII, 1863, pp. 159-169 .

8-____, ____, **Monuments antiques de la commune mixte d'Ain-el Ksar** . Rec. des Not. et Mém. de la Soc. archéol. de Const. t. XXXII, 1892, pp. 200-222 .

9-Pamart, (H.), **Etudes sur le Médracen, (tombeau de Syphax) et le Kbour-Roumia** . Rev. afric. t. 61, 1920, pp. 279-293 .

10-Pace, (B.), Caputo, (G.) et Sergi, (S.), **Scavi sahariani** . dans Monumenti antichi, Vol. XLI, 1951 .
11-Remond et Charbonneau, (A.), **Rapport adressé à Mr. le préfet du département de Costantine, sur les fouilles de Soumaa, (Monument du Khroub)** . Annuaire de la Soc archéol de Const., t. VI, 1862, pp. 68-75 .
12-Roffo, (Dr.), **Sépultures indigènes antislamiques en pièrre sèches, étude sur trois nécropoles de l'Algérie centrale** . Rev. afric. t. 82, 1938, pp. 197-242 .
13-Reygasse, (M.), **Fouilles de monuments funéraires de types chouchets accolées au tombeau de Tin-Hinan à Abaléssa (Hoggar)** . B. S. G. A. d'Oran, t. LXI, 1940, p. 148 .
14-Rakob, (F.), **Numidiche konigs architecketur in nordafrica** . Die Numider , Rheinsches Landes Museeum, Bonn, 1979, pp. 131-463 .
15-Ruhlman, (A.), **Le tumulus de Sidi Slimane (Rharb)** . Bull. de la Soc. de préhistoire du Maroc, 1939, pp. 37-70 .
16-Reboud, (Dr.), **Chronique** . Rev. afric. t. I, 1856, pp. 25-31 .
17-Salama, (P.), **Occupation de la Maurétanie césarienne occidentale sous le Bas-Empire romain** . Mélanges d'archéologie et d'histoire offerts à André Piganiol, t. III, 1966, pp. 1296-1312 .
18-______, ___, **Tombeau Royal maurétanien** . Rev. du Ministère du tourisme, N 4, 1967 .
19-Saladin, **le mausolée de Dougga** . B. A. C., 1900, p. 126-128 .
20-______, **Le mausolée de Dougga avant la la réstauration** . Nouvelle archives des missions, t. II, 1892, pp. 455-484 .
21-Spruytte, (J.) et Vincent, (C.L.), **Note sur les monuments funéraires préislamiques du nord Khat Atoui, (Mauritanie)** . Bull. de Liaison saharienne, 1956, pp. 145-155 .
22-Texier, (Ch.), **Exploration de la province de Constantine et Des Zibans** . Rev. archéologique, 1ère serie t. V, 1848-1849, pp. 123-135 .
23-Topinard et Faidherbe, **Instructions sur l'anthropologie de l'Algérie**. Materiaux, t. IX,1873, pp. 473-478
129.Tommassini, (Dr.), **Les tumili de l'arrondissement de Mascara** . Bull. de la société algerienne de climat., 1883, pp. 110-111 .

1-Thepénier, (E.), **Reflexion et suppositions au sujet des découvertes faites à la Soumaa** . R. N. M. S. A. de Const. 1916, pp. 184-191 .
2-Vuillemot, (G.), **Fouilles du mausolée de Beni-Rhenan** . C. R. A. I. B. L., 1964, pp. 71-95 .
3-________, ___, **Nouvelles fouilles à Siga** . Bull. de la Société géographique, archéologique d'Oran, 1961 .
4-________, ___, **La nécropole punique du phare dans l'Ile de Rachgoun** . Libyca, Archéol. Epigraph., t. III, 1955, pp. 7-76 .
5-________, ____, **Siga et son port fleuvial** . Rev. d'antiquités africaines .
6-Wagner, (Cpt.), **Monuments du Djebel Hadjar** . B. S. G. A. d'Oran, t. II, 1881-1882, pp. 128-131 .

مراجع حكومية :

1- Ministère de l'information et de la culture, Direction de la culture, Sous-Direction des Beaux-Arts, N° 009.Mts/H., **Procès verbal de la seance tenue le 12/Fevrier/1972, (Ordre du jour : Réstauration de Médracen)** . Archives de l'Agence Nationale d'Archéologie et Protection des Sites et Monuments historiques .
2- Ministère de la culture et de l'information , **Rapport sur le Médracen**, adressé par M.Mrs, Paola Donati Jervis, le 01/10/1972 . Archives de A. N. A. P. S. M. H .
3- Ministère de l'information et de la culture, Direction des Musées, M. Bouchenaki, **Le Mausolée royal Maurétanien** . S. N. E. D. 1979 .
4- Agence Nationale d'Archéologie et Protection des Sites et Monuments historiques, Serge Lancel et d'autres, **Tipasa de Maurétanie** . Alger, 1990 .
5- Ministère de l'information et de la culture, Sous-Direction des Beaux-Arts, **Rapport de mission sur les travaux de la Soumaa du Khroub, du 09/07/1974** . Archives de l'A. N. A. P. S. M. H .
6- Ministère de l'information et de la culture, Sous-Direction des Beaux-Arts, Musées, Monuments historiques et Antiquités, **Le Musée National des antiquités d'Alger**, Alger, 1974 .

وزارة الأخبار والثقافة ، مديرية الثقافة ، إدارة المتاحف الوطنية ، **أعمال تقويم قبر مادغوس** . تقرير محمد تغليسة ، محافظ متحف تيمقاد ، مؤرخ في 1973/02/09 ، ارشيف الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع والنصب التاريخية .

﴿ محتـــوى البحث ﴾

صفحة

الملاحق

I ــــ الجداول :

- الجدول رقم (1) : أنواع المدافن البربرية القديمة
- الجدول رقم (2) : الأثاث المكتشف في ضريح المدغاسن والمقبرة المجاورة
- الجدول رقم (3) : مقارنة بين الأضرحة الثلاثة (المدغاسن ، قبر الرومية ، لجدار)
- الجدول رقم (4) : مقارنة بين الأضرحة المستديرة ــ الهرمية والبرجية
- الجدول رقم (5) : أنواع الدفن في الأضرحة البربرية

II ــــ الصور :

الصورة رقم (01) مغارات مهيئة في عين البيضاء
الصورة رقم (02) مدفن ارضي مهيئ تحت صخر. بسيلا
الصورة رقم (03) مقبرة حانوتية في كاسيبل بتونس
الصورة رقم (04) حوانت محفورة في صخور منعزلة في سجنان بتونس
الصورة رقم (05) بازينة ذّات قاعدة أسطوانية بجبل مستيري –تبسة–
الصورة رقم (06) بازينة تيديس
الصورة رقم (07) بازينة أسطوانية ذات دراجات بسوق الغور –المغرب الأقصى

الصورة رقم (26) إعادة تشكيل المدغاسن حسب راكوب

الصورة رقم (27) منظر لقمة الضريح الموريطاني ومن عليها نرى آفاق واسعة : من الشمال البحر ، من الغرب مدينة تيبازة وجبل شنوة الذي يحجب رؤية مدينة شرشال (قيصرية)

الصورة رقم (28) الباب الوهمي الشرقي لقبر الرومية حيث نشاهد بوضوح الزخرف الناتئ الذي يشبه الصليب وهو الذي جعل الفرنسيين والإسبان

الصورة رقم (29) الضريح الموريطاني قبل أعمال الترميم 1912

الصورة رقم (30) الواجهة الشرقية لقبر الرومية في حالة حفظ جيدة بفضل أشغال الترميم

الصورة رقم (31) تهدم الباب الوهمي الغربي للضريح الموريطاني

الصورة رقم (32) الباب الوهمي الشمالي لقبر الرومية

الصورة رقم (33) الجهة الجنوبية للضريح الموريطاني حيث نشاهد تضرر المعلم نتيجة سقوط أحجار التكسية الخارجية والأعمدة الأيونية

الصورة رقم (34) بقايا المنصة الشرقية الواقعة امام الباب الوهمي الشرقي ـ قبر الرومية ـ

الصورة رقم (35) المدخل الرئيسي للضريح ، وقد أغلق بباب حديدي خوفا من عبث الناهبين

الصورة رقم (36) منظر للتاج المخروطي حيث تظهر بوضوح الثغرة الكبيرة التي شوهت جهته الشرقية

الصورة رقم (37) الجهة الشرقية لقبر الرومية بعد ترميمها

الصورة رقم (38) منظر للجهة الشرقيةـ الضريح الموريطاني ـ

الصورة رقم (39) اعادة تشكيل الضريح الموريطاني حسب راكوب

الصورة رقم (40) منظر من الجهة الشمالية الغربية يبين موقع لجدار (A) فوق مرتفع جبل لخضر

الصورة رقم (41) منظر عام للجدار (B)

الصورة رقم (42) منظر للجهة الجنوبية للجدار (A)

الصورة رقم (43) الواجهة الشرقية والجنوبية للجدار (A)

الصورة رقم (44) تقنية تقصيب جدران القاعدة المربعة بلجدار (A)

الصورة رقم (45) الكورنيش والمدرجات الثلاثة الواقعة في الواجهة الشرقية هي ماتبقى اليوم من مدرجات التاج الهرمي المدرج في لجدار (A)

الصورة رقم (46) منظر من جهة الجنوبية لجدار (A)

الصورة رقم (47) ساحة الواجهة الغربية للجدار (A)

الصورة رقم (48) قناة لتصريف مياه الأمطار مهيئة على مستوى أسوار التسييج

الصورة رقم (49) منظر عام للقسم الغربي من لجدار (A)

الصورة رقم (50) تقنية بناء سور التسييج المحيط بالساحة

الصورة رقم (51)) بقايا المعلم الصغير بلجدار (A)

الصورة رقم (52)) القرص الحجري المستخدم لإغلاق باب المعلم الصغير

الصورة رقم (53) أحواض ملتصقة بسور الجهة الشرقية للجدار (A)

الصورة رقم (54)) المدخل الرئيسي المهيئ على مستوى التاج الهرمي في لجدار (A)

الصورة رقم (55) منظر للجدار (B) يبن تهدم تاجه الهرمي

الصورة رقم (56) بقايا المعلم الصغير الواقع في شرق لجدار (B)

الصورة رقم (57) الغرفة الجنائزية المهدمة في لجدار (B)

الصورة رقم (58) تراكم حجارة المدرجات على السور الجنوبي في لجدار (C)

الصورة رقم (59) منظر جانبي للجدار (C) يبين الإنتشار الواسع االركام المتساقط

الصورة رقم (60) المدرجات التسعة الواقعة في الجهة الجنوبية والشرقية في لجدار (C)

الصورة رقم (61) منظر عام للجدار (F)

الصورة رقم (62) تهدم الواجهة الجنوبية للجدار (F)

الصورة رقم (63) الثغرة التى تقود الى الغرفة (J) في لجدار (F)

الصورة رقم (64) صليب إغريقي منقوش على إحدى حجارة الواجهة الغربية للجدار (A)

الصورة رقم (65) صليب إغريقي آخر نقش في جدار الواجهة الغربية للجدار (A)

الصورة رقم (66) الطابق الأرضي لصومعة الخروب

الصورة رقم (67) القطع الحجرية المختلفة التي تشكل الأقسام العلوية لضريح الخروب

الصورة رقم (68) قاعدة إحدى الأعمدة الدورية لضريح الخروب

الصورة رقم (69) منظر للقاعدة السفلي لضريح الخروب

الصورة رقم (70) أقسام الطابق السفلي

الصورة رقم (71) قطع هندسية متنوعة من ركام صومعة الخروب

الصورة رقم (72) إعادة تشكيل الأجزاء العلوية لضريح الخروب حسب راكوب

الصورة رقم (73) منظر عام لضريح دوقة بتونس

III ـــ الأشـــــكـــال :

* الشكل رقم (46) : المعالم ذات الأروقة والمطافات (مخطط الجدار (F)، الجثوة المجاورة للمدغاسن و مخطط ضريح بلاد قيطون)

IV ـــ الخـــرائـــط :

- خريطة رقم (1) : التوزيع الجغرافي للأضرحة المستديرة ـ الهرمية والبرجية
- خريطة رقم (2) : بلاد البربر قبل الحرب البونية الثانية (218 ق.م.)
- خريطة رقم (3) : بلاد البربر مابين سنتي 202 ـــ 149 ق.م.
- خريطة رقم (4) : الممالك البربرية في القرنين V و VI ميلادي
- خريطة رقم (5) : التوزيع الجغرافي للأضرحة البرجية و البازينية بالمغرب.
- خريطة رقم (6) : : موقع مقبرة المدغاسن
- خريطة رقم (7) :خريطة توبوغرافية لمقبرة المدغاسن
- خريطة رقم (8) : موقع معالم لجدار
- خريطة رقم (9) : التوزيع الجغرافي للمعالم ذات المحاريب أو المصليات في بلاد البربر
- خريطة رقم (10) : التوزيع الجغرافي للأضرحة البرجية بحوض البحر المتوسط
- خريطة رقم (11) : صورة توبوغرافية لموقع سيغا (حفريات البعثة الألمانية سنة 1977)

طبع بمطبعة دار هومه
34 ، حي لابروبار - بوزريعة- الجزائر
الهاتف : 021.94.41.19 / 021.94.19.36 الفاكس : 021.94.17.75
www.editionshouma.com
email:Info@editionshouma.com

دار هومه

للطباعة والنشر والتوزيع

34 حي لابروفال- بوزريعة- الجزائر

الهاتف: 021.94.19.36 الفاكس: 021.94.17.75

021.94.41.19

ISBN : 9961-66-660-7 : ردمك

www.editionshouma.com

e-mail:info@editionshouma.com